الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية   كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسنطينة

قسم التاريـــــخ

الرقم التسلسلي:......................

رقم التسجيل:.........................

محمود بوزوزو، مسيــرة جريدة المنار وقضاياها

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية- تاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

راضيــة قوفي   نور الدين ثنيو

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أحمد عبدلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	رئيسا
نور الدين ثنيو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	مشرفا ومقررا
بشير فايد	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد لمين دباغين- سطيف	عضوا مناقشا
محمد أوجرتني	أستاذ محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	عضوا مناقشا
توفيق بن زردة	أستاذ محاضر أ	جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي	عضوا مناقشا
خميسة مدور	أستاذ محاضر أ	جامعة 08 ماي 1945- قالمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م

نوقشت يوم: الاثنين 22 شوال 1443هـ

الموافق: 23 ماي 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

الآية رقم 88، سورة هود.

كلمة شكر وتقدير

مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ﴾ الأعراف، 144.

نحمد الله العلي القدير الذي بفضله تتم الصالحات، ونسأله أن يتقبل منا الحمد الكثير على نعمة التوفيق والثبات لإنجاز هذا العمل.

ولما كان شكر الناس من المكارم المتصلة بشكر الله

أتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير إلى أستاذي المشرف على عملي الأستاذ الدكتور: نور الدين ثنيو نظير الجهود التي بذلها طيلة ست سنوات كاملة، مضحيا بوقته مقدما التوجيهات الضرورية رغم انشغالاته المتعددة؛ فكانت اقتراحاته وتصويباته تلك القبسات التي أنارت لي طريق البحث حتى أضحت هذه الدراسة قابلة للمناقشة.

وتبعا لذلك فللجنة المناقشة كل الشكر والامتنان على قبول قراءة هذا البحث، راجية الاستفادة الواسعة من خبرتهم لتقييم هذا العمل معرفيا ومنهجيا.

أما التقدير الكبير والشكر الجزيل فموصول إلى كل الأساتذة الذين ساعدوني لإنجاز هذا العمل بجامعة الأمير عبد القادر، جامعة المسيلة، جامعة ابن طفيل بمدينة القنيطرة المغربية، جامعة الجزائر.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى كل عائلة بوزوزو في ولاية بجاية، أصدقائه هناك، وأبنائه وكل معارفه في مدينة جنيف السويسرية خاصة الأساتذة: فيصل بن محم الغزاوي، عباس عروة، السيدة بريزة بن لموفق، مصطفى حابس، بوعودية جمال الدين، منير عربية على المساندة التي حظيت بها من قبلهم والمادة العلمية التي وفروها حتى يرى هذا العمل النور.

ولا يفوتني الاعتراف بالتشجيع الكبير الذي حظيت به من قبل أفراد أسرتي؛ والدتي الكريمة حفظها الله وبارك في عمرها، إخوتي وأخواتي كل باسمه ومقامه لصبرهم معي طيلة سنوات البحث،

لكم مني أسمى عبارات الشكر والتقدير.

ولي كل الامتنان بما قدمته الأخوات الحبيبات اللواتي لم تلدهن أمي من جهد معنوي وعلمي، الأستاذات الفضليات؛ فريدة نمر، جميلة صحراوي، ياسمين حساين.

كما أتقدم بالشكر الوافر إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في إخراج هذا العمل،

لكم مني فائق التقدير والعرفان.

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة -رحمة الله عليه- الذي منحني الحياة، وحفاني برعايته

حتى يراني أهتدي لأسلك طريق العلم...

إلى أمي الحبيبة بارك الله في عمرها التي سهرت بجانبي، وكانت لي خير سند

وشجعتني على مواصلة البحث والصبر تحديا لصعابه...

وإلى كل من ناضل وجاهد من أجل الوطن المفدّى...

أهدي هذا الأثر المتواضع

قائمة المختصرات:

أولا: باللغة العربية

- ج.ج.د.ح.إ: الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها.
- ح.إ.ح.د: الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية.
- إ.د.ب.ج: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.
- ج.ع.م.ج: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- ح.ش.ج: حزب الشعب الجزائري.
- ح.و.ج: الحركة الوطنية الجزائرية.
- ك.إ.ج: الكشافة الإسلامية الجزائرية.
- ف.ك.إ.ج: فتيان الكشافة الإسلامية الجزائرية.

ثانيا: باللغة الأجنبية

- *C.A.O.M: Centre des Archives d' Outre-mer(Aix-en- Provence).*
- *S.L.N.A: Service de Liaisons Nord- Africaines*
- *P.R.G: Polices des Renseignements Généraux.*
- *C.A.N: Centre des Archives Nationale.*
- *A.W.C : Archives de la Wilaya de Constantine.*
- *C.A.M: Centre des Archives de Maroc.*
- *U.D.M.A: L'Union Démocratique du Manifeste Algérien.*
- *M.T.L.D: Mouvement pour Le Triomphe des Libertés Démocratiques. .*
- *F.A.D.R.L: Le Front Algérien Pour La Défense et Le Respect De La Libertés.*
- *P.P.A: Parti du Populaire Algérien.*
- *Bull: Bulletin*
- *N°: Numéro*

مقـــــــدمة

التعريف بموضوع البحث:

لا زالت العديد من موضوعات تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ونشاط رجالتها ورموزها تحتاج إلى دراسات أكاديمية وعلمية متخصصة، وتعد شخصية محمود بوزوزو (1918-2007) وجريدة المنار (1951-1954) واحدة منها. وعليه سنعالج في هذه الدراسة موضوعا يتعلق بالترجمة لأحد أقطاب الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية خلال القرن العشرين، إذ يعد البحث في حقل السير والتراجم من الأعمال الضرورية الملازمة للكتابة التاريخية، في محاولة لاستجلاء سيرهم وجلائل أعمالهم.

المناضل محمود بوزوزو هو أحد أبناء الجزائر الذين خاضوا المعارك ضد الاحتلال الفرنسي وسياسته الجائرة، نشأ في بيئة استعمارية راهن روادها على طمس معالم الهوية الوطنية العربية الإسلامية للأمة الجزائرية، فحمل على إثرها رهان الإصلاح والتغيير على غرار الجهود التي بذلها ثلة من العلماء العاملين من بينهم العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ العربي التبسي وغيرهم.

في ظل هذه الظروف، برزت جهود المصلح محمود بوزوزو الذي اتسم بعطائه الفكري المناهض للتواجد الاستعماري في الجزائر، فدافع عن الحق في العيش بحرية، وسعى إلى نشر الوعي الوطني، وبث الروح التحررية في عموم البلاد من خلال نشاطاته في حقل التربية والتعليم، كما جاهد بالقلم؛ فكانت له كتابات واسعة متنوعة وثرية تؤرخ لفترة هامة وحرجة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ونضال قادتها على اختلاف توجهاتهم.

غير أن المتتبع لبيبليوغرافيا الدراسات التاريخية الأكاديمية المهتمة بدراسة قادة الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية، يجد أن محمود بوزوزو من أكثر الشخصيات الجزائرية التي لم تنل حقها من الدراسة والبحث والتنقيب في التاريخ الجزائري المعاصر، خاصة بالنظر إلى جهوده النضالية، وحضوره السياسي والفكري خلال القرن العشرين، ودوره في بث الروح الوطنية، يؤكده تراثه الفكري الذي خلّفه خاصة مقالاته في جريدتي البصائر والمنار، حيث ازداد معه تمسكنا بالموضوع إذ وجدنا أنه لا يمكن بأية حال إغفال البحث في أغوار هاته الشخصية، في محاولة منا لتوضيح الخطوط العريضة لرسالة الإصلاح التي ألزم نفسه

بها، سواء الإصلاح الديني بمحاربة البدع والخرافات والدعوة إلى التمسك بمبادئ الدين الإسلامي، أو الإصلاح السياسي بالانخراط في العمل الكشفي لمحاربة الاستعمار الفرنسي وتحقيق الاستقلال التام للبلاد.

نسعى من خلال هذه الدراسة أن نكشف عن منتوج فكري إصلاحي لشخصية جزائرية بقي نضالها مغمورا فكريا وتاريخيا، حيث بقيت معظم الدراسات محصورة في الجهود الإصلاحية والفكرية التي طبعت مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو النضال السياسي للقادة البارزين ضمن الأحزاب السياسية الناشطة آنذاك على الساحة الوطنية، وحتى على المستوى العربي وعلى الرغم من اهتمامات محمود بوزوزو بجملة من القضايا العربية المتعلقة بالإصلاح، النهضة والتحرر، إلا أننا لاحظنا غياب أي اهتمام بأطروحاته الفكرية.

وعليه نتناول في هذا البحث شخصية محمود بوزوزو كمناضل ومثقف بارز في تاريخ الجزائر المعاصر في محور أول، ثم جريدة المنار كمنبر سياسي وفكري في محور ثاني، وأخيرا معالجة أهم القضايا التي طرحتها الجريدة في محور ثالث.

أسباب اختيار الموضوع:

توفرت لدينا جملة من الاعتبارات والحوافز، تضافرت في ما بينها ودفعتنا إلى اختيار دراسة شخصية محمود بوزوزو وإحاطتها بالبحث والمعالجة من أجل إبرازها في البحث التاريخي الجزائري والعربي، نرصدها على النحو التالي:

- تجربته الفريدة إلى حد ما، ومساره النضالي الذي قاده إلى الدخول إلى عدة دوائر من الإصلاحي إلى الوطني إلى الإنساني، هذه المسارات الثلاث التي قلّما توفرت في شخص واحد، بينما هو قد جمع الدوائر الثلاث وقطع مساراتها بالقدر الذي تحتاج إلى كشف وإماطة اللثام عنها.
- البحث التاريخي هو دائما تعقب الشخصيات التي نسيها التاريخ أو ظلمها المجتمع أو عانت من التغييب وعدم الذكر، والعمل على إعادتها إلى نصابها الحقيقي وإلى مكانتها التي تستحقها.
- تنوع تجربته في الداخل وفي الخارج، زمن الاستعمار وما بعده، فقد أسعفه نشاطه الإصلاحي في الجزائر ونضاله الوطني ثم الإنساني في جنيف بعد الاستقلال لكي يؤكد على صحة وسلامة مسار الثورة التحريرية ونضالها السياسي الموصل إلى ترقية الإنسان في المجتمع الإنساني زمن الاستعمار.

- مواصلة البحث في شخصية محمود بوزوزو، بعد إنجاز مذكرة ليسانس حول جريدة المنار، فما نتناوله في هذه الأطروحة هو جملة الأفكار والملاحظات التي فكّرنا فيها ونحاول أن نعالجها هنا بكثير من التفصيل والعمق.
- طبيعة المقالات الصحفية المنشورة في جريدة المنار، والتي تعبِّر عن درجة وعي بلغها مثقفون جزائريون بقضايا الوطن والعالم العربي، تاريخ تجربة تستحق العمل على منوالها وقابلة للتعميم والاستفادة منها.
- بحث الموضوع من خلال شخصيته يضيف ملمح آخر من ملامح الحركة الوطنية الجزائرية ويضفي عليه قيمة مضافة خاصة في وصفها بالانفتاح والعالمية والإنسانية، أي تصفية النزعة الوطنية من مجالها الضيق ومن نعتها بالشعبوية.

إشكالية البحث وفرضياته:

يوقفنا المسار التاريخي لمحمود بوزوزو على نضال وتجربة وخبرة خاصة، تكاد تكون استثنائية، قلما شهدتها شخصيات جزائرية أخرى؛ فقد جمع الرجل وحرص على محاولة التوفيق بين ما هو إصلاحي الذي ينسب في الغالب إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبين العمل الوطني الذي ينسب إلى نشاط حزب الشعب والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، علاوة على مواقفه كمثقف حر ومستقل.

في هذا البحث سنحاول رصد حياة وأعمال الكاتب الصحفي محمود بوزوزو التي تراوحت بين توجهه الإصلاحي ونزعته الوطنية، فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، كما نعرض إلى حياته ودوره في الحركة الإصلاحية الجزائرية وكيف تحوّل منها إلى الحركة الوطنية؟ وخاصة تجربته الصحافية مع جريدة المنار؟ مع التركيز على معرفة الدوافع الكامنة وراء ذلك التحول؟ هل الأمر يعود إلى أن الحركة الإصلاحية إطارها ضيق ومحدود ولم يعد يتجاوب مع نظرته لتحقيق استقلال الجزائر؟ أم أن ذلك يعود إلى فكر الرجل الرافض للتحزب والداعي إلى العمل الوحدوي والوحدة والقومية العربية وحرصه على الجمع بين كل التيارات الناشطة آنذاك؟

وفي الوقت ذاته نسعى إلى رصد آرائه في بعض القضايا التي عاصرها وكانت له اهتمامات واسعة بها؟ ولم نكتف بآرائه ومواقفه بل حاولنا رصد آراء ومواقف الآخرين فيه. ذلك ما نحتاج إلى الكشف عنه، ضمن تجربة الرجل في النضال السياسي والفكري الذي أصرَّ إلى التطلع إلى فضاءات ومجالات رحبة حتى ولو كانت خارج الوطن، حيث استقر به المقام في مدينة جنيف السويسرية إلى آخر حياته؟

كما تطرح هذه الدراسة جملة من التساؤلات الفرعية تتمحور أساسا حول حياة الرجل ونضاله الفكري، وهي كالتالي:

- كيف كانت ظروف نشأته الأولى؟ وما هي العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته؟
- فيما تتجلى نظرته للفكر الإصلاحي؟
- ما هي المرتكزات التي راهن عليها محمود بوزوزو وجعلها أساسا لأفكاره الإصلاحية التنويرية؟
- كيف كانت علاقته بالتيار الإصلاحي؟ ولماذا انتقل منه إلى النضال السياسي الاستقلالي الثوري؟
- ما هي البصمات التي تركها إثر التحاقه بتنظيم الكشافة الإسلامية الجزائرية؟ وكيف أثرت مبادئها في بلورة أفكاره وترسيخ قناعاته؟
- ما مدى متابعة جريدة المنار كمنبر رأي للوضع الاستعماري والتعبير عنه؟
- ما هو موقف السلطات الفرنسية من الجريدة وقرائها داخل وخارج الوطن؟
- ماهي أهم القضايا التي عالجتها جريدة المنار؟

حدود البحث:

يتسع إطار البحث إلى دراسة الجهود الفكرية والسياسة للمناضل محمود بوزوزو في الجزائر، تجاوبا مع مشروع الدكتوراه المفتوح في الجامعة "الحركة الوطنية الجزائرية".

وعليه، تم حصر الإطار الزمني لهذه الدراسة الموسومة بـ: "محمود بوزوزو، مسيرة جريدة المنار وقضاياها" بالفترة الممتدة من 1918م إلى غاية 1954م. وهي فترة تراوحت بين ميلاده ونفيه خارج الجزائر، وهذا للتمكن من ضبط كل المتغيرات التي مرت عليه، والتي تعد مرحلة حافلة بالأحداث والتطورات، بداية من مولده ونشأته، ثم نضاله في إطار الحركة الإصلاحية الجزائرية، إضافة إلى نشاطاته

الكشفية فيما بعد، ناهيك عن مساره الصحفي وجهوده الفكرية التي برزت جليا في مقالاته وكتاباته ومواقفه وآرائه.

أهداف البحث:

- التعريف بشخصية محمود بوزوزو وفكره السياسي، بقصد إدراجه في مسار التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر.
- كشف المسار الخاص بهذه الشخصية ضمن مسارات أخرى شهدها تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية؛ من خلال التنويه بأعماله وعطائه الفكري خصوصا وأن العديد من الباحثين لا يعرفونه، ويجهلون تفاصيل عن حياته، وبدايات نضاله الأولى التي كان لها ارتباطا وثيقا بالقضية الجزائرية وجهودها الاستقلالية.
- الوقوف على فكر الرجل الداعي إلى العمل الوحدوي سواء أتعلق الأمر بالتشكيلات السياسية الجزائرية أو على صعيد العالم العربي والإسلامي.
- الوقوف على القيمة التاريخية والفكرية لجريدة المنار ودورها في تشكيل الوعي الوطني والقومي في لحظة تاريخية حادة من تاريخ الجزائر والعالم العربي، من خلال دراسة وتحليل أهم القضايا التي أثارتها ومعالجتها في سياقها التاريخي.
- إبراز شخصية محمود بوزوزو الصحفية، خاصة وأن هذا الموضوع -في حدود بحثنا واستقصائنا- لم يسبق الكتابة فيه، وعليه فإن هذه الدراسة تسعى إلى تقديم إضافة معرفية لهذه التجربة الصحفية خاصة في ظل الظروف الاستعمارية الخانقة لحرية الرأي والتعبير.
- دراسة جريدة المنار؛ دراسة بيبليوغرافية وبيبيوميترية توقفنا على الموضوعات التي كانت تعالجها الجريدة وعلى الخط الفكري السياسي العام، دراسة وصفية وتحليلية لأهم ما وورد فيها، وتقديم بيانات ورسومات ونسب وأرقام ومعطيات حول الجريدة.

أهمية البحث:

إن هذه الفترة المختارة من حياة المناضل محمود بوزوزو لجديرة بالدراسة، نظرا لانعدام الأبحاث والدراسات الأكاديمية المنجزة حولها، خاصة إذا أخذنا في الحسبان الجهود السياسية والفكرية المبذولة من طرف هذا المناضل، والتي ظلت مغمورة لأسباب لا تكاد تخفى عن الباحثين أهمها نقص وندرة الوثائق والشهادات والدراسات عموما حول الموضوع، إضافة إلى مسار الرجل الذي تميز بالثراء والتنوع، إذ جمع بين النضال الإصلاحي والوطني، ناهيك عن ما قيل في الرجل وعلاقته بالحركة المصالية، كلها عوامل ساهمت في تنفير الباحثين من خوض غمار البحث فيه.[1]

هذا من جهة، ومن جهة ثانية تكتسي الدراسات المونوغرافية المتعلقة بدراسة موضوع محدد أهمية بالغة، وهو ما ينطبق على الدراسة البيبليوغرافية التي خصصناها لجريدة المنار؛ إذ أنها تعالج قضايا معينة ومضبوطة، دون المواضيع العامة، وتثير معلومات غير مطروقة سابقا، هذه الدراسات المونوغرافية الجزئية التي تعطي تصور أكثر دقة وتفصيل وتزيل اللبس عن شخصيات ومواضيع وجرائد ومجلات غير مدروسة سابقا.

وتكمن أهمية الدراسة كذلك في التنويه إلى ذلك التناسي والإهمال الذي يطال بعض الشخصيات والنتاجات الفكرية والصحافية التي ناضلت وضحت بالنفس والنفس من أجل الحفاظ على الثوابت الوطنية للأمة الجزائرية العربية الإسلامية، وإعلاء كلمة الحق من خلال المطالبة بحق تقرير المصير للشعب الجزائري.

كما أن النصوص التاريخية الفكرية والمقالات الصحافية للشيخ محمود بوزوزو تحتاج حقيقة إلى الدراسة والتحليل لإبراز مضامينها، وبالتالي التعرف على أفكاره وتوجهاته، لأنه في دراسة كهذه تظهر لنا قيمة الصحف والجرائد كوثائق تقدم مادة خبرية مصدرية متنوعة لا يمكن الاستغناء عنها، حملت حقائق عن شخصيات، وقائع، وأحداث تحتاج إلى التمحيص والتنقيب والترتيب في محاولة لإعادة تشكيل الأحداث التاريخية.

[1] – ولا نكاد نخفي أننا فكرنا خاصة خلال الثلاث سنوات الأولى في التخلي عن الموضوع–لولا توفيق الله لنا، وقناعتنا بأنه جدير بالدراسة– وتغييره بموضوع ثاني يكون أقل صعوبة وأوفر مادة.

وبصرف النظر عن الباحثين في الحقل التاريخي، فإن ما يثير الانتباه أن جريدة المنار كمنبر إعلامي، لم تحظ بدراسة مونوغرافية في المجال الإعلامي من قبل الباحثين في تخصصات أخرى كالدعوة مثلا أو الإعلام والاتصال وغيرهما، على غرار جريدة البصائر مثلا التي حظيت بدراسات عديدة في تخصصات مختلفة.

وأخيرا، وليس آخرا، تظهر أهمية وقيمة محمود بوزوزو ليس في رصد نضاله وفكره زمن الاستعمار، بل خاصة لحظة ما بعد الاستعمار، على ما صار يعرف بما بعد الكولونيالية (postcoloniale)، التي تركز على الشخصيات الحقيقية و ليس الوهمية أو الأسطورية التي لا نكاد نجد ما يحفظ لها التاريخ و لا البحث التاريخي.

الدراسات السابقة حول البحث:

لم تحظ شخصية المناضل محمود بوزوزو في ما اطلعنا عليه، بأي دراسة علمية على مستوى الطور الثالث، وكل ما وجد حوله هو بعض المقالات الصحفية، ومقالات علمية منشورة في بعض المجلات، ورسائل على مستوى الطور الثاني، لم تتعمق كثيرا في شخصية الرجل وفكره، ولم تتمكن من إدراجه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، فهذه الشخصية لم تحظ بالاهتمام الكامل لإبراز جهودها الفكرية والعلمية.

الدراسة الوحيدة التي اطلعنا عليها، والتي أفردت في جزء منها بعض الجهود النضالية للشيخ محمود بوزوزو، أعدها الأستاذ الباحث جيلالي بلوفة عبد القادر بعنوان: حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق- من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية (1950-1954) ، وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2007-2008، إذ تطرق في الفصل الخامس منها إلى المنظمات المدعمة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية والعلاقة بين تنظيمي الكشافة وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بالغرب الجزائري مشيرا إلى الأزمة التي تعرضت لها الحركة الكشفية وتأثيراتها، موضحا الطابع السياسي الذي ميز نشاطات المناضل محمود بوزوزو في العديد من مدن عمالة وهران، متحديا السلطات الفرنسية التي أصدرت قرارا بمنعه من التنقل هناك، كما أثرى دراسته تلك بجدول اعتمد في إنجازه بنسبة عالية على جملة من الوثائق الأرشيفية المنتقاة من مركز أرشيف ولاية وهران،

وهو جدول يلخص كل تحركات محمود بوزوزو مع رصد أهم النشاطات التي قام بها، والأماكن التي زارها في الغرب الجزائري.

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول جريدة المنار، فهي دراسات على مستوى الطور الثاني، منها رسالة ماجستير قدمت بتاريخ 2012/2011 تحت عنوان: القضايا الوطنية والمغاربية من خلال جريدة المنار، أعدها الطالب عبد العزيز وابل بإشراف الأستاذ بن يوسف تلمساني بقسم التاريخ، جامعة الجزائر2، عالج من خلالها إشكالية الدور الذي لعبته جريدة المنار في فضح نوايا الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب العربي، وجهودها لتحقيق الوحدة بينها.

أما الدراسة الثانية فهي مذكرة نهاية السنة الأولى ماجستير حملت عنوان: القضايا العربية (المغرب-تونس-ليبيا-مصر) من خلال جريدة المنار، من إعداد الباحث محمد السعيد عقيب، أنجزها خلال السنة الجامعية 1995-1996، وهي رسالة غير منشورة، متوفرة مخطوطة لدى صاحبها الذي تكرم مشكورا بإرسال نسخة منها، وضع الباحث أهدافا سعى لتحقيقها من خلال توضيح مدى اهتمام جريدة المنار بالقضايا العربية طيلة فترة الدراسة، مستفيضا في الحديث عن كل قضية متتبعا جذورها وحيثياتها، وموقف جريدة المنار منها.

غير أن القارئ لهذه الدراسات يلاحظ أنها لم تفصل كثيرا في دراسة التوجهات الفكرية لصاحب الجريدة ولكل القائمين عليها، مكتفين بتعريف مبسط للمناضل محمود بوزوزو وزميله محمد محفوظي الذي كانت له كتابات كثيرة فيها، دون القيام بعمل تحليلي مفصل للجريدة من حيث الشكل مثلا، أو إجراء دراسة إحصائية للقضايا المدروسة، مع العلم أنها اشتركت في التحليل المفصل لمجمل القضايا التي اهتمت بها الجريدة، ونشرتها على صفحاتها مدعمين ذلك بجملة من المصادر والمراجع التي تتناول نفس القضايا المعالجة.

خطة البحث:

تتكون الأطروحة من مقدمة وستة فصول، وخلصت بخاتمة كانت عبارة عن عرض وتصنيف للنتائج المتحصل عليها، كما دعمنا البحث بجملة من الملاحق التي وجدناها ذات صلة وثيقة بمضمونه، وفهارس عامة للأعلام والأماكن والمحتويات وغيرها.

أما عن فصول البحث الستة فلم تكن مقصودة منذ البداية، بل فرضت نفسها تباعا لتقدمنا في البحث، واحتوى كل فصل على ثلاثة مباحث في الغالب، وقد جرى التقسيم على النحو التالي:

الفصل الأول خصصناه للحديث عن حياة المناضل محمود بوزوزو، بداية من مولده سنة 1918م بمدينة بجاية، وظروف نشأته هناك مع الإشارة إلى أصول عائلته، ثم انتقلنا إلى عرض مرحلة هامة في حياته مركزين في ذلك على المراحل التعليمية التي شكلت ركيزة أساسية في تكوينه وبث الوعي الوطني في شخصه، وأفردنا المبحث الأخير لمعالجة ثقافته، صفاته والعوامل التي أهلته لتحصيل درجات ممتازة طيلة مساره التعليمي، دون إغفالنا الحديث عن التجربة الشعرية لديه نظير احتكاكه المبكر بالتراث الحضاري العربي الإسلامي، ثم تحدثنا باختصار عن وفاته خارج الجزائر.

أما الفصل الثاني الموسوم بـ: "نشاطه الإصلاحي خلال الفترة الممتدة من 1939-1943"، تطرقنا فيه إلى الجهود الإصلاحية للمناضل محمود بوزوزو انطلاقا من توضيح نظرته للإصلاح مع إبراز أهم الأفكار الإصلاحية التي جعلها ركيزة خطابه الإصلاحي، ثم عرجنا إلى الحديث عن وسيلة أخرى رآها ضرورية لتبليغ رسالته الإصلاحية تجسدت في نشاطاته التعليمية وجهوده التربوية لفائدة أبناء الجزائر، مع استخلاص سمات المنهج التعليمي التربوي لديه. وفيما يتعلق بإسهاماته في مجال الكتابة والتأليف فقد شكلت محتوى للمبحث الثالث.

في الفصل الثالث تعرضنا إلى نضاله الوطني في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية 1943-1954م، إذ أعطى لها فاعلية أكثر جراء خبرته، حيث اعتبرها وسيلة لتحقيق استقلال الجزائر، تبلورت قناعاته أكثر بعد تعيينه قائدا عاما لها، داعيا الشباب الجزائري إلى الانخراط فيها والمشاركة أكثر في أهم التظاهرات الكشفية العالمية في محاولة منه لرفع القضية الجزائرية إلى الميدان الدولي.

ثم انتقلنا في المبحث الثالث إلى معالجة الأزمة التي تعرضت لها حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية سنة 1948م إثر تصاعد الحس الوطني في صفوف العناصر الكشفية، ومطالبة أغلبيتهم بضرورة إدخال الكشافة معترك السياسة وتبني قضية استقلال الشعب الجزائري، وما نتج عن ذلك من خلاف أدى إلى انقسامها موضحين رأي بوزوزو في ذلك وموقعه من الفريقين المتخاصمين.

أما تأثير الأزمة التي حدثت في صفوف حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية على الحركة الكشفية، وموقفها من اندلاع الثورة التحريرية، إضافة إلى تعرض محمود بوزوزو إلى الاعتقال والتعذيب ثم نفيه خارج الجزائر والظروف التي عاشها في المغرب، وحقيقة علاقته بالحركة المصالية ذلك التيار الذي تزعمه مصالي الحاج والمناوئ لنشاطات جبهة وجيش التحرير الوطنيين، كلها قضايا عكفنا على مناقشتها في المبحث الأخير من الفصل الثالث.

في ما يتعلق بالفصل الرابع من هذه الأطروحة خصصناه للدراسة التحليلية لجريدة المنار طيلة فترة صدورها من 1951 وإلى 1954، بداية بتعريفها وظروف نشأتها مع شرح أهدافها، مرورا بالقيام بدراسة بيبليوغرافية لها في محاولة منا لمعالجة التركيب الشكلي للجريدة وتفكيك عناصرها ومكوناتها، بينما تعرضنا في آخر الفصل إلى موقف الإدارة الاستعمارية الفرنسية–المعادية لحرية الرأي والتعبير في الجزائر– من الجريدة والقائمين عليها، وحتى مواقفها اتجاه الباعة والقراء داخل القطر الجزائري وخارجه، وفي السياق ذاته لم نغفل الحديث عن مجمل العوامل التي تضافرت في ما بينها وتسببت في إحداث أزمة ساهمت بشكل مباشر في تذبذب صدورها ثم انقطاعها نهائيا عن الصدور.

وتضمن الفصل الخامس المعنون ب: "قضايا سياسية في جريدة المنار 1951-1954م" الحديث عن أهم القضايا السياسية التي اهتمت المنار بطرحها على صفحاتها طيلة ثلاث سنوات مع التركيز على أهمها؛ بداية من الإعلان عن رفض التواجد الاستعماري في الجزائر، والمطالبة بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، مع الاهتمام أكثر بأهم المبادرات الوحدوية بين الأحزاب الوطنية الجزائرية ممثلا في تجربة الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها التي حرصت المنار على تتبع نشاطاتها وتطوراتها، ثم التعرض بعد ذلك إلى الاستفتاء الهام الذي طرح على صفحاتها حول إمكانية الوحدة في الجزائر، وأخيرا أفردنا المبحث

الثالث لوحدة المغرب العربي في برنامج المنار، لاهتمامها البالغ بتوحيد السياسة والعمل القومي في الأقطار الثلاثة، تونس والجزائر والمغرب، بل واعتبرت ذلك من أهدافها الأساسية.

وفي الفصل السادس والأخير من هذه الدراسة، تعرضنا لأبرز القضايا الثقافية الفكرية والدينية التي ألزمت المنار نفسها بالاهتمام بها، فأولت لقضايا التربية والتعليم في الجزائر المستعمرة عناية عكست اهتمام القائمين عليها بهاتين القضيتين باعتبارهما أساس نهضة الأمة الجزائرية، كما أدرجت في مبحث تالي مجمل الأخبار الثقافية والأدبية التي نشرت على صفحاتها، إضافة إلى الحديث عن المسرح الجزائري وتطوره خلال القرن العشرين مع الإشارة إلى الحضور الشعري في الجريدة.

أما القضايا الدينية فقد خصصنا لها مبحثين آخرين، تناولنا في أولهما مكانة الدين في الحياة البشرية والجزائرية خصوصا مشيرين إلى أهمية المناسبات الدينية واحتفاء الجزائريين بها، ثم انتقلنا إلى عرض قضية هامة طالما شغلت فكر رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية وهي المسألة الدينية التي احتلت مكانة بارزة ضمن المخططات الفرنسية، والمطالبة بتطبيق قانون الفصل بترك الدين الإسلامي وكل مقدساته للمسلمين.

هذا، وعرجنا في آخر مبحث إلى الحديث عن جهود الكنيسة الفرنسية لتنصير الجزائريين معلقين على ذلك برغبة فرنسا القوية للقضاء على العقيدة الإسلامية، وأثبتنا في النهاية أن الشعب الجزائري ظل مسلما، متمسكا بعقيدته الإسلامية وتعاليمها السمحة، مرتبطا بكل ما له صلة بشخصيته العربية الإسلامية وتاريخه المجيد.

المناهج المعتمدة في البحث:

إن الموضوع المدروس كما يظهر من عنوانه، تاريخي فكري وتحليلي إحصائي، وبالتالي فإن المناهج المعتمدة في الكتابة والتحرير تفرضها بالدرجة الأولى طبيعة الموضوع المعالج، وفي ما يلي المناهج التي وظّفناها في ثنايا البحث:

- **المنهج التأريخي التحليلي**: الذي يعتمد على رصد وتتبع الأحداث التاريخية، بدءا من جمع المادة الوثائقية، ومن ثم تحليلها تحليلا موضوعيا قصد الوصول إلى معرفة أسبابها وفهم العلاقة بينها، ورصد أهم العوامل التي أثرت فيها، الأمر الذي عكفنا على إنجازه من خلال تحليل آراء ومواقف الرجل للوصول إلى قناعاته وتوجهاته انطلاقا من كتاباته وآثاره.

- **المنهج الاستقرائي:** في محاولة منا لاستقراء المادة الخبرية التي تضمنها مجلد المنار وصحف أخرى، سعيا لاستنباط أفكار تساعدنا في فهم التوجهات العامة لحياة الشيخ محمود بوزوزو، ونشاطاته الإصلاحية والوطنية، فضلا على تحليل الخطاب الصحفي الوارد في المنار.
- **المنهج الإحصائي:** بما أن تقديم المادة الببيليوغرافية هو خطوة أساسية لإجراء دراسة مفصلة حول شخصية معينة، أو جريدة ما، أجرينا دراسة إحصائية بيبليوغرافية لذلك؛ إذ قمنا بجمع وإحصاء ما توصلنا إليه من كتابات وآثار للمناضل محمود بوزوزو في مختلف الصحف والمجلات والجرائد، إضافة إلى بعض النشرات الكشفية. وفي الوقت ذاته قمنا بإحصاء القضايا التي اهتمت بها جريدة المنار، وتصنيفها ثم تجسيدها في رسومات بيانية لتقريب الفهم أكثر.
- **المنهج الوصفي:** هذا المنهج الذي يُوظف غالبا في وصف المواضيع وصفا مفصلا، يساعد في ما بعد على تفسيرها، ثم اكتشاف العلاقات القائمة بين جزئياتها وفهمها فهما شاملا، إذ تم توظيفه إثر قيامنا بالدراسة الشكلية لجريدة المنار.

وصف لأهم مصادر البحث ومراجعه:

إن جمع مادة علمية حول شخصية محمود بوزوزو ليس بالأمر السهل، فقد توَجَّب علينا قضاء فترة معتبرة في فحص المصادر والمراجع لجمع تلك الشذرات، وكانت المحاولة الأولى هي قيامنا بجمع وتصنيف تلك المادة العلمية حتى تكون في مرحلة ثانية قابلة للدراسة والتحليل.

في ما يتعلق بالمصادر التي اعتمادها في هذه الرسالة فجاء في مقدمتها الوثائق الأرشيفية؛ بداية من بعض الوثائق المنتقاة من الأرشيف الفرنسي ما وراء البحار إكس أون بروفانس، وهي عبارة عن تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية حول محمود بوزوزو، وجريدة المنار.

زيارتنا إلى مركز الأرشيف الوطني ببئر خادم أتاحت لنا فرصة الحصول على بعض الوثائق الأرشيفية في الرصيد الخاص بتاريخ وتطور الحركة الكشفية في الجزائر، تلك الوثائق التي ساعدتنا في فهم جملة من القضايا؛ تحديد مفهوم الحركة الكشفية، علاقة محمود بوزوزو بهذا التنظيم، الشقاق الحاصل في صفوف الحركة الكشفية، ثم موقفها من اندلاع الثورة التحريرية، هذا إضافة إلى وثيقة مخطوطة للقائد الكشفي

المرحوم محمد الصالح رمضان. أما الأرشيف الولائي لولاية قسنطينة فظفرنا منه ببعض الوثائق حول وضعية التعليم في بجاية خلال الحقبة الاستعمارية، وقرارات فرنسية بشأن توظيف المعلمين من بينهم محمود بوزوزو.

وعلى الرغم من تنوع الوثائق الأرشيفية التي تم توظيفها في ثنايا البحث، إلا أنه تدعم أكثر إثر الاستعانة بجملة من المصادر والمراجع؛ إذ كان زادي في هذه الدراسة جملة من المصادر تأتي في مقدمتها كتابات ومقالات الشيخ محمود بوزوزو، ويمكن حصرها في ما يلي:

- محمود بوزوزو: من سجنين إلى الحرية: عبارة عن فصل من كتاب، أما فصول هذا الكتاب كاملة فقد جمعها الباحث الفرنسي غابريال مارسيل سنة 1958م، والنص الأصلي الذي اعتمدنا عليه باللغة الفرنسية، ويشتمل على 12صفحة، وهو عبارة عن سيرة حياتية ذاتية موجزة كتبها المناضل محمود بوزوزو بنفسه رصد فيها حياته وأعماله، وعلى الرغم من أنه لم يفصل كثيرا في ظروف نشأته، ونشاطاته الإصلاحية والوطنية وغيرها، إلا أننا استفدنا منه كثيرا لأنه المصدر الوحيد الذي أمدنا بمعلومات هامة كانت أساسا لنا للكتابة عنه، فلا يوجد أفضل منه لديه القدرة على تلخيص تلك الرحلة الاستثنائية التي بدأت في البلدة القديمة وسط مدينة بجاية وانتهت في مدينة جنيف السويسرية.
- مقالاته الصحفية التي بلغ عددها في جريدة المنار ستون (60) مقالا، وجريدة البصائر في سلسلتها الثانية (1947-1956) التي كان له بها خمسة عشر (15) مقالا تنوعت مواضيعها بين السياسية الثقافية والدينية وغيرها، وشكلت مادة أساسية للبحث.
- عباس عروة: آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو، صدر الكتاب في أوت 2020 عن معهد قرطبة للسلام بجنيف، فصول الكتاب عبارة عن نصوص جمعها المؤلف الذي عرف المناضل محمود بوزوزو عن قرب ولسنوات عديدة، ويعتبر مصدرا هاما احتوى على مساهمات وكتابات للشيخ بوزوزو في مجالات عديدة، نشرات كشفية، وبحوث في مجال الدعوة الإسلامية، كما أعاد نشر مقالاته الصادرة في جريدة المنار مع إغفال نشر ثلاثة منها.

إضافة إلى المصادر العربية والأجنبية الأخرى التي تعرضت لتاريخ الحركة الوطنية والإصلاحية الجزائرية وتطوراتها خلال القرن العشرين.

أما المراجع فتتمثل أساسا في بعض الكتب والمقالات، وأهمها على الإطلاق نذكر:

- كتاب محمد أرزقي فراد: أفكار محمود بوزوزو في التحرر الوطني، ويعد أول كتاب صدر في الجزائر مخصص لمسار الرجل ونضاله داخل الجزائر، تطرف في مقدمته ومدخله إلى أهم المحطات في حياته؛ تعليمه وبعض نشاطاته الإصلاحية، لكن باختصار شديد وهذا راجع بطبيعة الحال لقلة الوثائق والكتابات حوله، مع التطرق إلى نظرته للفكر الإصلاحي، وفي الأخير عكف الكاتب على إدراج نماذج من كتابات بوزوزو؛ نشرات كشفية، بعض من مقالاته في البصائر وأخرى من المنار، وقد أفادنا بشكل واسع في الفصل الثالث وبالضبط في الجزء المتعلق بمحمود بوزوزو والثورة الجزائرية.
- مقال للباحث الدكتور محمد أرزقي فراد المعنون بـ: "محمود بوزوزو مثقف عاش للجزائر"، نشره بجريدة الشروق الجزائرية في عددها الصادر بتاريخ 16 ديسمبر 2007، وهي دراسة هامة جدا نُشرت بعد أشهر قليلة من وفاة هذا المناضل، لخص فيها الكاتب أهم المحطات المفصلية في حياة الرجل ونضاله داخل الجزائر ثم بالمهجر، مشيرا لأبرز الأفكار الإصلاحية والوطنية التي طبعت مساره الفكري مستنبطا ذلك من كتاباته ومقالاته الصحفية خاصة ما نشره في المنار.
- مقال الصحفي حميد طاهري: "الشيخ محمود بوزوزو؛ اللاهوتي، اللغوي، الصحافي والعالم الإسلامي والإمام الذي أبهر السويسريين"، وهو مقال صدر باللغة الفرنسية ونُشِر سنة 2008 بجريدة الوطن الجزائرية؛ وهو بحث ثري، وغزير بالمعلومات، تناول فيه كاتبه المسار الحياتي للمناضل محمود بوزوزو، مولده ونشأته في بجاية، تعليمه وأهم نشاطاته، وتعرضه للاعتقال والتعذيب والمحنة التي اجتازها بالمغرب، كما لم يغفل إدراج آراء بعض معاصريه فيه ذاكراً شهادة عميد الكشافة الإسلامية رضا بسطانجي، وشهادة المناضل عبد الحميد مهري.

وفيما يتعلق بالفصول الخاصة بالدراسة التحليلية لجريدة المنار، فقد استعنا في ذلك بجملة من المصادر والمراجع المتعلقة بتاريخ الصحافة العربية وتطورها في الجزائر، من ذلك كتابات الباحث محمد ناصر الخاصة بالصحافة؛ منها الكتاب الموسوم بـ: تاريخ الصحافة العربية في جزئه الثاني المتعلق الفترة الممتدة من 1947-1954، والكتاب الثاني الخاص بدراسة المقالة الصحفية نشأتها وتطورها وأعلامها، وهي في

الأصل أطروحة قدمها الباحث لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة الجزائر سنة 1975م، تضمنت معلومات وافية عن الصحف العربية الصادرة في الجزائر، ومن جهة أخرى أفكار ومعلومات عن حياة الصحفيين وجهودهم، وسمات كتاباتهم ومقالاتهم الصحفية.

إضافة إلى الدراسة الثرية التي نشرها الباحث الفرنسي كلود كولو (Claude Collot) باللغة الفرنسية في مجلة كلية الحقوق بالجزائر سنة 1969م الموسومة بـ: "النظام القانوني للصحافة الجزائرية"، وهي دراسة تعرضت للأوضاع القانونية التي تحكمت في صدور الصحف العربية في الجزائر إلى غاية الاستقلال، واستفدنا منها إثر تقسيمها تاريخ الصحافة الجزائرية إلى ثلاثة مراحل مشيرة إلى سمات كل مرحلة.

وتثمينا للبحث، انتقلنا إلى ولاية بجاية التي زرناها عدة مرات؛ فبمساعدة السيد بوطالب رياض أحد جيران المناضل المرحوم محمود بوزوزو القدماء انتقلنا إلى مسقط رأسه بالحي العتيق باب اللوز وسط مدينة بجاية، فكانت لنا لقاءات شخصية مع بعض أفراد عائلته وأبناء إخوته نذكر منهم: الأستاذ بوعلام بوزوزو، الأستاذ الشريف محمد الغازي، الأستاذة الفاضلة كريمة بوزوزو، إذ تكرموا علينا بما توفر لديهم من معلومات حول الموضوع، كما رتب لنا لقاء مع إمام مسجد سيدي الصوفي، الذي حاورنا عن تاريخ بناء المسجد ودوره في تطور الحركة الإصلاحية والدينية في بجاية ومنطقة القبائل عموما.

وفي السياق ذاته، يتوجب علينا الإشارة إلى ما لاقيناه من دعم ومساندة من الأستاذ القدير الدكتور محمد أرزقي فراد الذي ساعدنا كثيرا في إنجاز هذا البحث مذللا بجهوده الكثير من الصعوبات، إذ جمعنا لقاء به في قسنطينة وأجرينا معه حوارا مطولا حول نضال وفكر محمود بوزوزو مبديا إعجابه الشديد بهذه الشخصية[1]، مثمنًا إقدامنا على تفضيل دراسة هذا الموضوع رغم ندرة الكتابات والدراسات السابقة

[1] – كما أشار الدكتور محمد أرزقي فراد في مقال له منشور بجريدة الشروق إلى أن أفضل تكريم لهذا المثقف هو احتضان أفكاره النيرة، ولفت عناية الدارسين والباحثين إليها، باعتبارها مرجعية فكرية للأجيال القادمة تساعدهم على فهم الماضي وبناء الحاضر وفق مرجعية سليمة.

حوله، زيادة على ذلك تكرّم بمنحنا نسخة مخطوطة[1] في شكل بحث أولي عن كتابه: "أفكار محمود بوزوزو في التحرر الوطني" قبل أن يقدمه للنشر، رغبة منه في أن يفتح لنا الكتاب آفاقا جديدة للتنقيب أكثر حول نضال الرجل وفكره وجهوده الإصلاحية والوطنية.

وتجدر بنا الإشارة كذلك إلى الملتقى الوطني التاريخي الموسوم بـ:"العلامة محمود بوزوزو يعود إلى الذاكرة التاريخية"[2] الذي احتضنه المسرح الجهوي لولاية بجاية سنة 2010م إحياء للذكرى الثالثة لوفاة العلامة الشيخ محمود بوزوزو؛ إذ افتتح أشغال هذا الملتقى القائد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية السيد نور الدين بن براهم مذكرا بخصال وأعمال هذا العلامة الرمز في تاريخ الجزائر، وفي هذا الإطار شارك الدكتور مولود عويمر في فعاليات الملتقى إثر دعوته لإلقاء كلمة في حق الرجل، غير أن أعمال الملتقى ومختلف المحاضرات، التدخلات والتعقيبات، لم تنشر، ولم تجد الاهتمام اللازم من قبل الهيئات المنظمة للملتقى، ولم نجد لذلك أثرا غير ما ذكرته جريدة الفجر الجزائرية عبر صفحتها على الإنترنت، وفي حوار جمعنا بالأستاذ د.مولود عويمر[3] أعلمنا أن عمله لم ينشر بعد، كما بلغنا مؤخرا أنه يحضر لطبع كتاب يتناول فيه شخصية محمود بوزوزو بالدراسة والتحليل.

ومن خلال الاطلاع على جملة من المصادر التي تناولت تاريخ الحركات التحررية المغاربية المتوفرة في المكتبات ودور الأرشيف والوثائق المغربية، الأمر الذي سهل علينا في ما بعد تحليل القضايا السياسية التي نشرتها المنار، ولمعرفتنا بأن المناضل محمود بوزوزو تم نفيه إلى المغرب وسجن هناك مدة ليست بالقليلة، بذلنا

---

[1]- استلمنا منه الكتاب في نسخته المخطوطة والأولية بعد ثلاث سنوات كاملة من تسجيلنا للموضوع، وبالضبط يوم الخميس 22 نوفمبر 2018م بمدينة قسنطينة، إثر زيارة له إلى قسنطينة لحضور ندوة علمية تكريميّة للعلامة الشيخ محمد الصالح الصديق والمنظمة من طرف القائمين على مسجد الأمير عبد القادر، غير أن الكتاب لم يُطبع إلا في شهر أكتوبر من سنة 2019م؛ أي تقريبا بعد سنة من ذلك.

[2]- الحديث عن هذا الملتقى ذكرته جريدة الفجر الجزائرية في عددها الصادر بتاريخ الثامن أوت 2010م.

[3]- كان ذلك إثر لقاء جمعنا به بتاريخ 16 أفريل 2018م بدار الثقافة مالك حداد بحي جنان الزيتون وسط مدينة قسنطينة، بمناسبة مشاركته في ملتقى وطني احتفاء بيوم العلم من تنظيم مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعنوان: وحدة الوطن والأمة الجزائرية في فكر الإمام عبد الحميد بن باديس.

جهدا في الوصول إلى إشارات ذات صلة بموضوع البحث، خاصة إذا علمنا أن محمود بوزوزو تواصل مع السلطات المغربية بالدار البيضاء والتي سهلت له السفر خارج المغرب.

غير أننا لم نجد لذلك أثرا في مجمل الدراسات والأبحاث التي اطلعنا عليها، بما في ذلك الدراسة القيمة للباحث المغربي محمد أمطاط الموسومة بـ: الجزائريون في المغرب[1]، هذا الكتاب الثري الذي تناول بتفصيل مستفيض أوضاع الجزائريين في المغرب الشقيق مقسما ذلك التواجد إلى فترات زمنية تتماشى مع تطور الحركات الاستقلالية في البلدان المغاربية، غير أنه لم يكن بطياته ذكر للمناضل لمحمود بوزوزو، وحسب تفسيرنا لهذا التغييب أنه لم تكن لمحمود بوزوزو تحركات ونشاطات لصالح الحركة الوطنية الجزائرية أو المغربية والتحررية عموما هناك.

ويمكن القول أننا ما اكتفينا من جمع المصادر والمراجع التي نحتاجها في الموضوع إلا بداية من التسجيل الخامس؛ إذ اقتنعنا أن ما توفر لدينا آنذاك مقبول وكاف إلى حد معين–مقارنة بالسنوات الأولى– لمباشرة التحرير النهائي لفصول البحث.

صعوبات اعترضت البحث:

وفي الأخير نود التنويه إلى وجود بعض الصعوبات التي واجهتنا عند إنجاز هذا البحث، نذكر منها:

- قلة المصادر والمراجع التي تناولت حياة المناضل محمود بوزوزو، فحتى المعاجم والكتب التي ترجمت لقادة الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية أغفلت الحديث عن الرجل.
- صعوبة الوصول إلى عائلته، والتواصل مع ذويه ومعارفه طيلة الثلاث سنوات الأولى من عمر البحث.
- واجهتنا صعوبات في جمع بعض الشهادات وآراء معاصريه فيه، لامتناعهم عن تقديم شهاداتهم خاصة أبنائه الذين لم يحدثونا أبدا عن سيرته أو تاريخ نضاله داخل الجزائر، واكتفوا بتقديم ما كتب عنه من قبل غيرهم.
- كثرة السياقات الفكرية التي انتمى إليها الرجل، وهذا راجع لمساره الذي اتسم بالثراء والتنوع؛ إذ وجدنا أنفسنا أمام دراسة شخصية متعددة المواهب والانتماءات الفكرية والسياسية؛ فمن توجهات

[1]– محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830–1962 مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، تقديم: محمد كتيب، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2008.

دينية إلى أخرى سياسية وغيرها فكرية أدبية وتاريخية في مرات أخرى، ومن بعد وطني إلى عربي قومي، مما صعب علينا صياغة المادة الخبرية الشاملة لكل هذه الميولات.

- صعوبة الموضوع المدروس في حد ذاته إذ جمع بين دراسة شخصية من جهة، ودراسة تحليلية لجريدة تحتوي على أكثر من خمسين عدد بمقالات رصينة ومطولة، مما صعّب علينا استثمار المادة العلمية والخبرية كاملة وتحليلها بما يتلاءم وينسجم مع عنوان الأطروحة.

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، إلا أن ذلك لم ينل من عزيمتنا، ولم يثبط من طموحاتنا، بل زادنا رغبة وتمسكا في إكمال هذا العمل، وإخراجه على أحسن وجه.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل رؤساء المكتبات ودور الأرشيف والمحفوظات السالفة الذكر، الذين سهلوا لنا الإطلاع على كل ما له علاقة بموضوع بحثنا، بما في ذلك موظفي مكتبة كلية الآداب والحضارة الإسلامية بجامعة الأمير عبد القادر، مكتبة المطالعة العمومية بولاية المسيلة، وكل القائمين على المتحف الجهوي للمجاهد لولاية بجاية، وموظفي دار الثقافة، ومكتبة المطالعة العمومية بذات الولاية على المساندة التي تلقيناها من طرفهم، نظرا لإعجابهم بالموضوع، ورغبة منهم في إعادة الاعتبار لواحد من رموز الحركة الإصلاحية في بجاية خاصة والجزائر عامة.

وفي الأخير نحمد الله العلي القدير الذي يسر لنا تمام هذه الأطروحة وإكمالها على الوجه الذي أردناه، متحدين بذلك كل الصعوبات التي تيسرت بفضل الله وتوفيق منه، وتوجيهات الأستاذ المشرف السديدة التي أنارت لنا الدرب وسهلت علينا تجاوز تلك العقبات، آملين أن نكون قد وفقنا إلى حد بعيد في المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية بهذا العمل رغم ما سيُلاحظ عليه من نقائص، فالكمال لله وحده جلّ جلاله.

الفصل الأول

حياة محمود بوزوزو

أولا: مولده ونشأته

1-ميلاده وظروف نشأته

2-أصول عائلته

3-زوجته وأبناؤه

ثانيا: مساره التعليمي

1-تعليمه الابتدائي في بجاية

2-التحاقه بمدينة قسنطينة

3-إكمال دراسته بالجزائر العاصمة

ثالثا: أخلاقه وثقافته

1-صفاته والعوامل المؤثرة في تكوينه

2-تجربته الشعرية

3-وفاته

تمهيد:

تأتي أهمية هذا العرض الذي يتناول السيرة الذاتية للشيخ محمود بوزوزو مرحلة النشأة والتكوين العلمي، لمعرفة المكونات التربوية، الثقافية والعقلية، والارتكاز على أهم المنعطفات التي ساهمت في صياغة فكره، وساعدته في تحقيق طموحاته منذ صباه وإلى بداية نشاطه الإصلاحي، إذ لا يخفى على أحد دور البيئة في رسم ملامح شخصية الفرد، ناهيك عن الأماكن التي تنقل بينها من أجل الدراسة والاستزادة في العلم، كلها عوامل ستساعدنا في فهم التوجه الفكري لمحمود بوزوزو، وتفسير قناعاته.

أولا: مولده ونشأته

1-ميلاده وظروف نشأته:

الشيخ محمود بوزوزو مصلح جزائري، وهو من بين رجال الجزائر الذين ساهموا في إرساء دعائم الفكر الإصلاحي في الجزائر، اتسم بنضاله الإصلاحي الوطني ودفاعه المستميت عن معالم الهوية الوطنية موظفا مختلف الأساليب والوسائل لتحقيقه أهدافه، ورؤية أبناء أمته يتمتعون بحقوقهم كاملة دون نقصان، في جزائر حرة مستقلة.

ولد محمود بوزوزو في الثاني والعشرين من شهر فيفري لعام 1918 للميلاد[1]، الموافق ليوم العاشر من شهر جمادى الأولى لعام 1336 للهجرة بحي باب اللوز؛ أحد الأحياء العتيقة في البلدة القديمة[2] بمدينة بجاية على جانب شارع فاطمة، ذلك الحي العتيق المعروف بأزقته المتعرجة وشديدة الانحدار، عند سفح ما غورايا يمتد الحي العتيق حي باب اللوز من الجهة العلوية، ومن الأسفل يطرح نفسه لتجده في الخليج، أين نجد منزله العائلي على الطراز القديم.[3]

نشأ في مدينة العلم بجاية إحدى مدن الشرق الجزائري التي اشتهرت بماض حافل بالعلم والعلماء، ساعدته على الاعتزاز بانتمائه لهذه المدينة ذات التراث العريق والحضارة الإسلامية الزّاهرة، فتحدث عن مسقط رأسه قائلا: "ولدت في مدينة على الساحل الجزائري، بجاية، التي كانت في وقت من التاريخ عاصمة كل المغرب

---

[1] – هذا حسب ما ورد في وثيقة ميلاد المعني مستخرجة من مصالح بلدية بجاية بتاريخ 13جوان 2010م، وفي كلمة تأبينية للشيخ محمود بوزوزو قدمها الدكتور عباس عروة مدير مؤسسة قرطبة للحوار بين الحضارات ذكر أيضا أنه ولد بهذا التاريخ، وحسب ما ورد في وثيقة للأرشيف الفرنسي أن ميلاده كان يوم 21 فيفري من نفس العام.

C.A.O.M, Service des Liaisons Nord-Africaines, 831 NA/3, Notice Individuelle 93/4257, Confidentiel, Le 09 avril 1953.

وقد اختلف في تحديد تاريخ ميلاده، وهو اختلاف يعود إلى الواقع الاجتماعي الذي كان يعيشه الجزائريون؛ إذ لم يكن بإمكانهم تسجيل المواليد الجدد ضمن التسجيلات الرسمية إلا بعد مرور فترة زمنية طويلة، مما يؤدي إلى حدوث اختلاف في تحديد الأيام خاصة، إما بالزيادة أو النقصان.

[2] – المدينة القديمة كانت مشيّدة في سفح جبل قوراية المشرف على الخليج، وهي مبنية داخل سور، جدّد الفرنسيون بناءه بعد احتلالها، أما دُورُها فتنزل متدرجة حتى تصل إلى باب البحر الذي لا يزال قائما اتجاه الميناء، وكان للمدينة أبواب منها: باب البنود والمعروف اليوم بباب الفوقة، باب البحر لا يزال بعض بنائه قائما، باب المرسى ولعله باب دار الصناعة للمراكب البحرية، الباب الجديد ومكانه بين دار البريد المركزي والمسرح الحالي، باب أمسيون، باب مرقوم، باب السدة عند حصن سيدي عبد القادر, باب العسة في أعلى شرق المدينة، أما أحياء المدينة فتوجد داخل هذا النطاق من أسوارها، وقد ذكر الغبريني صاحب عنوان الدراية أسماء بعض هذا الأحياء منها: حومة باب اللوز التي ولد بها محمود بوزوزو. ينظر: مولود طياب، **أخبار بجاية في المائة السابعة الثانية، القرن 14هـ و20م**، منشورات نسيب، 2014، ص 71-72. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 69.

[3] – عنوان منزله بالضبط: 15 نهج محمود سعيداني، حي باب اللوز، مدينة بجاية. يرجى الاطلاع على الملحق رقم 02: صور خارجية للمنزل العائلي الذي ولد ونشأ به المناضل محمود بوزوزو.

الشرقي، يعني كل الجزائر، ومركز إشعاع ثقافي لكل شمال إفريقيا، عاصمة علم في العهد الحمادي، سكانها يسمونها "مكة المكرمة الصغيرة" بسبب العدد الكبير من الأولياء الصالحين الذين كانوا يستريحون بها".[1]

ترعرع في أكناف أسرة عريقة اشتهرت بالعلم والمحافظة على الدين، إذ عُرِفتْ كأُسرة أعطت منطقة بجاية أجيالا من رجال القضاء والمتبحرين في علوم الدين، فتوارث أبناؤها مهنة القضاء والإمامة أبا عن جد، والده هو علي بن الشريف المدعو بوعلام القاضي،[2] مارس مهنة القضاء في مدينة القصور البجائية، وفي الوقت ذاته شخصية متميزة ومعروفة في مجال الفنون الغنائية؛ شاعر، عازف، وكاتب كلمات، من عشاق الموسيقى العربية الأندلسية، يظهر ذلك من خلال قصائده التي كانت مرجعا للعديد من الفنانين الجزائريين.[3]

ويقال أنه صاحب كلمات الأغنية التراثية المشهورة والمحبوبة لحد الساعة لدى الجزائريين "يا بلارج يا طويل القايمة"؛ إذ كان له فضل كبير على الفنانة الجزائرية فضيلة الدزيرية التي كانت تقيم آنذاك في بجاية، وتشرفت بأن كانت أول من غنتها ونقلتها من بجاية إلى العاصمة، كما يقال أن الفنان الصادق البجاوي[4] مدين له بالكثير في هذا المجال، ومؤخرا تم العثور على تراث مخطوط في إحدى مدن الغرب الجزائري وبالضبط في ولاية مستغانم،[5] وهو ديوان شعري من تأليف المرحوم بوعلام بوزوزو حيث وجد اسمه مع الإمضاء في آخر الديوان.[6]

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, **De deux prisons à la liberté**, **Un Changement d'éspérance**, **A la rencontre du Réarmement moral**, **des témoignages**, **des faits**, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, Paris, tribune libre, 1959, p 67.

[2] - بوعلام القاضي من مواليد 26 جوان 1889م في بجاية، والمتوفى بتاريخ 29جوان 1966م. ينظر إلى صورته في الملحق رقم 03.

[3] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, ancien imam de la mosquée de Genève, L'imam qui avait séduit les suisses, **Le quotidien algérien El Watan**,18 Septembre 2008.

[4] - الصادق بويحي المعروف فنيا باسم "الصادق البجاوي"، من مواليد 17 ديسمبر 1907 في حي باب اللوز، عرف بعشقه للموسيقى الأندلسية، ليتحول هو ذاته إلى مدرسة كاملة في الغناء الأندلسي؛ إذ تخرج على يده جيل كامل من الفنانين من بينهم المطرب جمال علام، توفي في 07 جانفي 1995م في مسقط رأسه عن عمر ناهز 88 عاما قضى جلها في خدمة الموسيقى الأندلسية العربية في الجزائر، متميزا بكفاءته الفائقة كفنان متكامل التكوين النظري والتطبيقي. ينظر فوزي سعد الله، **صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى**، دار قرطبة، الجزائر، 2011، ص 413 وما بعدها.

[5] - Farid Ghili, L'ouvre de Cheikh Boualem Bouzouzou, dit Si Boualem El-Kadi "Ya Belaredj", **le quotidien indépendant Le soir d'Algérie**, 15 et 16 décembre 2012.

[6] - لقاء مع أهله بحي باب اللوز بتاريخ 22 سبتمبر 2018م. وما يفسر وجود ديوان شعر المرحوم بوعلام بوزوزو هناك، وانتقاله إلى مدن الغرب الجزائري أن مدينة بجاية غالبا ما كانت تتبادل النشاطات الفنية خاصة الموسيقى مع مدينة البليدة، الجزائر، تلمسان، وكثيرا ما استضافت فنانين من طليعة نخبة الفن الموسيقي الجزائري الأندلسي. للاستزادة أكثر يرجى الاطلاع على: فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من الغناء الأندلسي، مرجع سابق، ص 413.

جده الأول يدعى الشريف تولى أيضا مهنة القضاء في منطقة القصور البجائية، وعمه أيضا عبد المؤمن أغا[1]، أما جده الثاني المعروف باسم بلقاسم فقد كان مفتيا وإماما في مسجد سيدي الصوفي مطلع القرن التاسع عشر، لذا فذكريات كثيرة عن خصال جده الأكبر لا تزال تحظى بالذكر والتبجيل، ومتداولة إلى اليوم بين سكان مدينة بجاية.[2]

المنزل الذي ولد ونشأ فيه محمود بوزوزو يتوسط ثلاثة مساجد عتيقة في بجاية، كل مسجد يبعد عنه بحوالي 100متر تقريبا؛ مسجد سيدي الصوفي، مسجد سيدي الأخضر، ومسجد أبو سفيان، غير أن أقربهم كان مسجد سيدي الصوفي العتيق[3] حيث أن إحدى غرف منزله في الطابق الأرضي تطل عليه[4]، هذا المسجد الذي كان مركزا للإشعاع العلمي لا يمكن إنكاره، ومن نفس المكان نطل أيضا على مدرسة الهادي الزروقي التي كانت ابتدائية دَرَسَ بها وتلقى مفاهيمه الأولية، ودرَّس فيها فيما بعد، وهي الآن متوسطة تحمل نفس الاسم.[5]

أما والدته فهي السيدة الفاضلة الحاجة زليخة بن عبد المؤمن من بلدة توجة[6] دائرة بجاية، عمها كان قايد في توجة، والتي كانت غالبا ما تعمد إلى أخذ أبنائها للقيام برحلات متكررة إلى أخوالهم في هذه البلدة، للاسترخاء والتنفس في الهواء المنعش في الريف، وهو ما منحهم تربية صلبة أهلتهم للتصدي للوضع الاستعماري القائم.[7]

[1] - C.A.O.M, Service des Liaisons Nord-Africaines, Notice Individuelle, 93/4257.

[2] - حوار مع السيد بوعلام بوزوزو، يوم الأحد 22 سبتمبر 2018م، حي باب اللوز، مدينة بجاية، والأستاذ بوطالب رياض أحد جيران المرحوم محمود بوزوزو، ومن أعرق العائلات التي سكنت حي باب اللوز، وعايشت عن قرب عائلة بوعلام بوزوزو وأبنائه، ذاكرا أن والده المرحوم بوطالب فاتح كثيرا ما كان يحدثه عن خصال هاته العائلة الكريمة.

[3] - مسجد سيدي الصوفي نسبة إلى العالم الرباني "محمد الصوفي"، يعد من أقدم مساجد بجاية في ذلك العهد، وهو المسجد الجامع الذي كانت تقام به صلاة الجمعة قبل بناء باقي مساجد مدينة بجاية، من بين الأئمة الذين تولوا به الخطبة "الشيخ بلحريزي" الذي وقع بينه وبين الإدارة الفرنسية صدام بخصوص المكوس على الأضاحي، ثم الشيخ "علي مجاهد" الذي توفي قبيل الحرب العالمية الثانية، وعُيِّن مكانه الشيخ المهدي البوعبدلي، ثم الشيخ سعيد بن يحي، ثم الشيخ الحاج أعراب الذي كان قبل ذلك مقرئا وإماما بكتاب، وتولى الإفتاء بالمدينة الشيخ "محمد علواش" إلى سنة 1935، ثم الشيخ حسن أبو لحبال الذي انتقل إلى وهران، فتعيَّن مكانه الشيخ المهدي البوعبدلي. ينظر: مولود طيّاب، أخبار بجاية، مصدر سابق، ص83. وحسب ما ذكره لنا إمام المسجد الحالي السيد سليماني مصطفى فإن هذا المسجد "سيدي الصوفي" بناه الأتراك بالتعاون مع أهل بجاية بعد طرد الإسبان وتحريرها سنة 1512م شكرا لله تعالى على النعمة، وتمت توسعته سنة 1936م، ويعتبر لحد الساعة معلما تاريخيا دينيا تشتهر به الولاية.

[4] - ينظر الملحق رقم 04.

[5] - حوار مع السيد بوزوزو محمد الغازي، ابن أخ محمود بوزوزو، بتاريخ 22 سبتمبر 2018م؛ إذ وجدناه آنذاك مشرفا على أشغال الترميم للمنزل العائلي الذي ولد به محمود بوزوزو بحي باب اللوز، مؤكدا لنا حرص العائلة على الحفاظ على ذلك الإرث المادي من خلال الإبقاء على طريقة وشكل البناء، والحجارة المستعملة مع إدخال بعض التقنيات الحديثة في الصيانة والترميم.

[6] - تبعد عن مدينة بجاية حوالي 25كم.

[7] - وهذا بناء على ما ذكره لي الأستاذ الفاضل "عيسى قاسمي" من بلدة توجة، الذي عايش محمود بوزوزو خاصة إثر زيارته في مدينة جنيف في جوان 1993م، يقول في ذلك: "بمجرد أن علم أنني من توجة، قدم لي ترحيبًا مؤثرًا ولا ينسى، خاصة أنه قد تذكر أجدادي الذين عرفهم معرفة جيدة". مراسلة مع الأستاذ عيسى قاسمي بتاريخ 22 نوفمبر 2020.

هذه الوالدة الكريمة اتصفت بالأخلاق الحميدة، فعكفت على تنشئته نشأة حسنة، فربته على الطهر والصلاح والاستقامة في أسرة مكونة من ثلاثة ذكور وبنت؛ الأكبر هو علال[1]، والثاني عبد العزيز[2] الذي يصغره بعامين والأخت صليحة.[3]

2-أصول عائلته:

سكتت المصادر والمراجع التي أرخت لمسار الرجل -على قلتها-عن ذكر معلومات حول نسبه وأصول عائلته، وحتى الدراسات التي تناولت تاريخ بجاية عامة؛ غير أن ما وقفنا عليه في دراسة فريدة، تعتبر أصول هذه العائلة أندلسية، وهو ما طرحه الباحث الدكتور فوزي سعد الله في كتاباته الثرية عن الموريسكيين وتواجدهم بالجزائر؛ إذ يؤكد فيها الأصول الأندلسية لأسرة بوزوزو.

فعلى الرغم من أن بجاية المدينة العريقة التي خف وهجها الحضاري، وتراجع إشعاعها الثقافي واضمحل عمرانها مع المحتلين الإسبان مطلع القرن 16م، بيد أن الشجرة الأندلسية المباركة التي احتضنتها البيئة البجائية وعملت على تنميتها، ظلت عروقها حية وطاقتها كامنةً في بلاد ريف القبائل، الذي هاجر إليه أغلب علماء الأندلس هروبا من الإسبان؛ إذ نجح هؤلاء في تأسيس الزوايا والمعاهد العلمية بوادي الصومام وجرجرة وآقبو، مما عزّز المناعة الحضارية للجزائر في مواجهتها للمخططات التغريبيَّة الاستعمارية الفرنسية، وعبّد الأرضية لظهور الحركة الوطنية الجزائرية في القرن العشرين.[4]

---

[1] - هو الأخ الأكبر لمحمود، ولد سنة 1913م بحي باب اللوز، تلقى تعليما جيدا، يتقن اللغتين العربية والفرنسية، سافر إلى المغرب سنة 1936م، بعد نزاعات مع السلطات الاستعمارية بسبب أنشطته السياسية واستقر هناك، كان يُدرِس الملك المغربي الحسن الثاني اللغة الفرنسية، وعمل مترجم رسمي في ديوان الملك محمد الخامس، توفي في عام 1995 عن عمر يناهز 82 عامًا، تاركًا ولدين وفتاة. مراسلة مع الأستاذ عيسى قاسمي بتاريخ 22 نوفمبر 2020.

[2] - من مواليد 09 ديسمبر 1920 متحصل على شهادة قاضي، غير أن تخوف الوالد من رد فعل السلطات الفرنسية، ناهيك عن موقفها المعادي لأخويه علال ومحمود، كلها عوامل دفعت والده إلى منعه من مزاولة عمله، وإرساله إلى أخواله في بلدة توجة، لينخرط بعد الاستقلال في سلك التعليم؛ إذ كانت الرتبة التي تقاعد بها نائب عام في مديرية التربية لولاية بجاية، توفي بتاريخ 11 نوفمبر 2003م. حوار مع الأستاذة كريمة بوزوزو ابنة عبد العزيز رحمه الله، بجاية 22 سبتمبر 2018م، وشهادة السيدة بوزوزو نبيلة، أخت محمود بوزوزو.

وفي إحدى التقارير الأرشيفية التي رفعت من المدير العام للتعليم الوطني في الجزائر إلى عامل عمالة قسنطينة بتاريخ 25 أفريل 1946م، تفيد بوجود العديد من المناصب الشاغرة للمدرسين والسبب هو النقص الفادح في عدد المترشحين، لهذا طُلِب منه استدعاء مجموعة من المترشحين وإجبارية تعيينهم لضمان السير الحسن للعمل، ذاكرا اسم 16 أستاذا من بينهم الأستاذ عبد العزيز بوزوزو المعَيَّن في منطقة القصور البجائية. ينظر:

A.W.C: Service des réformes, Boite N°: 479, Administration des Mouderrès, 25 Avril 1946.

[3] - وهي أصغرهم تزوجت بابن عم المرحوم حسين آيت أحمد، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أنه بعد وفاة والدة محمود، تزوج والده بوعلام للمرة الثانية ورزق بثلاثة ذكور؛ الشريف، محمد الغازي المدعو مولود، كمال الدين، وخمسة بنات هن؛ نفيسة، فتيحة، زاكية، خوخة، نبيلة على قيد الحياة. حوار مع السيد بوعلام بوزوزو، الأحد 22 سبتمبر 2018م، حي باب اللوز، مدينة بجاية.

[4] - فوزي سعد الله، **الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم**، ج2، دار قرطبة، الجزائر، 2016، ص 353.

فمن بين العائلات البجائية المنحدرة من هذا الرعيل الأندلسي الموريسكي، والذين سرعان ما ظهرت آثارهم في كل من مدينتيْ الجزائر وبجاية المدينتين اللتين احتضنتا جاليات أندلسية كبيرة منذ ذلك العهد، نذكر عائلة سعيدوني التي ينحدر منها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني، وعائلة بوزوزو التي اشتهرت أجيال كاملة منها في مختلف علوم الشريعة الإسلامية والقضاء وغيرها من العلوم، فضلا عن أنهم كانوا من ألْمع خبراء فن العمارة الإسلامي؛ إذ ساهموا في بناء مدينة الجزائر خلال القرن 17م.[1]

وعلى حد قول الدكتور عبد الحميد عويس: "كانت المدن الحمّادية الساحلية تضم أعدادا كثيرة من هؤلاء المهاجرين الأندلسيين الذين نقلوا إلى الجزائر خبرتهم وعلومهم، واندمجوا في المجتمع الجزائري اندماجا تاما".[2]

إذ كانت بجاية من أهم الموانئ المتوسطية التي كانت ترسو فيها سفن اللاجئين، بل كانت من بين "وجهاتهم الأكثر أهمية"؛ أحيانا بسبب العلاقات الثقافية بين علماء هذه الحاضرة وزملائهم في الأندلس، أو بسبب القرابة والعلاقات العائلية، أو الأعمال التجارية التي كانت تربط هذين المجالين الجغرافيين، فبرزت أسماء كبيرة لعلماء وقضاة ومثقفين أندلسيين من مختلف التخصصات، احتضنتهم بجاية وأدمجتهم في نسيجها الاجتماعي، بل أعطتهم مواقع ريادية مستفيدة من تقدمهم الحضاري وكفاءاتهم المشهود لهاّ آنذاك في العالم الإسلامي.[3]

في حين يرى آخرون أن أصول آل بوزوزو تعود إلى مدينة مراكش المغربية، ودليلهم في ذلك وجود عائلات كثيرة تحمل نفس اللقب مستقرة حاليا بالمملكة المغربية منذ القرن السابع عشر للميلاد.[4]

وعلى إثر لقاءاتنا المتكررة مع العديد من أفراد أسرته بمدينة بجاية، استفسرنا عن ممتلكات العائلة من أراضي وعقار، فوجدنا أن هناك بعض الأملاك التي تعود إلى العائلة، متوارثة منذ منتصف القرن السادس عشر ومطلع السابع عشر، وهي مزارع واسعة لأشجار الزيتون في منطقة إحدادن (الرملة)، إذ كان زيتونهم آنذاك مشهور "بزيتون القاضي" نسبة إلى مهنة القضاء التي اشتهرت بها العائلة، وهو ما يؤكد أصولهم الجزائرية الأندلسية.[5]

---

[1] – فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي، مرجع نفسه، ص 353.

[2] – عبد الحميد عويس، دولة بني حمّاد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، ص185.

[3] – لم تكتف بجاية باستقبال الأندلسيين الذين أتعبتهم الحياة السياسية الأمنية المضطربة في الأندلس، وضغط الأمم الشمالية النصرانية المتزايد عليهم في عهد ملوك الطوائف فحسب؛ بل احتضنت الراغبين في العيش فيها بإرادتهم من أهل الكفاءات والصنائع وذوي المصالح التجارية وأهل العلم وطلابه، وهم ليسوا بالعدد القليل.

[4] – حوار مع السيد بوعلام بوزوزو، الأحد 22 سبتمبر 2018م، حي باب اللوز، مدينة بجاية.

[5] – هذا ما تم التوصل إليه بناء على زياراتنا إلى بجاية وحواراتنا المتكررة مع العديد من أفراد عائلته وبعض أعيان بجاية من بينهم: السيد بوعلام بوزوزو ابن عبد العزيز، محمد الغازي بوزوزو ابن الشريف، رياض بوطالب أحد أقدم القاطنين بحي باب اللوز والمقربين من عائلة بوعلام بوزوزو رحمه الله.

3-زوجته وأبناؤه:

الزوجة لا نعرف عنها الكثير والمعروف أنها تسمى يمينة من دلس، اقترن محمود بشريكة حياته "أم عبد الحميد"، هذه الزوجة التي فهمت طبيعة تفكير زوجها وتعمقت في استيعاب توجهاته، فصبرت عليه وساعدته بقدر ما تعرف وتملك، فكانت نعم الزوجة في المحن التي تعرض لها زوجه، ناهيك عن قدرتها على تحمل مسؤولية وأعباء الأولاد أثناء تعرضه للاعتقال والنفي مع اندلاع الثورة التحريرية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتحدث العالم السويسري المتخصص في العلوم الإسلامية بجامعة السوربون الفرنسية "جون لوي ميشون"[1] عن هذه الزوجة الصالحة، معترفا بفضلها عليه وتقديرها للعلم وأهله على إثر صبرها لفترة طويلة ليتمكن هذا العالم من إنهائه لرسالة الدكتوراه حول "المتصوف المغربي الإمام ابن عجيبة" التي قال عنها في إحدى ندواته[2] أن الله سخر له الشيخ محمود بوزوزو عميد المهاجرين المسلمين بسويسرا، وزوجته لإنهاء هذا العمل الذي أتعبه كثيرا، لقلة المراجع وضعفه في اللغة العربية فيقول: "ولولا حرص ومساعدة شيخنا محمود ما أنهيتها، وكادت أن تنهيني لولا أن سخر الله لي سيدي محمود -كما يحلو له أن يسميه- صاحب الفضل الأول علي، بعد الله سبحانه، بحيث أمضيت أشهرا في بيته بمدينة جنيف، في التصحيح والمراجعات، وليعذرني اليوم أولاده، وزوجته المرحومة السيدة "لالة أمينة" التي أخذنا من وقتها الكثير، ليلا ونهارا، ولم تبخل علينا رغم ذلك بكل ما لذ وطاب من الأطعمة الجزائرية اللذيذة".[3]

---

[1] - جون لوي ميشون (Jean-Louis Michon): (1924-2013) عالم فرنسي سويسري مترجم، ومتخصص في التراث والفن الإسلامي والتصوف، اعتنق الإسلام سنة 1945، بعد اطلاعه على مقال في المجلة الإفريقية حول وفاة الشيخ أحمد العلوي الصوفي الجزائري، الذي كان قد توفي حينها منذ عشر سنوات، مع إشارة لافتة في المقال تفيد بأن للقضية الجزائرية أتباعا وللإسلام أنصارا حتى في أوروبا، ليختار لنفسه اسما جديدا هو: "علي عبد الخالق"، عمل مع وكالات الأمم المتحدة "اليونسكو" للحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي في عدة دول عربية، ليحط به الترحال في مدينة فاس كموظف دولي مشرف على التراث الثقافي المغربي ومكث بها من 1972 حتى1980، في محاولة منه لإعادة تأهيل الصناعات اليدوية التقليدية التي كانت معرضة للخطر في بلد مسلم من قبل مشاريع التصنيع التغريبية، شارك في حفظ وترميم قصبات المغرب كمشروع لحماية مدينة فاس. ينظر:
Mustafa HABES, Jean-Louis Michon- Ali Abed al-Kaliq: Un grand savant suisse nous a quittés, 19 Mars 2013.

[2] - بمناسبة انعقاد فعاليات الندوة السنوية السادسة التي احتضنتها قاعة المحاضرات بالمركز الإسلامي بمدينة جنيف السويسرية إحياء لذكرى وفاة العلامة الشيخ محمود بوزوزو.

Bulletin de L'Arzillier, le dialogue interreligieux : l'école de Mahmoud Bouzouzou, n°23, décembre 2009.

[3] - مصطفى حابس، "العلامة محمود بوزوزو الزعيم الروحي لحرب التحرير خدم العربية وتفرغ للإسلام في الغرب خلال نصف قرن"، **أسبوعية البصائر الجزائرية**، العدد 597، الاثنين 01 – 07 جمادى الثانية 1433هـ /23 – 29 أفريل 2012، ص10.

عملت السيدة أمينة على توفير شروط البحث العلمي لزوجها ولكل ضيوفه، ورغم أنه ليست لدينا معلومات كافية عن هذه السيدة الجزائرية الكريمة، لكن تقديرها لطلاب العلم يوحي بأنها صاحبة علم وثقافة واسعة، ناهيك عن كثرة أسفاره وتفرغه للأبحاث والدراسات وانشغاله الدائم في مكتبته مع طلبته وضيوفه يحرمانها من بعض حقوقها، ومع ذلك كانت تسعى لأكثر من ذلك بإكرام ضيوفه بأحلى الأكلات الجزائرية.

رُزِق محمود بوزوزو بأربعة أبناء[1]، عبد الحميد، سليم، عبد الكريم، وخديجة يعيشون الآن في جنيف[2]، إذ استقروا بها نهائيا بعد أن غادروا الجزائر إلى أوربا سنة 1957م، ولا تربطهم علاقات وطيدة بالجزائر، إذ ذكرت لنا ابنته خديجة في معرض حديثنا معها أنهم لا يعرفون شيئا عن ماضي والدهم ونضاله في الجزائر أربعينات وخمسينات القرن العشرين، وأضافت قائلة–كلما سألتها عن ظروف انتقالهم إلى سويسرا، وأسباب استقرارهم هناك نهائيا–: "والدي كان كتوم جدا ولم يحدثنا عن حياته في الجزائر".[3]

ثانيا: مساره التعليمي

1–تعليمه الابتدائي في بجاية:

المعلومات التي بحوزتنا في ما يتعلق بدراسته ومصادر اطلاعه قليلة، عامة، وغير مضبوطة بتواريخ معينة، وهو ما يُصعِب علينا عملية تحديد مراحل تعليمه ووضع إطار زمني معين لذلك.

غير أن المعلوم، هو أنه نشأ وسط عائلة برجوازية ميسورة الحال، مقبولة الدخل، لم تعان الحرمان والفقر اللذان عانى منهما غالبية أبناء الجزائر آنذاك، إذ كان والده من "طبقة النبلاء في وسط مدينة بجاية"[4]، فامتلاكه لمنزل واسع جدا[5]، سمح له بتخصيص طابقه الأرضي بغرفه الست للكراء. وهو ما يوحي بأن الأوضاع المادية للعائلة كانت مقبولة جدا؛ فالدخل الذي كان يتلقاه الأب من وظيفته كقاضي، إضافة إلى عائدات الكراء، كلها عوامل وفرت على أفراد العائلة الكثير من المعاناة، وبالتالي سمحت للفتى محمود بتلقي تعليم لائق حُرِم منه أغلب أقرانه آنذاك.

[1] – حميدي أبو بكر الصديق، **دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية**، دار المتعلم، الجزائر، 2015، ص190.

[2] – ينظر الملحق رقم 06: صورة لمحمود بوزوزو وأبنائه الأربعة.

[3] – مراسلة مع الأستاذة خديجة بوزوزو ابنة المرحوم محمود بوزوزو عبر البريد الإلكتروني يوم الاثنين الفاتح أكتوبر سنة 2018م.

[4] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou: Théologien, op.cit.

[5] – منزله الكائن بحي باب اللوز وسط مدينة بجاية، والذي وجدناه في حالة ترميم على إثر زيارتنا له في خريف سنة 2018، منزل واسع ذو شرفتين، وذو طابقين يحتوي كل طابق منه على ستة غرف، تتوسطه فناء بحديقة ذات بهجة، وحسب ما ذكره لنا السيد محمد الغازي بوزوزو فإن جده بوعلام كان يسكن الطابق العلوي مع أفراد عائلته، بينما خصص طابقه الأرضي للكراء. ينظر الملحق رقم 08: صورة داخلية لمنزل محمود بوزوزو.

وعن خطواته الأولى في طلب العلم؛ تلقى المفاهيم الأولية والمبادئ العامة للغة العربية على يد والده، الذي كان بمثابة المدرسة التي استمد منها الفتى محمود أفكاره وتربيته الدينية الأولى، يقول في ذلك: "كان المعلم الأول لي هو والدي رحمه الله".[1]

ولما أدرك سن التميز سجله والده في مدرسة قرآنية لحفظ القرآن الكريم وإتقان أحكامه وتلاوته وتدبر آياته، وهو تقليد أصيل عند أهل بجاية يقتضي بضرورة إدخال الفتيان الجامع لحفظ شيء من القرآن الكريم، وكذا تربيتهم تربية إسلامية، لغرس القيّم الدينية والأخلاقية، هذه المدارس القرآنية التي عرفت انتشارا واسعا في كل مناطق القطر الجزائري، خاصة في القرى والأرياف والمناطق الجبلية؛ إما بفضل التعليم الوقفي والزوايا أو نشاطات الجمعيات والأحزاب الوطنية.

في هذه المرحلة، أظهر الفتى محمود علامات النبوغ والتميز؛ "فحفظ القرآن الكريم كاملا في سن الحادية عشرا من عمره"[2] على يد عدة شيوخ في مساجد مدينة بجاية، ثم تابع أخذ دروس في تفسير القرآن الكريم.

تشبعه بهذه المبادئ والقيم الدينية، وتأثره القوي بالقرآن الكريم في صباه؛ ظهر فيما بعد في جل كتاباته الثرية سواء في المقالات الصحفية أو المؤلفات كما سيأتي تفصيله؛ إذ امتزج أسلوبه بتعابير وإيحاءات مستقاة من القرآن الكريم، فاستعان بدرجة عالية بجملة من النصوص الشرعية؛ إذ لا تكاد تخلو مقالة من جملة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، استند عليها لإثبات مواقفه، والاستدلال على وجهات نظره فيما يذهب إليه من آراء وتوجهات.

وإيمانا من والده بدور العلم في النهوض بالأمم وإصلاح أحوالها، حرص على توفير الظروف الملائمة لتقلي ابنه العلوم والمعارف، حيث يُعتبر التعليم الابتدائي أساس التعليم والتكوين؛ فالتلميذ في هذه المرحلة يتأثر بالمعارف التي يتلقاها، وتكون له قابلية أكثر للاكتساب وتقبل المعارف، لذا غالبا ما كان يشير في كتاباته إلى تأثره بداية بالتربية الأسرية، كما أن التربية المسجدية أثرت بشكل كبير في تكوينه الفكري والعقائدي.

وعليه، تعتبر أسرة الشيخ بوزوزو النواة الأولى التي نهل منها العلوم والمعارف، مما يوحي أنه من أسرة ذات علم وثقافة، وهو ما أشارت إليه تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية؛ ففي إحدى تقارير عامل عمالة قسنطينة

[1] – عدنان الربيع، حوار مع الشيخ بوزوزو، **مجلة الوفاق**، العدد الثالث، محرم-صفر 1418، ماي -جوان 1998، نقلا عن: عباس عروة، **آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو**، معهد قرطبة للسلام، جنيف، سويسرا، أوت 2020، ص 174.

[2] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p67.

التي رفعها إلى الحاكم العام بالجزائر في ملف يتعلق بالشيخ محمود بوزوزو بتاريخ 09 أفريل 1953 أكد أنه "من عائلة معروفة في بجاية، تحظى بالتقدير والاحترام، لقَّنتْه تعليمًا جيِّداً".[1]

بعد ذلك درس محمود بوزوزو على يد الشيخ الهادي الزَّروقي[2] بالمدرسة الإصلاحية بحي باب اللوز وسط مدينة بجاية، هاته المدينة العريقة التي كان لسكانها -على غرار باقي المدن والبوادي الجزائرية-حظهم من الحركة الإصلاحية التي شهدتها الجزائر مطلع القرن العشرين، والتي أحدثت انقلابا جذريا في تفكير هذه الأمة، فرحّب أهلها بزعمائها ومدارسها من أجل العودة إلى مبادئ الدين الإسلامي الصحيح، وإلى إصلاح أخلاق المجتمع البجائي الذي لازال غارقا في الضلالات.

ومن المعروف أن المدارس قد لعبت دورا فعالا في بعث النهضة الفكرية في الجزائر، وإحياء الروح الوطنية وحفظ مقومات الأمة من الذوبان والانحلال، فهي كما يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "جنة الدنيا والسجن نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تُبْنَى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة، يُصنع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها، يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها"، إلى أن يقول: "وأن المدرسة هي طريق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة".[3]

فكانت مدرسة الإصلاح البجائية واحدة من أعرق المدارس، أنشأها الشيخ الهادي الزروقي سنة 1929م[4] بساحة سيدي الصوفي وسط مدينة بجاية، برئاسة المرحوم محمد موهوبي، شاركه في إدارة شؤونها والتدريس بها جماعة من أعيان المدينة، وثلة من رجال الفكر والثقافة من بينهم الشيخ علي شنيتر وغيره.[5]

أما بداية تأسيسها فكانت عبارة عن جمعية صغيرة تشكلت من الوطنيين المؤمنين بالفكرة، استطاعت أن تمارس نشاطها في حجرة من شقة واقعة في حي "باب اللوز"، قريبة من المدرسة الحكومية التي كانت تسمى

[1] - C.A.O.M, Service des Liaisons Nord-Africaines, 831 NA/3, Notice Individuelle 93/4257, Confidentiel, Le 09 avril 1953.

[2] - ولد في 1892م ينتمي إلى أسرة الولي الصالح الشيخ زروق الوغليسي، ابتدأ الشيخ تعليمه في زاوية جدّه، حيث حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثمّ وجّهه شيوخه إلى دراسة متون اللغة العربية والتوحيد والفقه وغيرها. سافر إلى تونس سنة 1920 م والتحق بجامع الزيتونة وتتلمذ على علمائه، وفي سنة 1925 حصل على شهادة "التطويع". للاستزادة أكثر يرجى الإطلاع على: محمد الصالح الصديق، **أعلام من منطقة القبائل**، ج2، دار هومة، الجزائر، 2013، ص116.

[3] - **جريدة البصائر**، عددان 172-173، 15 أكتوبر 1953، ص3.

[4] - هناك اختلاف حول تاريخ تأسيس هذه المدرسة، فمولود طيّاب الذي يعتبر أحد تلاميذها يذكر أن تأسيسها كان بين سنتي 1929م و1930م، أي أنه سابق لتأسيس جمعية العلماء المسلمين، بينما يذكر محمد الصالح الصديق أن تأسيسها كان سنة 1931م. للاستزادة أكثر حول الموضوع يرجى زيارة الموقع التالي: /https://ar.wikipedia.org/wiki، 10 أفريل 2020، الساعة: 16:18د.

[5] - أحمد توفيق المدني، **مذكرات حياة كفاح(1925-1954م)**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص285. ايسلي مقران، **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945**، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2012، ص 180.

مدرسة "عمور عبد القادر"، وتسمى اليوم مدرسة الهادي الزروقي، وفي ذلك عبرة؛ إذ أن التعليم لا يزدهر بالمظاهر والمباني الفخمة، ولكن يزدهر بما يبثه من معاني ويخلقه من شعور نبيل، وتأثير فعّال في التفكير والسلوك، وبمرور الوقت اتسع مجال تعليمها، مواصِلةً ازدهارها المادي والمعنوي، فاتخذت حجرا واسعة أخرى مجهزة تجهيزا عصريا من مباني بلدية بجاية الواقعة في ساحة مسجد سيدي الصوفي.[1]

وفيما يتعلق بالمواد التي كانت تُدرَّس بها فهي: الرياضيات، التاريخ والجغرافيا، اللغة العربية، والتربية الإسلامية فكان لها تأثير كبير بين المثقفين سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية، وجهود هامة في التربية والتعليم؛ إذ استطاعت إرسال بعثات طلابية إلى المسجد الأخضر بمدينة قسنطينة وإلى جامع الزيتونة بتونس فيما بعد؛ لذا اشتهرت في الأوساط الفرنسية "بمستواها التعليمي الجيد".[2]

وعليه، فإن فكرة الإصلاح في بجاية كانت قائمة على عمل هذه المدرسة، من تعليم للكبار والصغار، وللبنين والبنات، وبفضل تعليمها للغة العربية وفق الطرق والأساليب العصرية، ولمبادئ الإسلام الصحيح وما يجري في نطاقه من دروس وعظ وإرشاد، حدثت في المدينة ثورة فكرية، زعزعت عقائد الجامدين، ونبّهت الغافلين إلى أسباب الحياة الجديدة، ويفصل أحد الباحثين أكثر في دور هذه المدرسة في ميدان الإصلاح فيقول: "كان لهذه المدرسة صدى عميق في النفوس، بحيث لقيت من الأمة إقبالا وتأييدا عظيمين، الشيء الذي ساعد على انتشار حركة الإصلاح في بجاية وضواحيها".[3]

هكذا بدأت فكرة الإصلاح في المنطقة وهي في الواقع لم تكن منظمة منذ البداية، وكانت مبثوثة في أوساط الشعب الجزائري منذ الحرب العالمية الأولى، بل من قبل ذلك بسنوات، وما يؤكد ذلك قول الدكتور أبو القاسم سعد الله: "الواقع أن حركة الإصلاح لم تبدأ بجمعية العلماء، فالحركة كما عرفنا تعود إلى العقد الأول من هذا القرن، ثم تبلورت واتضحت على يد ابن باديس وتلاميذه خلال العشرينات، وخلال هذا العقد نشأت

---

[1] – مولود طيّاب، أخبار بجاية، مصدر سابق، ص 85.

[2] – نظرا للنشاطات الإصلاحية الكبيرة لهذه المدرسة التي راحت تزداد كل يوم عمقا، وبانت ثمارها التي أراحت النفوس وحررتها من التقاليد البالية والبدع الضالة، فقد انزعجت منها سلطات الاستعمار الفرنسي آنذاك، فقامت بعدّة مضايقات لصاحبها الشيخ الهادي الزروقي للحد من جهاده الإصلاحي، انتهت بطرده من بجاية إلى "خراطة" سنة 1942م.

C.A.O.M, A Monsieur Le Préfet, Dossier concernant Mahmoud Bouzouzou, Mouderrès intérimaire à bougie, 93/4257.

[3] – ايسلي مقران، مرجع سابق، ص199.

الصحافة الإصلاحية، وتأسست النوادي، وبنيت المدارس الحرة، والمساجد للوعظ والإرشاد في كثير من القرى الجزائرية، وكان ابن باديس العصب المحرك لهذه الحركة بشخصيته وقلمه ولسانه وتلاميذه وسمعته".[1]

وبما أن التعليم في الجزائر خلال العهد الاستعماري عرف نمطين؛ عربي إسلامي من خلال التعليم في المؤسسات الدينية؛ زوايا، مساجد، ومدارس قرآنية، وتعليم فرنسي غربي من خلال البرامج المقدمة في المدارس الرسمية الفرنسية.

وعلى الرغم من تخوف الجزائريين خلال هذه الفترة من الانعكاسات المترتبة عن هذا النوع من التعليم الفرنسي، لاعتقادهم أنه مُغيّر لفكر أبنائهم وسببا في إبعادهم عن أصول عقيدتهم، إلاّ أن والد محمود بوزوزو كانت له نظرة مغايرة لهذه المدارس –طبعا بحكم ثقافته ووظيفته– إذ أبدى رغبة بتسجيله في مدرسة فرنسية، وهو ما توافق مع طموحات ابنه محمود الذي كانت إرادته واسعة في اكتساب ثقافة مزدوجة، فالتحق بالمدرسة الحكومية "عمور عبد القادر" بوسط مدينة بجاية مزاولا دراسته بها، فاكتسب اللغة الفرنسية ونال الشهادة الابتدائية سنة 1933م.[2]

2–التحاقه بمدينة قسنطينة:

لما أنهى دراسته الابتدائية بمدينة بجاية، ونال قسطا وافرا من التعليم في المدارس الفرنسية، توجّه إلى قسنطينة مدينة علم أخرى، من أجل اللحاق بالمدارس العربية الرسمية (le Medersa) هناك، وهي معاهد كانت تستقبل أبناء الجزائريين الذين تلقوا تعليم عربي فرنسي، يقول في ذلك: "وبعد الدراسة في المدارس الفرنسية، اخترت اللحاق بالمدرسة العربية الرسمية التي تُدَّرس فيها الثقافات العربية والفرنسية".[3] وهي معهد خاص بتخريج المدرسين والمترجمين، وكذلك القضاة الذين يتم توظيفهم في محاكم جزائرية، وتسند إليهم قضايا المسلمين الجزائريين.

من أهم العوامل التي حفزته على السفر إلى مدينة قسنطينة من أجل مواصلة دراسته هناك، روح النهضة الفكرية والإصلاحية التي شهدتها مدينة بجاية، والانتشار الواسع لأفكار الشيخ ابن باديس النهضوية الإصلاحية في مدرسة بجاية، وظهور بوادر نشاطات سياسية وأحزاب وطنية، ومن أثر تلك الدعوة الإصلاحية بمدرستها وناديها، وتردد رجال جمعية العلماء على المدينة، ولاسيما رئيسها الشيخ الجليل عبد الحميد بن باديس أن "تغير

---

[1] – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1930**–1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص88-89.

[2] – L'écho D'Alger, 11.7.1933.

[3] – عباس عروة، آثار الشيخ بوزوزو، مصدر سابق، ص 175.

تفكير الناس وتغير سلوكهم، وظهرت أخلاق جديدة ومواقف سديدة في شؤون السياسة ومطالب الشعب من الإدارة الاستعمارية".[1]

إذن، كان لمدرسة الإصلاح البجائية ولرجال جمعيتها صلة متينة وعلاقات دائمة مع جمعية العلماء، صاحبة الدعوة إلى النهضة العربية والإسلامية، ومع رجالها وعلمائها الكبار الذين كانوا يترددون على بجاية في كل مناسبة،[2] وكان الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس نفسه يقوم من فترة إلى فترة بزيارة إلى مدينة بجاية، إما لإلقاء محاضرة، أو اجتماع، أو حوار حول قضايا الحركة، أو حضور احتفالات التأسيس وغيرها؛ إذ شكلت هاته الزيارات في مجملها حافزا ساهم بشكل مباشر في بث روح الإصلاح، وبعث الحياة من جديد.

وهو ما حدث مع الرئيس الثاني لجمعية العلماء الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،[3] الذي أشرف بذاته على شراء عمارة المدرسة الخلدونية، وقدِم إلى بجاية في مناسبات لإلقاء محاضرات، أو ربط علاقات مع زعماء الإصلاح هناك في منطقة القبائل.

ومن جهة أخرى، لابد من الإشارة إلى أن المدرسة الإصلاحية بإشراف الشيخ الهادي الزروقي كانت تعمل على إيفاد طلبة إلى قسنطينة للدراسة على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر، الذي تخرج منه طلبة كثيرون، انخرطوا في سلك التعليم بالمدارس الحرة وكانوا ممثلين ودعاة للحركة الإصلاحية.

كان النظام المعمول به آنذاك في المدرسة الرسمية بقسنطينة أن يتم القبول عبر إجراء المسابقات، فكان محمود بوزوزو واحد من هؤلاء النجباء المحظوظين، الذين فازوا بمقعد في تلك المدرسة؛ إذ حاز على المرتبة الثانية بعد الطالب مصطفاي محمد.[4]

انتقل بوزوزو إلى مدينة قسنطينة حاملا معه نصيحة والده، الذي أكد له ضرورة الاهتمام بالدراسة والتحصيل العلمي مع تلافي الخوض في الأمور السياسية بقوله: "إياك والسياسة يا ولدي"[5]، خاصة في ظل

---

1 – من ذلك أن الشيخ الهادي الزروقي اتصل ببعض الشخصيات والهيئات الوطنية الناشطة آنذاك على المستوى الوطني، معلنا رفضه لمشروع بلوم فيوليت. ينظر: مولود طياب، أخبار بجاية، مصدر سابق، ص 87.

2 – نفسه، ص95-96.

3 – كل ذلك لمكانة الشيخ الهادي الزروقي في جمعية العلماء، بفضل ما قام به من عمل جبار في سبيل انتشار الفكر الإصلاحي في الجزائر عامة، وفي منطقة القبائل على وجه الخصوص، وما يلاحظ في هذا الشأن أيضا أن منطقة القبائل كانت المنطقة الأكثر احتضانا للدعوة الباديسية؛ وذلك بسبب وضعها الجغرافي، وتقاليدها الثقافية.

4 - **L'écho d'Alger**, 11.7.1933.

5 – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

الظروف الاستثنائية التي تمر بها الجزائر، لما قد تجلبه من مخاطر تؤثر بالضرورة على مسار دراسته، لأن السياسة في تلك الظروف مرادفة للمخاطرة والإقبال على المجهول.

التحق الفتى محمود بالمدرسة الرسمية بمدينة قسنطينة، فانكب على الدراسة عاملا بوصية والده، آخذًا العلم على يد مجموعة من الشيوخ على رأسهم الشيخ المولود بن الموهوب[1] مفتي مدينة قسنطينة، والشيخ محمد الصالح بن العابد[2] وهو فقيه أصولي.[3]

وكما هو معروف، فإن للدروس التي كان يقدمها الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجامع الأخضر وسيدي قموش بوسط مدينة قسنطينة بداية من عام 1913م الأثر الطيب في النفوس، حيث كان إقبال الناس عليها واسعا لينهلوا من معينها بكل جد وإخلاص، لهذا كان التحاق بوزوزو بالجامع الأخضر[4] بمدينة قسنطينة بداية من سنة 1934م، أي نفس السنة التي التحق فيها بالمدرسة الرسمية؛ إذ اعتكف على حضور دروس الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس ليلا في التفسير، واستمرت إقامته هناك مدة أربع سنوات كاملة من 1934 إلى 1938م طالبا بالجامع الأخضر ينهل المعارف والعلوم من الحلقات والمحاضرات الباديسية.

أما المواد التي كانت تُدرَّس في الجامع الأخضر مثلا أو المساجد الأخرى في مجملها مواد دينية ولغوية، مع بعض العلوم العقلية، وهي كالتالي:

- القرآن الكريم، تفسيرا وتجويدا.

---

[1]- من أبرز أعماله تأسيس نادي صالح باي، الذي ألقى فيه محاضراته الثقافية، وفي الوقت ذاته كان يلقي دروسا في الوعظ والإرشاد بالجامع الأخضر، عينته الإدارة الفرنسية سنة 1895م أستاذا للدراسات الإسلامية بمدرسة سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة. ينظر: محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها وأعلامها من 1903–1930**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص118.

[2] – صالح بن العابد، من أقطاب الحركة الإصلاحية ومناصر لجمعية العلماء المسلمين، أستاذ في المدرسة الإسلامية الفرنسية بقسنطينة، مدرس متطوع ليلي بنادي صالح باي طيلة أربع سنوات للتلاميذ الصغار، من الدعاة الأوائل للمشاريع التعليمية للأطفال، رئيس شعبة مدرسة التربية والتعليم القسنطينية ورئيس جمعية العائلات الكبيرة الإسلامية القسنطينية 1931. ينظر: عبد الحميد زوزو، **الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي**، دار هومة، الجزائر، 2017، ص 87-88.

[3] – عبد الحفيظ العبدلي، محمود بوزوزو داعية الانفتاح والتسامح، موقع: https://www.swissinfo.ch، تاريخ المقال 07 /2008/04، تاريخ التصفح: 2016/07/13 على الساعة 19:06 مساءا. و2021 /01/11، 11:43 صباحا.

[4] – أَسَّس الجامع الأخضر بقسنطينة الباي حسين بك بن حسين (1736–1754) في القرن الثامن عشر للميلاد، خصصه للصلاة والعبادة والتعليم، ويسمى كذلك بالجامع الأعظم حسب ما يثبت ذلك رسم جاء فيه. أخذ شهرته في عهد أبي النهضة الجزائرية الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس الذي قام بالتدريس فيه وتفسير القرآن لمدة 25 سنة، يُعَلّم الأطفال والفتيان في النهار، ويخصص المساء لدروس يلقيها على الكبار في مواضيع تتصل بالحضارة الإسلامية. وهو الآن يوجد بالجزارين قرب رحبة الصوف بقسنطينة، تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة وتارة بعض الدروس العامة في الوعظ والإرشاد. ينظر: سليمان الصيد، **نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من أخبار**، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1994، ص 196-199؛ الثقافة، س 17، ع 98، أفريل 1987، ص19.

- الحديث النبوي الشريف.
- الفقه المالكي.
- اللغة العربية وفنونها: النحو، الصرف، البيان.[1]
- العقيدة.
- العلوم العقلية: المنطق، الحساب.
- الأخلاق الإسلامية والشمائل المحمدية.[2]

يتضح من خلال المواد المقدمة أن التعليم الباديسي كان يغلب عليه الطابع الديني واللغوي مع قليل من العلوم العقلية، وهذا يعود إلى أن الاستعمار الفرنسي كان يترصد بالدين الإسلامي، وباللغة العربية باعتبارهما مقومان أساسيان من مقومات الشخصية الجزائرية.

انتفع الفتى محمود بوزوزو بأستاذه الشيخ ابن باديس كثيرا، لما يمتاز به الطالب من فكر وقاد، وحافظة قوية، ورغبة شديدة في تحصيل العلم والمعرفة، ولما يمتاز به الإمام من علم واسع، وذهن ألمعي، ولب رصين، وطريقة حكيمة في التربية والتعليم، والتعامل مع التلاميذ.[3]

ومن المفارقات أن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله أكد لمحمود بوزوزو نصيحة والده بطريقته الخاصة، فحينما التقى به صدفة في مكتبة الأستاذ أحمد بوشمال بوسط مدينة قسنطينة سأله قائلا: "من أنت يا ولدي"؟ وأجابه بأنه طالب بالمدرسة الرسمية، فقال له: "إياك أن تتردد علينا، فإنهم إذا رأوك أضروك، ولا أريد أن يصيبك ضرر بسببنا، أتمم دراستك وبعد ذلك كن مسلما".[4]

أثرت هذه النصيحة في نفس محمود بوزوزو أيّما تأثير، لأن عبارة "أتمم دراستك ثم كن مسلما" غنية بالدلالات العميقة، لعل أهمها ضرورة امتلاك الفرد الجزائري لناصية العلوم والمعارف، باعتبارها شرطا أساسيا للدفاع

[1] – من الكتب التي كانت تدرس خاصة في مجال الأدب واللغة والبلاغة نذكر: المفتاح، التنقيح، السلم، المكودي، القطر، الأجرومية، الزنجاني، لامية الأفعال، السعد، الجوهر المكنون، ديوان الحماسة لأبي تمام، ديوان المتنبي، أمالي القالي، مقدمة ابن خلدون. وهي تقريبا نفس الكتب المقررة في المدارس الحرة، وكان يتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار في المستوى الثانوي على الطريقة والكتب والأسلوب المعروف في الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر والزيتونة والقروين. ينظر: مراد مزعاش، **جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931–1954م**، دار الهدى، 2018، الجزائر، ص 131–132.

[2] – تركي رابح، **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة**، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2003، ص 152. وينظر كذلك: البصائر، ع47، س1، 11 ديسمبر 1936، ص5.

[3] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 220.

[4] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

عن الهوية الوطنية والانتماء العربي الإسلامي الوارد في عبارة "كن مسلما"، التي تشكل في مجملها برنامجا يتوجب على المثقف الجزائري أن يتسلح به.[1]

ورحم الله الشيخ ابن باديس فكأنه بوصيته للشاب محمود يُلمِّح إلى قضيتين على غاية من الأهمية؛ أولاهما الاختصاص العلمي وضرورة التفوق به، وثانيهما تحقيق الثقافة الإسلامية وتمثل الأخلاق السامية، ليكون الاختصاص في خدمة العقيدة.[2]

وعن شدة تأثره بشيخه الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس، تسمية ابنه الأكبر باسم "عبد الحميد"، فلا توجد إيحاءات أكبر من هاته للدلالة على مدى تأثر التلميذ محمود بوزوزو بشيخه، وإعجابه بأفكاره الإصلاحية النهضوية، إذ يعتبر المؤثر الأكبر في قناعاته وتوجهاته الفكرية، وهو ما سنقف عليه فيما تبقى من هذا البحث.

إذن، لم تكن البيئة الفكرية والثقافية الجزائرية في تلك الفترة، خالية من مثل هؤلاء الروّاد المصلحين، الذين أثّروا في هذا الجيل الذي نشأ بعدهم، واحتكوا به بشكل واسع ومباشر، أمثال العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ المولود بن الموهوب، وأحمد بوشمال، والشيخ العربي التبسي وغيرهم؛ مما يوحي بذلك الترابط الوثيق بين جيلين متتابعين من دعاة الإصلاح الفكري والديني في الجزائر خلال القرن العشرين.

وعليه، فإن نشأة المناضل محمود بوزوزو في وسط مدينة بجاية، متنقلا بين مساجدها ومدارسها، وتحوله فيما بعد إلى قسنطينة مدينة علم وعلماء؛ جعلته يتواصل مع نخب فكرية واسعة الأفق، راهنت على ضرورة تغيير الواقع الجزائري في إطار برامجها الإصلاحية المكثفة، في وسط استعماري شديد التسلط، أكسبته هذه البيئة روح المسؤولية التي وجدناها تنمو في كل مرة تماشيا لا بل تفاعلا مع الوضع الاستعماري وسياسته التعسفية.

ومن باب الاعتراف بالأعمال، وتقديرا للجهود التي يبذلها الشباب الجزائري لفائدة أمته، نوهت جريدة البصائر بالشاب محمود بوزوزو، تشجيعا منها لجهوده العلمية والعملية ومما ذكرته ما يلي: "هو واحد من الشباب الذين يزاولون التعليم في المدرسة الرسمية بمدينة قسنطينة، الشاب المهذب والمصلح الأنجب محمود بوزوزو البجائي، فبفضل ذكائه الوقاد وجده واجتهاده في قراءته، فقد نجح في الامتحان من الدرجة الأولى بتفوق زائد في شهادة المدرسة النهائية التي تجمع بين اللغتين".[3]

[1] – محمد أرزقي فراد، "محمود بوزوزو مثقف عاش للجزائر"، **الشروق**، ع 2175، 16 ديسمبر 2007، ص 28.

[2] – محمود بوزوزو، مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب، **مجلة الأمة**، ع 37، محرم 1404هـ، أكتوبر 1983م، ص64.

[3] – علي مرحوم، تهنئة وتقدير إلى الشباب المفكر، **البصائر**، س 2، ع 74، 9جويلية1937، ص5.

فرفعت إليه جريدة البصائر وطاقمها الفني تهانيهما الحارة بهذا النجاح الباهر، والفوز المبين على أقرانه، وتمنت لبقية الشباب الجزائري أن يحذو حذوه، ليتحقق للأمة الجزائرية ما تعلقه من آمال طيبة على شباب المستقبل.

3-إكمال دراسته بالجزائر العاصمة:

على إثر إكماله للدراسة بمدينة قسنطينة، ونظرا لنجابته كما أسلفنا وجهه مدير مدرستها إلى "المدرسة العليا للمعلمين"بالجزائر العاصمة، أنهى بها الدراسة، ونال شهادة الدراسات العليا برتبة "مُدرِسْ" سنة 1939م. وحسب ما وصفته تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية بعد تخرجه أنه "باحث جيد، يتقن القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية، حاز على دبلوم الدراسات العليا -الأول على مستوى دفعته-بعد تلقيه تعليما جيدا".[1]

آن أوان مغادرة المدرسة لخوض غمار الحياة العامة، وعند الوداع يقول له مديرها: "إيّاك والسياسة، إنّك سوف تتولى منصبا في القضاء أو التدريس، فإذا اخترت القضاء وأنت متحزب لم تسلم من الاتهام بالتحيّز في ما إذا ترافع إليك خصمان أحدهما من حزبك ولو عدلت في حكمك، وإذا اخترت التدريس فالأسلم لك أن تكتم أفكارك السياسية ولا تعلنها".[2]

غير أن دلالة هذه النصيحة تختلف في مراميها عن نصيحة والده ونصيحة شيخه ابن باديس، إذ كانت غايتها تتمثل في إبعاده عن احتضان قضية أمته والدفاع عن حقوقها المشروعة، ليتفرغ للتسبيح بحمد فرنسا، ويخدم مشاريعها الساعية إلى طمس معالم الهوية الوطنية، لكن وطنية الشاب بوزوزو كانت أكبر من التأثر بمثل هذه النصائح التي كان يدرك جيدا المقصد منها.[3]

بعد سنتين تقريبا من الدراسة بالمدرسة العليا للمعلمين بالجزائر العاصمة، استلم شهادة منحته الاختيار بين مهنتي القضاء أو التعليم، "إذ حاز على شهادة رسمية منحته ترخيصا بتعليم الفرنسية في المدارس الرسمية التابعة للإدارة الفرنسية، مع القدرة على مزاولة مهنة القضاء، والإمامة مع تقديم دروس دينية وغيرها في المدارس الحرة".[4]

---

[1] - C.A.O.M, Service des Liaisons Nord-Africaines, 831 NA/3, Notice Individuelle, Confidentiel, Le 09 avril 1953,93/4257.

[2] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف 25 فبراير 1982م.

[3] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر الوطني، دار الأمل، الجزائر، 2019، ص 23.

[4] - Watanabe SHOKO, Organizational Changes in the Algerian National Movement as Seen through the Muslim Boy Scouts in the 1930s and 1940s: The Struggle For Influence between The Association of The Ulama and The PPA-MTLD, **The Journal of Sophia Asian Studies**, N 30, 2012, The University of Tokyo, p 54- 68.

والده أراده أن يكون قاضيا مثل جده، لكن الفتى محمود شذ عن قاعدة عائلته مؤثِرا مهنة التدريس، لما في القضاء من تسلط استعماري، وتدخل واسع من قبل الإدارة الفرنسية، وبالتالي فلن يجد حريته في ممارسة وظيفته، وللإسهام –من جهة أخرى–في مكافحة الأمية، استجابة منه لحاجة الشعب الجزائري إلى التعليم، ورغبته الشديدة في المساهمة في نشر العلم ومبادئ الدين الإسلامي في بيئة استعمارية، راهن فيها رواد الحركة الاستعمارية الفرنسية على تجهيل المجتمع الجزائري وطمس معالم هويته، بدمجه في المجتمع الفرنسي.

انطلاقا من قناعاته، ونظرته للتعليم وللمعلم كان اختياره لمهنة التعليم، مذكرا أن التعليم من أشرف المهن وأعزها، بل اعتبرها في مقام واحد مع الجهاد في سبيل الله، فيقول في المعلم: "عليك أيها المعلم أن تؤمن بأنها أشرف مهنة وكفاها شرفا أنها مهنة الأنبياء، وإن كفاحك في نشر لغتك وتنوير عقول النابتة بالعلم والمعرفة، وتهذيب أخلاقها لا يقل قيمة وأجرا عند الله عن جهاد الذائدين عن حمى الأوطان وسعادة البشرية، بالبنادق والرشاشات، وكم من مجاهدين هان عليهم بذل نفوسهم لحياة أوطانهم وإسعادها، لأن معلمهم أحسن تربيتهم ووجههم توجيها قوميا وأعدهم إعدادا صالحا". [1]

تأثر الشيخ بوزوزو في أول حياته بأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة الشيخ عبد الحميد ابن باديس والأستاذ أحمد بوشمال[2]، حيث قال أن الوصية الأقوى أثرا في نفسي كانت "كُنْ مسلمًا"، وهي وصية شيخه الإمام عبد الحميد بن باديس، لأنه بعد طول التجارب وبالتفكير في حالة المسلمين، أدرك أن خير وصية يوصي بها المسلم أخاه هي كن مسلما، باعتبار أن الإسلام شرطا أساسيا لتبني قضية وطنه والدفاع عن مصالح أمته.[3]

عمل بوزوزو في حقل الإصلاح الاجتماعي متأثرا في ذلك بالمبادئ والأفكار الإصلاحية النهضوية التي نادى بها الشيخ "عبد الحميد بن باديس" وغيره من رواد الإصلاح في بوتقة جمعية العلماء، خاصة فكرها الداعي إلى محاربة الخرافة والجمود الفكري ذلك الحصن المتين الذي استطاع أن يصمد في وجه المخططات الاستعمارية الفرنسية ومحاولاتها المستمرة لمحو الخصائص العربية والإسلامية للمجتمع الجزائري.

[1] – المنار، س1، ع18، 14 مارس 1952.

[2] – أحمد بوشمال: من مواليد سنة 1899 بقسنطينة، من طلبة الشيخ ابن باديس إذ حضر دروسه في الجامع الأخضر، وبالموازاة مع ذلك عمل منذ صباه في صناعة الأحذية، تولى عدة مسؤوليات في إطار نضال الحركة الإصلاحية، من بينها إدارة في مجلة الشهاب، رئاسة جمعية التربية والتعليم بعد وفاة ابن باديس وغيرها. ومع اندلاع الثورة انضم إلى خلاياها السرية، وسخر مطبعته خدمة لأغراضها التحررية، مما عرضه للسجن والاعتقال مرات عديدة آخرها كان في سبتمبر 1958، اغتيل في ظروف غامضة. ينظر: رابح خدوسي، **موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين**، دار الحضارة، الجزائر، 2003، ص 126.

[3] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو، مرجع سابق، ص 28.

ثالثا: أخلاقه وثقافته

1–صفاته والعوامل المؤثرة في تكوينه:

هذه الرحلة العلمية من بجاية إلى قسنطينة ومنها إلى العاصمة؛ تراوحت بين التعليم الرسمي وحلقات الدرس ومحاضرات الشيخ ابن باديس، ناهيك عن حبه للكتب وحرصه على اقتنائها، من خلال زياراته المتكررة لمكتبة الشيخ أحمد بوشمال وسط مدينة قسنطينة، ومطالعته لصفحات الجرائد والمجلات، كانت بحق مرحلة هامة في تكوينه العلمي وصقل شخصيته وتوجهاته الفكرية، فاكتسب شخصية قوية حملت رهان الإصلاح والتغيير.

فمن أسباب نجاح الشيخ بوزوزو ونبوغه أيام تعلمه، شغفه بالعلم شغفا لا نظير له، ودماثة خلقه التي سخرت له زملاءه، ونبوغه العقلي الممتاز، وحسن نيته في طلب العلم لفائدة الدين والوطن، وهنا يقول عنه الأستاذ علي مرحوم في مقال خاص نشر في جريدة البصائر؛ "نعترف بأعماله ونقدر له جهوده التي يبذلها لفائدة الأمة، لأن الثقافة مهما كان نوعها هي خدمة جليلة للأمة، مادام المثقف بها يفكرا تفكيرا صائبا غير مغرور بنفسه ولا مختل في عقله، محمود بوزوزو هو بحق من الشباب المخلص في خدمة الإصلاح ونصرة المصلحين، ويمتاز بهذا عن غيره من بقية الرسميين، بالرغم من المراقبة التي يراقبه بها البعض".[1]

وفّق الله محمود بوزوزو في مسار دراسته وهيأ له أسباب النجاح فيها بفضل تربيته الدينية الأولى، ونشأته بين الزوايا والمساجد والمدارس القرآنية، وكذلك جهود والده الذي كان حريصا على تعليمه، كما يعتبر أن الإخلاص لله في كل الجهود التي يبذلها الفرد هو سبب نصرة الله له في جميع المجالات، حيث يقول في ذلك: "إن الإخلاص هو الشرط الأساسي لكل عمل صالح مثمر".[2] مستدلا في إثبات رأيه بالحديث النبوي الشريف: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى".

ذكاؤه العلمي والعملي ونشأته الاجتماعية؛ عوامل أهلته لولوج ميدان التربية والتعليم، وتكوين النشء، وإصلاح العقائد الفاسدة في المجتمع الجزائري المسلم، ثم الدعوة إلى الله، والتعريف بالدين الإسلامي الحنيف في نهاية المطاف، خاصة نضاله الدعوي في سويسرا في أوساط الجالية المسلمة هناك، وفي هذا المقام نورد شهادة الأستاذ محمد الصالح الصديق الذي قال عنه: "كانت علامات الذكاء الوقاد وإجلاله للعلم والمعرفة، ووقار الدين

[1] – علي مرحوم، مصدر سابق، ص5.

[2] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين من الناقدين، **محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي**، 24 جويلية إلى 10 أوت 1972، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص 117.

تبدو في وجهه المستنير وفي كل حركاته، وكان خفيف الحركة يبدو حزمه ونشاطه في مشيته، له صوت جهوري قوي حنين إذا خطب".[1]

والمتتبع لحياة بوزوزو ومسار تعليمه يلاحظ تلك العصامية والرغبة الشديدة في التحصيل العلمي، وبما أن طموحاته كانت واسعة فلم يكن يكتف بما يُقدَم له في المقررات العلمية طوال مسار دراسته، بل حرص على تنويع مصادر معرفته، كثير المطالعة وفي سن مبكرة لكل ما هو متاح له، وهو ما أشارت إليه وثائق الأرشيف الفرنسي من خلال إحدى تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية: "وعُرِف عن الفتى محمود حيويته، ونشاطه مع انضباطه في التحصيل"[2]. فجمع بين التراث العربي والغربي بحكم تلقيه تعليما مزدوجا وإتقانه للغة الفرنسية، وبين القديم والحديث، مما جعله عالما موسوعيا وجعل ثقافته واسعة.

اتصف بوزوزو بعدة صفات فقد كان ضليعا في تحصيله للعلم والمعرفة، عميقا في فهمه للقضايا والأحداث، تكونت على يديه عدة أجيال، وكان أيضا جوادا وخطيبا جيدا[3]، لذا كان المناضل عبد الحميد مهري–الذي عرفه جيدا سنوات الأربعينات والخمسينات، وكانت له مساهمة فعالة في جريدة المنار– معجبا بشخصيته المتميزة، وكتاباته ذات التوجه العربي والإسلامي، خاصة منها الداعية إلى الوحدة الوطنية من أجل تحقيق الاستقلال، ناهيك عن مقالاته التحليلية المناهضة للاستعمار، والداعية للتمسك بالدين الإسلامي الحنيف، ونصرة قضايا الأمة العربية الإسلامية، فيقول عنه: "محمود بوزوزو فكري ملتزم، مرتبط بوطنه، بدينه، وبالكتابة، كان عالما وهو مربي الأجيال، سخي، متحدث جيد، عرف كيف يجمع بين الثقافة والعمل، وترك آثاره التي لا تمحى مهما طال الزمن، كان حقا رجلا من الكبار ومن طينة العظماء".[4]

وتحية لجريدة المنار عند دخولها السنة الثالثة، وطرحها لموضوع الاستفتاء حول الوحدة الجزائرية بين الأحزاب الوطنية كما سيأتي تفصيله، تقدم الشاعر الجزائري علي صادق نساخ بقصيدة من اثنان وثلاثون بيتا نشرت في العدد الصادر بتاريخ 24 أفريل 1953م، منها ما ذكره الشاعر حول الجهود التي يبذلها محمود بوزوزو في سبيل رؤية وطنه وشعبه ينعم بالاستقلال، متحررا من قيود الاستغلال والقهر، وهي كالتالي:

---

[1] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص219.

[2] - C.A.O.M, dossier concernant Mahmoud BOUZOUZOU, Mouderrès intérimaire à bougie, 93/4257.

[3] – جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، **الكشافة مدرسة الجودة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2010، ص82.

[4] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p2.

يَّا أَبَا زُوزُو لَكَـــمْ أَدَّيْتَ مِنْ وَاجِباتٍ مَا لَهَا قَطُ اِنْحِصَارْ
كَمْ جَلَوْتَ الْحَـقَّ نُورًا سَاطِعًا وأَرَيْتَ القَوْمَ مِنْهَاجَ الفَخَارْ
يَّا أَبَا زُوزُو اِنِتَـــدِبْ مُنْتَضِيًّا قَلَمًا يَهْدِمُ جُدْرَانَ الاَسْبَارْ
أَنْتَ إِنْ أَبْدَّيْتَ رَأْيًّا فِي الْمَلَا أَيَّدُوا رَأْيَّكَ مِنْ دُونِ نَفَـارْ
سِرْ مَعَ التَّوْفِيقِ لَا تَخْشَ الْعِدَا فِي طَرِيقِ هُوَ بِالحَّـــقِ يُنَارْ
فَمَآَّلُ الشَّعْــــــبِ عِزٌ وَارْتِقَا وَمَآَّلُ الْمُسْتَبِدِّينَ البَـــوَارْ.[1]

وأهم ما يذكر عنه على وجه الخصوص هو الأهمية التي كان يوليها لقيمَتي العلم والعمل؛ العلم النافع المقترن بالعمل الصالح، فحسب معاصريه فإنه جمع بين العلم والعمل، إذ توصل بذكائه أن يجمع بين الثقافة والعمل وكذا حبه للكتاب، وخير دليل على ذلك مكتبته التي أهداها إلى المكتبة البلدية التابعة لمدينة جنيف؛ إذ تضم الآلاف من المجلدات بمختلف اللغات وفي شتى المجالات وتغطي؛ العلوم الدينية، الآداب، الفنون، التاريخ، الفلسفة، القانون والعلوم السياسية، العلوم الاقتصادية.[2]

ثقافته الواسعة، وفهمه العميق للحياة، سمحت له بإدراك الحقائق؛ فارتباط هاتين القيمتين لديه، أي العلم والعمل، هو ارتباط مرتكزين رئيسين عظيمين، تجمعان الجد والاجتهاد في التحصيل العلمي مع السعي في الحياة ونبذ الكسل والبطالة والجمود، فبهذا الارتباط تمكن من نشر الفكر التنويري، ومجابهة سياسة الإدماج والفرنسة.

وما تجدر الإشارة إليه أن محمود بوزوزو ترك مكتبة ثرية هنا في الجزائر أيضا، وقد آلت إلى الشيخ المهدي البوعبدلي[3]، ففي رسالته المؤرخة في 28 أكتوبر 1961م، يشير أنه يستثمر وقته في جنيف في سبيل المحافظة على التعاليم الإسلامية عند المسلمين المغتربين، لأجل ذلك كتب مقالا لنشره في إحدى المجلات، استشهد فيه ببعض الأحاديث التي يعرف مصدرها، ولكن تنقصه تلك المصادر لضبط الرواية، وتحقيق الحديث، مع ذكر الصفحة

[1] – المنار، س3، ع41، 24 أفريل 1953.

[2] - Décès de cheikh Mahmoud Bouzouzou, Intervention d' Abbas AROUA, directeur de la fondation Cordoue, vendredi 28 septembre 2007.

[3] – تولى الشيخ المهدي البوعبدلي حفظ الكتب التي تركها الشيخ محمود بوزوزو بعد نفيه من الجزائر سنة 1955م، وربما يكون الشيخ البوعبدلي قد نقلها إلى مكتبة عائلته بعد ذلك، لهذا من المحتمل جدا أن تكون كتب الشيخ بوزوزو محفوظة إلى اليوم بمقر الزاوية البوعبدلية الكائن ببلدة بطيوة، دائرة آرزيو في ولاية وهران، وما يؤكد ذلك تلك الرسائل المخطوطة المتبادلة بين الشيخ محمود بوزوزو وصديقه الإمام المهدي البوعبدلي سنوات الخمسينات والستينات من القرن الماضي؛ إذ عثر عليها الباحث عبد الرحمن دويب هناك بمقر الزاوية، لذا نلفت عناية الباحثين المهتمين بتراث الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية إلى ضرورة الاطلاع على هذا المكنون الثقافي، في محاولة لرصد أهم الكتب التي تركها، لأن ذلك يمكن أكثر من فهم التوجهات الفكرية للرجل، بعدما تعذر علينا زيارة هاته الزاوية إذ حاولنا التواصل مع القائمين عليها سواء أبناء أو حفدة، بما في ذلك الباحث عبد الرحمن دويب الذي تنقل إليها واستفاد من محتوياتها.

ورقمها حتى يسهل على القارئ الرجوع إلى الحديث عند الحاجة، طالبا أحد كتبه، مشيرا أن مكتبته بالجزائر نقلت إلى الشيخ المهدي البوعبدلي قائلا: "وبما أن مكتبتي قد نقلت إليكم، فأرجوا أن ترسلوا لي منها كتاب: الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الكبير ل: النبهاني، وهو في ثلاثة أجزاء، تركته بخزانتي...وإني أشكركم على كل ما تكلفتموه من السعي في حفظ المكتبة بالمسجد، جزاكم الله أنتم وجميع من شارك في هذا السعي كل خير، وأعانكم الله على ما تقومون به من حفظ التعاليم الإسلامية".[1]

وهذا راجع بطبيعة الحال إلى العلاقة الوثيقة بين الرجلين، والصداقة القوية التي كانت بينهما، إذ أن محمود بوزوزو ربطته أواصر متينة باثنين من زملائه نشطا جنبا إلى جنب، وهما المهدي البوعبدلي إماما، وحسن بولحبال مفتيا.[2]

يُذكَر أن الشيخ المهدي البوعبدلي غاب ذات مرة لمدة شهر بوهران فانقطع الاتصال بين الرجلين الآخرَيْن (بوزوزو وبولحبال)، فلما عاد المهدي من سفره اجتمع الثلاثة[3]، فأنّب المفتي حسن بولحبال صاحبه محمود بوزوزو عن الانقطاع عن زيارته، وقال في ذلك بيتا شعريا يحتفظ به بعض المقربين منهم إلى حد الساعة، وهو كالتالي:

غَابَ أَبو عبدِ الإلهِ فَهَجرْتَ المسجدَا   كَأَنَّما أَرْصَدْتَ فيه نَمِراً أو أسداً

وقد استمرت الُصحبة بين الرجال الثلاثة فترة طويلة من الزمن، ويتداول بعض معارفهم بمنطقة وهران الكثير من الأخبار والنوادر التي وقعت بين الأصحاب الثلاثة.[4]

وعن موقفه من واقع الإسلام في الجزائر، يرى بوزوزو أن الإسلام عامل من عوامل نشر الثقافة، وازدهار الأفكار، وتقدم الفكر البشري عامة، مؤكدا أن "النظام الإسلامي جاء حاملا معه الحقائق الروحية مرفوعة، فارتفعت الأرواح، وانفتحت العقول، وانبثقت الأفكار"،[5] فظهرت نعمة الله على الشعب الجزائري في إنتاج فكري

[1] – عبد الرحمٰن دويب، **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، المراسلات**، ط1، عالم المعرفة، 2013، ص 100.

[2] – توفي الشيخ البوعبدلي سنة 1992، أما مفتي بجاية حسن بولحبال فقد توفي في شهر مارس من سنة 1944م بمدينة وهران ودفن في قبة سيدي الهواري بوهران بوصية منه.

[3] – ينظر الملحق رقم 08: صورة للثلاثة، الشيخ حسن بولحبال في الوسط وعلى يمينه المهدي البوعبدلي وعلى يساره محمود بوزوزو سنة 1942م، وهي صورة من مخلفات المهدي البوعبدلي متوفرة بالزاوية البوعبدلية بمنطقة بطيوة في ولاية وهران.

[4] – عياض بوعبدلي ابن أبي عبد الله الرزيوي الأخ الأصغر للمهدي البوعبدلي، كان شيخ زاوية سيدي بوعبد الله ببلدة بطيوة دائرة آرزيو، نقلا عن الباحث عبد القادر خليفي الذي لقيَّه في فيفري 2003 بوهران وسجّل عنه هذه الشهادة. ينظر: عبد القادر خليفي، حسن بولحبال مفتي وهران، **إنسانيات**، عدد مزدوج 23-24، جانفي-جوان 2004، ص34.

[5] – **المنار**، س1، ع03، 20 أفريل 1951.

ثري، شمل جميع نواحي الحياة الدنيوية والأخروية، ونبغ علماء وأدباء ومفكرون كبار وحكماء، معتمدين في أبحاثهم على الحكمة الإسلامية والفلسفة القرآنية والتفكير الإسلامي المحفز على البحث والاستقصاء.

تحدث بوزوزو بإسهاب عن تعاليم الدين الإسلامي ودورها في إذكاء جذوة الفكر، معتبرا أنها قدمت -ما لا يدع مجالا للشك-أوامر تخاطب الفكر حاثة على العلم والمعرفة بالوسائل الطبيعية، من استعمال الحواس والعقل والتأمل في الكون والحياة، مع لفت النظر إلى أقرب الأشياء المحسوسة التي تشاهد عادة من طرف المخاطبين[1] مستدلا بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {17} وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ {18} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.[2]

لذا نجده في أفكاره وخطبه وحديثه وأسلوبه في الكتابة والكلام ابن القرآن الكريم، مما يفسر ذلك الارتباط الوثيق والتلازم بينه وبين الدين الإسلامي، إذ أثنى أغلب من عرفوه عن قرب على أخلاقه الكريمة، وأعماله الجليلة التي عرف بها، أظهرها أثر الدين في سلوكه ومعاملاته؛ عفة في القول، وقناعة ورضا بالمقسوم، وحرص على نفع الناس[3]، إذ برز تأثره بالقرآن الكريم في جل كتاباته، وحتى في معاملاته اليومية وأفعاله.

يقول في القرآن الكريم معتبرا إياه أعظم قدوة للمسلمين: "في القرآن الكريم نور يهتدي به المؤمنون في ظلمات المشاكل والمصائب، فيه بيان سر الفتن التي تصيبهم، والمواقف الملائمة لهم في حالة الضعف عن دفعها وفي حالة القدرة على درئها، إذ نبّه الوحي إلى أن السر في الفتنة وضع معيار للصدق في التعلق بالحق". مشيرا أن عناوين السور في القرآن الكريم، تثير فضولا علميا لديه ذو طابع موسوعي من أجل اكتشاف عظمة الله في خلقه.[4]

انتقد المناضل محمود بوزوزو الاستعمار الفرنسي نقدا لاذعا، بطريقة مباشرة مشحونة بقوّة الحجة كقوله: "إنكم وجدتم شعبا معتزا بقوميته، يحمل نحو وطنه نفس العواطف التي تحملونها نحو وطنكم، ويحمل نحو مقوّماته نفس الاعتزاز الذي تحملونه نحو مقوّماتكم، يرى استنقاصا له أن يسمّى بغير اسم جنسه، كما ترون استنقاصا لكم أن تنسبوا إلى غير جنسكم، وإذا أردنا لذلك تمثيلا قلنا: لو فرضنا أن قُدّر للألمان أن يدوم احتلالهم لفرنسا

---

1 - محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص 110-111.

2 - سورة الغاشية، الآية من 17-20.

3 - محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 216.

4 - V.H, L'Imam Bouzouzou conseillé et instructeur, **Journal de Genève**, 1991.

مائة سنة، فهل كنتم ترضون أن تسمّى فرنسا قطرا ألمانيا؟ أو ترضون أن تسموا "ألمانيين فرنسيين"؟ ألا تنفرون من ذلك نفوركم من التفوّق العنصري النازي؟".[1]

مؤكدا أن النظام الاستعماري الأروبوي من أكبر العوامل على تأخر البشرية وتقهقرها في الميدان الفكري، ولا يمكن أن يكون فيه إنتاج فكري جدير بالذكر وذلك لأن الاستعمار الأوربي قائم على تغليب الحقائق المادية على الحقائق الروحية، بل إنه يقتل الحقائق الروحية ويقضي عليها لأنه يتنافى وإياها، "فهو قائم على الاغتصاب والنهب والسلب والاستغلال للأرض المغصوبة ومن فيها من البشر، فهو لا يرى الإنسان المستعمَر إلا آلة مسخرة له يستخدمها لمصالح مادية لا أكثر".[2]

وعليه، كانت جهوده موجهة إلى خلق الظروف الملائمة للمدنية الصالحة، مشيرا أنه لا يتحقق ذلك إلا بزوال تلك الظروف الفاسدة الناتجة عن الوضع الاستعماري، فكان أهم شيء أشار إليه والذي يعتبره أصل الداء وعلة العلل، هو قضية علاقة بين أمتين مختلفتين ثقافة؛ أمة غربية لها قيم خاصة، وأمة شرقية ذات قيم يجمعها الإسلام، ولا يمكن تمازج الثقافتين لأن العلاقة بين الأمتين قائمة على الظلم والطغيان، لا على التعاون وحسن الجوار ومن هنا جاء هذا الداء "الاستعمار"، ولا دواء لذلك إلّا في مراجعة هذه العلاقة وتجديد بنائها على أساس الاحترام والتعاون.

ومن جهة أخرى كال للاستعمار جميع الأوصاف المعبّرة عن التوحّش والظلم، القهر، الاستبداد والعنصرية، فوصفه بكونه رسول الشيطان، وجرثومة الفساد في الأرض، وعين الفوضى، وبكونه نظاما ينتج الباطل والاستعباد والحقد والعنف، ويفسد الطبع البشريّ السليم، وينكر المدنية بتعطيل المواهب وسدّ أبواب التقدم، ومن الأمثلة الحيّة التي أبرز فيها طبيعة الاستعمار العنصرية، نذكر: "تسوية مليون فرنسيّ بعشرة ملايين عربيّ كما هو ظاهر في المجلس الجزائريّ، وتفضيل الفرنسيين على العرب كما هو الحال في المجالس البلدية".[3]

انتقل بعد ذلك للتأكيد على أن الاستعمار يقضي على المدنيات، فإذا تسلط على شعوب ذات مدنية، فيقضي على مدنيتها؛ يقضي على لغتها، ويدفن تراثها الفكري، ويسعى في قطع الصلة بينها وبين ماضيها المجيد، والحيلولة بينها وبين المستقبل، وهو ما نلاحظه في النظام الاستعماري في الجزائر، "فمنذ ما يزيد عن قرن من قيام النظام الاستعماري في الجزائر لم يبرز فرد واحد، ولم يظهر عبقري واحد في فن من فنون الثقافة، لأنه يعاني سياسة

[1] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 12.

[2] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[3] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 12. **البصائر**، السلسلة 2، ع 16، 22 ديسمبر 1947.

التجهيل والتفقير التي ترمي إلى القضاء على المواهب الخلاقة، فإذا تيقظ ضميره صرف همه إلى التحرر من القيود، وإذا أنتج شيئا كان إنتاج في دائرة محدودة حول الحرية".[1]

يرى أن الأمة الجزائرية بحكم تقاليدها وقيمها الروحية جزء من العالم العربي والإسلامي، يرتبط مصيرها بمصيره، أما علاقتها بالغرب فهي علاقة جوار، صارت بحكم الاستعمار الفرنسي علاقة مظلوم بظالم، أي علاقة عداء تنفرها من الغرب، ومما يزيدها نفورا منه تسلطه على العالم العربي والإسلامي وعلى الشرق كله بالإذلال والاستغلال.

بناء على ذلك، يؤكد أن الغرب لا يزال في نظره مبتعدا عن التعاليم الإنسانية التي يدّعيها، لأنه يعمل بقاعدة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ويعتبر إراقة الدم البشري ثمنا للحرية، ويعتبر الحرب حلا للنزاع، ومادام متماديا في هذا التفكير وهذا السلوك فلن تعرف البشرية هناء، ولن يكون للسلم قرار ولا للمدنية ازدهار، وهذا السلوك سيؤدي حتما إلى الدمار وليس من فائدتنا ربط مصيرنا به. ويعتقد بوزوزو أن المسلمين بحكم دينهم يتحملون قسما كبيرا من المسؤولية عن مصير البشرية، لذا وجب على المستضعفين منهم أن يسعوا في التحرر وعلى الأحرار منهم أن يحرروا إخوانهم.[2]

وعلى إثر زيارة وزير الداخلية الفرنسي إلى الجزائر في ديسمبر سنة 1953م، علق الأستاذ محمود بوزوزو على تلك الزيارة بمقال أوضح فيه أن الأمة الجزائرية لها كيانها الروحي الخاص، ومنفصلة تماما عن التراب الفرنسي، مبديا نقمته على "فكرة الجزائر جزء من الاتحاد الفرنسي"، داعيا الوزير إلى مراجعة توجهاته قائلا: "ولا شك أن الوزير الزائر لاحظ عند هذا الشعب لغة غير لغته، وتاريخا غير تاريخه، ودينا غير دينه، وتقاليد غير تقاليده، وثقافة عريقة الصلة بالمدنية الإنسانية، هذا واقع إن كان يجهله الوزير من قبل، فإنه علِمَه في جولته علم اليقين، كما علم أن مسألة ثلاث مقاطعات فرنسية في الجزائر حديث خرافة، وأن الاتحاد الفرنسيّ أسطورة عند أمّة لا يربطها بفرنسا إلاّ الإذلال والاستغلال".[3]

لا شك أن هذه المواقف الثابتة لمحمود بوزوزو، ونظرته الناقمة على الاستعمار وسياسته العنصرية في الجزائر، والتي تجلت في أغلب كتاباته الصريحة موجها انتقادات لاذعة لرواد الحركة الاستعمارية في الجزائر وفي كل البلدان المستعمرة، هي من فتحت أعين الفرنسيين عليه؛ إذ لم يغب عن عيون فرنسا، بدليل المتابعات

[1] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.
[2] - **المنار**، س2، ع1، 11 أفريل 1952.
[3] - **المنار**، س3، ع11، 11 ديسمبر 1953.

والاعتقالات الدائمة، ناهيك عن تعرّضه للاعتقال والتعذيب، ثم النفي خارج أرض الديار بعد اندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954م.

كانت له علاقات وثيقة مع المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي اقترح مفهوم "القابلية للاستعمار"، مما يعني أنه عندما يكون ثمة استعمار، فهناك بالضرورة استعداد في المجتمع لقبول المستعمر، والخطوة الأولى في عملية إنهاء الاستعمار، هي إدراك هذا الوضع ومحاولة تغييره، كما تعرض بالتفصيل لما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[1] وهي نفس الفكرة التي راهن عليها محمود بوزوزو، مؤكدا أن التغيير يجب أن ينطلق من ذات الفرد، مع التركيز أكثر على الواجبات معتبرا الحقوق نتيجة حتمية لأداء الواجبات.[2]

إذا أكدا على قانون "تغيير الذات" الذي سيؤدي إلى الأفضل، فشعور المرء بذاته، ووعيه بواقعه، سيؤدي لا محالة إلى شعوره بضرورة التغيير والتحوير، والسعي نحو الرقي والتطور، الأمر الذي جعله في غالب الأحيان يوجه انتقاداته لجمود الجزائريين، وعزوفهم عن النهوض بالمجتمع الجزائري، داعيا بكل الوسائل إلى الاهتمام أكثر بالمشاريع النهضوية الاجتماعية، خاصة ما تعلق منها بالمدارس، الجمعيات والهيئات الثقافية، الكتابة في الصحف والمجلات، وإنشاء الجرائد وغيرها، إيمانا منه بدورها في النهوض بالمجتمع الجزائري وتنويره.

ونظرا لعلاقته الوطيدة مع المفكر المرحوم مالك بن نبي، والثقة المتبادلة بينهما، خاصة في المجال الفكري، فقد رشح هذا الأخير الشيخ محمود بوزوزو لترجمة كتابه "الظاهرة القرآنية"، يقول محمود بوزوزو في ذلك: "لما ألف كتابه باللغة الفرنسية، وأراد أن يترجمه إلى اللغة العربية، فطلب مني مشاركته في الترجمة".[3]

لكن بوزوزو اعتذر عن عدم قدرته على القيام بذلك لأسباب عديدة، منها كثرة انشغالاته بأمور المسلمين في الغرب، وتنقلاته الدائمة، فأحال وقتئذ مالك بن نبي ترجمة كتابه إلى الكاتب المصري عبد الصبور شاهين.[4]

ومع تبني محمود بوزوزو لخيار الكفاح المسلح في النهاية، إلا أنه راهن على "مسألة التحويل"؛ أي كيفية كسب قلب الخصم، إذ اهتم واسعا بهذه المسألة، وفكر فيها بإسهاب، وهو ما نستشفه من خلال ما ورد في إحدى كتاباته: "يمكننا أن نناضل من أجل الحق بدون حقد، وفي حالتنا فهمت أن علاج الحقد هو حل نصف

---

[1] – سورة الرعد، الآية 11.

[2] – عباس عروة، آثار الشيخ محمود بوزوزو، مصدر سابق، ص 238.

[3] – عدنان الربيع، مصدر سابق، ص177.

[4] - Mustafa HABES, Le savant Algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou : le chef spirituel de la guerre de libération, à servi l'arabe et s'est consacré l'islam en occident durant un demi-siècle, **Hoggar**, 10 décembre 2019, p11.

المشكلة، أمّا النصف الآخر، الذي له صله بأصل الحقد، فيكمن في روح الهيمنة التي لا تقبل قابلية للعلاج، وبعد أن رأيت أن غربيا متحررا من روح الهيمنة، وأفريقيا متحررا من الحقد يمكن أن يصلا إلى الوحدة، اكتشفت أن نضال أحدهما من أجل الآخر أكثر فائدة للإنسانية من نضال أحدهما ضد الآخر".[1]

فبالنسبة إليه، يرى أن مهمة الأنبياء والمرسلين، وكل من يقتدي بهم من البشر، تكمن في تحويل الخصم إلى صديق، وليس هزيمته، وفي كسب القلوب واستمالتها، وليس استعبادها والتسلط عليها[2]، وهو ما ورد في إحدى افتتاحيات جريدة السنة النبوية[3] التي يشرف عليها الشيخان الطيب العقبي ومحمد السعيد الزاهري: لسنا أعداء لفرنسا، ولا نحن نعمل ضد مصلحتها، بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة.

وعليه غالبا ما وجدنا محمود بوزوزو يحرص في كتاباته على الثبات على فكرة مفادها أنّ "تحويل الأعداء إلى أصدقاء هو أسمى عمل أخلاقي في العلاقات الإنسانية".[4]

لهذا الغرض، انضم عام 1955م إثر مغادرته الجزائر إلى حركة إعادة التسلح الأخلاقي[5] (Réarmement moral) في مدينة كو السويسرية، المعروفة الآن باسم مبادرات التغيير (Initiatives de changement)، تلك الحركة التي كان لها بالغ الأثر في نفسه.

وفيما يتعلق بنضاله من أجل استقلال الجزائر يتساءل: كيف يمكننا أن نحقق حرية حقيقية للجزائر؟ إن عبيد روح الهيمنة والاستغلال والاستعلاء لا يمكن أن يمنحونا إياها، كما أن عبيد الطموحات والمخاوف والضغائن

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p67.

[2] - تأسف محمود بوزوزو، على سبيل المثال، لكون الشعب الجزائري لم يستطع تحويل الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر لمدة 132 سنة، كما فعل مسلمو بلاد ما بين النهرين مع المغول، نقلا عباس عروة، محادثة شخصية مع محمود بوزوزو، سويسرا، 2005.

[3] - **السنة النبوية**، س1، ع2، 17 أفريل 1933.

[4] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p67.

[5] - تأثر الأستاذ بوزوزو بنشاط الوطنيين الكبار أمثال علي الحمامي الجزائري الذي جال في الشرق والغرب، والمفكر العربي شكيب أرسلان، الذي استقر بمدينة جنيف للعمل والمرافعة لصالح قضية تحرر العالم العربي من نير الاستعمار وفق مبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها"، فأدرك بوزوزو أهمية كسب الرأي العام الدولي لمناصرة القضية الجزائرية، وهو ما جعله يتقرب من المجتمع المدني الغربي عن طريق جمعية تدعى جمعية حوار الأديان للتسلح الأخلاقي التي أسست على أساس الحوار، لا على أساس صدام الحضارات، محاولا استغلال القيم الإنسانية التي تشكل قاسما مشتركا بين الأديان، فقد كان وجوده في هذا الفضاء اختراقا للمجتمع المدني الغربي، محاولا استعمال آلياته التنظيمية بغية خدمة وطنه. ينظر: محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 53.

ولعل ما يؤكد ذلك تأكيد المؤرخ محفوظ قداش وجود اتصالات وحوارات بين ك.إ.ج ومحمود بوزوزو عندما كان مرشدا عاما من جهة، وبين الطلبة الكاثوليك والبروتستانت وكشافة الجمعيات الأوربية من جهة ثانية. ينظر: محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، 1939-1951، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 1162.

لا يستطيعون منحها إياها، فقط الأحرار حقا، ذوو القلوب النقية والأيادي الطاهرة، يمكنهم جلب هذه الحرية الحقيقية إلى بلادهم وإلى العالم، ومن أجل هذه الحرية قررت النضال.[1]

حيث أدرك أن الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة للشعب الجزائري لاسترجاع سيادته المسلوبة، بعد عقود من النضال السياسي، متأسفا من كون الإدارة الاستعمارية الفرنسية لم تكن تضع في الحسبان النضال السياسي السلمي للجزائريين–السياسي النقابي والثقافي–فكتب سنة 1952م في ذلك قائلا: "والاستعمار لا يذعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت".[2]

يرى أنه كلما ارتفعت همة المرء كلما مضى قدما في تحقيق مبتغاه، مستشهدا في ذلك بهمة المتنورين ورجالات الفكر والإصلاح في العالم، وحتى يوضح أثرها، وإجبارية الاقتداء بها، سعى عبر عدة مقالات إلى الإشادة بها، بالاستناد على مرجعيات تاريخية عاصرها، تأثر بها، ورأى فيها همة منقطعة النظير، مستشهدا بنماذج بشرية، نقلت شعوبها من ظلم وجور الاستعمار إلى نعيم ورفاهية الحرية والاستقلال.

فكان من أشد المعجبين بسياسة اللاعنف التي تبناها المهاتير غاندي، هذا الأخير الذي تأثر به كثيرا وبكفاحه السلمي، والقيم الروحية التي نادى بها، يقول في ذلك: "غاندي إنه حجة الروحانية في عصر لا يؤمن إلا بالمادة، وإنه المثال الذي أعطى للعالم الحديث درسا في تقدير القيم العليا...وبحق لقبه قومه الروح الأعظم". ذاكرا أن شخصيته أصبحت محل إعجاب وإكبار من سائر المفكرين على اختلاف أجناسهم وأديانهم، مشيرا أن العبرة من كفاحه بوجه عام من أعظم العبر التاريخية؛ "لأن هذا الكفاح لم يكن قائما على قضية بين الهند وإنجلترا، ولكن بين عالم الروح وعالم المادة، معتبرا المعركة بين غاندي والاستعمار الإنجليزي معركة يتوقف على نتيجتها مصير الحقائق الروحية التي لا يزال يعيش بها ملايين من البشر منذ قرون".[3]

وعليه، لم يخف تأثره بفكر غاندي السلمي، والداعي إلى اللاعنف معتزا بالتجربة الهندية في النضال، إذ عرّض هذا الأخير حياته للخطر بصوم ينتهي به إلى الموت إن لم تطبق القاعدة؛ "فانحلت المشكلة وحقنت الدماء، وساعد على ذلك تقدير الشعب لزعمائه، وطاعته لهم، ولا نجاح لشعب لا يُقدِر زعماءه ولا يطيعهم".[4] معتبرا أنها طريقة جليلة في حل المشاكل، وأنها عبرة لمن يعتبر ويحب الخير للإنسانية جمعاء.

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p67.

[2] - **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[3] - **البصائر**، مج 5، ع23، 16 فيفري 1948.

[4] - نفسه.

ونظر لثقافته الواسعة، بعد أفقه، ومواقفه اتجاه العديد من القضايا جعلت أغلب من عرفه يشيد بأخلاقه ومناقبه، من ذلك ما ذكره البروفيسور هنري بابل[1] وإشادته في إحدى تدخلاته في تأبين الشيخ محمود بوزوزو بأخلاق الرجل، معددا مناقبه كرجل دعوة، مذكرا بموسوعيته قائلا: "إن الشيخ محمود هو بحق مكتبة متنوعة شاملة لكل فنون المعرفة".[2]

فكان شغوفا باكتساب شتى المعارف والعلوم، مولع بالفلسفة وعلم النفس والأدب بما في ذلك قراءة الروايات، مشيرا إلى أنه يتوجب على كل فرد توسيع مداركه، وتنويع مصادر اطلاعه، وهو ما أكده في مقال موسع نشره في ثلاث حلقات متتالية بداية من العدد الأول من صدور جريدته المنار، فيقول: "وللحاجة الروحية من القوة ما للحاجة المادية، وإن كانت المظاهر المادية في الوجود أغلب من المظاهر الروحية، وما تنبغي ملاحظته هو أن الحاجة المادية محدودة ويمكن سدها بأقل شيء، بينما الحاجة الروحية لا تقف عند حد، فإنه يمكن سد حاجة الجسم بالخبز والماء ولباس بسيط يقي الجسم الحر والبرد، ولا يمكن سد حاجة الروح بالشعر وحده أو الفلسفة وحدها أو علم واحد من العلوم التي وصل إليها الفكر البشري".[3]

وهو يقصد بذلك أيضا ضرورة سمو الفكر الإنساني، وترقيته، وتحريره من شوائب الماديات، وهي دلالة قوية على تمسكه بالقيَّم الروحية، ونبذ المادية، وهو ما يظهر في قوله: "وإننا نسأل الله تعالى الكفاف والعفاف في هذا الوسط الذي طغت عليه المادية إلى أن أصبح فيه المال هو الرّب المعبود، وإننا نسأل المولى عز وجل أن يحفظ قيّمنا الرُّوحية".[4] راجيا من الله عز وجل أن يحفظه من الوقوع في هذه الغواية، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.[5]

وعلى إثر الرسومات الكاريكاتورية المعادية للإسلام، التي أثارتها الدانمرك خاصة، وأوروبا بشكل عام سنة 2006م، من خلال الإساءة للرسول محمد ﷺ، صرّح الشيخ بوزوزو بأن:"هذه الأزمة تعتبر ضمن الآفات التي

[1] – هو كاتب مسيحي معروف له ما يربو عن أربعين مؤلفا، يعد أحد المنظرين القلائل في أوربا للمسيحية والحوار بين الديانات، زامل هذا الأخير الشيخ بوزوزو منذ عشرات السنين.

[2] – محمد مصطفى حابس، الأب الروحي للثورة الجزائرية، العلامة الشيخ محمود بوزوزو خدم العربية وتفرغ للإسلام في الغرب خلال نصف قرن من عمره، **السلام**، س9، ع 2589، 13 نوفمبر 2019، ص7.

[3] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[4] – رسالة من محمود بوزوزو إلى الشيخ المهدي البوعبدلي مؤرخة في 28 أكتوبر 1961. نقلا عن: عبد الرحمان دويب، مرجع سابق، ص95.

[5] – سورة الكهف، الآية 46.

تهدد الإنسانية، والمتمثلة في انعدام المساواة وجهل الآخر وعدم تقبله"، معتبرا إياها إهانةً لأهم الرموز والمعالم الدينية للمسلمين من قبل المعتدين، مؤكدا أن: "الشعور بالظلم يؤدي إلى الغضب ويولد حتى الكراهية".[1]

وفي الوقت ذاته تجده-رغم عنصرية الغرب ومعاداتهم للإسلام والمسلمين-لا يزرع العناد والتعنت، ولكنه على العكس من ذلك يدعوا إلى حل المشاكل بالطرق العقلانية، بعيدا عن النزعة العنصرية التي يراها مدمرة لصاحبها، مع الحث على احترام الكرامة الإنسانية.[2]

وبالتالي أبدى تذمره من رد فعل الشعوب المسلمة على الرسومات التي دنست صورة الرسول ﷺ، والتي تعبر -في نظره- عن الإحباط والشعور بالظلم، منتقدا أشكال الاحتجاج العنيفة التي أُحرِقَت على إثرها بعض سفارات الدول الإسكندنافية في كل من سوريا ولبنان قائلا: "بأنه عمل يستحق الشجب فورا، سواء أكان عفويا، أو نتيجة لبعض القرارات والإجراءات السياسية".[3]

مؤكدا أن الاختلاف الديني والجنسي والعرقي واللغوي لا يجب أن يكون سببا في التباغض بين الأمم والشعوب، معتبرا الاختلاف نعمة داعيا إلى ضرورة تقبل الآخرين بقوله: "فمن عين الحكمة أن تعتبر الثروة كل الثروة، والخير كل الخير في اختلاف الأمم والشعوب، ولا يكفي فقط التعرف على الآخرين، ولكن يجب الاعتراف بهم أيضا".[4]

كما فسر ذلك بغياب العدل في العلاقات الدولية، وبعدم معرفة الشعوب لبعضها البعض، واعتبر مثل هذا السلوك خطرا يهدد الإنسانية، من أجل ذلك كان دائما يدعو إلى التعارف والتعاون والانفتاح على الغير.[5]

لذا فقد تميزت مواقفه بالاعتدال ومحاورة الآخر، بل ويُعتبر من أكبر دعاة وسطية الفكر، فهو كما ذكره أحد معاصريه؛ "رجل متفتح للحوار والنقاش وحجته أصيلة وقوية للغاية، ويستحق أن يكون مثلا يقتدى به عبر الأجيال".[6]

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées! Point de vue sur l'affaire des caricatures, **la tribune de Genève**, 11 février 2006,

جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص82.

[2] - V.H, L'Imam Bouzouzou conseillé et instructeur, **Journal de Genève**, 1991.

[3] - Mahmoud BOUZOUZOU, Ayons la sagesse, op.cit.

[4] - جمعية قدماء الكشافة الإسلامية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص82.

[5] - محمد أرزقي فراد، محمود بوزوزو مثقف عاش للجزائر، مرجع سابق، ص 28.

[6] - محمد مصطفى حابس، الأب الروحي للثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص7.

وعليه كان دائما يدعو إلى إعمال الفكر والضمير، لأنهما أساس بناء العلاقات بين الأفراد والشعوب، مشيرا إلى نبذ الأخلاق البالية والتمسك بالقيم الإنسانية الفاضلة، يقول في هذا الشأن: "وإنه لمن أصعب التكاليف أن يسمو الإنسان فوق الاعتبارات التقليدية إلى الاعتبارات الإنسانية البحتة، وفي هذا تحدي صارخ للاعتبارات الضيقة، وأعلى درجات السمو الروحي التي يصل إليها الإنسان إذا استمع إلى داعي الضمير فقط".[1]

كان الأستاذ محمود بوزوزو من ذلك الجيل الذهبي الرائد الذي دافع بشراسة عن الحضارة العربية الإسلامية في أوربا، بلغات أهلها وبطرائق علمية راقية أفتكت إعجاب الأوربيين، إذ ساهم رحمه الله في ترجمة القرآن الكريم مع كل من محمد حميد الله وجون لوي ميشون، كما ساعد في إخراج وتأليف العديد من الكتب والدراسات مع غير المسلمين، دون ذكر حتى اسمه أحيانا كثيرة.[2]

وعن شدة تأثيره في أتباعه، والطريقة العلمية التي يطرح بها أفكاره؛ إذ أصبح كثير من المثقفين الأوربيين ينظرون إلى الإسلام بعين الاهتمام ويتناولونه بالبحث والدراسة، مما جعل بعض أعلام الفكر الغربي يعتنقون الإسلام دون تردد، بل ويعلنون إسلامهم على يده أمثال: موريس بوكاي، والفيلسوف الفرنسي رجاء غارودي الذي اعتنق الإسلام على يدي بوزوزو سنة 1403هـ/1968م في جنيف؛ حيث استفاد من مكتبة وتوجيهات الشيخ بوزوزو لعدة سنوات، في نشر العديد من المؤلفات الهامة، منها ما نشر حول الإسلام بعد اعتناقه له، وزواجه من امرأة مسلمة، وقد بلغ عدد كتبه السبعين أو تزيد.[3]

الأمر الذي دفع بالمفكر محمود بوزوزو إلى القول بأنه على يقين أن الباحث عن الحق إنما يجده في الإسلام، إما أن يعترف به فيعلن إسلامه كما فعل رجاء جارودي، أو لا يعترف به فيكتم الحق، ولا يعلنه لغيره أمام الملأ، ولكن لا يحاربه، موقنا أن اعتناق رجاء جارودي للدين الإسلامي سيكون له أثر ريادي في العالم المسيحي، خاصة في مجال إسلام بعض الباحثين عن الحقيقة من رجالات الفكر الغربي، على الرغم من حملات الانتقاد التي يشنها عليه بعض المغرضين من أعداء الإسلام، فالرجل من كبار المفكرين له تلاميذ ومدرسة فكرية مميزة، وهذه المدرسة ستتأثر -من دون شك- بموقفه هذا، وإعلان إسلامه، وحتى بما ألف من كتب عن الإسلام.[4]

[1] - **البصائر**، مجلد 5، ع23، 16 فيفري 1948.

[2] - مصطفى حابس، الجالية المسلمة تتذكر أحد رجالات جمعية العلماء مرجع سابق، ص10.

[3] - Mustafa HABES, Le savant Algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou: le chef spirituel de la guerre, **Hoggar**, op. cit, p11.

[4] - محمود بوزوزو، مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب، مصدر سابق، ص 64.

بهذا التواضع كسب المفكر محمود بوزوزو عقولا غربية معتبرة، وبهذا النهم وهذه الهمة ساعد غيره في أعمال ثقافية عديدة، أمثال الكاتب الصحفي السويسري روجي دي باسكيي في تأليف كتابه "اكتشاف الإسلام"، وقد اعتنق هذا الأخير أيضا الإسلام وأصبح من المدافعين الأشاوس عن بيضته في العالم الغربي بقلمه ولسانه.[1]

2-تجربته الشعرية:

إن نظم الشعر عند محمود بوزوزو بدأ في فترة مبكرة من حياته؛ إذ أصبح مهتما بالقراءة والمطالعة، خاصة تلك الكتب القديمة والدواوين الشعرية التي وجدها في مكتبة والده، نستشف من هذا أنه تكونت لديه روح وطنية اكتسبها بالدرجة الأولى من محيطه العائلي، وهو ما أكده بقوله: "هذا الماضي الرائع الذي تغنت به القصائد العربية ملأني فخرا واعتزازا، مما دفعني إلى شغف تعلمه، وبالفعل حفظت تلك القصائد حالما وجدتها في مكتبة عائلتي".[2]

وهو أمر بديهي لما عرف عن الفتى من أوصاف عقلية؛ فكان ذكاؤه وقادا، وكانت له حافظة قوية نادرة في زمانه؛ إذ كان يحفظ الآلاف من المتون والأشعار والكثير من الأدب العربي، وعن سعة باعه في الشعر والأدب يقول الأستاذ يحي باسلامه المسؤول السابق في المؤسسة الثقافية الإسلامية في مدينة جنيف السويسرية: "كان بوزوزو يحفظ الأشعار القديمة والحديثة، وكان يقرض الشعر أيضا، وكنا نتمتع بالجلوس معه".[3]

فتأثره بإنتاج أجداده، واطلاعه على كل ما هو جديد، ومواكبته للإصدارات الحديثة في كل من الأدب والشعر الجزائري والعربي وحتى العالمي، مكنه من إبراز تجربة شعرية نضالية خاصة على قلتها، ارتبطت هذه التجربة بنضاله السياسي والثقافي، وتماشيا مع تطور الأوضاع في الجزائر المستعمرة؛ فاتخذ من الشعر تنفيسا وتعويضا عما تنزع إليه روحه دون أن يتمكن من تحقيقها آنذاك.

يرى أنه كما للجسم حاجات يتغذى بها وتمده بالقوة، فإن الروح أيضا في حاجة إلى ما يغذيها ويمدها بالقوة، وحسبه فإن للحاجة الروحية من القوة ما للحاجة المادية، وإن كانت المظاهر المادية في الوجود أغلب من المظاهر الروحية.

[1] – مصطفى حابس، الجالية المسلمة في أوربا تتذكر أحد رجالاتها، مرجع سابق، ص7.

[2] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p 67.

[3] - **En Mémoires de cheikh Mahmoud Bouzouzou**, Ouvrage édité par les enfants du défunt, Achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie Talantikit, Bejaia, Alger, 2017, p23.

وما تنبغي ملاحظته، أنه يؤكد دائما أن الحاجة المادية محدودة يمكن سدها بأقل شيء عكس الحاجة الروحية التي لا تقف عند حد؛ فإنه يمكن سد حاجة الجسم بالخبز والماء ولباس بسيط يقي الجسم الحر والبرد، وعلى العكس من ذلك، لا يمكن سد حاجة الروح بالشعر وحده أو الفلسفة وحدها أو علم واحد من العلوم التي وصل إليها الفكر البشري، وبعبارة أوجز قد يقوم الخبز والماء مقام سائر الأطعمة المتنوعة في سد حاجة الجسم، ولكن لا يقوم فن من الفنون أو علم من العلوم مقام الفنون الأخرى والعلوم الأخرى في سد حاجة الفكر.[1]

معتبرا هذا أمر طبيعي؛ إذ أنه يلبي رغبات النفس التي لا نهاية لها، والقائمة أساسا على حب المعرفة والتطلع الدائم إلى البحث والفهم والإدراك لحقائق الأشياء، معتبرا إياه تعبيرا عما في النفس من العواطف والأفكار والخواطر والأخيلة التي لا تشابه بينها، والتي لا يقوم بعضها مقام البعض.

أما عن محاولاته الأولى في نظم الشعر، فهي تعود إلى تاريخ إعلان الحرب العالمية الثانية سنة 1939م؛ إذ ظهرت مع هذا التاريخ أولى قصائده، يقول في ذلك: "لي شيء من الشعر كتبته ابتداءً من إعلان الحرب العالمية الثانية سنة 1939م، حين طلب الفرنسيون من المسلمين الجزائريين أن يتطوعوا في الجيش الفرنسي".[2]

وهو أمر طبيعي، إذا اعتبرنا الشعر وسيلة فعالة للدفاع عن قضايا الأمة، وجزء متصل بالمحيط الاجتماعي للأفراد، ونتاج أحداث معينة، وعليه فهو يحمل دلالات عميقة؛ سياسية، ثقافية، اجتماعية وغيرها؛ فالتجارب الشعرية ما هي إلا أحاسيس ذاتية واختلاجات يعبر من خلالها صاحبها عن ما يجول داخله من آلام وآمال، وما يطمح إلى الوصول إليه من قيّم ومبادئ، في محاولة لحل مشاكل المجتمع الجزائري، أو حتى الدفاع عن قضايا الإنسانية جمعاء.

وهو ما تجسد في هاته الأبيات الشعرية التي أبدى فيها موقفه من تجنيد الجزائريين طواعية للقتال في صفوف الجيش الفرنسي، إذ كانت له قصيدة في هذا الشأن[3]، جاء في مطلعها:

رَأَيْتُ جُنُــودَ الْمُسْلِمِينَ تَأَهَبُّوا ... إِلَى غَزْوَةٍ لَيْسَــتْ إِلَى اللَهِ تُنْسَبُ
فَقُلْتُ لِجُنْدِيٍّ مَرَرْتُ بِهِ ضُحَى ... بِعَيْشِكَ أَخْبِرْنِّي إِلَى أَيْنَ تَذْهَــبُ
أَأَنْتَ اِمْرِئٍ مِثْلَ الْأَحْرَارِ مُدَافِعٌ ... عَنِ الْمُثُلِ الْعُلْيَا إِذَنْ لَكَ مَــذْهَبُ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ هَــؤُلَاءِ آدَمِيَّةٌ ... بِهَا الْغَرْبُ يَلْهُو كَيْفَ شَاءَ وَيَلْعَبُ

[1] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[2] – عدنان الربيع، حوار مع الشيخ محمود بوزوزو، مصدر سابق، ص 178.

[3] – ما تجدر الإشارة إليه أن القصيدة لم تنشر كاملة، وما وصلنا منها الأبيات السالفة الذكر فقط، وهو ما يدعوا الباحثين إلى الالتفات أكثر إلى التراث الفكري الذي خلّفه الرجل، وتتبع كل آثاره، في محاولة لجمع كل أشعاره في ديوان واحد.

وله أيضا مقطوعات شعرية يعبر فيها عن عزيمته وإصراره في تحقيق مبتغاه، ومثال ذلك هذه المقطوعة التي نشرها في العدد الأول من جريدته المنار، يدعوا فيها إلى حب الجزائر، مبرزا اعتزازه بالانتماء لهذا الوطن، يتغنى فيها بالعروبة والإسلام، مفتخرا بهذا الدين الإسلامي الذي يعد العامل الأساس في رقي الحضارة الإنسانية وازدهارها، وقد جاءت بعنوان: لمن تعيش؟

يقول فيها:

عِشْ لِلْجَزَائِرِ كَوْكَبًا يُجْلِي الدَيَّاجِيَّ نَيِّــرًا

عِشْ لِلْعُرُوبَةِ صَارِمًا يَحْمِي حِمَاهَا مِشْهَـرًا

وَلْتَغْدُو لِلْإِسْــلَامِ حُجَتَهُ إِذَا اِشْتَدَ الْمَرَا[1]

وكأنه يشبه حبه للجزائر من خلال هذه القصيدة، بقصيدة أستاذه الشيخ عبد الحميد بن باديس التي تحمل عنوان: لمن أعيش؟

تعتبر هذه القصائد عنوانا للصمود والتحدي، وتعزيزا للهوية الوطنية، والتغني بحب الوطن، وهو القائل عن حب الجزائر:[2]

أرضَ الجــــزائر يا أُمَّنا عُلُوُّكِ لِلْمَجدِ كــلُّ المنى

فَحُبُّكِ يَلْهَجُ في دَمِــنَا أَحَقُّ بأَرْواحِـــنَا أُمُنَّا

نُعَاهِدُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ بَلَا عَنِ الأُمِّ بالمهَجِ الغَــالِيَّةْ

ولا نكاد نتحدث عن الشعراء الجزائريين الذين عرفوا بشعرهم الإصلاحي الاجتماعي المناهض للوجود الاستعماري في الجزائر، حتى نجده هو الآخر شارك كغيره من شعراء الجزائر في هذه الحملة لرد العدوان، بل فاق اهتمامه القطر الجزائري إلى كل شبر في المعمورة يعاني من الظلم والقهر، داعيا الشعوب إلى النضال والمقاومة، وتدل قصيدة "صيحة الكاشاني" على ذلك، وهي قصيدة من اثنان وثلاثون بيتا، ومنها هذه الأبيات التي يخاطب فيها الغرب الاستعماري، ويدعوا إلى تحرير إيران من الوجود الاستعماري، ناعتا الاستعمار بأبشع الأوصاف، مستنكرا جرائمه ضد الإنسانية، قائلا:

---

[1] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس1951.

[2] – من مطلع قصيدة "أرض الجزائر يا أمنا" من تأليف محمود بوزوزو وتلحين عبد الرحمن عزيز، نشرها الباحث الدكتور محمد أرزقي فراد في كتابه: أفكار محمود بوزوزو في التحرر الوطني، مرجع سابق، ص165-166. ينظر الملحق رقم 10: أنشودة أرض الجزائر يا أمنا تأليف محمود بوزوزو.

أُخْرُجُوا يَّا كِـــلَابْ مِنْ "إِيرَانْ" يَّا لَهَا صَيْحَةً مِنَ الْكَـــاشَانِّي

إلى أن يقول:

أُطْرُدِ الغَرْبَ أَيُّهَا الشَرْقُ تَــطْرُدْ عَنْكَ دَاءًا شَرًّا مِنَ السَرّـطَانِ

فَهُوَ بِئْسَ العَشِيرُ إِذَا جَاءَ يَحْمِّي وَهُوَ بِئْسَ الْخَصِيمُ فِي الشَّنَآنِ

شَرَعَ الشَّرَ وَالْعِـدَاءَ فَـــأَوْدَى بِالكَمَالَاتِ وَالهُدَى وَالحَنَـانِ

وَرَمَى بِالجَمَالِ وَالخَيْـــرِ وَالحَـقِ بِدَعْوَى التَّمْــدِينِ فِي النِّيرَانِ

أَيُّـــهَا الغَـــرْبُ مَنْ أَرَادَ وِدَادَا هَلْ يَنَالُ الْــوِدَادُ بِالطُغْيَّانِ؟

أَيُّهَا الغَـــرْبُ إِنَّ فِي الشَرْقِ وُدًّا فَاخْطُبِ الْوُّدَ مِنْهُ بِالإِحْسَانِ

إلى أن يقول:

أَيُّهَا الغَرْبُ جُرْتَ فِي الأَرْضِ جُوْرًا مُذْ حَبَاكَ العِرْفَانُ بِالسُلْطَانِ

فَجَعَلْتَ الحَيَاةَ فَيهَا جَحِيـــــمًا لِلْمَلاَيِينِ مِنْ بَنِي الإِنْسَـــانِ

مَا أَتَاكَ العِرْفَانُ لِلْجُـــورِ، هَـــلاَ صُنْتَ يَا غَرْبُ حُرْمَةَ العَرْفَانِ؟

إِنَّمَا جَــاءَ لِلأَنَــــامَ شِــــفَاءُ مِنْ سِقَامِ الأَرْوَاحِ وَالأَبْــدَانِ[1]

وعليه، يبدو أن محمود بوزوزو شاعرٌ قلمه ملتهب، برع في كتابة قصائد ومقطوعات شعرية رائعة، حيث لا يكاد يخفى على المتلقي شدة انفعاله وشعوره القومي والوطني الفياض، واعتزازه بتاريخ أمته وماضيها العريق.

وفي قصيدة أخرى بعث بها إلى صديقه المهدي البوعبدلي في رسالة مؤرخة بيوم السبت 27 رجب 1359هـ الموافق ل: 04 ماي 1940م، حملت أبيات شعرية يقول فيها: [2]

يَا مُنكِرِي فَضْلَ الجُدُودِ وَفَخْرِهِمْ اِستَنطِقُوا الآثَارَ عَنْ أَخْبَارِهِـــــمْ

هَذِي المِسَاجِدُ شَاهِداتٌ فاقرؤوا مَا سَطَّرُوا لَكُمْ عَلَى أَحْجَارِهِـــمْ

فاستَخبِرُوا المِحْرابَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ قَدْ يَكْشِفُ المِحْرَابُ عَنْ أَسْرَارِهِمْ

[1] – **المنار**، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.

[2] – اعتمد الباحث عبد الرحمان دويب في إثبات هذه الرسالة وجملة من الرسائل الأخرى للشيخ محمود بوزوزو بالاعتماد على البطاقة الأصليّة، وتوصل إلى معرفة صاحبها بمقارنة خطِّها مع مجموعة من خطوط المراسلات الأخرى التي كان الشيخ المهدي البوعبدلي رحمه الله يتراسل مع أصحابها. ينظر: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 77.

وبمناسبة حلول عيد الفطر تقدم بوزوزو إلى صديقه المهدي البوعبدلي يهنئه بالعيد الميمون، ويتمنى إعادته على الجميع بالخير والسّلامة عليه وعلى عائلته قائلا:

أُهَنِّيكَ بِالعِيدِ السَّعِيدِ وَأَرْتَجِي لَكَ الهَدْيَ فِيمَا تَبْتَغِيهِ مِنَ الخَيْرِ
أَطَالَ الإِلَهُ عَهْدَكُمْ فِي هَنَاءَةٍ وَأَبْقَاكَ مَهْدِيًّا سَعِيدًا مَدَى العُمْرِ

الملاحظ أن البعد الديني كان حاضرا في جل المقطوعات الشعرية لمحمود بوزوزو، وهو ما يفسر لنا شدة تمسكه بالدين الإسلامي الحنيف، وحفظه للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فراح يوظف معاني القرآن السامية، بهدف إعلاء كلمة الحق، ورفع راية الإسلام عاليا في بلاد أراد الاحتلال الفرنسي أن يطمس معالمها الدينية ويستبدلها بالديانة المسيحية.

وفي مناسبة أخرى، وعلى إثر تنصيب الشيخ المهدي البوعبدلي إماما في أحد المساجد وسط مدينة بجاية، فعند توليه هذا الوظيف الجديد أرسل له محمود بوزوزو مقطوعة شعرية، انتقد من خلالها تصرفات الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وتدخلها في شؤون الدين الإسلامي، مما أضعف شخصية بعض من الأئمة، ودفعهم لمجارات الإدارة الفرنسية، والرضوخ لأوامرها، وما تمليه عليهم من خطب جاهزة، معددا مناقب الإمام الشيخ المهدي البوعبدلي، وأهليَّتِه لتولي هذا المنصب قائلا:

مَا رَأَيْنَا مِـــــن الأَئِمَّـــــــةِ إِلَّا خُشُبًا تَحْتَ جُبَّةٍ أو عِمَامَـــهْ
إِنَّمَا مَنْصِـــــبُ الإِمَامَـــةِ أَوْلَى أَنْ يُوَلَّاهُ عَالِمٌ ذُو إِمَامَـــــهْ
لَئِن اُخْتِرْتَ لِلإِمَامَـــةِ فَاعْلَـــمْ أَنَّهُمْ صَادَفُوكَ أَهْلَ الإِمَامَـــة
وَقَدِيمًا أَسْمَوْكَ فِي الهَدْيِ مَهْـــدِيًّا والِاسْمُ عَلَى المِسَمَّى عَلَامَهْ
عِزَّةُ النَّفْسِ صُنْهَا مَا عِشْتَ وَاعْلَم أنَّ زينَ الوَظِيفِ حِفْظُ الكَرَامَهْ[1]

وفي مقطع آخر من قصيدة "أرض الجزائر يا أمنا" يدعوا إلى الكفاح لاسترجاع سيادة وطنه المسلوب، فالجزائر بالنسبة إليه "الدار والوطن" الذي كرّس له حياته، مشيدا بمكانة شباب الجزائر، ودورهم في تحمل العبء لمواجهة الاضطهاد السياسي والاقتصادي والديني الذي تعيشه الجزائر، من أجل ذلك الوطن الحور الذي يحلم به، فيقول:

حَيَاةُ الشُّعُوبِ بِشُبَّـــانِهَا وَنَحْنُ إلى الشَعْبِ شُبَّانُهُ
لَنَا هِمَّةٌ سَوْفَ نَعْلُـو بِهَا إِلَى أَنْ يَعُمَ الوَرَى شَأْنُهُ
وَيَجْنِي العُلَا مَنْ أَرَادَ العُلَا كَذَا قَضَتِ الهِمَّةُ العَالِيَة

[1] – محمود بوزوزو، رسالة إلى المهدي البوعبدلي، ينظر: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 87-88.

من خلال هذه التجارب الشعرية يحس القارئ في كلماته بصدق المشاعر؛ إذ حاول تصوير معاناة الشعب الجزائري، وكل الشعوب التي تئن تحت وطأة الاستعمار، مبديا تذمره من سياسته العنصرية الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية، والانتماء العربي الإسلامي، حاملا على عاتقه لواء الدفاع عن مصالح أمته وشعبه، جاعلا مبادئ الدين الإسلامي ركيزته الأساسية في التغيير والتطوير.

ويتبين من خلال القصائد والمقطوعات الشعرية أن محمود بوزوزو كان ممارسا للشعر العمودي، ويميل أكثر إلى الشعر الوطني، الإنساني، والأخلاقي، وهو ما سينعكس على توجهاته الشعرية، والقصائد التي سينشرها في جريدة المنار، وهو ما سنقف عليه في باقي العمل؛ إذ كان أكثرا نشرا للشعر العمودي، مقارنة بغيره من الأشكال الشعرية الأخرى.

هذا، ولم يمنع قرب محمود بوزوزو من جمعية العلماء ورئيسها الشيخ ابن باديس الذي ساهم بشكل كبير في تكوينه من اقتحام العديد من المجالات الأخرى، إذ كان محبا للموسيقى ومثلما كان والده بوعلام القاضي مغْرما بالموسيقى، فإن الابن محمود عشق الموسيقى وأحب الغناء وجعل للغناء الأندلسي مكانة خاصة في قلبه.

اهتم بوزوزو بهذا التراث، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث تعلم العزف على عدد من الآلات الموسيقية، ليصبح من العازفين المهرة في المنطقة، ولعل النهضة الثقافية والفنية التي كانت مجموعةٌ من الفنانين الكبار مسلمين ويهود تشكل قاطرتها، ساهمت في إنضاج موهبة الفنان الفتى محمود بوزوزو، فقد كانت بجاية متشعبة هي الأخرى بالثقافة الموسيقية الأندلسية.[1]

وتأكيدا لما سبق، يمكن القول أن ميل أهل بجاية القوي للاستمتاع بالموسيقى وممارستها، يعتبر من بين أهم مظاهر الهوية الأندلسية؛ إذ أن انتشار العادات والتقاليد الأيبيرية الإسلامية في المجتمع البجائي، يوحي بذلك التواصل والتأثيرات الواسعة في البيئة العربية الأمازيغية، فقد أضحت الفنون الموسيقية في بجاية حينها من مقومات الحياة اليومية في الوسط السكاني الأندلسي الذي جلب معه عاداته وفلكلوره؛"حيث كان البجائيون ميالون إلى الموسيقى، ومن ذلك أسرة آل بوزوزو".[2]

[1] – فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من الغناء الأندلسي، مرجع سابق، ص-ص 237-413.

[2] – فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي، مرجع سابق، ص369.

وحسب حسن الوزان الملقب في إفريقيا بليون الأفريقي في كتابه "وصف أفريقيا" الذي ألفه في بداية القرن 16م الذي يذهب إلى حد القول بأنه "لا يوجد فرد واحد في بجاية لا يحسن العزف على الأقل على آلة موسيقية واحدة".[1]

ولم ير بوزوزو طيلة حياته، التي قاربت تسعة عقود، أيّ تعارض بين هوايته الموسيقى وممارستها، وحرصه الشديد على واجباته الروحية التي لم يقصِّر أبدا في أدائها.[2] فقد كان يقضي بعض من وقته في الترفيه عن نفسه بالاستماع إلى الأغاني، وهو ما يؤكده قوله فإني الآن بمقهى أستمع لأسطوانة:

أَشْكُوْا إِلَى اللهِ مِنْ نَارَيْن وَاحِ دَةٌ فِي وُجْنَتَيْهِ وأُخْرَى فِي كَبِدِي.[3]

وعن حبه للطبيعة وشدة تأثره بها، أشاد بأرض الجزائر الطيبة، وبطبيعتها الخلابة، فكانت المناظر الطبيعية الجميلة والبديعة آيات تهدئ ضمير هذا المفكر المصلح، بل وتمده بقيّم أخلاقية، يقول في إحدى نصوصه، واصفا جمال الطبيعة: "وفي طريقنا إلى دلس كنا نمر بمناظر بديعية من سهولٍ إلى هضابٍ مخضرَّة على شاطئ البحر الذي تتلاطم أمواجه وتُطرد إلى السَّاحل حيث تنشر رغوتها الفضِّية، وتضع زَبدَها النَّاصع متعة للعيون، فكان لهذه المناظر الأنيقة أثر لا أقدر أن أصوِّر قوَّته في نفسي...وقد كانت المناظر التي رأيتها في الطريق خفَّفت عني ألم الوَحشة".[4]

عامل الطبيعة محبب إلى قلب محمود بوزوزو لأنه ساعده على استرجاع ذكرياته، هذه الذكريات التي تمده بشرارات إيجابية ومشرقة تعيد الحياة والنبض إلى قلبه، وتعطيه القدرة على مواجهة اليوميات المريرة التي كان يعيشها بعيدا عن وطنه الأصلي، وهي صورة معبرة عن الفرد الجزائري الذي يعاني من الفراق والاشتياق، فهو غريب حتى في وطنه.

وعن شدة تعلقه ببلده بجاية وحبه لمسقط رأسه يقول: "ومما راعني هنا من مشهد طلوع البدر، فإنِّ شاهدته أمس خارجا من البحر، وكنت على درابيز ساحة تشبه ساحة ڤيدون، فتذكَّرت طلوع البدر ب: بجاية، ولا يخفى ما لهذه الذكرى من التأثير في النفس، وإن كان قرب الشبه بين هذه الساحة وساحة ڤيدون، وبين طلوع

[1] – ولم يتردد المؤرخ التونسي محمد الطالبي في دراسته "الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين" التي نشرها في مجلة الأصالة الجزائرية في القول: "أن استيطان الأندلسيين الكثيف في بجاية هو ما جعل منها مدينة تشبه أشبيلية في شغفها بالموسيقى وانصرافها إلى الطرب". ينظر: فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي، نفسه، ص369.

[2] – فوزي سعد الله، صفحات مجهولة، مرجع سابق، ص 237.

[3] – رسالة من محمود بوزوزو إلى المهدي البوعبدلي، نقلا عن: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 88.

[4] – رسالة غير مؤرخة من محمود بوزوزو إلى المهدي البوعبدلي، وقد اعتمد الباحث عبد الرحمن دويب في إدراج هذه الرسالة على نسخة خطية تقع في أصلها في صفحتين. ينظر: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 81-82.

البدر على بحر دلس وطلوعه من بحر بجاية يخفِّف من التأثير، ولولا وجود مثل هذه المناظر بـ: دلس لضاقت النَّفسُ وصعب الصبر على مفارقة البلد والأحبة".[1]

3-وفاته:

بعد كفاح طويل ومسيرة حافلة بالعطاء في حقول؛ التربية والتعليم، الصحافة، الدعوة والإرشاد، رحل الشيخ محمود بوزوزو رحمه الله إلى جوار ربه في يوم مبارك من شهر مبارك، يوم الخميس 15 رمضان 1428هـ الموافق لـ: 27 سبتمبر 2007م[2] بمدينة جنيف السويسرية عن عمر ناهز 89 سنة، قضاها بين منابر الوعظ والإرشاد داخل الجزائر وخارجها، تاركا وراءه تاريخا حافلا بالعطاءات.

فقدت الأمة الجزائرية والعربية الإسلامية قاطبة العلامة المصلح محمود بوزوزو عن عمر ناهز التسعين عاما، وبوفاته فقدت الجزائر أحد أبنائها البررة، هذا الفقيد الذي اشتهر بحرصه على تحقيق تحرير الشعوب من ربقة الاستعمار، ونشر القيّم والمبادئ الإنسانية في الجزائر أولا، وفي العالم برمته ثانية.

كما حرص على حث الجالية المسلمة في سويسرا والغرب على التمسك بأصول دينهم ونشر صورة الإسلام المتسامح في أوربا، إذ كان يشجع أبناء الجالية على العلم والارتقاء بمستواهم الثقافي ونبذ الخلافات لأسباب عرقية، وفتح بيته للمثقفين الشباب للاستفادة من مكتبته الثرية التي تضم ما لا يقل عن عشرين ألف كتاب بالعربية والفرنسية.[3]

---

[1] - رسالة غير مؤرخة من محمود بوزوزو إلى المهدي البوعبدلي، عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 82.

[2] - توفي محمود بوزوزو سنة 2007م، وهي سنة افتتاح المعسكر الواحد والعشرون للحركة الكشفية العالمية الذي جرت فعالياته من 27 جويلية إلى 08 أوت 2007م، للاستزادة أكثر حول الموضوع يرجى الاطلاع على: جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص 114.

[3] - نظرا لأفكاره وثقافته الواسعة، وتقديرا لجهوده، تم تأسيس جمعية عرفت باسم: "جمعية الشيخ بوزوزو"، المعتمدة منذ أول نوفمبر 2007 وفق القانون السويسري، أي بعد أقل من شهرين من وفاته، حيث ذكر رئيسها الأستاذ عبد الحميد بوزوزو الأهداف الرئيسية للجمعية ونشاطها وبعض إنجازاتها مركزا على أن "الجمعية ليست دينية ولا سياسية بل هي دراسية تربوية خيرية مفتوحة لكل الناس من كل الأطياف والجنسيات، وهي تسعى لفتح مراكز ثقافية في سويسرا والجزائر، وكذا جمع تراث الحركة الوطنية الجزائرية التي ساهم فيها المرحوم بكتاباته وتجربته، ثم أخيرا في أوربا الخاص بالدعوة الإسلامية وحوار الأديان التي أخذت منه جهدا كبيرا، كما ذكر أن الجمعية تسعى حاليا لترجمة بعض ما توفر من تراث الشيخ بوزوزو السمعي البصري، والمنشور والمخطوط، منوها أنها في حاجة ماسة إلى تمويل هذه المشاريع الخيرية الإنسانية، كما أعلن عن طبع رزنامة مواقيت لسنة 1441هـ/2020م باللغات الفرنسية والإنجليزية، توزع على المكتبات العمومية والنوادي والمراكز الإسلامية في سويسرا. ينظر:

Mustafa HABES, Le savant Algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou: le chef spirituel de la guerre de libération, op.cit, p11.

وحسب ما صرّح به ذات المصدر لجريدة البصائر الجزائرية، في عددها الصادر بتاريخ 29 أفريل 2012م أن الجمعية تسعى حاليا لفتح مركز ثقافي في الجزائر.

وفي أكثر من مناسبة، أعرب الفقيد عن قلقه على مستقبل المسلمين في الغرب، بسبب غياب المفكرين الشباب من أبناء المهاجرين الذين يجب الاعتماد عليهم في توجيه الجالية المسلمة في أوروبا، وتوعيتها بأمور دينها ودنياها، حيث كان يرى أن المرحلة التي يمر بها الإسلام والمسلمون الآن بحاجة لمثل هؤلاء.

كان توديع عرب ومسلمي مدينة جنيف السويسرية للشيخ بوزوزو في موكب جنائزي مهيب، حيث أقيمت الصلاة على روحه الطاهرة يوم الجمعة المنتصف من رمضان وألقى الخطبة الشيخ الخطيب رشيد فرحات حيث خصص موضوع الخطبة لسيرة الشيخ بوزوزو الذاتية، جهاده، أعماله وإنجازاته.[1]

بالقاعة الشرفية لمطار هواري بومدين بالجزائر العاصمة، وبحضور إطارات الكشافة الإسلامية الجزائرية وعلى رأسهم القائد العام السيد نور الدين بن براهم، وإطارات الدولة ورفقاء المرحوم وعائلته، تم يوم الخميس 04 أكتوبر 2007م استقبال جثمان الفقيد محمود بوزوزو أحد رفقاء الشهيد محمد بوراس والمرشد العام للكشافة وقائدها العام إبان الاستعمار الفرنسي.

قُرِأت فاتحة الكتاب على المرحوم من طرف الشيخ عبد الرحمان شيبان رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد كان في توديعه بالمطار رفقاء المرحوم يتقدمهم السيد عبد الحميد مهري الأمين العام السابق لجبهة التحرير الوطني، والسيد شيبوط وزير المجاهدين السابق، والحاج يعلى وزير الداخلية السابق[2]، ووري الثرى في مسقط رأسه–بناء على وصيته–بالمقبرة العتيقة[3] وسط مدينة بجاية يوم الجمعة 05 أكتوبر 2007م.

---

[1] – شهادة الأستاذ فيصل بن محم الغزاوي أستاذ سابق في كلية الآداب جامعة جنيف، مترجم ومراجع قانوني، مترجم قضائي، مترجم فوري مؤتمرات، التحق بمعهد الترجمة التابع لجامعة جنيف خلال الموسم الجامعي 1988م إلى 1992م وكان وقتها الشيخ بوزوزو غادر المعهد؛ إذ أُحيل على التقاعد، ولكن ذكر لي أنه كان يلتقي به في مناسبات عديدة منها احتفالات معهد الترجمة السنوية التي كان بوزوز يدعى لحضورها. مراسلة عبر الإيميل بتاريخ 20 أكتوبر 2020.

[2] – **مجلة الكشاف**، العدد 59، 2008.

[3] – ينظر الملحق رقم 10: صورة لقبر المرحوم محمود بوزوزو.

خلاصة:

كان للبيئة التي نشأ فيها بوزوزو، والأماكن التي تنقل بينها من أجل الدراسة، دور بارز في رسم ملامح شخصيته، فمسكنه وسط مدينة بجاية ومجاورته لقمة ما غورايا أين قضى طفولته، أكسبته صفاء العقل والروح وحب التميز والانفراد ناهيك عن الصدق والتواضع.

وهب الله الشيخ محمود بوزوزو أسباب الصلاح، التقوى والنبوغ؛ أصوله، نسبه، وعائلته العريقة، ثم بيئته البجائية وتربية والده الإسلامية، ثم قسنطينة مدينة العلم والعلماء، التي قضى به أغلب وقتهّ أيام التلمذة والتدريس، ولشيوخه فضل عظيم الذين كانوا كلهم مثالا في التمسك بالدين، ملأته هذه البيئة بالدين والصلاح، وسلحته بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وبالتالي أهلته لتولي الدعوة الإصلاحية في محاولة منه لمواجهة المخططات الاستعمارية، وجهودها الرامية إلى محو الخصائص العربية الإسلامية للأمة الجزائرية، تمهيدا لدمجها في ركب الحضارة الفرنسية.

كما أن إقبال الفتى بوزوزو الواسع على حلق التفسير والدروس على يد علماء أجلاء أمثال الشيخ الهادي الزروقي، المولود بن الموهوب، العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس، أحمد بوشمال وغيرهم من رموز الإصلاح في الجزائر مطلع القرن العشرين، مشكلين بأفكارهم التنويرية وأعمالهم الإصلاحية النهضويَّة أحد أهم المنابع الفكريّة التي أثرت فيه بشكل مباشر.

وعليه، سنرى فيما سيأتي تفصيله أن مختلف القضايا الإصلاحية والفكرية التي تطرق إليها محمود بوزوزو، وعالجها في محطات عديدة، وعبر كتاباته المتنوعة، قد شغلت فكر رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية قبل ذلك وحرّكت أقلامهم.

كانت له تجربة شعرية، اتسمت فيها أبياته بحسن الصيّاغة واختيار الألفاظ، إذ أفصح قلمه عن شعر نضال ومقاومة، وهي ظاهرة عامة في الشعر الجزائري طيلة فترة الاحتلال، كما عرف واشتهر باتساع ثقافته وإدراكه للواجب الوطني، ولم يتوان للحظات عن محاربة المظالم، وبهذه الخصال فرض احترامه على ألد خصومه.

الفصل الثاني

نشاطه الإصلاحي 1939-1943م

أولا: الخطاب الإصلاحي عند محمود بوزوزو

1-مفهوم الإصلاح عنده

2 -أفكاره الإصلاحية

ثانيا: جهوده في التربية والتعليم

1-نشاطه التعليمي

2-نظرته للتربية

3-خصائص المنهج التعليمي التربوي لديه

ثالثا: الكتابة والتأليف عند محمود بوزوزو

1-اهتمامه بالكتابة

2-إسهاماته الصحفية في جريدة البصائر

3-التأليف

تمهيد:

عانت الجزائر خلال العهد الاستعماري من محاولات المسخ والتشويه لمقوماتها الشخصية، وما نتج عن ذلك من أضرار أدت إلى فساد الاعتقاد؛ إذ أن سلوك البشر في الحياة، ناشئ عن اعتقاداتهم، لذا لا يخفى عن الدارسين الظروف التي كانت تمر بها الأمة الجزائرية العربية الإسلامية جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى محو الشخصية الإسلامية تمهيدا لدمجها نهائيا في بوتقة الأمة الفرنسية.

لكن الشعب الجزائري قاوم هاته السياسة الاستعمارية بجهود إصلاحية ثرية طيلة القرن 20م، فبرزت جهود المفكر المصلح محمود بوزوزو كواحد من المصلحين المخلصين، تلخصت في جملة من الآراء والتوجهات الفكرية التي حملها، وسعى جاهدا لتطبيقها؛ فبرز ذلك الخطاب النهضوي الذي سعى من خلاله إلى تأجيج معالم الفكر الإصلاحي، وإشعال فتيله في أفئدة الأمة الجزائرية والأمة العربية عامة، من خلال غرس القيم الروحية والدينية وتثبيت معالم الهوية والوطنية، معتمدا على وسائل متنوعة امتزجت بين دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، لمحاربة البدع والخرافات، وجهوده التعليمية في المدارس الرسمية والحرة، ناهيك عن كتاباته الدينية والوطنية التي شكلت منبرا قويا للتصدي للاحتلال الفرنسي وسياسته التغريبية في الجزائر.

الأمر الذي سنحاول التفصيل في جزئياته في ثنايا هذا الفصل، وكشف خباياه وصولا إلى معالجة الجهود الإصلاحية التي بذلها هذا المناضل المصلح، والتي نراها غائبة عن أدبيات الحركة الإصلاحية في الجزائر، على الرغم من الدراسات الحديثة التي ظهرت مؤخرا من طرف العديد من الباحثين الجادين في مجال الفكر الإصلاحي الحديث.

أولا: الخطاب الإصلاحي عند محمود بوزوزو

قبل شروعنا في الحديث عن أبرز النشاطات الإصلاحية التي مارسها بوزوزو، توجب علينا إعطاء تصور شامل عن معنى الإصلاح، وضبط مفهومه عنده، مع الإشارة إلى موقفه من بعض القضايا التي شغلت تفكير المصلحين والمفكرين داخل الجزائر وخارجها آنذاك.

1-مفهوم الإصلاح عنده:

لغة: "إصلاح"، كلمة مشتقة من الفعل أصلح، وصلُح، وصلَّح وتدل على تغيير حالة الفساد أي؛ إزالة الفساد عن الشيء، وبصفة عامة فالإصلاح ضد الإفساد.

اصطلاحا:"إن الإصلاح لا يزيد عن كونه محاولة تطبيق الإسلام الصحيح، والعودة بالإسلام إلى منابعه الصافية"[1]؛ أي إسلام الوحي ومرجعيته الأساسية القرآن الكريم وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو المعنى ذاته الذي أشار إليه محمود بوزوزو في قوله: "نعمل سبيل نشر التعاليم الإسلامية الخالصة، وبيان الإسلام على وجهه الصحيح، نقيّا من كلّ ما ألصق به إفكًا وزورًا، أو ما نسب إليه جهلا وغرورا".[2]

وتتجلى نظرته للفكر الإصلاحي في موضع آخر أكثر دقة، موضحا أن فساد عقيدة المجتمع وتصوراته، أثرت سلبا على ظروف الشعب في شتى الميادين؛ يقول في هذا الشأن: "وإن أهم ناحية من هذه الخدمة الجليلة تطهير المعتقد مما لصق به من الضلالات، وتجلية عقيدة التوحيد، وإرجاع قوة الإسلام بنفي العقائد التي هي أجنبية عنه، والتي أدخلت الضعف في نفوس أهله، حتى أصبحوا بسببها في أسوء حال من أوضاعهم الاجتماعية وحياتهم السياسية والاقتصادية".[3]

وهكذا يربط محمود بوزوزو "الإصلاح" بمنابع الإسلام الأولى "القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة"، مؤكدا أن سبب تأخر المسلمين هو ابتعادهم عن تعاليم الدين الإسلامي الصحيح الخالي من الشوائب بقوله: "إن العالم الإسلامي بعيد كل البعد عن كونه صادقا مع ماضيه الرائع، أو يتوافق مع دعوته الحقيقية".[4] مشيرا أن

[1] - عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 55.

[2] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[3] - **البصائر**، مجلد 5، ع 27، 15 ماي 1948، ص 215.

[4]- Mahmoud BOUZOUZOU, Où va le monde musulman ? **Gazette du Lausanne**, 06 November 1959.

المصلحين الحديثين قد نظروا في ذلك الوضع، ذاكرا منهم جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، شكيب أرسلان، وخاصة حسن البنا، محللين الأسباب ومقترحين العلاجات اللازمة لذلك.

ولذا كان تحرير العقل البشري من تلك القيود، وتطهير المعتقد من الفساد أول خطوة في سبيل تحرير الفكر الإنساني؛ فالمعالم الروحية للجزائر كادت أن تندثر لولا ظهور ثلة من العلماء العاملين من بينهم الشيخ محمود بوزوزو، وقيامهم بجهود إصلاحية نهضوية ارتبطت أساسا بإعادة بناء الفرد الجزائري فكريا ودينيا، في محاولة لاستنهاض الهمم وتغيير عقلية المجتمع بكل أطيافه، واجتثاثه من الشقاء وتوجيهه إلى السلامة، وهي الرسالة التي جاء بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، معتبرا أن هذه الجهود الإصلاحية حكمة من الله تعالى لإنقاذ العقول من الزيغ، وإثباتا للحقائق الخالدة، فيقول: "جلت حكمة الله وجلت رحمته، فكأنه تعالى كلما كادت العقول تزيغ عن الحقائق السماوية جاءها بمن ينقذها، ويبين لها أن الحق واحد لا يتعدد، وإن تعددت مظاهره وتنوعت صور إثباته".[1]

هذا، وقد ورد لفظ الإصلاح أو أحد مشتقاته في القرآن الكريم مائة وثلاثة وسبعون مرة، وعليه فإن لهذا اللفظ مكانة واسعة في النصوص القرآنية الكريمة التي ساهمت في نشر الفكر الإصلاحي في المجتمعات الإسلامية، واهتمت به دراسات الفكر الإسلامي الحديث، ومن معاني الإصلاح التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]، وانطلاقا من دراستنا لكتابات الرجل وآثاره، وبناء على ما ذكره أحد معاصريه[3] فإن الشيخ محمود بوزوزو غالبا ما كان يجعل هاته الآية القرآنية الكريمة فاتحة لكل أعماله، خاصة خطاباته، محاضراته ودروسه.

أما الإصلاح الذي يعنيه هذا الجزء من قوله تعالى:﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ فهو حسب كتب التفسير ليس من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي، وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي.[4]

[1] – **البصائر**، مجلد 5، ع23، 16 فيفري 1948.

[2] – سورة هود، الآية رقم 88.

[3] – مصطفى حابس، الجالية المسلمة تتذكر أحد رجالات جمعية العلماء، مرجع سابق، ص10.

[4] – عبد الرحمان بن ناصر السَّعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2003، ص 364.

وعليه، فإن محمود بوزوزو اقتنع بشمولية الإصلاح؛ أي عدم الاقتصار على مجال معين في المشروع الإصلاحي النهضوي، وإهمال جوانب أخرى، إذ ألفناه يعتبر موضوع الإصلاح "المجتمع بكل جوانبه ونواحيه"، مغطيا كل مظاهر الحياة؛ السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية وغيرها.

أما أساس نجاح "الإصلاح الشامل" الذي تمسك به وناضل من أجله لعقود من الزمن؛ فلا يتحقق حسبه إلا بالتوفيق بين "الدين والدنيا"، وهو ما تجسد في قوله: "وقد جرت على الألسن كلمة الإسلام دين ودنيا، والجمع بين الدين والدنيا هو الذي رفع المسلمين إلى ما وصلوا إليه من المجد...وحين وقع الفصل بينهما...وقع الفصل بينهم وبين المجد".[1]

وردا على أعداء الإسلام، ممن يعتبر أن الإسلام هو "إيديولوجية"، اتجه إلى القول بأن الإسلام –من حيث التعريف–كلمة عربية تعني الإذعان، مستدلا بما ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا سليمان عليه السلام في كتابه لأهل سبأ: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.[2]

ثم انتقل إلى توضيح مفهوم الأيديولوجية التي تعني فكرة تنشأ في رأس إنسان، ثم تتحول مذهبًا أو نظامًا فلسفيًا أو سياسيًا أو اجتماعيًا، مؤكدا أن الإسلام بريء من هذه التسمية؛ لأن الإسلام إنما أساسه القرآن الكريم، والقرآن ليس فكرة جالت برأس محمد عليه الصلاة والسلام، إنما هو وحي من الله تعالى، وما جال بفكر الرسول صلى الله عليه وسلم من الإلهامات الربانية إلى جانب الوحي هو الحديث النبوي الشريف، الذي يشرح ويبين ما في القرآن الكريم؛ "فالوحي الإلهي إذن لا ينبغي أن يُشوَّه، وأن يجعل في مقام واحد مع أيديولوجية، بخلاف المذاهب الفلسفية الأخرى التي ظهرت في هذا العصر".[3]

وحجته في ما ذهب إليه من قول أن تسمية الإسلام باسمه "إسلاما" دون نسبته إلى رجل أو شعب، والمحافظة على هذه التسمية لقرون طويلة من الزمن، من أعمق الدلائل على أمانة رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام في التبليغ.

هذا، وتشير شهادات بعض معاصريه، أنه كان شديد الإعجاب والتأثر ببعض زعماء الإصلاح في العالم العربي والإسلامي، مهتما بتراثهم، مواظبا على قراءة كتاباتهم، من بينهم محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان وغيرهما.

---

[1] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص120.

[2] – سورة النمل، الآية 31.

[3] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص129-130.

من ذلك ما ذكره الأستاذ يحي باسلامه[1] الذي أكد اهتمام بوزوزو الخاص بكتابات شكيب أرسلان بقوله: "كنت أنا ومحمود بوزوزو نزور معا الدكتور زكي علي، وهو طبيب مصري مقرب من الأمير شكيب أرسلان-الذي أقام في جنيف أربعينيات القرن العشرين-وكان يحدثنا عن أفكار الأمير وسعيه إلى إقناع عصبة الأمم بدعم استقلال بلدان الشرق، لكن شكيب أرسلان غادر جنيف عام 1946م؛ أي قبل أن يحل بها محمود بوزوزو، ويؤكد هذا الأخير أنه اطّلع على تراث شكيب أرسلان وأنه كان يتابع أعماله".[2] لهذا يصر الكثير من الدارسين على ربط الحركة الإصلاحية في الجزائر بنظيرتها في المشرق العربي.

وعن إعجابه بما حدث من نهضة فكرية وإصلاحية في الجزائر مطلع القرن العشرين يقول: "حين أشرقت تلك الثريا لتؤدي في المغرب الإسلامي ما أداه في الشرق الإسلامي الكوكبان النيران الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، وخلفهما الشيخ رشيد رضا (رحمهم الله) الذين لم ينوءوا بحمل إرث النبوة، فخدموا الإسلام خدمة سجلها التاريخ بأحرف من ذهب".[3]

غير أنه ما يجدر بنا التنبيه إليه، هو أن فكرة الإصلاح كانت مبثوثة في أوساط الشعب الجزائري قبل ذلك بسنوات، بتأثير عوامل داخلية وخارجية، ولكن لم يرتفع صداها ولم يظهر أثرها حتى بدأت تؤسس المدارس الحرة في مختلف مدن القطر الجزائري، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وهو مما يوحي بانتشار الفكر الإصلاحي، لكنه انتظم أكثر وانتشر بعد تأسيسها وبروزها كحركة إصلاحية دينية موحدة والأهداف والمبادئ؛ غايتها تخليص المجتمع الجزائري من التخلف الحضاري والجمود الفكري، وسوء الفهم للدين الإسلامي الحنيف، ومحاربة كل مسببات التخلف.

2-أفكاره الإصلاحية:

2-1-تثبيت العقيدة ومحاربة البدع والخرافات:

كان لشعور المصلح محمود بوزوزو بأهمية وضرورة الإصلاح كافٍ لتبرير جهوده الإصلاحية، ومواقفه الداعمة لهذا التوجه؛ لأن قيمة هذه الأفكار الإصلاحية النهضوية تزداد بازدياد الحاجة إليها؛ إذ يرى أنه "إذا

[1] - مسؤول سابق في المؤسسة الثقافية الإسلامية في مدينة جنيف.

[2] - عبد الحفيظ العبدلي، محمود بوزوزو داعية الانفتاح والتسامح، موقع: https://www.swissinfo.ch، تاريخ التصفح: 2021/01/11، 11:43 صباحا.

[3] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

اشتدت حاجة الأمة إلى التغيير فلا عذر لحرمانها منه"[1]؛ وعليه فقد كانت الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري جراء السياسة الاستعمارية تستدعي تطهير المعتقد من الضلالات التي أوردت أغلبية الأمة موارد السوء.

وهو التوجه ذاته الذي ذكره أحد الباحثين[2] في إطار حديثه عن الفكر الإصلاحي بقوله: "هو يقظة زعماء الإصلاح ووعيهم، وشعورهم بآلام شعوبهم، فهم يدركون الأخطاء المحيطة بهم، ويفكرون بعمق في أسباب الداء ليصفوا الدواء".

يذهب محمود بوزوزو إلى الحديث عن مكانة الدين الإسلامي في الحياة البشرية، معتبرا إياه القيمة الروحية الأكثر أهمية في الوطن الجزائري، مبرزا أن مظاهره تتجلى في كل سكنات وحركات الشعب الجزائري؛ لأن العادات والتقاليد، الموروث الثقافي، الحياة العائلية والاجتماعية، وبكلمة مختصرة كل طبائع المجتمع الجزائري وأنظمته القانونية والفكرية أساسها الإسلام الذي يراه متغلغلا في جل ميادين الحياة، لأجل ذلك بقي الشعب الجزائري مسلما ومتمسكا به لأقصى درجة.

ولكنه بالمقابل لا ينكر أن "الإسلام في الجزائر لا ينجو عمليا من التحريف"[3]، وهي إشارة منه إلى انحراف المسلمين عن مبادئ الدين الإسلامي الصحيح، النقي من الشوائب، وإتباعهم للبدع والضلالات، وبالتالي هي دعوة صريحة إلى ضرورة تبني نهج "الإصلاح"، بتحرير العقل البشري وتطهير المعتقد من البدع والمحدثات، وإرجاع قوة الإسلام بنفي العقائد الأجنبية عنه.

يرى أن المفهوم التقليدي للإسلام جعل العقيدة استسلاما للأوضاع، وركودا أمام التطورات التي يشهدها العالم، وقد نتجت هذه العقائد الفاسدة عن البدع والخرافات السائدة، والجهل المنتشر في المجتمع الجزائري، مما دفع بضعاف النفوس والجهلة إلى تلقف تلك الضلالات، والهرولة إلى ما يدعو إليه الاستعمار من تعليم غربي مدمر للروح الإسلامية، ودعوة إلى تحرر المرأة وسفورها بدعوى التجديد ومواكبة العصر، إذ أدرك بوزوزو وغيره من رجال الدعوة والإصلاح في القطر الجزائري مبكرا خطر هذه الأفكار الرامية إلى تفكيك بنية المجتمع الجزائري، وفصله عن ماضيه وحضارته الإسلامية الزاهية.

نتيجة لذلك، نجده في جل كتاباته ينطلق من مقام مفكر مصلح، تربطه علاقة تواصلية ثابتة مع ظروف مجتمعه الجزائري، وأمته العربية الإسلامية، تعكس بوضوح إخلاصه الدائم، إيمانه العقائدي الراسخ، ورغباته الجامحة في التغيير وإحداث النهضة الحقيقية للجزائر بحصولها على الاستقلال الذي يتحقق حسبه انطلاقا من إصلاح

[1] – **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[2] – محمد طهاري، **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14 وما يليها.

[3] – محمود بوزوزو، مبادئنا، النشرة الداخلية للكشافة الإسلامية الجزائرية 1948–1949، مصدر سابق، ص 48.

العقيدة؛ "فكان تحرير المعتقد من هذه الضلالات من أوكد الواجبات، وفي تحريره-المعتقد-سعيٌ في تحرير البلاد من الاستعباد".[1]

وفي شرحه لأسباب بروز الفكر الإصلاحي وإقبال شخصيات على التفكير في ضرورة التغيير يقول: "إن الظروف والأحداث التي عاشها العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين أجبرته على التركيز على "فكرة التغيير"؛ إذ كان همه الأساسي ولا يزال الاستقلال السياسي من الهيمنة الأجنبية".[2] مشيرا إلى إلزامية الإصلاح السياسي بإزالة النظام الاستعماري القائم الذي تسبب في فساد قيم المجتمع الجزائري، وضياع مبادئه السامية.

وعليه، ذهب بوزوزو ينبه إلى خطر انتشار جملة من البدع والضلالات؛ مبديا العواقب الوخيمة التي تنجر عنها، إذ تُنفِر من الإسلام كل المثقفين ثقافة غربية لا دينية، لأن المثقفين ثقافة غربية بحكم جهلهم لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية يحكمون على الدين بسيرة المنتسبين إليه، وفي حالة كهذه فإنهم يمثلونه تمثيلا ينفر ولا يبشر، يقول في ذلك: "وكان خسران المثقفين خسرانا عظيما لأنه يحرم الأمة من الرؤوس المفكرة، وكان هؤلاء المثقفين بحكم رسوخ الضلالات في عقول الأمة لا يقدرون أن يصادموا اعتقادها، وكانوا من جهة أخرى لا يرضون بمجاراتها في الباطل، وكانوا لا يجدون لسانا يخاطبون به الضمير الديني في نفسها لعدم صلتهم بالدين، وعدم ثقة الأمة في عقيدتهم، فكانوا في موقف حرج بين اعتزاز بالانتساب إلى الإسلام، أو نفور منه إلى الإلحاد، أو إعلان الحرب عليه".[3]

ولم يُغفِل بوزوزو الحديث عن أسباب فساد العقيدة لدى الأمة الجزائرية، والعوامل وراء انتشار البدع والخرافات مبينا أن سببها هو: جهل الجزائريين المطلق للإسلام، أي إسلام الوحي، والسبب في هذا الجهل هو حرمان الجزائريين من تعلم الوسيلة الوحيدة لفهم وإدراك القرآن الكريم وسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ ألا وهي "اللغة العربية"، لغة القرآن الكريم.[4] وهو ما انتبه إليه الاستعمار الفرنسي مبكرا فانتهج سياسة التجهيل، وسلط على التعليم العربي الحر في الجزائر أشد أنواع التضييق.

---

[1] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[2] - Mahmoud BOUZOUZOU, Où va le monde musulman **? Gazette du Lausanne**, 06 novembre 1959.

[3] - البصائر، مج 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[4] - محمود بوزوزو، مبادئنا، النشرة الداخلية للكشافة الإسلامية الجزائرية 1948-1949، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، أبو عمران الشيخ، ومحمد جيجلي، **الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)**، الجزائر، دار الأمة، 1999، ص 48.

وعن الأسباب التي دفعت بالمسلمين إلى عدم تطبيق تعاليم الإسلام كما كانت مطبقة في عهد السلف الصالح فيرجعها إلى "تطور الحضارات"، فما من أمة تتطور في حضارتها وتتوسع وتبلغ درجة ما عليه من الترف إلا وتندفع نحو الاستمتاع بملذات الحياة، فهذا طبعا يصرفها شيئا فشيئا عن تطبيق القوانين التي كانت تلتزم بها من قبل أجدادها، وهذا معروف من الحضارات القديمة، الحضارة الفارسية واليونانية والرومانية.[1] مؤكدا أنه لا عائق اليوم يمنع المسلم من أن يطبق الإسلام تطبيقا صحيحا، والشيء الوحيد الذي يجب محاربته هو الكسل وغلبة النفس والهوى.

ارتكزت جهوده الإصلاحية على إيقاظ وعي الإنسان المسلم، حتى يعي ذاته ويشعر بنفسه، ويرجع إلى أصول الشريعة الإسلامية، وحسب ما يذهب إليه فإنه يتوجب على كل فرد يطمح إلى الرقي والتطور أن ينطلق من نفسه سعيا من أجل تجسيد مطامحه، وهو ما يتأكد لنا من خلال قوله: "وعلينا أن نجاهد أنفسنا، وأن نسعى بكل ما أوتينا من جهد في تطبيق تعاليم الإسلام في حياتنا، وليبدأ كل فرد بنفسه".[2]

جاعلا شعاره في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[3] موضحا إصرار أغلب المصلحين واتفاقهم على تذكر هاته الآية القرآنية الكريمة، مؤكدين على قانون "تغيير الذات" الذي سيؤدي إلى الأفضل.

2-2-الدعوة إلى التجديد ونبذ الجمود الفكري:

يرى محمود بوزوزو أن تعاليم الإسلام تحتوي أوامر تخاطب الفكر البشري، حاثة على العلم وتحصيل المعرفة بالوسائل الطبيعية من استعمال الحواس والعقل والتأمل في الكون والحياة، وبالتالي يؤكد أن تعاليم ديننا الحنيف تعمل على إذكاء جذوة الفكر، فإلى جانب الآيات القرآنية الكريمة استدل بأسماء السور التي تدعو إلى إعمال الفكر والنظر في الكون، من هذه السور ذكر: النور ، النجم، القمر، البروج، الفجر، الليل، الضحى، الفلق ومنها نشأ علم الفلك، ثم سورة البقرة، الأنعام، الفيل، النحل، النمل، العنكبوت، وهي تندرج في علم الحيوان، ثم سورة الإنسان، العلق، الناس، الشعراء، النساء، المؤمنون، المنافقون وهي تختص بعلم الإنسان وأطواره وطبائعه وأحواله الفكرية.[4]

---

[1] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص 133-134.

[2] – المصدر نفسه، ص 110-111.

[3] – سورة الرعد، الآية 11.

[4] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص 110-111.

وعليه، بيَّن أن بين دفتي المصحف الشريف تفاصيل في مختلف شؤون الحياة، تهز الفكر للنظر، من ذلك:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]، موضحا أن الإسلام هو الذي دفع بالأمة العربية والأمم غير المتحضرة التي اعتنقته إلى المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية.

ينتقل إلى التأكيد أن أعداء الإسلام يسعون إلى الإنقاص من قوة الإسلام الروحية، محدثين في نفوس الشباب المسلم الفقير من العلم شكوكا تدفعه إلى التصديق بأن الإسلام أداة تأخر، بقوله: "فإن الجاهلين للإسلام من المتنورين أصبحوا يعتقدون أن الدين هو سبب تأخر المسلمين، وأن التقدم غير ممكن مادام هذا الدين سائدا، فأصبح الإسلام الذي كان من أكبر العوامل في تحرير الإنسان، وتهذيب أخلاقه، وتنظيم شؤونه، يعد في نظرهم العامل الأكبر في الانحطاط والتأخر."[2]

حاول بعدها إعطاء أدلة على ما قاله، فبين أن المسلمين في الميدان الفكري في كل عصر، وفي عصرنا هذا لم يحل الإسلام بينهم وبين النهل من العلوم التي أقبلوا عليها ووردوا مواردها، فعندنا اليوم في مختلف البلاد الإسلامية أطباء وأساتذة في شتى العلوم العصرية، وهم شواهد حية ناطقة بصحة هذا وصدقه، ومجرد وجودهم بعلومهم رد على من يرمي الإسلام بالجمود.[3]

مؤكدا أن النظام الإسلامي جاء حاملا معه الحقائق الروحية مرفوعة، فانفتحت العقول وانبثقت الأفكار، وظهرت نعمة الله على الشعب الجزائري في إنتاج فكري خصيب يشمل جميع نواحي الحياة الدنيوية والأخروية، ونبغ علماء وأدباء عظام ومفكرون كبار وشعراء فطاحل وفلاسفة وحكماء مستقين المدد من الحكمة الإسلامية والفلسفة القرآنية[4]، مستدلا في ذلك بالإنتاج الفكري في الجزائر عبر العصور، الذي إذا استعرضناه تمكنا من معرفة أسباب قوته وضعفه، والعوامل الداخلية والخارجية وراء ترعرعه واضمحلاله، مؤكدا أن التفكير الإسلامي عامل من عوامل التقدم والازدهار، كما أنه حافز إلى التطلع، البحث، والاستقصاء لفهم حقائق الأشياء والأحياء وما وراء ذلك.

[1] – سورة محمد، الآية 24.

[2] – **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[3] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص-ص 112-116.

[4] – **المنار**، س1، ع 03، 20 أفريل 1951.

2-3-التصدي للفكر الطرقي:

على الرغم من أن المفكر المصلح محمود بوزوزو لم ينكر الدور الإيجابي للطرق الصوفية في محاربة التواجد الاستعماري في الجزائر، مبديا رأيه المساند لبعض الطرق وجهودها المناهضة للفكر الاستعماري قائلا: "ومن هذه الطرق من لعب دورا هاما في مقاومة الاستعمار في بلاد الإسلام، لاسيما في الجزائر وأفريقيا الغربية وليبيا".[1]

غير أنه ينتقد -في الوقت ذاته- الفكر الطرقي ودعائمه في المجتمع الجزائري؛ معتبرا إياه من البدع والضلالات، والانحراف عن سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبعدما تحدث عن رجوع الروح الجزائرية إلى غرائزها الأولى وانغماسها من جديد في العقيدة الجاهلية بسبب الضلالات، انتقل ليؤكد بأن الطرقية خدمت الاستعمار، وساهمت بشكل مباشر في تقوية وتمكين النفوذ الاستعماري في الجزائر؛ إذ اعتبر تلك البدع والمحدثات الطرقية أكبر مساعد وأقوى ساعد للاستعمار بقوله: "إن السياسة الاستعمارية إذ ذاك كانت معتمدة على قوة رجال الدين، وكان هؤلاء منقسمين إلى طوائف وطرق مختلفة لكل طريقة شيخ خاص، وورد خاص، وبدع خاصة، فاتخذت السياسة الاستعمارية أعوانها من أكبرها نفوذا".[2]

مستدلا في إثبات ما ذهب إليه بما ذكره الكاتب جورج هاردى في كتابه: "المشكلة الدينية في الإمبراطورية" مشبها فيه حالة الدين الإسلامي في الجزائر بقلعة مهدمة الأسوار بقوله: "إن السياسة الفرنسية بعد أن فهمت حقيقة الطرق، وجدت فيها أحلافا نافعين لها وكانت تُكافؤهم على ذلك، فكان النفوذ الفرنسي سائرا إلى الاستقرار بسهولة تيسرت له هنا أكثر مما تيسرت له في أي مكان آخر"[3]. معتبرا أن هذه الخرافات والبدع كانت تخدم الاستعمار بدون شعور أهلها؛ إذ كان أعداء الدين الإسلامي يجدون فيها أقوى دعامة لوضع حاجز يفصل بين المصلحين المتنورين وبين الشعب، بل أكثر من ذلك بينهم وبين التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي.

ثم ذهب بوزوزو إلى التفصيل أكثر في الموضوع من خلال التنويه بالآثار السلبية لتلك البدع والمحدثات في الدين على المجتمع الجزائري المسلم ودورها في تضليل الجهال والمغفلين؛ إذ ظهر خطرها من عدة جهات، لعل أبرزها ما يعرف في الفكر الطرقي بـ: "الوثوقية" وتعني الثقة المطلقة، والطاعة العمياء واستسلام المريدين لشيوخهم، وما انجر عن ذلك من التواكل على الأولياء وعدم الأخذ بالأسباب، طمعا في كراماتهم، في محاولة منه لزعزعة هذه المفاهيم الباطلة بقوله: "فكم نتج عنها من ذهاب للمال والعرض والنسل، وكم نتج عنها من إهمال لجلائل الأعمال بالتكاسل، انتظارا لرزق يأتي من السماء، والاستسلام للظلم والرضا بالضيم رجاء لفرج يأتي بدون عمل

[1] - **المنار**، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
[2] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.
[3] - المصدر نفسه.

للفرج، معتبرا أن هذه المعتقدات الزائفة من أخطر ما واجه المجتمع الجزائري آنذاك؛ إذ كانت سببا في انصرافه عن أهم المسائل الحيوية التي كان من الأجدر أن ينشغل بها ألا وهي" إنقاذ البلاد من الاضطهاد".

يواصل بوزوزو فضح مساوئ الطرقية، مستنكرا الحيَّل غير الشرعية التي ابتدعها أشياخ الطرق في طلب الرزق وكسب المال، معتبرا هؤلاء أخطر فئة مساسا بمصالح الأمة الجزائرية، يقول في ذلك: "وشرهم أولئك الدجالون المحتالون الذين اتخذوا الدين حبالة لابتزاز الأموال من المغفلين".[1] خاصة بالنظر إلى الظروف الاقتصادية المزرية التي كان يعشها المجتمع الجزائري آنذاك.

وفي السياق ذاته، يشير الشيخ محمد السعيد الزاهري –الذي اتسمت كتاباته الشعرية والنثرية بملاحقته لرجال الطرق الصوفية – إلى حيلة اهتدى إليها أحد شيوخ الطرق الصوفية إذ أنه على ما قال: "كان يعتنق طريقة صوفية، فإذا لم يجد فيها معاشا تحوّل إلى طريقة أخرى".[2]

2-4-دور العقل في تحرير المعتقد من الضلالات:

يذهب محمود بوزوزو بالقول إلى أن العقل أشرف شيء في الإنسان، وهو الذي يخول صاحبه حق التصرف في الكون وتدبير الحياة الخاصة والحياة العامة؛ إذ يرى أن العقل يجب أن يكون محررا حتى تكون أعماله صالحة وفي خدمة مجتمعه، ويقدم خدمات جليلة لأفراد أمته، وبالتالي أشار إلى أهمية العقل في فهم الدين فيقول: "فإذا كان العقل مقيَّدا بأوهام فاسدة، خاضعا لاعتقادات باطلة كان ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأعمال فاسدا باطلا، وذلك يؤدي لا محالة إلى الشقاء".[3]

يقر بوزوزو ويثبت أن العرب لم يتقدموا إلا بعد أن تحررت عقولهم وعقائدهم من الأوهام والأباطيل: "فإن تطهير المعتقد من الخرافات وتحرير العقل من الضلالات من أهم الشروط في بناء الحضارات".[4] مؤكدا أن للعقيدة الدينية الدور الأهم في كل ما قام به الشعب الجزائري من أعمال وإنجازات في مختلف الميادين؛ السياسية، الاقتصادية، الثقافية والفكرية خلال التاريخ من يوم اعتناقه للإسلام، وذلك لأن للعقيدة الدينية دخلا كبيرا في جميع الحركات والسكنات عند المسلمين.

يرى أن عقل الإنسان السليم ينبذ هاته الخرافات، ولا يقبل إلا بما يتوافق مع الشرع سعيا لتحقيق ذات الأمة الجزائرية التي يطمح أن تكون لها مكانة في العالم: "والأمة إذا ضل عقلها وفسد تفكيرها واعوج تصورها

[1] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.
[2] - صالح خرفي، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 153.
[3] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.
[4] - نفسه.

للحياة بسبب خضوعها في جميع شؤونها لاعتقادات ضالة، فإنها تكون عضوا أشل في الجامعة الإنسانية، ولا يمكنها أن تستفيد أو تفيد في المدنية...ولا نجاة لها إلا في نبذ العقائد الباطلة والاجتماع حول عقيدة واحدة وتعاليم واحدة يطمئن لها العقل السليم"[1]، فتحرير العقل البشري من هذه الأوهام والاعتقادات المضلة أهم المساعي في فتح باب الرقي والتقدم، وبذلك فقط يتيسر للإنسان أن يشعر بذاته، ويحس بمكانته، ويقدر كرامته وفطرته الإنسانية التي تأبى له أن يعيش خاضعا لأي استعباد.

2-5-القيم والأخلاق الفاضلة ودورها في إصلاح المجتمعات:

يرتكز الخطاب الإصلاحي لدى الشيخ محمود بوزوزو على جملة من القيم والمبادئ الفاضلة، التي اعتمدها لكي يتمكن من تحقيق الأهداف المرجوة من دعوته الإصلاحية النهضوية، والسير بالمجتمع نحو الرقي والازدهار، والعيش الآمن في رحاب إنساني؛ مؤكدا أن أقوال وأفعال المسلمين يجب أن تعبر بالضرورة على تعاليم الدين الحنيف، يقول في ذلك: "ليس الدين في إقامة بعض الطقوس والصلوات فقط، إن الدين قوة روحية تجعل الأقوال والأعمال قواعد لسلوك البشر نحو الأمن والسلام، قواعد ترفع الإنسان إلى القمة العالية التي يشرف منها على حقيقة الوجود".[2]

يدعو بوزوزو من خلال هذه الركيزة الاجتماعية الهامة "الأخلاق" إلى ضرورة المحافظة عليها، نظرا لدورها في الرقي الفكري والحضاري للأمم؛ إذ يرى أنه "لا يتم بروز الإسلام حيًا ناطقًا إذا كان أهله مظهرين جانبا واحدا من جوانبه، فهو كل لا يتجزأ"[3]، وفي ذلك إشارة إلى الأخلاق، وضرورة ملازمتها لكل الشعائر الدينية الأخرى من صلاة وصوم وزكاة وحج، منبها إلى جدوى قيام المسلمين بأبحاث ودراسات قيّمة للتنويه بالإسلام، ونشرها على أوسع نطاق، في حين تجدهم لا يطبقون تعاليم الإسلام في حياتهم.

فالإسلام حسبه ليس قضية تخدم أو تستخدم إنما هو "نظام حياة وسلوك"، مؤكدا على وجود العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي توصي المسلم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة؛ "الدين المعاملة" و"الدين النصيحة" التي تعني صفاء القلب والسريرة وطهارة الباطن والضمير في التعامل مع الله وبين الناس، هاته القيّم الأخلاقية التي تجعل من الإنسان كائنا أرقى، ذاكرا أيضا الصدق، وحب الوطن، الشجاعة، الرحمة، الإحسان، الزيادة في المعرفة وطلب العلم.

[1] - **البصائر**، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[2] - **البصائر**، مجلد 5، ع23، 16 فيفري 1948.

[3] - محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص 120.

في الوقت ذاته، ينفي محمود بوزوزو صفتي "التعصب وعدم التسامح" عن الإسلام والمسلمين مستدلا في ذلك ببعض الوقائع التاريخية التي تنفي مثل هذه المعاملات، ومن ذلك ما وقع مع بعض الأسرى، وذلك أن ضابطا فرنسيا وقع أسيرا في أيدي الجزائريين في عهد الأمير عبد القادر، فحاول أن ينتحر، فأتوا به إلى الأمير فقال له: "ما حملك على الانتحار؟ فأجاب: إنني سمعت أن المسلمين يذبحون أسراهم، فقال له: لقد كذب عليك من قال لك هذا، اذهب إلى قومك وقل لهم أننا معشر المسلمين لا نقتل أسيرا ولا نجهز على جريح".[1]

إن الخصال الحميدة هي التي جعلت من صحابة رسول الله محمد ﷺ رجالا عظماء، استحقوا إعجاب البشر على مدى الأزمان، لذا فإن المسلمون اليوم مطالبون إلى جانب الفرائض "أن يراعوا واجبات أخرى لا تقل أهمية عنها، وبإهمالهم لهذه الواجبات فتحوا ثغرات لهجوم أعداء الإسلام عليه وعليهم". مؤكدا في الوقت ذاته بأنه لا يمكن الحكم على الإسلام من خلال التصرفات السيئة لبعض المسلمين بابتعادهم عن الأخلاق والقيم الدينية التي حث عليها القرآن الكريم، معتبرا تلك الفئة بمثابة الثمرة الفاسدة من الشجرة الطيبة بقوله: "فلا ينبغي الحكم على الشجرة الطيبة بسبب الثمرة الفاسدة".[2]

يسترسل بوزوزو في الحديث عن الأخلاق، مشيرا أن السبب في الأزمات والمصائب التي يعيشها العالم الإسلامي؛ ومنها ضياع القدس وانقسام باكستان، وبعض المشاكل الأخرى في مختلف الأقطار فإنه ناجم عن ذلك الانحلال الأخلاقي الذي يعيشه المسلمون نتيجة لضعف العقيدة الإسلامية لديهم، وضياع قيّمهم الروحية واكتفائهم ببعض المظاهر فيقول في ذلك: "أهمل المسلمون العمل بالإسلام كنظام للحياة، واكتفوا ببعض المظاهر العملية من العبادات كالصلاة والصيام والحج، وأهملوا بعض المعاني التي يكون بها المؤمن مؤمنا والمسلم مسلما."[3]

وعليه، يرى أن للقيم والمبادئ الإسلامية دور في تقدم الثقافة العالمية، وعلى الرغم من أن "الإسلام" لا يزال أكبر مستودع لأعلى القيم والمثل، لكن حسب الواقع المعاش يثبت أنه "من الصعب رؤية الروح الإسلامية الأصلية في جمهورياتنا ومجتمعاتنا"،[4] وفي هذا إشارة إلى ابتعاد المجتمعات الإسلامية عن الدين الإسلامي الصحيح، وهو أساس السمو بالمجتمعات إلى المثل العليا، والدعوة إلى تحرير الدين من البدع والخرافات؛ إذن فالدعوة إلى تعاليم وقيّم وأخلاق الدين الإسلامي الصحيح، هي ركيزة ثابتة لديه، ومن ركائز الإصلاح والتجديد عنده.

---

[1] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص116.

[2] – محمود بوزوزو، منابع الإرشاد، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص 226.

[3] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام، مصدر سابق، ص من 109-134.

[4] - Mahmoud BOUZOUZOU, Où va le monde musulman ? **Gazette du Lausanne**, 06 Novembre 1959.

ثم يأتي لتقديم براهين وحجج تدعيما لمواقفه الداعية إلى الثبوت على المبادئ الفاضلة؛ إذ يؤكد أن تمسك المسلمين بالقرآن الكريم، وإتباعهم لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، نتج عنه اعتقادات سليمة، أوصلتهم إلى الشعور بنوع من الحرية الدينية الداعية إلى الأخلاق الفاضلة، والمبادئ السامية، والثبات على المبدأ حتى أصبحوا قدوة، ومصدر صلاح للإنسانية جمعاء. وبالمقابل فإن ابتعادهم عن ذلك الكمال الإلهي والمثل العليا، وخضوعهم لهوى النفس والرذائل، والأخلاق البالية أدى إلى تلاشي تلك القيّم الروحية فيهم، وبالتالي تراجع دورهم الحضاري.

بعدها ذهب إلى القول بأننا بالعقل نهتدي إلى معرفة قوة هذا الدين، ولو لم تكن لهذا الدين قوة من نفسه لكان مصيره بهذه الديار كمصير كل الاعتقادات الواهية، ولذا لا يضيره أن يوصم بالضعف من الجهال به؛ "غير أنه كان في حاجة إلى من يبرز هذه القوة، ويخرج من بين تلك الخرافات حقيقته المشرقة كما يخرج فلق الصبح من الظلمات، وفي ذلك خدمة للدين الإسلامي وخدمة للأمة الإسلامية، بتغيير الأوضاع الخلقية والاجتماعية الفاسدة ذات الأثر الكبير في الوضعية السياسية، وخدمة للشعب بتقريب المتنورين إليه".[1]

وهكذا أدرك رجال الإصلاح الديني، الاجتماعي والسياسي في الجزائر تمام الإدراك أن: "التحرر من الاستعمار، ولاسيما الاستعمار الفرنسي، إنّما يجب أن يبدأ بتحرير النفوس من ذل التبعية، والتقاليد الفاسدة والتقليد الأعمى".[2]

وعن القيم التي يدعو المسلمين إلى اقتباسها يقول: "المرجع في القيم ما اتفقت عليه الأديان كالأمانة والصدق وحفظ العهد وما شابه ذلك، وأما ما تعلق بالمأكل والملبس وبعض المعاملات المالية، فأمره متروك لتعدد الشرائع".[3]

وردا على دعاة الانغلاق وصراع الحضارات، كان الشيخ بوزوزو يحث العرب والمسلمين على الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية، ويرى ذلك ضرورة حتى لا تختل الموازين بين الأمم، فيتفوق البعض على البعض ويستكين الآخذ للمأخوذ منه.

يرى أن المسلمين بحكم دينهم يتحملون قسما كبيرا من المسؤولية عن مصير البشرية جمعاء، لذا من الواجب على الجميع أن يتكتلوا دفاعا عن أنفسهم أولا وإنقاذا للبشرية ثانية، مشيرا إلى نبذ التعصب الديني والدعوة إلى حوار وتلاقي الأديان، فيقول: "فليست دعوتنا إلى التكتل الإسلامي مستوحاة من عصبية دينية

[1] – البصائر، مجلد 5، ع27، 15 ماي 1948، ص 215.

[2] – ايسلي مقران، الحركة الدينية، مرجع سابق، ص 217.

[3] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 225.

عدائية للأديان الأخرى، حقا إننا نعتقد أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للعالمين وأنه مكمل للأديان الأخرى، وبما أن ديننا أوصى بالتعاون على البر والتقوى فلا يضيرنا أن يتكتل أهل الأديان الأخرى، وأن يتعاون الجميع على ما يعود بالخير على البشرية، ويزيل ما نشاهده من الاعتداء على العالم الإسلامي".[1]

للشيخ بوزوزو اهتمام واسع بالمعرفة والفكر الإنساني، فهما بوّابتا التعارف بين الشعوب وأسباب التعاون بينها، وفي غيابهما، يسود التعصب وتتحكم الكراهية في حياة الناس، يقول: "لم أر في حياتي أخطر من العنصرية، فهي نزعة مدمِّرة لحاملها ولضحيتها، ولابد من البحث في أسبابها". ولئن كان يُقر بأن الاختلاف حقيقة فطرية بين الناس كاختلاف اللون واللغة والعقيدة، لكنه لا يرى ذلك سببا للتفاضل أو التباغض، بل عونا على التعارف والتعاون.[2]

ونتيجة لذلك، لم يظهر محمود بوزوزو أي تعصب ولا قومية عدائية ضيقة ضد الثقافة الفرنسية أو مختلف الثقافات الغربية الأخرى، بل رأى ضرورة فهمها والاطلاع عليها، لمواكبة العصر ولاسيما في المجال العلمي، معتبرا أنه لا يمكن مواجهة دولة قوية منظمة مثل فرنسا إلا بمواكبة التطورات العالمية.

ثم إن الظروف المعاصرة، وحركة التقدم التي يشهدها العالم تحتم على الأمة الجزائرية وكل الشعوب مسايرة حركة التمدن، والتمدن الصحيح حسبما يذهب إليه بوزوزو لا يعني محاكاة مظاهر الحضارة الأوربية جملة وتفصيلا، بل أخذ كل ما هو صالح رائق ويتوافق مع القيم الروحية للمجتمع الجزائري العربي الإسلامي، لذا عُرِف الشيخ محمود بوزوزو بدعوته دوما للاستفادة من إنجازات الغرب العلمية، والحفاظ في الوقت نفسه على الهوية الإسلامية دون غلو أو تشدد.[3]

وعن هذه المبادئ والقيم الأخلاقية التي تمسك بها، وعلى وجه الخصوص الإخلاص في العمل، يروي لنا أحد معاصريه[4] موقفا عنه فيقول خلال آخر حضور للشيخ بوزوزو في احتفاليةٍ لمعهد الترجمة، استمعت لنقاش له مع عميد المعهد وقتها الأستاذ (Louis Truffaut)، حيث قال هذا الأخير للشيخ بوزوزو مادحا ومدافعا عن تفاني المجتمع الغربي في العمل باسم "الضمير المهني"، فردّ عليه الشيخ بوزوزو قائلا: "نحن في الإسلام عندنا أقوى

[1] - المنار، س2، ع 1، 11 أفريل 1952.

[2] - محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص224.

[3] - تامر أبو العينين، أقدم إمام بسويسرا، العلم سلاح المسلمين، إسلام أون لاين.نت، 2005/04/18 نقلا عن:
En Mémoires de cheikh Mahmoud Bouzouzou, op.cit, p18-19.

[4] - شهادة الأستاذ فيصل بن محم الغزاوي بتاريخ 20 أكتوبر 2020.

من ذلك وهو "الإخلاص" في العمل لوجه الله تعالى، وأن رسولنا الكريم محمد عليه الصلاة والسلام يحثنا دائما على دفع أجر العامل قبل أن يجف عرق جبينه.

وهو ما تجلى في خطاباته، إذ يدعو المصلحين إلى والإخلاص في نشاطاتهم العلمية الاستنهاضية، لأن الإخلاص هو عين الصلاح، وروح نجاح المشاريع، وهو ما يتجلى في قوله: "ينبغي البحث عما يمكن أن يقدمه كل منا من خدمة للإنسانية باستفادة بعضنا من بعض بما فيه الخير لبني الإنسان، وأن يكون ذلك بالإخلاص، لأن الإخلاص هو الشرط الأساسي لكل عمل صالح مثمر"[1]. موضحا أنه على استعداد تام للتعاون مع كل من يظهر الرغبة في التقدم بالأمة في هذا الوقت الراهن، لكن على أساس واحد وهو "الإخلاص".

2-6-القدوة النبوية:

يعتبر محمود بوزوزو النبي محمد ﷺ أعظم مصلح للإنسانية جمعاء، معتبرا شخصيته، ومعجزة القرآن الكريم أساسا لانفراج كل أزمات الإنسانية، حيث يقول في هذا الشأن: "فهذا محمد يتحدث عن سيرته مؤرخون وفلاسفة وكتاب وشعراء من الإنكليز والروس والألمان، وبين وطن محمد ﷺ وأوطان هؤلاء المؤلفين مسافات من رمال وبحار وجبال، وبين عصره وعصورهم فواصل من عهود وقرون وأجيال".[2]

مشيرا أنه جاء بشريعة سمحة تضمن السعادة في الحياتين، جاء مقوما لاعوجاج الأقوام السابقة، كانت بعثته دعوة البشر للإسلام والفضيلة والأخلاق الحسنة، مما أحدث تغييرا اجتماعيا وثورة ضد الرذيلة، مؤكدا أنه في حياته-صلى الله عليه وسلم- وسيرة أصحابه من العبر ما لا يحده أفق من الآفاق؛ إذ تكاد تكون كل حركة من حركاته، وكل سكنة من سكناته عبرة تفيض بوحي، فهو آية من آيات الله، فكأن محمدا أرسل ليثمر بذرة الإسلام في شبه الجزيرة العربية تلك البذرة التي وضعها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو ما تجسد في قوله: "ولأن الله تعالى أراد أن يكون الإسلام دين العالمين، فأعد له داعيا لا مثيل له في الدعاة السابقين، وجعله خاتم المرسلين".[3]

فتلك الروح الإيمانية التي في حياة محمد ﷺ، جعلته يتغلب على كل الصعاب التي اعترضته؛ إذ واجه في دعوته من يفرق بين الصفوف، واعترضه ذو العزائم الخائرة، وذوو الأوجه المتعددة، ولكنه تخلص من كل الصعوبات، فما على الشعوب العربية الإسلامية اليوم إلا أن نسلك طريقه ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[4]، لهذا جعله الله تعالى النموذج الأعلى والقدوة التي يجب على كل مسلم أن يقيس عليها تصرفاته، حيث نجد في

---

[1] - محمود بوزوزو، ما يقال عن المسلمين، مصدر سابق، ص117.

[2] - **البصائر**، مجلد 5، ع 14، 17 نوفمبر 1947، ص 111-112.

[3] - المصدر نفسه.

[4] - **المنار**، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.

سيرته المثل والنموذج الأرفع لتصرفاتنا في الحياة اليومية، فجميع تصرفاته كانت على أرفع مثال للخلق والعمل الصالح وجميع الجوانب الإنسانية.

ولما كان الناس يبتعدون عن تلك التعاليم السامية، كان لابد ممن يذكرهم وينبههم إلى الرشاد، فالرسول ثوري لأنه حاول قلب القيم الجارية في وسطه، وتعويضها بقيم أخرى فيها خير وصلاح، حيث يقول: "فمولد الرسول ثورة، وحياته حياة ثورة، وذكراه ثورة، والثورة التي قام بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كلها سداد، وتعتبر ثورة صالحة للزمان والمكان ترمي إلى إحياء كل قديم مندثر من القيم".[1]

يرى أن القدوة في الجانب الحضاري تظهر جليا في التمسك بسيرة الرسول الداعية إلى تحرير الشعوب من الظلم والعبودية إلى التسامح والتعايش، داعيا شباب الإسلام إلى التمسك بهذا القبس المحمدي الذي يشع على أمم الإسلام، راجيا من الله أن يرسخ دين محمد في قلوبهم لاحتلال مكانة بين العالمين، حيث قال: "نرجو أن يكون عند الشباب المتدين إيمان كإيمان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا يؤثر فيه إغراء، ولا يضعفه تهديد، إيمان يدفع إلى العمل بتعاليم الإسلام والحرص على تطبيقها في الحياة اليومية، إيمان يرخص في سبيله كل نفيس".[2]

2-7-دعوة المصلحين إلى الثبات:

وإيمانا منه بضرورة التغيير، دعا المصلحين وكل العاملين في هذا المجال إلى الثبات، والتأمل في سيَّر بعض عظماء التاريخ، داعيا إلى أخذ العبر من تجاربهم وخبراتهم، ذاكرا منهم طاغور، محمد إقبال فيقول: "وممن قدمتهم الأرض الأسيوية للتاريخ من الإشعاعات النورانية كونفوشيوس في الحكمة، ومن النفحات العطرية طاغور ومحمد إقبال، وها هي اليوم تقدم للتاريخ إشعاعا نورانيا جديدا انبثق من أرض الهند ليصل في الروحانية العالم الحديث بالعالم القديم، حين كادت الأرض تنكر المثل العليا القائمة على الروح".[3]

رغم اعترافه بأن أمتنا قد بليت بشر ما عرفه البشر من أنواع الاستعمار، إلا أنه يدعو إلى الاستمرار في الدعوة والثبات على المبادئ، رغم العراقيل والمحن التي تقف في الطريق مذكرا برسولنا الكريم الذي تكاثرت عليه المحن، وتألب الكل على حربه مستعملين كل الوسائل من التهديدات والإغراءات فلم يفلحوا؛ إذ رمي بالسحر

[1] - **المنار**، س3، ع49، 20 ديسمبر 1953.

[2] - **البصائر**، مجلد 5، ع 14، 17 نوفمبر 1947.

[3] - **البصائر**، مجلد 15، ع23، 16 فيفري 1948.

والجنون والشعر، واتهم بالطمع في الملك والرياسة، وكسرت رباعيته، ولكن كل هذا لم يكن إلا: "كمحاولة إطفاء الشمس بنفثات أو إنزالها من عرشها".[1]

مشيرا إلى أنه من العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى من يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمد خداع مزور، فهذه أقوال سخيفة، مؤكدا ذلك بقوله: "إن الرسالة التي أداها الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس"، مبديا إعجابه بما ذكره الكاتب كارليل في كتاب الأبطال.[2]

ثانيا: جهوده في التربية والتعليم:

1-نشاطه التعليمي:

يشيد محمود بوزوزو بمكانة التربية والتعليم في حياة الأمم والشعوب، ومن بينها الشعب الجزائري الذي كان من بين أكثر الشعوب خدمة لترقية الفكر البشري عبر العصور، وحرصه على تقديم الإنتاجات العامة سواء منها الفكرية، السياسية أو الاقتصادية، ولم يتأخر عن المساهمة في رقي الإنسانية إلا بعد ما أصيب به من استعمار أعاقه عن العمل وجمّد حركة التقدم.

ونظرا للدور الفعال للعلم في تحرير الشعوب من الظلم والاستبداد، فإن المستعمر انتهج سياسة التجهيل، ونشر الأمية، وطمس الثوابت الوطنية؛ "سيما في وطن كالجزائر يتولى زمام التعليم والتربية فيه أجانب، وبغير لغتنا القومية، فقد تواتر أنهم لا يفترون يعملون على إماتة روح العزة والثقة بالنفس في أبنائنا بما يلقنونهم من الحقائق المشوهة".[3]

لأجل ذلك تركزت جهود الحركة الإصلاحية في تحصين الناشئة بالعلوم النافعة، لإبقاء وهج العلم منيرا على الشعب الجزائري، وقد ذهب بوزوزو في خطابه الواعظ للمعلمين قائلا: "إن المعلم لدى مختلف الشعوب يعد المثل الأعلى في الفضائل والقيم الروحية، وشخصيته أشبه ما تكون بالقالب الذي يصوغ المادة الطرية ويكيفها على شكله وهيئته، ومن الجناية على الوطن أن يكون هذا القالب الذي تصاغ عليه أخلاق النشء مشوها معوجا...فيجب أن يخلص في مهنته، ويتفانى في أدائها، لإرضاء ربه وضميره، والقيام بواجبه نحو أمته ووطنه".[4]

---

[1] - **البصائر**، مجلد 5، ع 14، 17 نوفمبر 1947.

[2] - **المنار**، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

[3] - **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[4] - **المنار**، س1، ع18، 14 مارس 1952.

إذن، انتبه هذا المفكر المصلح مبكرا إلى أن التعليم باب من أبواب تغيير واقع الجزائر، فانخرط في سلك التدريس وتخرّج على يديه القضاة والمعلمون والمترجمون، متأثرا في ذلك بفكر جمعية العلماء الداعي إلى إعادة الاعتبار للغة العربية؛ "فأسس جملة من المدارس لتعليم اللغة العربية، التي كان يحاربها الاستعمار في إطار سياسات كانت تهدف إلى إحكام القبضة على الجزائر، ونشر تعاليم الدين الإسلامي على وجهه الصحيح".[1]

بدأ حياته العملية والفكرية منذ نيله الشهادة واختياره لمهنة التعليم، فعمل مدرسا مؤقتا في مدرسة بمدينة بجاية مباشرة بعد حصوله على ترخيص بمزاولة نشاطاته التعليمية هناك بداية من تاريخ 30 سبتمبر من سنة 1940م،[2] مع العلم أن سكوت جل المصادر والمراجع التي توصلنا إليها عن تحديد أسماء المؤسسات التعليمية التي زاول بها محمود بوزوزو وظيفته كمدرس، سواء وسط مدينة بجاية أو خارجها، ماعدا إشارة فريدة من الباحث عبد القادر خليفي الذي نوّه إلى ذلك بقوله: "عمل محمود بوزوزو مدرسا بمدرسة الحياة وسط مدينة بجاية".[3]

غير أن المعلوم والذي لا جدال فيه، ما يمتاز به من علم واسع، وطريقة حكيمة في التربية والتعليم، مما جعله يحظى بالتبجيل من طرف سكان بجاية، وهو ما سبب له ملاحقات سلطات الاحتلال الفرنسي التي كانت تراقبه مراقبة شبه دائمة في محاولة منها للحد من نشاطاته، الأمر الذي أطلعتنا عليه إحدى التقارير السرية لخدمة الاتصالات لشمال إفريقيا (S.L.N.A) التي ذكرت أنه: "معلم جيد ومنضبط، يحظى بالتقدير والاحترام من طرف سكان مدينة بجاية".[4]

كان الاستعمار الفرنسي يدرك أهمية هذا التعليم وأثره في نهضة الأمة، فكان يحاربه، وضايق الشيخ بوزوزو في تحركاته من أجل نشر العلم، نتيجة لهذه الوضعية، فقد أدرك بوزوزو مبكرا أهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية، وجهودها الرامية إلى تجهيل المجتمع الجزائري بكل أطيافه، ومحاربة التعليم العربي ورجاله ومؤسساته في كل شبر من القطر الجزائري، ضمانا لمستقبلها في هذا البلد، يقول في ذلك: "فمن مصلحة الاستعمار الأوربي أن يَبقَى المستعمَّر جاهلا، غير مفكر، لأن في الثقافة نباهة وعزة".[5]

---

[1] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص-ص 220-221.

Abbas Aroua, cheikh M. Bouzouzou n'est plus, **la tribune de Genève**, 01/10/2007.

[2] - A.W.C, Service des réformes, Boite N°: 479, Administration des Mouderrès, le 10 avril 1948.

[3] – عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص34.

[4] - C.A.O.M, S.L.N.A, 831 NA/3, Notice Individuelle, Confidentiel, Le 09 avril 1953, 93/4257.

[5] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

لكنه واصل نشاطاته التعليمية بنفس الحماسة المعهودة عليه، إذ ظل يدرس بمدينة بجاية حتى سنة 1941م، ثم مدرس في دالي عام 1942م، لينتقل بعدها إلى منطقة دلس، ثم إلى مدينة القُليعة عام 1943م التي لازمها فترة طويلة من الزمن، مدرسا وإماما، ناشرا للعلم، حريصا على مستقبل أبناء الجزائر.[1]

وعندما استلم تعيينه وشرع في العمل الرسمي، لاحظ اتساع ميدان العمل؛ فالمدارس الرسمية التي تشرف عليها السلطات الفرنسية لا تقبل إلا عددا محدودا من الأطفال، بينما اتجه الأغلبية إلى الشوارع، وهنا يظهر الجانب الإنساني للشيخ بوزوزو؛ إذ لمسناه يتحسر على وضعية الأطفال الجزائريين الذين لاحظ أنهم خضعوا إلى حد بعيد للأمر الواقع، واستسلموا لحالة الفقر والبؤس، من خلال تفشي داء الجهل بينهم، واستكانتهم لما تفرضه عليهم الإدارة الاستعمارية، وتذمره كذلك -كما يظهر- من ما يحترفه بعض الأطفال من مهن حقيرة لا تناسب سنهم ولا توحي بمستقبل زاهر لهم.

وعلى الرغم من أن محمود بوزوزو عاش طفولة مريحة، مقارنة بغيره من الأطفال الجزائريين الذين عانوا مختلف أنواع الفقر والحرمان، إلاّ أن هذا لم يمنعه من الإحساس بآلام أبناء الجزائر الآخرين، فقد كان يتأسف دائما لما يحسه ويعانيه الجزائريين العاجزين عن تأمين أبسط الضروريات لأبنائهم، فأكثر ما كان ما يؤلمه حقا عدم انتفاع أبناء الشعب الفقراء من التعليم، لهذا كانت جهوده ثابتة على مدار سنوات، انعكست في اهتمامه بهذه الفئات.

وفي ذلك، لم يكن من أنصار التعليم الموجه لفئة معينة من الناس أو لصفوتهم وخاصتهم، بل دعا إلى نشر العلم على أوسع نطاق لتعم الاستفادة، وهنا يظهر حرصه على الاستفادة المثلى لكل شرائح المجتمع ذكورا وإناثا، كبارا وصغارا، أغنياء وفقراء وهو ما عمل على تجسيده في عدة مشاريع، يقول هذا الشأن:"ولا حاجة إلى ذكر وجوب نشر التعليم وتعميمه، والإجبار عليه، وتشريك جميع طبقات الشعب فيه، من الأغنياء والفقراء ومن الذكور والإناث، فما من أمة عمّ التعليم فيها، وكُفِلَت فيها الحرية المطلقة في التفكير والتعبير، إلا وازدهر الإنتاج الفكري فيها وتنوّع وقوي".[2]

فحدّد ساعات إضافية خارج إطار التدريس الرسمي، ونظّم دورات تعليمية أوقات فراغه بعيدا عن نطاق المهام الرسمية، "لتعليم اليتامى والحمَّالين وماسحي الأحذية وحتى فئة العمال، كما سعى جاهدا لفتح مدارس حرة في عدة مدن، وحرص على جلب أساتذة أحرار لتقديم دروس لفائدة هذه الفئة المحرومة، وفتح نواد للشباب

[1] - C.A.O.M, S.L.N.A, 831 NA/3, Notice Individuelle, Confidentiel, Le 09 avril 1953, 93/4257.

[2] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

والكهول، مع تقديم دروس الوعظ والإرشاد في المساجد"[1]، وفي كل مجال من هاته المجالات كان شغوفا بتطوير أساليب التعليم والتعلم؛ حريصا على تطوير تقنيات التعليم تماشيا مع مقتضيات العصر، وتعميما للفائدة، غير أن الإدارة الفرنسية لم تنظر بعين الرضا إلى هذا العمل الاجتماعي والإنساني المحض، بل واتخذت إجراءات ضده سنتطرق إليها لاحقا.

إن القناعة الفكرية لدى محمود بوزوزو بضرورة وجود مدارس تعليمية حرة، مستقلة نهائيا عن السياسة التعليمية الفرنسية ترسّخت أكثر بعد قرارات ومواقف الإدارة الفرنسية من نشاطاته التعليمية الحرة، معتبرا أن تأسيس الجمعيات والنوادي لفائدة الشباب الجزائريين يعتبر من أولى الأولويات، إذ كان يؤمن أن انتشار التعليم بين أفراد الجزائريين أكبر تحدٍ للتواجد الفرنسي في الجزائر.

ظل يدرس بمدينة القليعة طيلة الفترة الممتدة من سنة 1943م إلى غاية 1945م واعتبره محمد بن زكري "مدرسا ناجحا بالمنطقة"[2]، وفيها انخرط في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية، إذ تولى بهذه المدينة إدارة الفريق المحلي للكشافة الإسلامية الجزائرية، وهناك كثف من لقاءاته بالوطنيين، وخلالها اتهم بالمشاركة في احتفالات الثامن ماي 1945م من قبل السلطات الفرنسية.[3]

وعن شدة حرصه وإحساسه بالواجب وتحمل المسؤولية نورد هذه الواقعة، فعلى إثر إصابته بداء في رجله في أفريل 1944م وهو مدرس آنذاك بمدينة القليعة، ألزمه الفراش لمدة تزيد عن العشرة أيام بعيدا عن أهله، سافر على إثرها إلى بجاية لكي يأخذ قسطا من الراحة، ولم يرجع إلى منصبه لشدة خوفه من الداء، ورغم شدة مرضه لم يطلب إلا عشرة أيام خوفا من ضياع مصالح أمته، وتعطل السير الحسن للدروس المقدمة لتلاميذه، فكتب في ذلك قائلا: "وإن كنت أتحقّق أن العلاج يستلزم مدّةً طويلة، ولكنّي لم أبالغ في طلب الزّيادة في العطلة، فاكتفيت بعشرة أيام، وأرسلت إلى الأستاذ المدير شهادة طبية وبرقية إعلاما له بالحالة".[4]

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, de deux prisons à la liberté, op.cit, p.68, Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p1.

جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص 81.

[2] - C.A.O.M, S.L.N.A, 831 NA/3, Notice Individuelle, Confidentiel, Le 09 avril 1953, 93/4257.

[3] - حميدي أبو بكر الصديق، محمود بوزوزو أحد الأقلام في النضال الوطني والكشفي، **المجلة التاريخية المغاربية**، س40، ع152، جويلية 2013، ص161.

[4] - رسالة من الشيخ محمود بوزوزو مؤرخة في 26 ربيع الثاني 1323هـ/ 20 أفريل 1944م من بجاية. نقلا عن: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 91.

المعلم محمود بوزوزو المعروف بثقافته الواسعة وشعوره بالواجب، جد منشغل بالأوضاع الاجتماعية المزرية التي فرضتها البيئة الاستعمارية، ولقناعته بأن الشعب الجزائري في حاجة ماسة لمؤسسات وهيئات تثقيفية تربوية، في محاولة منه لإحداث نهضة علمية إسلامية تعيد المجتمع البجائي والجزائري عموما إلى أصوله الطبيعية، وانتمائه العربي الإسلامي، أثمرت جهوده بتأسيس عدد من المدارس التعليمية في بجاية، وكذلك في مدينة البليدة، وقدم فيها دروسا لطلابه.

يشيد بوزوزو بأهمية المدارس، موضحا أن تأسيس مدرسة ليس المقصود منه إقامة بناء وتأثيثه، بل الغاية أن تكون المدرسة وسيلة للتربية والتعليم، سيما في وطن كالجزائر يتولى زمام التعليم والتربية فيه أجانب، وبغير لغتنا القومية، يقول في ذلك: "لذا فقد تحقق لنا مدرستنا الهدف الأول من تأسيسها، بتكوين المواطن الصالح، المستعد للدفاع عن تراثه بالنفس والنفيس، والثبات أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي راح خطره يستفحل يوما بعد يوم".[1]

الأمر ذاته أكده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مشيرا إلى دور المدرسة في الحفاظ على الثوابت الوطنية للأمم، فالمدرسة كما يقول: "إن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا، ووديعة العرب في ذممنا فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها، وتحوطها برعايتها، وتجعلها حصونا تقي أبناءها من الانحلال الديني والانهيار الخلقي، وتحفظهم من ترف الغنى وذل الفقر".[2]

نظرا لجهوده التعليمية، ومواقفه الفكرية اتجاه القضايا الحساسة في المجتمع الجزائري، وصفته السلطات الفرنسية بأنه يقدم تعليما جيدا، إذ نشأ في وسط جزائري يتسم بإشعاع الوعي الإسلامي وبروز الأفكار الإصلاحية النهضوية، وتتلمذ على يد باعث النهضة الجزائرية الشيخ ابن باديس؛ فأدرك مبكرا أهمية العلم والمعرفة في تهذيب النفوس، وإنارة العقول، وتنمية القدرات، فبذل أقصى الجهود في نشر العلم في محيطه البجائي أولا، وفي مختلف أنحاء القطر الجزائري؛ فقد كان بالفعل في الخمسينات ناشطا مع ثلة من شباب الجزائر "محاربة الأمية التي تفشت في المجتمع الجزائري، بتأسيس المدارس الحرة المستقلة عن الإدارة الفرنسية، وبناء المساجد".[3]

وعن أهمية التعليم المسجدي ودور الزوايا في تلك الظروف التي أوقدت مشعل العلم، ولقنت أجيالا دروسا في الوطنية، والتمسك بمبادئ الإسلام وتحقيق النصر للمسلمين وبناء أوطانهم، مستدلا بالقيّم الروحية

[1] - **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[2] - **البصائر**، عددان 172-173، 15 أكتوبر 1953.

[3] - V.H, L'Imam Bouzouzou conseille et instruit, **Journal de Genève**, 1994, p1.

والإنسانية التي حملها الأمير عبد القادر إثر تأثره بالفكر الصوفي وانتمائه للطريقة القادرية، التي لعبت دورا بارزا في مناهضة الاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر، يقول: "وما الزوايا والكتاتيب القرآنية إلا معاقل للقدوة الروحية، كانت تخرج في الماضي رجالا يمثلون الإسلام أصدق تمثيل كالأمير عبد القادر".[1]

كان له دورا فاعلا في تحصين الفرد الجزائري المسلم أمام تيار الفرنسة والتغريب، فكان مصلحا اجتماعيا، بذل أقصى جهوده في نشر العلم والمعرفة؛ فعمر المساجد بالدروس وحلقات العلم في مختلف العلوم في محيطه البجائي وفي مختلف أنحاء القطر الجزائري؛ "فعلى الرغم من ضيق الإمكانيات المادية، وضعف الوسائل، ومحدودية نطاق تأثيرها؛ فمن تعليم العربية، وتدريس القرآن وتحفيظه في المساجد والكتاتيب، إلى إصدار الصحف والمجلات والكتابة فيها".[2]

راح بوزوزو يثبت أن النظام الإسلامي قائم على العلم، وضرورة تعميمه على سائر الأفراد ذكورا وإناثا، وأنه جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، مؤكدا أن الفتح الإسلامي كان قائما على تغليب الحقائق الروحية، بينما الاستعمار الأوربي قائم على تغليب الحقائق المادية، كما أن النظام الإسلامي في حرصه على العلم يحترم المدنيات، ولا يقضي عليها، بل يستثمرها ويحفظ لها جمالها، يقول في ذلك: "وما روى لنا التاريخ أن المسلمين هدموا آثار المدنيات أو العلوم أو المعارف، وما يزعمه البعض من أعداء الإسلام من حرق المسلمين لمكتبة الإسكندرية، فإنه كذب وزور وبهتان، بشهادة المؤرخين المنصفين أمثال المؤرخ الفرنسي روني قروسي (René Grousset)، الذي ذكر سبب إحراقها في كتابه تقويم التاريخ (Bilan de l'histoire) وأثبت براءة المسلمين من هذه الجريمة، هذه شهادة للفتوحات الإسلامية التي كانت بخلاف الاستعمار الأوربي عاملا من عوامل نشر الثقافة وازدهار الأفكار".[3]

الأمر الذي دفع بالاستعمار الفرنسي إلى السعي في القضاء على القيّم الروحية التي تدين بها الأمة الجزائرية، من خلال استيلائه على مساجدها وأوقافها، ومحاولة مسخ قضائها وشريعتها، وتعطيل العمل بأحكام الشريعة الإسلامية بين أهلها، وهذا التمييز في التعامل طبيعي جدا وناتج عن الذهنية الاستعمارية القائمة على المعاداة للإسلام والمسلمين، لتشديد الخناق على الثقافة الإسلامية، زعما منها أن هذا سيفصل هذه الأمة عن قيمها الروحية الإسلامية، لكن هيهات أن يتحقق للاستعمار مراده؛ "فالأمة الجزائرية لا تزال متعلقة بهذه القيم،

[1] – **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

[2] – محمود بوزوزو، مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب، مصدر سابق، ص 60.

[3] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

وفي الزوايا والكتاتيب القرآنية والمدارس العصرية التي تستمد كل حياتها من الأمة، أوضح دليل على صدق التعلق". [1]

من أهم المبادئ التي شكلت أساس المشروع التعليمي عند بوزوزو دعوته إلى الاهتمام بالعلم ونشره، داعيا إلى محاربة الجمود من خلال تغذية عقول الناشئة بالعلم الصالح، مبينا خطره؛ إذ أن الجمود إذا انتشر في أمة قتل فيها روح الطموح الخلاق للحياة، وجعلها في مؤخرة الأمم قائلا: "فالجمود هو البقاء على حالة واحدة من غير سعي في تغييرها أو تحسينها، والرضا بالحاضر من غير تفكير في المستقبل، ومن دون إعمال الفكر في مصير الفرد والجماعة، وبعبارة أوجز بقاء ما كان على ما كان، ولو كان في الوجود خير مما هو موجود". [2]

مشيرا أن التمسك بجملة من العقائد والتقاليد والقيم، دون التفكير هل هي صالحة أم فاسدة؟ وهل يقبلها العقل السوي أم لا؟ ليست من سمات العقلاء الصالحين، مقتديا في ذلك برسولنا الكريم محمد ﷺ الذي حارب هذا الجمود في عصره محاربة شديدة، والذي تمثل في قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾. [3]

وعليه، فإنه إذا تلقى الفتيان والفتيات تربية تبعث فيهم الإيمان باستعدادهم للمعالي، وثقتهم بما لهم من مواهب خلاقة، مع الإيمان بالسنن الكونية والحقائق الخالدة كان في الإمكان حسن التفاؤل بهم، وتقدمت الأمة نتيجة لذلك، وهو ما تجلى في قوله: "فإذا نفض الشباب فتياننا وفتيات ثوب الجمود، وتسلحوا بالطموح إلى المعالي، وبنوا حياتهم على التفكير الصحيح، كان في الإمكان أن تستقيم أحوالهم ويحسن مستقبلهم، وترجوا الأمة منهم خيرا كثيرا". [4]

يرى أن كل من يؤمن بالله يدرك حتما أنه لا يوجد من العِلْمِيَّات شيء يناقض الإيمان بالله، ويعتبر الفرد الذي يخشى من العلم ليس لديه إيمان قوي؛ "فالحقائق العلمية حسب هذا الرأي لا يمكن أن تناقض الإيمان بالله، وكل ما ناقض الإيمان بالله فليس من الحق في شيء، ومعنى هذا أن العلم الصحيح يقرب من الله ويقوي الإيمان به"[5]، وهذا هو المعنى المشار إليه في الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾. [6]

[1] – **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.
[2] – **المنار**، س1، ع1، 19 مارس 1951.
[3] – سورة الزخرف، الآية رقم 23.
[4] – **المنار**، س1، ع1، 19 مارس 1951.
[5] – **المنار**، س1، ع 9، 05 أكتوبر 1951.
[6] – سورة آل عمران، الآية 07.

ومن بين العلوم التي حرص بوزوزو على ذكرها في كتاباته "التاريخ" ومنهجية تدريسه في المدارس، خاصة مع حرص السياسة الاستعمارية الفرنسية على منع الجزائريين من تدريس تاريخهم الوطني، تمهيدا لإدماجهم بالأمة الفرنسية، هاته السياسة الجائرة التي ساهمت في بروز الوعي التاريخي؛ فالكوارث القومية كما يرى بعض المؤرخين[1] "لها دور حاسم في خلق الوعي التاريخي، لأن عدم إدراك أسباب الكوارث، أنكى وأضر بالشعوب من المصائب في ماديتها".[2]

موقنا بأهمية تدريس التاريخ، ودوره في بناء الأمة، والحفاظ على كيانها، مؤكدا أنه يستحق العناية العظيمة التي يوليها إياه مسيرو دفة التربية والتعليم في الوزارات والهيئات الثقافية لمختلف شعوب العالم الحر، أو المولى عليه في كل عصر ومصر.

حيث يرى أن التاريخ لا يجب أن يدرس لذاته؛ أي لمجرد حفظ حوادثه، واستظهارها عن ظهر قلب، ذاكرا أن بعض معلمي التاريخ يقتصرون على تلقين الدروس التاريخية التي يختارونها لتلاميذهم، دون أن يجعلوا لها ما يجب من أهداف خاصة تثبت كيانه، وتدفعه أكثر للتمسك بحقوقه، فيقول: "لازلنا نرى أن معلمي المدارس الحرة في خصوص تعليم مادة التاريخ، يدورون حول نقطة واحدة، هي حشو أدمغة التلاميذ بخلاصات جافة، خالية من التوجيه المثالي، وفوق ذلك لازلنا لا نبدي الاهتمام المطلوب بتعليم تاريخ الجزائر".[3]

ثم انتقل إلى الحديث عن تعمد المدرسة الفرنسية إلى تشويه الحقائق التاريخية، من خلال تزييف الأحداث، وتحوير الوقائع، "فقد تواتر أنهم لا يفترون يعملون على إماتة روح العزة والثقة بالنفس في أبنائنا، بما يلقنونهم من الحقائق المشوهة، كأن يعلموهم أن النبي ﷺ كان راعيا للغنم، بقصد الحط من قيمته، وأن عبد الرحمان الغافقي ناشر ألوية الإسلام على مدينة بوردو، كانت فتوحاته بغية الحصول على الغنائم".

يؤكد بوزوزو أن لتعليم التاريخ فوائد قومية كثيرة، ولكن يرى أننا لن ننجح في تعليم التاريخ، ولا تحصل النتيجة المرجوة، إلا إذا حددنا له أهدافا معينة نرمي إلى تحقيقها، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

- إعداد المواطن الصالح وتكوين الشخصية الاجتماعية، من خلال تنمية الشعور بالمسؤولية في التلميذ اتجاه المجتمع، بإيراد أمثلة عن أبطال التاريخ الإسلامي والجزائري قديما وحديثا، وكذا التاريخ العام.

[1] – كالدكتور قسطنطين رزيق، والدكتور عبد الله العروي.

[2] – مولود عويمر، مسألة التاريخ عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، **مجلة الوعي**، مجلة ثقافية فكرية تصدر عن دار الوعي، جويلية 2010، ص 43.

[3] – **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

- خلق الذوق التاريخي الذي سيساعد التلميذ في مستقبل حياته على حل مشاكله المتنوعة ويزرع فيه الثقة في النفس.
- إثارة إدراك المتعلم، وغرس حب التعاون والتفاني في الدفاع عن الإرث العظيم.
- إثارة الروح الوطنية والوعي القومي؛ من خلال تكوين شخصية المتعلم وطبعها بطابع قومه، حتى يتهيأ لإتمام ما بدأ أسلافه من أعمال اجتماعية وإنسانية عامة، وهنا يجب أن نذكر للتلميذ الحروب التي قام بها أجداده دفاعا عن هذا الوطن، وما له من تراث هو منه كالدعائم بالنسبة للبيت ونعددها له قائلين: اللغة القومية، الدين المتبع، والعوائد الجارية.[1]

وعليه، اعتبر بوزوزو أن تدريس التاريخ جزء من الشخصية الجزائرية، لتفنيد أباطيل المستعمر التي تحاول غرس فكرة "أن الجزائر وطن لا ماضي له"، لذا أشار أنه يتوجب على القائمين على تسيير المدارس العربية الحرة أن يجعلوا التاريخ وسيلة قومية لمحاربة السياسة الاستعمارية، وذلك من خلال إسناد تدريس مادة التاريخ لمدرسين وطنيين، تتمثل فيهم الروح الوطنية الجياشة، حتى يتسنى لهم أن يطبعوا التلاميذ بالطابع القومي.

لذا حرص على إحياء المناسبات التاريخية، سواء الدينية منها أو الوطنية، لاستخلاص العبر، وربط الجزائر بماضيها، في محاولة منه لإقناع النشء أن الأمة الجزائرية ملك للجزائر منذ أقدم العصور، بهدف إذكاء شعلة الكفاح والمقاومة لدى الشعب، وإنشاء جيل صالح مطبوع بالطابع الإسلامي، قادرا على تحمل مسؤولية نفسه، وطنه، وأمته العربية الإسلامية، والإنسانية جمعاء، من ذلك ما نشره عن ذكرى الثامن ماي 1945م، ذكرى مقاومة الأمير عبد القادر، من وحي الهجرة، معجزة الإيمان، إلى الكمال أيها المسلمون، الانبعاث الإسلامي في الجزائر، محركا بذلك النفوس ومعيدا إلى الأذهان تلك المناسبات بظروفها وأسبابها، بأمجادها وبطولاتها، بآلامها ومآسيها.

وما لم يُغفِل بوزوزو التنويه إليه، تقديمه لاقتراح رأى أنه ضروري للدفاع عن التراث الجزائري العربي الإسلامي، والثبات أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي راح خطره يستفحل يوما بعد يوم، ألا وهو تنمية "الحس النقدي" لدى المتعلمين، وعدم قبول كل ما يصل إلى أذهانهم إلا بعد غربلته وتمييز حقيقته من زيفه، معتبرا إياه– الحس النقدي– من واجبات مدرِّس التاريخ، وهو ما تجسد في قوله: "يجب أن يهدف معلم التاريخ إلى تنمية روح الانتقاد في التلاميذ عند دراسة حادثة تاريخية، ليعتادوا النظر إلى الحوادث من جهات متعددة، لا من جهة واحدة فقط."[2]

[1] – **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[2] – نفسه.

وفي حديثه عن واقع اللغة العربية في الجزائر رأى أنه لا يدعوا إلى الارتياح؛ فبقدر الإقبال العظيم على تعلم اللغة الفرنسية، نشاهد عزوفا عجيبا عن تعلم العربية باعتبارها لغة التنزيل وأداة التفاهم بين جميع المسلمين، اختارها الله لإرشاد البشر إلى الهدى والصواب، مؤكدا أنها من أهم الروابط الأساسية التي تقوم عليها وحدة الشعوب الإسلامية، مشيرا في ذلك إلى الجهود التي تبذلها وزارة المعارف الباكستانية في دراستها، وتلهف الشعب الباكستاني على تعلمها إقبالا منقطع النظير.

يتساءل بعدها: ما هي الخدمات الجليلة التي قدمتها الجزائر للغة القرآن؟ وهل قام الشعب بواجبه نحوها كلغة قومية؟

يقدم بعد ذلك العذر للطبقات الفقيرة التي رأى أنه من حقها الإحجام عن إرسال أبنائها إلى المدارس العربية الحرة في الأوقات التي تخصصها هذه المدارس للأطفال الذين يزاولون التعليم بالمدارس الفرنسية، حيث لا مجانية في التعليم العربي في الوقت الحاضر، ولا يمكن أن تكون، مادامت شؤون البلاد بيد الأجانب، أما الطبقة الميسورة فلا عذر لها سوى إيثارها للمادة على الروح، والمصلحة الشخصية على المنفعة القومية العامة.[1]

ثم ينتقل ليؤكد أنه وعلى الرغم من أن لغة التخاطب بين العامة عربية في تراكيبها وأغلب مفرداتها؛ فإن الشارع الجزائري أصبح يشعر بأمس الحاجة إلى استعمال ألفاظ أجنبية ليست بالقليلة، لذا وجب علينا تعزيز اللغة العربية، لغتنا القومية، موضحا أنه لا يتسنى لنا نشر اللغة العربية إلا بالارتكاز على الدعامات التالية:

- الإكثار من المدارس الحرة.
- تنشيط الصحافة العربية.
- تشجيع حركة التأليف والنشر.
- تهذيب لغة المسرح؛ بنشر الأعمال المسرحية باللغة العربية الفصحى بعيدا عن الدارجة واللهجات المحلية.
- تعريب لغة التسامر في النوادي الأدبية والسياسية.
- تقوية روح الاعتزاز باللغة عن طريق تنظيم حملة دعائية واسعة النطاق لمكافحة الأمية.[2]

ورغم اعترافه بوجود مئات المدارس العربية الحرة التي تشرف على تسيير التعليم بها هيئات ثقافية قديرة لم تدخر جهودا في تعميم التعليم العربي، إلا أنها لم تستطع تحقيق الأهداف المرسومة، ولن تستطيع مادامت الجهود

[1] - **المنار**، س2، ع2، 25 أفريل 1952.

[2] - نفسه.

المبذولة لم توحد؛ إذ أن المناهج المرسومة -في نظره- لم تنسق ولم تطبع بطابع واحد يجعل الاتجاه يهدف نحو غاية واحدة.

يدعو من خلال هذه الدعامة الأمة الجزائرية إلى ضرورة التمسك بها، والمحافظة على هذا الصرح الأساسي، معتبرا إياها العامل الأساسي لتحقيق التواصل، وتمتين روابط الصداقة والإخاء مع كافة المسلمين في أرجاء المعمورة، وهي المرتكز الذي دافع عنه رجال الإصلاح في الجزائر خلال القرن العشرين، ولولا هذا المكانة التي تحتلها اللغة العربية لما كانت من أول الأهداف التي راهنت السلطات الاستعمارية على محاربتها.

وبالمقابل، تميز الأستاذ محمود بوزوزو بالثقافة الواسعة والانفتاح على الغير؛ هاته السمة التي لازمت فكره، وناضل من أجلها لعقود من الزمن، بل حوَّلها إلى ركيزة أساسية في نضاله الفكري؛ إذ يشدد على الأخطار الناجمة عن الانغلاق، مؤكدا أن جهل الآخر يولد الخوف والصراع والكراهية، لذا كانت دعوته موجهة إلى الشباب الجزائري من أجل تعلم لغات أخرى، وعلى رأسها اللغة الفرنسية التي لم يكن يرى في تعلمها مانعا أو عائقا أمام طموحات الجزائريين نحو تحقيق الاستقلال والتحرر.

وهو ما يتجلى في قوله: "لأكثر من نصف قرن أدركت الخطر الناجم عن هذه الآفة، في خضم الاستعمار؛ وفي الوقت الذي منعنا فيه المحتلون الفرنسيون من تعليم اللغة العربية في المدارس، عملنا جاهدين وسعينا لإثارة شهية الشبان الجزائريين خاصة في أوساط ك.إ.ج، من خلال حث المسلمين الجزائريين وتشجيعهم على تعليم اللغات الأجنبية، بما في ذلك اللغة الفرنسية، لأنها تمثل في نظرنا المفاتيح للتفتح على الآخر، وعلى العالم الآخر وتسهل معرفته".[1]

ثم يأتي الأستاذ بوزوزو بالحديث عن اختلاف وجهات النظر بين جميع الأمم للتربية والتعليم، ليستدل على مكانتهما في تطور بعض الأمم والشعوب، وخطورتهما على التواجد الاستعماري فيقول في ذلك: "فمنها من ترى أن أهداف التربية والتعليم يجب أن ترتكز على إعداد شبابها لحياة المدنية، بينما تطمح أخرى لنشر الثقافة العلمية والفنية، ونرى ثالثة ترمي إلى تغذية الفكرة الوطنية الثورية، ورابعة تريد أن تجعل من التربية والتعليم أداة نافذة المفعول في تنمية وتقوية النزعة الاستعمارية الرجعية".[2]

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées! Point de vue sur l'affaire des caricatures, **la tribune de Genève**, 11 février 2006.

[2] - **المنار**، س1، ع 13، 04 جانفي 1952.

ومن هنا يظهر أن هذان المرتكزان "التربية والتعليم" قيمتان معتبرتان عند جميع الأمم، لكن اختلفت النظرتان للموضوع الواحد؛ بين من يعتبرهما من وسائل الرقي والتمدن، التطور الفكري، والتحرر السياسي، في حين يعتبرهما آخرون أداة لتنشئة فئات تحمل أفكار رجعية عنصرية لإبادة واستعباد الشعوب الضعيفة.

وتأكيدا لما سبق، لم يسلم الشيخ محمود بوزوزو من عراقيل الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى تعطيل كل المشاريع الإصلاحية، الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية ومقوماتها، شأنه في ذلك شأن غيره من المصلحين، فاضطر إلى وقف العمل التطوعي في ذلك الوقت بعدما وصلته نسخة من قرار التوقيف، يمنعه من التدريس خارج الساعات الرسمية وصدور أمر بنقله إلى مدينة آفلو بالأغواط بالجنوب الجزائري، التي تعد منفى السياسيين المغضوب عليهم؛ والغريب في الأمر أن الإدارة الفرنسية عللت قرارها هذا بامتناعه عن التصويت في انتخابات1947م، واعتبرته موقفا سياسيا معاديا لها.[1]

وضعه هذا التدبير أمام محكمة الضمير؛ فالقبول به هو تشجيع الظلم، ورفضه كان تحذيرا لفرنسا من إصدار نفس العقوبة ضد شخص آخر من شأنه أن يقلده، لكن الشيء المهم أن هذا التدبير جعله يرى تناقضات السياسة الاستعمارية الفرنسية، يقول في هذا الشأن:"فهمت أن تنظيم مجتمعنا لن يتحقق إلا في جو من الحرية المطلقة، وأدركت أن المشكل الرئيسي سياسي، فلم ألتحق بالقرية المذكورة، وعزمت على خوض غمار المعركة في سبيل الحرية المطلقة".[2]

هذا الإحساس الدفين بمرارة الواقع الجزائري، وإلزام الشيخ بوزوزو نفسه بضرورة التغيير، يعطينا صورة معمقة عن ما هو متوقد في نفسيته، وثابت في ذهنه، بل ينم عن ذلك الاحتكاك والتواصل المباشر بجل أطياف مجتمعه، ولم يكتف بمجرد التواصل إنّما يتحسر على أوضاع أمته، وحالة أطفالها على وجه الخصوص، وبالفعل لم يلتحق بقرية آفلو، وفكر في تقديم استقالته.

ولكن تحت ضغط والده وأصدقائه من بينهم الشيخ المهدي البوعبدلي، الذي أكد له ضرورة التزامه لمهنة التدريس بقوله: "وإني أستحسن بقاءك في التّدريس، إذ كلٌّ ميسَّر لِما خلِق له، ولا تيأس فإن بعد العُسر يُسرا"[3]، طلب "الإحالة على الاستيداع" بعد ما تعذر عليه تقديم استقالته، خوفا من انتقام السلطات الفرنسية منه، وبعد

[1] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

[2] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

[3] – عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 108.

سنوات قليلة عرف من قاضي التحقيق أن هذا التدبير قد تم بدافع أنه لم يستخدم النشرة الإخبارية المقدمة من طرف السلطات الفرنسية.[1]

2-نظرته للتربية:

ما يثير الانتباه في المشروع الإصلاحي التعليمي للشيخ محمود بوزوزو أن هذه القيمة الاجتماعية التعليم -حسب ما يرى- لا يجب أن تحصر في تلقين العلوم والمعارف بشكل جامد، وحشو أدمغة الأطفال بالمجلدات وأمهات الكتب، معتبرا فهم التعليم بهذا المنهج تقصير من المعلمين، الأمر الذي استدعى توضيح واجبات المعلمين ومهامهم قائلا: "فإن المعلم الذي يقتصر على حشو أدمغة التلاميذ بالنصوص الجافة، لا فضل له إلا نقلها من بطون الكتب، وإثباتها على السبورة لينقلها التلاميذ إلى كراريسهم، هو مقصر في فهم مهمة المعلم الصحيحة...إن مهمة المعلم الصحيحة مهمة تربوية أيضا توجيهية".[2]

ثم يأتي بوزوزو بالحديث عن المعلم، الذي اعتبره المثل الأعلى للتلاميذ وأوليائهم، يتولى النصح والإرشاد زيادة على التعليم، لذا أكد أنه من واجبه أن يتجاوز ذلك الإطار الضيق للوصول إلى قيمة أوسع، ألا وهي "التربية" التي يعتبرها قضية المدنية؛ فرسالة التربية حسبه تتلخص في: "وقاية الإنسان وتحريره من الأوهام والضلالات التي تعرقل سيره في طريق التقدم، وبالتالي أخذ الفرد إلى سلوكيات تتجلى فيها القيم والمثل العليا والمبادئ الإنسانية السامية".[3]

كما أشار في موضع آخر[4] إلى أن التربية تهدف إلى تخليص الصغار من أمراض الطفولة وضعفها، الذي فرضته عليهم الطبيعة، لتكسوهم حلة الكبار وأخلاقهم وعقليتهم وإدراكهم، مشيرا إلى أن العصيان الذي يبديه الأطفال في بعض الأحيان، سواء في المدرسة أو في البيت، لا يجب أن يفهم على أنه محاولة مقصودة من الأطفال لإزعاج والديهم أو معلميهم، وخلق المشاكل لهم، إنما الحقيقة أنهم يهدفون بمحاولاتهم تلك إلى إثبات حريتهم وإبراز شخصياتهم وتأكيد استقلاليتهم.

لهذا، فإن جهود المربين يجب أن تحدث آثارا إيجابية في سلوك الأبناء، عن طريق بناء الذات الإنسانية وإعدادها للحياة التي تنتظرها؛ فمهمة التربية تكمن في إكساب الفتيان تربية إسلامية، تحفظهم من مخاطر وتقلبات الزمان الذي طغت عليه المادية على حساب القيم الروحية، محملا المربين مسؤولية غرس تلك الثوابت في نفوس

---

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

[2] - **المنار**، س1، ع18، 14 مارس 1952.

[3] - **المنار**، س1، ع3، 04 ماي 1951، **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

[4] - **المنار**، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.

الناشئة، فيقول: "فالواجب على الآباء والأمهات والمربين والمربيات إعداد البنين والبنات لأداء الواجبات، والقيام بالمسؤوليات، حتى لا يفاجئهم الغد بما لا يحمد عقباه، وحتى لا تجدهم صروف الدهر بدون سلاح".[1]

يسترسل بوزوزو قصد ترسيخ مفهوم التربية مبينا حقيقتها، فيقول في هذا الشأن: "فالتربية بالمعنى العام ترمي إلى تنمية المواهب والاستعدادات العقلية والروحية والفنية والبدنية، وتوجيهها إلى ما يعود بالخير والصلاح على الفرد والجماعة، فهي تُعْنى بالإنسان عناية شاملة محيطة، كي تعده للاستفادة من حياته واستغلال الكون الذي قدر له أن يعيش فيه...فهي تُعرَّف بأنها تنظيم للحياة البشرية".[2]

وحسبه، فإنه لا يحق لأي أمة من الأمم أن تتفاءل بشبابها، وترسم مستقبلها المجهول إلا إذا أولت التربية عناية خاصة، معتبرا أن الإنسان لا يمكن أن يجد زاجرا من نفسه –وهو صوت الضمير– إلا إذا تربى في صغره وقُوِّم تقويما، لكي يتمكن من شق طريق واضح المعالم إلى السعادة الشاملة للوطن، يقول في ذلك: "وإذا تلقى الفتيان والفتيات تربية تبعث فيهم الإيمان باستعدادهم للمعالي، وما لهم من مواهب خلاقة، مع الإيمان بالسنن الكونية والحقائق الخالدة، والقواعد التاريخية إيمانا جازما، كان في الإمكان حسن التفاؤل بهم، وتقدمت الأمم بخطى عظيمة إلى الأمام".[3]

وعليه، فإن حالة الأطفال الجزائريين تشكل تحديا لازما لمن أراد خوض غمار النضال الإصلاحي، فالموضوع مرتبط –حسب ما ذهب إليه– بمستقبل الشعب الجزائري، وبكيانه وذاته، مشيرا إلى أنه يتوجب على كل أمة ترغب في أن تبلغ أعلى درجات سلم الرقي، وتتحاشى أسباب التأخر، أن تؤمن بما في شبابها من الاستعدادات الفطرية والمواهب الخلاقة ساعية لاستثمارها، فبذلك فقط تفرض اعتبارها على غيرها، مبينا أن إنجازات الأمم عبر التاريخ ما تحققت إلا بعد إيمانهم واعتدادهم بقدراتهم.

ينتقل بعدها للحديث عن مشكل التربية في القطر الجزائري، وفي المجتمع المغاربي عموما، معتبرا إيّاها مشكلا عويصا لم يحظ بما يستحقه من عناية واهتمام، ويرى أن ما وصل إليه حال المسلمين اليوم من ضعف في القيم، وتعطل عن التقدم إنما أصله مسؤولية الغرب، فيقول في هذا الشأن:"إن الضمير العالمي في أزمة، وإن أسباب هذه الأزمة تعود إلى فساد القيّم التي تُبنَى عليها التربية، لاسيما في العالم الغربي، الذي تُلقى عليه المسؤولية الكبرى في ضلال البشرية وشقائها، وما وجود مشكل التربية عندنا إلا من نتائج هذا التحكم والتسيير".[4]

[1] – **المنار**، س1، ع 1، 29 مارس 1951.
[2] – **المنار**، س1، ع3، 04 ماي 1951.
[3] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.
[4] – **المنار**، س1، ع3، 04 ماي 1951.

ولم يُغْفِل بوزوزو الحديث عن شيء هام تضاعفت فيه جهود المعلمين والمربين، وكتبت فيه أقلام كثيرة لأنه بنجاحه نصل إلى الأهداف التربوية المسطرة، ألا وهو "كيفية حمل الأطفال على الطاعة والانقياد والسلاسة"؛ مشيرا إلى اختلاف المربين في نظرتهم للموضوع؛ بين من يرى أنه لا سبيل إلى حمل الطفل على الانقياد والطاعة إلا بالضغط، وباستعمال كل ما هو متاح من وسائل الشدة والقوة الإخضاع، وبين من يرى أنه يجب أن يُؤْخَذ الأطفال بالرفق والملاينة، حتى يذعنوا ويستجيبوا استجابة حرة لا أثر للضغط فيها لمطالب الكبار من المعلمين والوالدين.

إذن، فحسب ما يذهب إليه فإنه هناك من هو مخطئ خطأ فادحا في فهم موضوع التربية، وأهدافها، وصَعُب عليه إدراك الغاية منها؛ فجليٌّ أن الرأي الأول يقوم على الخوف، وبالتالي فإنه يقتل شخصية الطفل، ويغرس فيه الجبن الذي لا حد لأضراره وويلاته، والتي من نتائجها ما نعاني اليوم من تسلط أجنبي وعدوان استعماري، أما الرأي الثاني فإنه ينهض على الإقناع والفرح، وعليه فإنه يسعى إلى حل المشكل حلا معقولا، لأجل ذلك وجّه دعوته إلى المربين بضرورة التحلي بالرفق واللين عند أداء مهامهم التربوية، تفاديا لأي انحراف قد يؤدي إلى ضياع مستقبل الأمة قائلا: " فيجب علينا معشر الوالدين والمعلمين أن نكون منطقيين مع أنفسنا، وأن نخاطب أبناءنا أو تلامذتنا كلما قصدنا إلى نصحهم أو إرشادهم بصوت واضح طبيعي، وشكل اعتيادي لا تصنع فيه ولا تكلف، وكل منا على ثقة بأنه مطاع الأمر، مستجاب الدعوة، وأن ندع الصياح، وإظهار الغضب المخيف والتهديد جانبا، فإننا ولا شك ترانا قد دخلنا عالما مفعما بالتفاهم ".[1]

وهو ما يوضح أن الطريقة الثانية هي الأنسب، لأنها لا تجعل الطفل خاضعا، إنّما تتركه حرا، وتحمله في الوقت ذاته على الطاعة بحكمة، وبإرادة ذاتية دون إكراه أو قيد، وتدفعه أكثر إلى ملازمة النظام وعدم الابتعاد على الحدود المرسومة.

[1] – **المنار**، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.

3-خصائص المنهج التعليمي التربوي لديه:

تميّز الشيخ محمود بوزوزو بإتباعه لمنهج تعليمي تربوي بخصائص وضوابط معينة، حدّدها وجعلها نقطة البداية نحو تحرير عقول الناشئة وتحصينها بالعلم النافع، وانطلاقا من نظرته للتربية ودورها في تنظيم الحياة البشرية، اعتُبِر رجل مصلح من الصف الثاني، يشهد له بصلابة عوده إيمانا وتدينا، كما يشهد له أغلب معاصريه أنه "من أحسن المربين وأكثرهم تأثيرا في تلامذتهم".[1]

وبناء على ما سبق ذكره، حاولنا استخلاص جملة من السمات من خلال تتبعنا لجل ما كتب عن التربية والتعليم، التي لخصها في قوله: "فإذا كانت برامج التربية والتعليم والقوانين السياسية والاجتماعية، ترمي إلى تكوين الإنسان تكوينا صالحا يسير به في طريق سعادته وسعادة الإنسانية، عمّت السعادة".[2]

هاته الميزات أهلته لأن يكون مصلحا اجتماعيا، سالكا بذلك نفس التوجه الذي سار عليه وناضل من أجله معلمه وشيخه العلامة عبد الحميد بن باديس رحمهما الله.

وعليه، تتجلى سمات المنهج التعليمي التربوي لدى المفكر المصلح محمود بوزوزو بالخصائص التالية:

- اعتبار التعليم حق إنساني؛ إذ يتوجب على الأمة أن تُمَكِّن كل أفرادها منه دون تمييز مهما كان نوعه، وإتاحته لجميع أبناء وبنات الأمة الجزائرية، مستندا على أن النظام الإسلامي "قائم على العلم، وضرورة تعميمه على سائر الأفراد ذكورا وإناثا، وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة".[3]
- ملازمة التربية للتعليم في البرنامج التعليمي من أجل بناء أجيال قادرة على تحقيق الاستقلال؛ فتحرير الأوطان أساسه تحرير النفوس من الأوهام والضلالات، حيث يقول: "يتحتم على المعلم الذي يريد أن يكون معلما حقا أن يظل على اتصال دائم بالدراسة، والمطالعة، وتتبع الوسائل التربوية، وأن يعير جانب التربية نفس الأهمية التي يوليها جانب التعليم".[4]
- أهداف التربية والتعليم يجب أن تكون مستوحاة من تعاليم الإسلام؛ فحسب ما يرى فإن هذه الجهود التعليمية يجب أن تنطلق من مبادئ الدين الحنيف، وتعمل على غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتثبت الإيمان في نفوس الناشئة، لأن تلقين القيم الدينية الصحيحة هو أساس نجاح المشروع الثقافي

[1] - **المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830-1962**، الملتقى المغاربي الأول، يومان دراسيان: 28-29 ديسمبر 1992، وحدة بحث عمار هلال، قاعة المحاضرات، النفق الجامعي معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص45.

[2] - **البصائر**، السلسلة الثانية، ع3، 08 أوت 1947.

[3] - **المنار**، س1، ع02، 20 أفريل 1951.

[4] - **المنار**، س1، ع18، 14 مارس 1952.

التربوي التعليمي، فالدين هو العامل العظيم الذي سيطر على الحياة البشرية قرونا، فلا يمكن التهاون به في التوجيه التربوي.[1]

- استناد النظم التربوية إلى تقاليد الوطن التاريخية، وملائمتها للمناهج السياسية للشعب الجزائري العربي المسلم؛ فهو بهذا يؤكد عناصر الهوية الوطنية من دين ولغة وعادات وتقاليد وانتماء حضاري فيقول في ذلك: "يجب أن تساعد التربية والتعليم الشعب على تحقيق أمانيه القومية، من وحدة عربية شاملة خالصة لا تشوبها شائبة الامتزاج والاختلاط بالمبادئ الاستعمارية التي ما تزال تسود الوضع الحالي للبلاد في وقتنا هذا".[2]
- مهمة المعلم حسب ما يذهب إليه مهمة قومية إنسانية، ورسالته رسالة مقدسة، يتوقف عليها حفظ كيان الأمة، وذلك بتكوين المواطن الصالح للنهوض بأعباء الوطن، وإتمام المشاريع الإنشائية التي بدأها الأوائل وعهدوا بمهمة إتمامها وإصلاح ما قد يكون بها من خلل للأجيال القادمة.
- من واجبات المعلمين توسيع مداركهم العلمية، لأن الاعتقاد أن نيل الشهادة وحده كافٍ للقيام بالواجبات التعليمية خطأ فادح في التفكير؛ إذ أن الثقافة متطورة كل يوم كالحياة، وبالتالي فإن الاكتفاء بالشهادة والانغلاق على الذات يقتل معاني الحياة السامية، ويصبح المعلم في أداء واجبه كالآلة لا حياة فيها.[3]
- حملة مكافحة الأمية حسبه يجب أن تشترك في إثارتها وإعداد العدة لها جميع الهيئات الثقافية.
- تأسيس المدارس والمؤسسات التعليمية في جميع المدن والقرى والأرياف عبر كامل التراب الجزائري.
- توحيد المناهج؛ من خلال تحديد المضامين التي ينبغي أن تتشكل منها المواد المراد تقديمها للمتعلمين، رغم أنه لم يفصل كثيرا ولم يعط تصورا شاملا عن "محتوى المضامين" المقصودة في كتاباته حول الموضوع، إلا أن إشارته هاته إلى ضرورة توحيد المناهج توحي بالاختلاف الحاصل في البرامج المقدمة آنذاك، ونوعية الدروس، وهو ما ينم عن وعيه العميق بالمشكلات التي يعانيها التعليم في الجزائر حينها.[4]

---

[1] - **المنار**، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
[2] - **المنار**، س1، ع13، 4 جانفي 1952.
[3] - **المنار**، س1، ع18، 14 مارس 1952.
[4] - **المنار**، س1، ع13، 4 جانفي 1952.

- حسن اختيار المعلمين الذين ينتدبون للقيام بهذا الواجب الوطني ذي الأثر العظيم في الاتجاه الوطني العام؛ فالمعلم الحاذق حسبه هو من لديه القدرة على إدراك مستوى الفهم لدى تلاميذه، ويمتلك مهارات إيصال المعارف والخبرات رغم ضعف الإمكانيات والوسائل، وقادر على خلق فئة متعلمة واعية بحقيقة الواقع المعاش، وبالتالي مؤهلة لإحداث نهضة فكرية وعلمية تشكل لبنة الاستقلال والتحرر.
- يجب على الأولياء والمربين أن يعرفوا أن الأصل في الطفل أن يكون حرا مطلقا، بيد أنه دائما في استعداد كامل أن يطيع ويمتثل للأوامر بناءا على طريقة التعامل معه.
- على المعلم أن يجعل شخصيته محترمة محبوبة من طرف الأبناء والتلاميذ، داعية للطاعة والانصياع لا مخيفة مستوجبة للبغض والنفور.[1]

هذه الأفكار التربوية التعليمية التي جعلها الشيخ بوزوزو أساسا ومحورا لمشروعه التعليمي التربوي، والتي تمكنا من استخلاصها من ما تركه لنا من كتابات، توحي بأنه مصلح واع بأسباب معاناة أبناء وطنه، هذا الوعي مكّنه من القدرة على تحديد متطلبات التغيير، وهو ما ينم عن مستوى فكري راقي لهذا المصلح مقارنة مع العصر الذي عاش فيه، والظروف الاستعمارية التي كانت تعيشها البلاد.

وتجدر الإشارة إلى المناضل محمود بوزوزو قدّم خلاصة ما توصل إليه في هذا المجال، موضحا أسباب مناهضة فرنسا للتعليم العربي ويرجعه إلى الفهم المختلف بين الشعبين الجزائري والفرنسي، أو بالأحرى المستعمِرْ والمستعْمَر، مشيرا إلى تباين الآراء بين الأمم في فهم مثل وأهداف التربية والتعليم؛ فبينما تجد أمم العصور القديمة تهدف إلى إعداد شبابها للحياة العسكرية، ترى أخرى تطمح إلى نشر الثقافة العلمية والفنية، بينما تتجه ثالثة إلى تغذية الفكرة الوطنية والثورية، ورابعة تريد أن تجعل من التربية والتعليم أداة نافذة المفعول لتنمية النزعة الرجعية الاستعمارية.

فالتعليم يمكن استعماله إما لخير الإنسانية وسعادتها، أو لشر الإنسانية وإبادتها وتدمير العمران وإفنائه؛ يقول في هذا الشأن:"ومن هنا نرى أن التعليم معتبر لدى أغلب الأمم معملا جاهزا بكل معداته ولوازمه، لإخراج طبقات أخرى تعتنق مبادئ رجعية هدامة، تعمل هي الأخرى على تثبيت دعائمها بين الأمم بقوة الإقناع أو بوسائل الإخضاع".[2]

[1] - **المنار**، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.
[2] - **المنار**، س1، ع13، 04 جانفي 1952.

وهو نفس المنحى الذي سلكه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في تفسيره لأسباب معاداة الاستعمار الفرنسي للتعليم العربي الحر في الجزائر؛ إذ يرجعها إلى الفهم المختلف للتعليم بين الأمتين الجزائرية والفرنسية فيقول: "بيننا وبين الحكومة خلاف ينتهي إلى التَّضاد في فهم معنى التعليم العربي، سببه اختلاف أداة الفهم فيها وفينا، فهي تفهمه بالذهنية الاستعمارية العنصرية المتأثرة بالسيادة الاستعمارية والاستعلاء، وتراه بالعين التي لا ترى إلا مصلحتها، فتحتاط وتبالغ في تقدير العواقب...ونحن نفهمه بالذهنية القومية الوطنية، ونراه حقا لا يعمى عليه ذو بصر ولا يدفع بالمغالطة".[1]

الأمر ذاته أكده محمود بوزوزو مشيرا إلى حرص الدول ذات النزعة الرجعية الاستعمارية على مناهضة التعليم العربي الحر في البلدان الواقعة تحت سيطرتها، مرجعا السبب في ذلك إلى أهدافه التي تتنافى شكلا ومضمونا وأهداف التعليم الذي تتولى تسييره تلك الدول الاستعمارية النزعة، فيقول في هذا الشأن: "فبينما تعمل هي على تغذية روح العنصرية الاستعمارية، يهدف التعليم الحر إلى إنعاش الروح الديمقراطية وتقوية الفكرة الوطنية الثورية التي تدفع الشباب إلى التمرد على النظام الاستعماري المفروض، والعمل على تقويض أركانه باعتباره الداء الفتاك الذي يفتك بالإنسانية".[2]

وبالتالي يؤكد في مقام آخر أن التعليم العربي الحر في الجزائر عانى شتى أنواع التضييق، انطلاقا من نظرة الاستعمار الفرنسي للتعليم؛ "فإذا ذكرنا أن التعليم المسيحي الحر والتعليم الإسرائيلي الحر يتمتعان باحترام تام فهمنا تقدير الاستعمار لثقافة الإسلام"[3]، من أجل ذلك وجه بوزوزو عنايته لنشر التعليم وإدراك دوره في بث الوعي الوطني، والتحضير لبناء مجتمع مثقف متعلم مدرك لحقيقة الواقع الذي يعيشه، قادر على إحداث التغيير وتحقيق الاستقلال، انطلاقا من تحرير النظام التعليمي الجزائري من الأسس التي رسمها له الاستعمار الفرنسي.

تحدث مطولا عن اضطهاد التعليم في الجزائر، ولاحظ أنه قائم على كواهل الأمة الجزائرية العربية المسلمة، واعتبره من أبرز مظاهر تمسكها بمقوماتها، رغم أن برنامجه بسيط لا يتعدى التعليم الابتدائي، ولا يزال ينحصر في مكافحة الأمية وتلقين مبادئ القرآن والكتابة والحساب، وبعض مبادئ الإنشاء والجغرافية والدين والتاريخ الإسلامي، ثم إن الأطفال الذين يتلقونه هم الذين تركتهم المدرسة الفرنسية في الشارع فإذا تخرجوا منه فإنه ليس

[1] – الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، **عيون البصائر**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص312.
[2] – **المنار**، س1، ع13، 04 جانفي 1952.
[3] – **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

لهم وظيفة تنتظرهم؛ "فالاستعمار لم يتردد في تسديد سهامه للتعليم العربي الحر فالمتخرجين منه لا يستطيعون أن يجدوا مهنة تخولهم من الحق في كسب العيش".[1]

بل حتى الذين واصلوا الدراسة بعده في المعاهد الإسلامية خارج الوطن، في تونس ومراكش ومصر، وعادوا بالشهادات العليا من المعاهد الإسلامية الكبرى، ليس لهم مكان في الوظيفة، وهناك اضطهاد للمدارس الحرة ولمعلميها، مثل مدرسة الحرَّاش التي أغلقت ولا تزال تنتظر الترخيص، ومدرسة مغنية التي روّع تلاميذها وحُوكم مديرها، بدعوى عدم الترخيص وعدم ملائمة المكان للدراسة.[2]

ومن الدلائل على اضطهاد التعليم الحر ومعلميه، أن هاجمت قوات البوليس في شهر أكتوبر 1951م المدرسة الحرة بمستغانم وفتشت الحجرات، وأخذت الكراريس والمصاحف، ثم ساقت الشيخ ابن الدين إلى السجن بدعوى أنه يلقن تلاميذه أناشيد ثورية، وحكم عليه بأربع سنوات سجنا وعشرات الآلاف تغريما.[3]

فعلى الرغم من أن الرخصة كانت موجودة وكافية، والتي أربكت قاضي التحقيق، إلا أنه أخذ يتمسك بخيوط واهية، وهي أن هذه الأوراق ليست بكافية، وأنه يجب على كل من شاء أن يفتح مدرسة أن تكون بيده ورقة خاصة ممضاة من طرف "البريفي"، كما أعلن القاضي أن على المدرسة ثلاثة آلاف غرامة، وسبب الحكم إذن هو أن المدرسة قد خرجت –حسب دعوى القاضي–عن تأدية مهمتها إلى أعمال أخرى مناقضة لما هو موجود في الرخصة.[4]

وهي صورة صادقة عن المعاملات التي يعامل بها رجال الدين ومعلمي اللغة العربية في وطن العروبة والإسلام، ذلك أن الشيخ المضطهد لم يقترف أي ذنب يؤاخذ به قانونيا، وإنما ركز جهوده على تأدية رسالته التربوية التي لم تخرج عن دائرة التعاليم الإسلامية؛ فالتهمة التي اعتمدت عليها السلطات الفرنسية لا أساس لها من الصحة، ذلك أن المعلم المذكور لم يحرض تلاميذه يوما على حمل السلاح، بل كان يعلمهم لغة دينهم.

كما بلغ جريدة المنار وهي ماثلة للطبع أن مدرسة التربية والتعليم الحرة بحي بلكور بالحراش بالجزائر العاصمة، قد أغلقتها السلطة الفرنسية بأمر من عامل العمالة مؤرخ في 18 مارس 1952م، بحجة أنها فتحت

---

[1] – **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

[2] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج9، درا الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 53. **المنار**، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

[3] – **المنار**، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.

[4] – **المنار**، س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.

بدون رخصة قانونية مع أن المدرسة كانت مفتوحة الأبواب منذ عامين، تحت إشراف جمعية تهذيبية معترف بها رسميا، والغريب أن لا يصدر الأمر بإغلاق المدرسة إلا بعد هذه المدة.[1]

ثم يذهب بوزوزو ليتساءل: لماذا يضطهد الاستعمار هذا التعليم وهو يزعم أنه يخدم المدنية من جهة، وصديق الإسلام من جهة أخرى؟

يتجه بعدها إلى محاولة تفسير هاته التصرفات الجائرة، مقدما بعض الافتراضات التي من شأنها تبرير جور الفرنسيين، وعليه يرى أنه على الرغم من أن هذا التعليم بسيط، فإنه يواجه العراقيل، فلماذا كل هذا القلق من التعليم في الجزائر؛ "فليس في هذه المدارس الابتدائية من العلوم الرياضية ما يخرج أمثال جوليو كوري[2] حتى يخشى منها أن ترسل القنبلة الذرية، وليس فيها مخابر الكيمياء والطبيعة وما أشبهها لصناعة الغازات الخانقة والجراثيم الفتاكة...فلماذا يضطهد الاستعمار هذا التعليم"؟

هذا الرأي في الواقع يعكس قناعاته الفكرية؛ إذ بدا مفكرنا واعيا بدرجة التأخر والتخلف التي يعاني منها الجزائريون خلال تلك الفترة، معتبرا الجهل ملمح من ملامح الانحطاط والتأخر، من هنا فإننا لمسنا في كتاباته نقدا للسياسة الاستعمارية الفرنسية التي حاربت التعليم، وأخلّت بكل الوعود، لعدم سماحها بفتح المدارس الحرة، هذا التوجه الذي أصبح مع الوقت مطلبا سياسيا وإصلاحيا ثابتا لديه، يدافع عنه في كل مقام ومقال.

ثالثا: الكتابة والتأليف عند محمود بوزوزو:

1-اهتمامه بالكتابة:

انطلاقا من مقولة العقل المبدع يتجاوب مع الظروف الصعبة ننطلق في حديثنا عن ظروف الكتابة والتأليف عند محمود بوزوزو؛ إذ ساهمت الظروف المحيطة بشخصه، والتي فرضها الاستعمار الفرنسي سواء داخل الجزائر أو خارجها، ومحاولاته الجائرة لطمس معالم الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري، وفصله عن كل ما له صلة بالقيم الحضارية الدينية، والانتماء العربي الإسلامي، وفي الوقت ذاته نشأته الدينية، تعليمه المسجدي، وتكوينه العلمي في مدارس عريقة في كل من بجاية، ومدينة قسنطينة ثم الجزائر العاصمة تحت إشراف ثلة من العلماء العاملين ورواد الفكر الإصلاحي النهضوي.

كلها روافد هامة؛ تضافرت فيما بينها مشكلة في مجملها محفزات جعلته يتجاوب مع تلك الظروف الصعبة، وبالتالي دفعته إلى الكتابة والتأليف؛ إذ أنه من الناحية النفسية والتاريخية يتأكد أن العقل المبدع يتجاوب

[1] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[2] - فريدريك جوليو كوري (Frederic Joliot –curie) ، فيزيائي وعالم نووي فرنسي (1900-1958).

مع الظروف الصعبة، ويسعى لإنتاج فكر صالح لفائدة الإنسانية جمعاء، وهو الإطار الجامع الذي كان يناضل من أجله الشيخ بوزوزو، فيقول في ذلك: "لم أكن أناضل من أجل استقلال الجزائر فحسب، بل من أجل استقلال كل أرض مستعمرة".[1]

وعلى إثر تتبعنا لجل كتاباته، وجدنا أنه قدّم إسهامات فكرية ثرية جدا، أبان من خلالها حقائق هامة تتجلى أساسا في ضرورة النهوض بالمجتمع الجزائري وترقيته في جميع الميادين؛ انطلاقا من تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها منتقدًا الغرب في جانبه الاستعماري الاستعبادي وسياسيته العنصرية، وفي الوقت ذاته دعا إلى وجوب النظر في الجوانب الإيجابية للمجتمع الغربي، بأخذ كل ما هو صالح من الشرق والغرب، مع الدعوة إلى الابتكار والتجديد حتى يكون للأمة الجزائرية إنتاج فكري جدير بالاعتبار والتقدير.

وهو ما لمسناه من خلال تحليلنا لجل كتاباته؛ إذ وقفنا على دراسات فكرية متنوعة، عميقة، وثرية جدا، وهي جهود معتبرة تؤرخ لتطورات النضال السياسي والفكري في الجزائر أربعينات وخمسينات القرن العشرين، ناهيك عن كتابات أخرى مستفيضة، تؤرخ للكفاح السياسي في المغرب العربي وكل البلدان التي عانت من ويلات الاستعمار خلال الفترة المدروسة.

والسبب في قيامنا بهذا العمل البيبليوغرافي هو الغيّاب الشبه كلي لمجمل آثاره على غزارتها، باعتبارها مادة علمية أولية تؤرخ لفترة هامة وحرجة من تاريخ الجزائر والعالم العربي عامة؛ مما جعل الحاجة ماسة إلى حصر شامل ودقيق لكل مقالاته وكتاباته في دراسة بيبليوغرافية لآثاره كمرحلة أولية، بهدف تقديم بيانات بيبليوغرافية شاملة مع إحصاء دقيق لكل ما كتبه الشيخ وتقديمها في جداول للباحثين حتى يسهل عليهم الاطلاع عليها، وبالتالي توفير مادة علمية توثيقية في شكل دليل بيبليوغرافي عبارة عن فهرس مخصص لكتاباته ومقالاته[2]، وهو ما يسمح لنا في مرحلة تالية بتحليل خصائص هذا المكنون العلمي، ودراسة مجهوداته وسمات كتابته بشكل مفصل ودقيق.

وعليه اجتهدنا حسب ما توصلنا إليه من آثار في تصنيف كتاباته خلال الفترة المدروسة 1918-1954م، وهو الإطار المحدد للدراسة كما هو موضح في الجدول التالي:

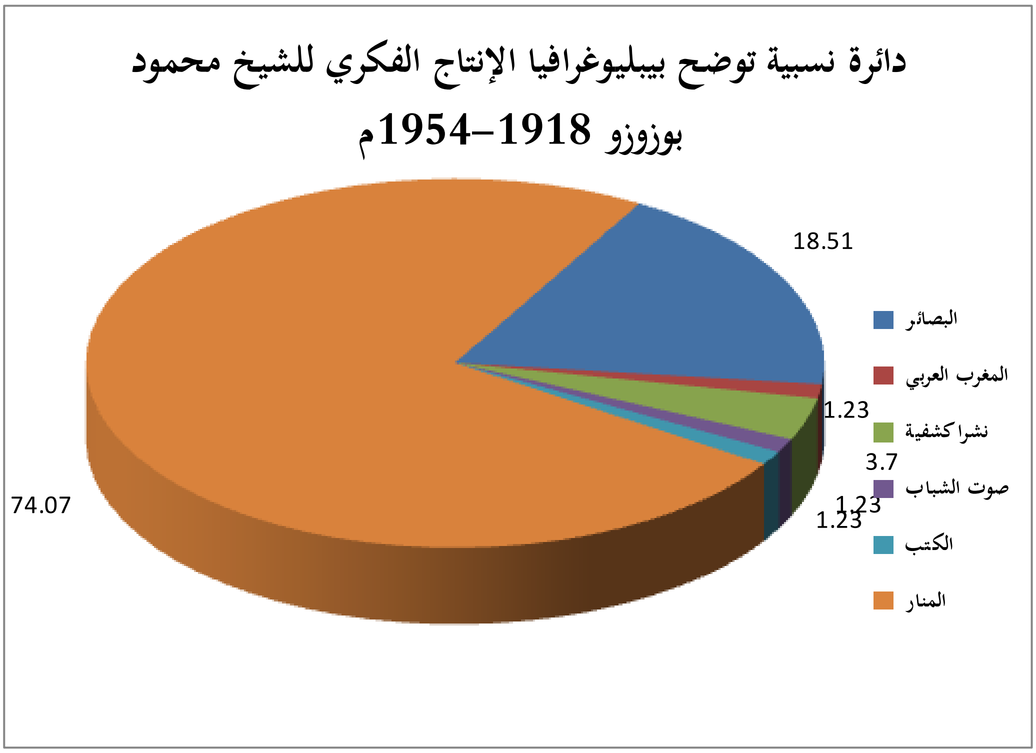
النوع	التكرار	النسبة المئوية
البصائر	15	18.51
المغرب العربي	01	1.23

1 - محمد الصالح الصديق، أعلام منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 223-224.

2 - للاستزادة أكثر يرجى الاطلاع على الملحقين رقم 11 و12 ويمثلان جرد لمقالات الشيخ بوزوزو في جريدتي المنار والبصائر.

نشرات كشفية	03	3.70
صوت الشباب	01	1.23
المنار	60	74.07
الكتب	01	1.23
المجموع	81	%100

الجدول رقم: 01 يوضح بيبليوغرافية الإنتاج الفكري للشيخ محمود بوزوزو 1918 إلى 1954م



من خلال البيانات الواردة في الشكل رقم 01: يتبين أن العلامة الشيخ محمود بوزوزو قد أولى اهتماما بالغا للكتابة الصحفية، بدليل النسبة التي أخذتها عدد المقالات المنشورة في مختلف الصحف والمنابر الإعلامية والتي تجاوزت النصف، أما الكتب فشأنه في ذلك شأن بقية رجال الإصلاح في الجزائر، فإن إنتاجه في هذا المجال كان قليلا إذ برز بنسبة ضئيلة جدا لم تتجاوز 1.23%، ولعل السؤال الذي يتوجب طرحه هنا، ما هي العوامل التي صرفته عن التأليف وإصدار الكتب، وشغلته أكثر بالكتابة الصحفية؟

لاشك أن الجو العلمي غير الهادئ في الجزائر، يعد من أبرز العوامل التي صرفت الشيخ بوزوزو عن التأليف؛ فقلة المكتبات ودور الطبع، صعوبة النشر والتوزيع، ناهيك عن الأوضاع الاجتماعية المزرية للشعب الجزائري، ومحدودية الدخل اليومي للفرد أو انعدامه تماما، كلها عوامل رسّخت قناعة في نفسه بمحدودية فائدة الكتاب خاصة في ظل تلك الظروف الاستعمارية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما يرجع ذلك حسب رأينا إلى اهتمامات وتوجهات الشيخ بوزوزو في حد ذاته؛ إذ وجدناه يميل أكثر إلى الكتابة الصحفية لفاعلية هذه الوسيلة؛ قلة تكاليفها، وصولها إلى أكبر عدد ممكن من القراء، ولفئة أكبر من أفراد المجتمع، سهولة وسرعة توزيعها مقارنة مع الكتب التي لن يفكر الجزائري في اقتنائها بتاتا في بيئة استعمارية اتسمت بتردي أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية.

وربما لانشغالات الأستاذ بوزوزو الكثيرة إذ نشط في عدة مجالات، مركزا عنايته بفئة الشباب باعتبارهم "رجال الغد" حسب ما يورد دائما في كتاباته، فقد أولى اهتمامه بتأسيس النوادي الثقافية، الأفواج الكشفية، والمدارس الحرة، وهو نفس المنحى الذي سلكه رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، على حد قول الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس: "شغلت عن تأليف الكتب بتكوين الرجال ".

ولأن محمود بوزوزو كان واسع العلم، فصيح اللسان، نذر نفسه لخدمة المجتمع، وأداء واجبه اتجاه أمته العربية المسلمة، بقي ينشد فكرة الإصلاح على اختلاف وسائلها، فعلى الرغم من كل المضايقات التي تعرض لها من جهات مختلفة، إلا أنه برز على الميدان كشخصية إصلاحية، موظفا جملة من الوسائل لنشر أفكاره الإصلاحية والتجدِّيدية، وتوجهاته السياسية والقومية إلى المسلمين أينما كانوا، ولعل الصحافة شكلت أبرز هذه الوسائل في تجسيد مشروعه النهضوي، معلنا تحديه للسياسة الاستعمارية الجائرة.

2-إسهاماته الصحفية في جريدة البصائر:

اعتمد محمود بوزوزو كغيره من المصلحين المعاصرين له على الصحافة كوسيلة لنشر الوعي الوطني والنهوض بالأمة الجزائرية، في محاولة منه للحفاظ على معالم الهوية الوطنية، معتبرا إياها من أهم الأسلحة لمقاومة الاستعمار وسياسته الإدماجية، فشرع في زمن مبكّر جدّا ربما في سن الخامسة والعشرين إن لم نقل قبلها في الكتابة الصحافية الجادة والمتعمقة، التي تُعنى بمعالجة مشاكل المجتمع وعلى رأسها الجانب السياسي الذي يرى أن علاجه هو أساس علاج كل مشاكل الشعب الجزائري، فنشر مقالات متنوعة في عدة جرائد من بينها: البصائر، المغرب العربي، المنار، ناهيك عن العديد من النصوص والنشرات الكشفية القيمة، وكتابات أخرى فكرية ودينية في مجلات وصحف سويسرية وغيرها لا يسعنا المقام لذكرها مفصلة.

وفي هذا الإطار لقي الدعم من قبل المرحوم الشيخ العربي التبسي، الذي كان كلما التقى به يقول له: "إن مثلك مكانه عندنا"، فلبى رغبته والتحق بمركز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ إذ لقي حسن الترحيب من رئيسها المرحوم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فانخرط في سلك المصححين والمحررين بجريدة البصائر.[1]

ويقول معلّلا التحاقه بجريدة البصائر[2]:"قبلت المسؤولية في جريدة البصائر التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشاركتها في أفكار التحرير".[3] كما كان يكتب افتتاحية البصائر مع الشيخ أحمد سحنون عند غياب الشيخ الإبراهيمي.[4]

يعد من رواد الصحافة الإصلاحية في الجزائر أربعينات وخمسينات القرن العشرين؛ إذ شكلت كتاباته الثرية منبرا خصبا للدعوة والإصلاح والعودة إلى الإسلام الصحيح، والدفاع عن الإسلام وحضارته، ومحاربة البدع والخرافات، وهي المواضيع التي يكتب فيها كل المصلحين في ذلك العهد لشدة حاجة الجزائريين إليها.

هذه المساهمات القلمية الفكرية شكلت في حد ذاتها منبرا قويا في التصدي للاحتلال الفرنسي وفضح جرائمه، وأداة فاعلة في تكوين الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري الذي أبدى حاجته الماسة إلى مثل هذه الكتابات؛ إذ أن كتاباته في هذه الفترة بالذات توحي بوطنيته الجياشة، وتؤرخ لحركة الوعي السياسي والحضاري الذي عاشته البلدان العربية الإسلامية عامة، والجزائر على وجه الخصوص.

اهتم أغلب المصلحين الجزائريين، وفي مرحلة مبكرة بالقضية الفلسطينية، كونها قضية جوهرية من قضايا العالم الإسلامي، وجب الدفاع عنها لإفشال مخططات وأهداف الحركة الصهيونية، إذ لخصت جريدة البصائر ذلك بقولها: "إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وكل مسلم، فمن قام بها أدى ما عليه لعروبته وإسلامه، ومن لم يؤده فهو دين في ذمته، لم يبرأ منه إلا بأدائه".[5]

---

[1] - Achour CHEURFI, **La classe politique algérienne de 1900 à nos jours**, **dictionnaire biographique**, 2 ème édition, édition CASBAH, Alger, 2006, p137.

ومحمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

[2] - البصائر:(1935-1939)، (1947-1956) جريدة إصلاحية دينية، استوحت تسميتها من القرآن الكريم، برزت على مرحلتين: سلسلتها الأولى ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية كجريدة أسبوعية، تولى رئاستها وإدارة تحريرها الشيخ الطيب العقبي من 1935 إلى 1937م، ثم خلفه الشيخ مبارك الميلي لسنتين، توقفت هذه السلسلة عن الصدور لظروف الحرب العالمية الثانية، أما سلسلتها الثانية فقد صدر أول عدد منها بتاريخ 25 جويلية 1947 برئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وظلت على هذا المنوال حتى سنة 1956، تاريخ حل جمعية العلماء المسلمين والتحاق قادتها فرادى بالثورة.

[3] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

[4] - عباس عروة، مصدر سابق، ص 207.

[5] - **البصائر**، س 2، ع41، 21 جوان 1948م.

والملاحظ أن الشيخ محمود بوزوزو عبر صفحات البصائر كان من المدافعين عن القضية الفلسطينية، محاولا كشف خيوط المؤامرة البريطانية الصهيونية، وآثارها على الشعب الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية عامة، رغم تأكيده أن سبب المصائب التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم، والمشاكل التي تعاني منها كل الأقطار العربية بسبب انحلال وقع في المسلمين؛ إذ ضعفت عقيدتهم وأهملوا العمل بالإسلام كنظام للحياة، فضاع مجدهم؛ "والتأمل في هذا سيساعد على فهم بعض الأسباب لضياع القدس وانقسام باكستان"[1]، كما يذهب إلى القول بأن بريطانيا جسدت كل طموحات الحركة الصهيونية، بداية من مصادقتها على وعد بلفور 02 نوفمبر 1917م الذي منح فلسطين كوطن قومي لليهود.

إذ حمّل الاستعمار الإنجليزي مسؤولية ما آلت إليه هاته الأرض المباركة؛ فالقضية الفلسطينيّة حسب ما يرى "مشكلة عقدتها أصابع الاستعمار الإنجليزي، لا تنحل إلا بقطع هذه الأصابع، ومن الشنيع المؤلم أن هذه الأصابع تعوّدت أن لا تترك تُقْطع حتى تَنشب أظافرها المسمومة في جسم ضحيتها، فتترك به جراحا عسيرة العلاج، لتوهم ضحاياها أن بقاء تلك الأصابع أولى من قطعها...فلولا الاستعمار الإنكليزي لما كانت في فلسطين مشكلة! ولولا الاستعمار الإنجليزي لما كان الحل بهذه الصفة، ولو لم يجد الإنكليز من مصلحتهم التقسيم، ما قسمت فلسطين، ولو أن مصلحة الإنكليز اقتضت السلم في البقاع التي يغادرونها لما شبت فيها حرب ".[2]

يسترسل بوزوزو في الحديث عن فلسطين بانفعال وبلهجة حادة، داعيا إلى ضرورة تبني القضية الفلسطينية، قضية كل العرب والالتفاف حولها، معلنا نقمته على الأطراف الثلاثة التي تنازعت أرض فلسطين؛ الاستعمار الإنجليزي، هيأة الأمم، وإسرائيل، وهي الأطراف التي كانت سببا في التقسيم، يقول في هذا الشأن: "الاستعمار الإنكليزي لم يشذ عن سيرة الاستعمار الأوربي، بل ذهب إلى أبعد من غاية؛ ذهب إلى أرض النبوة يبث الشقاق بين أهلها ليريقوا دماءهم، فهو المسؤول عن إراقة دماء الأبرياء بفلسطين، يقاسمه هذه المسؤولية دعاة الصهيونية، وتقاسمهم هيأة الأمم المتحدة".[3]

من خلال هذا النص نلمس خبرة بوزوزو بالسياسات الاستعمارية الدنيئة التي يوظفها اليهود لتحقيق أهدافهم، وعلى رأسها إلقاء العداوة والبغضاء وإثارة الفتن بين أبناء الشعب الفلسطيني، إذ نبَّه إلى نواياهم، وتتبع نشاطاتهم الحثيثة في سبيل خدمة قضيتهم، والعمل على استمالة القوى الفاعلة لدعمهم من أجل بناء وطن قومي

[1] – محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين، مصدر سابق، ص 120-135.

[2] – **البصائر**، س1، ع 16، 22 ديسمبر 1947م.

[3] – **البصائر**، س1، ع16، 22ديسمبر 1947.

لليهود على أرض فلسطين، مؤكدا أن العالم الصهيوني يعمل في الخفاء لخراب البشرية، وقد ظهرت آثاره في إفساد العلاقات بين الأمم وفي خراب بعض الدول.[1]

غير أنه لم يخف تذمره من المواقف السلبية لهيئة الأمم المتحدة من القضية الفلسطينية، مشيرا إلى أن هذه الهيئة لم تقم نظامها على قواعد شريفة، ولو فعلت ذلك لبادرت إلى إلغاء الاستعمار، وبث المرحمة والتعاون بين البشر، وبهذا تنحل جميع المشاكل بنفسها، ولو أنها نظرت في قضية فلسطين على ضوء هذه الحقائق والقواعد السليمة التي تبنى عليها سعادة الإنسان، لاهتدت إلى حل يسجله التاريخ بأحرف من نور، مقترحا حلا للقضية الفلسطينية؛ إذ أكد أن الحل هو أن ترجع اليهود المطرودين إلى أوطانهم، وتأمر الدول الظالمة برد أموالهم وأملاكهم المصادرة، لكنه يتأسف من عدم اهتداء هيأة الأمم إلى مثل هذه الحلول، أو بالأحرى لم ترد التفكير أصلا فيها، فهي المسؤولة عن عواقب حكمها.[2]

معتبرا أن هذه الهيئة لم تقم نظامها على قواعد شريفة تكون بادرة إلى إلغاء الاستعمار وإحلال الأمن الدولي، والمسؤولية في إراقة دم الأبرياء في أرض النبوة على الاستعمار الإنجليزي، والحركة الصهيونية، وهيئة الأمم المتحدة التي أشار أنها لو احتكمت إلى القوانين الدولية، لكانت كل أقوالها وأعمالها رحمة للإنسانية. وهو ما يدل على خبرته السياسية وفهمه لتوجهات هذه الهيئة، وسعة اطلاعه على طبيعة العلاقات الدولية والعوامل المتحكمة فيها.

وراح بوزوزو في كل مناسبة تتاح له يتحدث عن مآسي فلسطين منتقدا سياسة الإنجليز، وكثيرا ما كان يتناول القضية الفلسطينية بالتحليل فيقول: "ومن غرائب النفاق السياسي عند الإنكليز أنهم التزموا الحياد عند انتخاب هيئة الأمم المتحدة في قضية فلسطين، حتى إذا انعقد مجلس العموم البريطاني للنظر فيها قام كل من المستر "أيدن" زعيم المحافظين، والمستر "بيفن" وزير الخارجة يصرحان بالارتياح إلى التقسيم، وكلاهما ينصح لليهود بوقف الهجرة بعدما كان مسموحا لهم بها ليكاثروا العرب حتى يمكن ضرب فريق بفريق إن هددت المصالح البريطانية.[3]

من خلال كتاباته تظهر مواقفه الثابتة إزاء العديد من القضايا، فمثل هذه الآراء توحي بأنه لم يكن محايدا أبدا؛ بل أبدى مواقفه صراحة وعلنا وبجرأة تامة، فتجده في غالب الأحيان مناصر لكل القضايا الإنسانية العادلة،

[1] – **المنار**، س2، ع1، 11 أفريل 1952.

[2] – **البصائر**، س1، السلسلة 2، ع16، 22ديسمبر 1947.

[3] – نفسه.

ومشجع لكل المبادرات التحررية في العالم (استقلال الهند، الباكستان)، معلنا رفضه التام للوجود الاستعماري داخل الجزائر وخارجها، مبديا موقفه المعادي للنزعة الاستعمارية العنصرية.

ومن دون شك فإن النظام الاستعماري الخانق لحرية الصحافة، والمؤهلات الفكرية والعلمية للشيخ محمود بوزوزو وروحه الوطنية دفعته إلى التفكير في تأسيس جريدة مستقلة، ذات توجه إصلاحي وطني يرمي إلى إيقاظ نفوس الجزائريين، واستنهاض هممهم للدفاع عن مطالبهم الوطنية وحقوقهم المسلوبة والتمسك بالدين الإسلامي؛ إذ تعتبر سنة 1951 محطة هامة في مسار الرجل إذ أنه سيشرف على إنشاء جريدة المنار الوطنية، وهو ما سنفرد له فصلا مستقلا في ما تبقى من بحث، ليتسنى لنا التفصيل أكثر.

3-التأليف:

لم يترك الشيخ محمود بوزوزو على حد علمنا إلا كتابا واحدا مطبوعا بعنوان: "خاتم الأنبياء" (le dernier message)[1]، وفي هذا إشارة إلى أنه اقتحم حقل الدعوة الإسلامية في مرحلة مبكرة من حياته؛ لأن الكتاب طبع أول مرة سنة 1950م، ثم أعادت الجمعية الدينية لمستشفى بني مسوس الجامعي بالجزائر العاصمة نشره سبعينات القرن العشرين[2]، أما الطبعة الأصلية فهي غير متوفرة، وهو كتاب على صغر حجمه ذو قيمة دينية تاريخية كبيرة، إذ لم تتجاوز عدد صفحاته اثنان وثلاثون صفحة (32)، لكنه يحوي على الكثير من القيّم الدينية، وهو صورة صادقة تعكس ثقافة هذا الداعية والمفكر المسلم؛ فصول هذا الكتاب توحي بأنه داعية إسلامي، ويدل في الوقت ذاته على تحمس محمود بوزوزو واقتحامه مجال الدعوة الإسلامية في وقت مبكر من حياته.

بيد أن الظروف التي كانت تمر بها الجزائر، دفعته إلى الانخراط أولا في النضال السياسي الثوري التحرري، مؤجلا النضال الدعوي الإسلامي إلى حين تيسر الظروف لذلك، وما يثبت ذلك نشاطاته للتعريف بالإسلام دينا وحضارة في سويسرا، ودعواته المتكررة من أجل ترسيخ ثقافة التعايش والحوار بين الأديان، وهو ما أكده في رسالته إلى الشيخ المهدي البوعبدلي بقوله: "الحمد لله الذي أتاح لنا العمل من جديد في الحقل الإسلامي الذي هو لنا بمثابة الماء للسمك".[3]

[1] – ينظر الملحق رقم 13 يوضح صور لواجهة كتاب آخر الأنبياء.

[2] – وهي ذات النسخة التي نشرها مؤخرا الدكتور محمد أرزقي فراد ضمن كتابه المخصص للشيخ بوزوزو الذي ذكرناه آنفا، والتي قال انه استلمها من الأستاذ الدكتور سعيد شيبان يوم 02 نوفمبر 2017م.

[3] – عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص95.

هذا كل ما وصلنا، ونحن لا نعلم إن كان هذا هو الكتاب الوحيد الذي ألفه محمود بوزوزو ولم يكتب غيره، أم أنه الكتاب الوحيد الذي رأت صفحاته النور وتمت طباعته، فربما توجد كتب أخرى للشيخ محمود بوزوزو مطبوعة لم نصل إليها، خاصة مكتبته التي أهداها إلى صديقه للشيخ المهدي البوعبدلي.

ناهيك عن إمكانية وجود كتب أخرى مخطوطة مطمورة في المكتبات الوطنية، وربما توجد كتب أخرى محفوظة في رفوف مكتبته التي أهداها إلى المكتبة البلدية لمدينة جنيف السويسرية، أو ربما ضاعت، هذا ما نحتاج إلى الكشف عنه في دراسات ميدانية مقبلة لهاته المكتبات إن شاء الله تعالى.

خلاصة:

يعد الشيخ محمود بوزوزو أحد رواد الحركة الإصلاحية، خاض معاركا ضد البدع والخرافات التي أعاقت في نظره العقل العربي والإسلامي من التقدم والرقي بسبب حرمان الجزائريين من مختلف العلوم العصرية، ولاحظ أن هناك فرق شاسع بين التقدم العلمي والتفوق الفكري والازدهار الاقتصادي الأوربي، وما كان عليه الجزائريون وكل الشعوب من تأخر وتخلف بسبب الحكم الاستعماري، وعليه دعا إلى إصلاح شامل للمجتمع العربي الإسلامي، وتطهير المعتقد من ما علق به من شوائب التخلف والبدع.

والمتتبع لمسار الشيخ بوزوزو يجده يسير على خطى شيخه عبد الحميد بن باديس، والنهج الذي سلكه بقسنطينة، فقد اعتمد هو كذلك على التعليم، والتربية الدينية، فعمل على فتح النوادي ودعوة الشباب للانخراط فيها، مؤكدا أن صلاح الأمم بصلاح علمائها، لهذا أعطى عناية فائقة للعلم والتعليم، فعليهما يتوقف صلاح الأمة الجزائرية.

فأثبت من خلال كتاباته عن التربية والتعليم أنه على المعلم أن يدرك أنه مكلف بإنشاء الجيل القادم الذي سيحافظ على مقومات أمته، ويؤهل الشعب الجزائري أن يحتل مكانا لائقا بين الشعوب، لذا وجب عليه أن يقوم بمهمته على أكمل وجه، حتى يساهم في حفظ كيان أمته من الزوال والاندثار.

إضافة إلى التربية والتعليم، اهتم محمود بوزوزو بالكتابة كوسيلة لنشر أفكاره الإصلاحية، فكان قلمه يسطر ما جال به فكره، إذ كتب في مجالات متعددة في تاريخ الأمة الجزائرية العربية الإسلامية التي حاول الاستعمار الفرنسي -إذاك-محو ذاكرتها الجماعية.

الفصل الثالث

نضاله الوطني في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية

1943-1954م

أولا: إسهاماته في العمل الكشفي 1943-1946م

1-انخراطه في العمل الكشفي

2-تعيينه مرشدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية 1946م

3-إشرافه على تنظيم العروض المسرحية والأناشيد الكشفية ودورهما في إذكاء الروح الوطنية

ثانيا: مشاركته في التجمع الدولي للكشافة بمواسون 1947م

1-تحضيرات الوفد المشارك

2-حيثيات ووقائع المشاركة

3-آثار مشاركة الوفد الجزائري في هذه التظاهرة العالمية

ثالثا: أزمة 1948، وبداية توجهه السياسي

1-تصاعد الحس الوطني في الحركة الكشفية الجزائرية وحدوث أزمة 1948

2-تعيينه قائدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية

3-نضاله الكشفي بالغرب الجزائري

رابعا: محمود بوزوزو والثورة الجزائرية

1-أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتأثيرها على الحركة الكشفية

2-موقف الكشافة الإسلامية الجزائرية من اندلاع الثورة

3-تعرضه للاعتقال والتعذيب

4-حقيقة علاقته بتيار مصالي الحاج

تمهيد:

قام محمود بوزوزو كغيره من رجال الإصلاح بنشاط واسع في مجال التربية والتعليم والدعوة إلى إصلاح المجتمع، كما قام بنشاطات سياسية واسعة تجسدت فعليا بداية من انخراطه في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية، وهو ما منحه تكوينا سياسيا ونضالا ثوريا، فمنذ البدايات الأولى لنضاله أفصح عن مواقفه علنا، من خلال معاداته للسياسة الاستعمارية الفرنسية، ويعتبر من المناضلين الأوائل في صفوف التيار الاستقلالي التحرري.

الأمر الذي سنحاول إبرازه من خلال العناصر التي سنعالجها في هذا الفصل؛ بداية من التطرق إلى نضاله الكشفي وأهم النشاطات التي قدمها في هذا المجال، وكيف شكلت الكشافة الجزائرية إطارا توافق إلى حد بعيد مع توجهات وقناعات الرجل، فاحتضنته هاته الهيئة رفقة مناضلين أكفاء، ترقى خلالها في السلم القيادي الكشفي وأصبح مرشدا عاما، ثم رئيسا سنة 1947م، نظرا لتفانيه في العمل وإخلاصه في النضال، وإثر جهود كبيرة قام بها أثرت الساحة الوطنية، وكونت شباب أكفاء حملوا لواء التغيير وكان لهم الفضل في تفجير الثورة الجزائرية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى التغيرات التي طرأت على فكره، خاصة إثر انتقاله تدريجيا من العمل الإصلاحي البحت إلى التطلع أكثر إلى ممارسة العمل السياسي انطلاقا من نشاطاته الكشفية؛ إذ تأكد بعد جهود مضنية أنه لا يمكن إحداث التغيير في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا بعدما تشهد الجزائر نوعا من الاستقرار السياسي، فحرص مرارا على تجاوز الحزبية الضيقة مناديا بضرورة الوحدة الوطنية بين كل العناصر الفاعلة على الساحة الوطنية آنذاك، مؤكدا أن المصلحة العليا للجزائر فوق الجميع، هذه القضايا وغيرها ستتم معالجتها في ثنايا هذا الفصل.

أولا: إسهاماته في العمل الكشفي 1943–1946م

1–انخراطه في العمل الكشفي:

نود أن نستعرض بعض المحطات البارزة من حياة المكافح محمود بوزوزو ونضاله في هذه الحركة؛ حركة ك.إ.ج التي لعبت دورا أساسيا في المجال الوطني سياسيا وثقافيا واجتماعيا، ومشاركته في عدة تجمعات ومخيمات وطنية ودولية، ودعوته لإقامة عدة تظاهرات ثقافية تربوية في شتى مناطق الوطن؛ هذه النشاطات خير دليل على حرصه وثباته من أجل تربية النشء، وشحذ هممه بالحس الوطني وغرس الروح الوطنية العربية الإسلامية في نفوس الفتيان، وذلك بفضل أساليبه التربوية ومناهجه التنظيمية التي برهنت جاهزيته دائما لتقديم كل ما هو صالح رائق للمجتمع.

حاول الشيخ بوزوزو إيجاد وسائل الاتصال والتواصل مع الشباب الجزائري؛ لبث أفكاره التحررية، وغرس الوعي السياسي بينهم، فكانت ك.إ.ج الإطار الملائم لذلك بالنسبة إليه، في تلك الظروف؛ يقول في ذلك: "نشطت في عدة ميادين؛ وفي كل مجال كنت شغوفا بتطوير تقنيات وأساليب التعليم؛ ساهمت في إنشاء المدارس الحرة، قدمت دروس في المساجد، عملت على تنظيم أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية".[1]

لهذا كان هدفه وراء الانخراط في العمل الكشفي وتولي مسؤوليات قيادية؛ تربية الأجيال الناشئة على حُب الوطن، والتضحية من أجل المصلحة العامة وعلى قيم الإيجابية والمبادرة، يقول عن هذه التجربة: "كان هدفنا مقاومة الغزو الثقافي وتعبئة شباب الجزائر للانخراط في حركة التحرير وطرد المستعمر".[2]

1–1–الكشافة من وجهة نظر بوزوزو:

كان محمود بوزوزو من خلال عمله الكشفي،[3] يهدف إلى تكوين نشء سليم الروح والعقل والجسد؛ فالكشافة في نظره "حركة تربوية تهدف إلى تطوير القوة الفيزيائية، والقوة الفكرية، والقوة الروحية والجوانب المختلفة

[1] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

[2] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 221.

[3] – ينظر الملحق رقم 14: صورة لفوج كشفي يتوسطه المناضل محمود بوزوزو.

التي تظهر تحتها ما هي إلا وسيلتها".[1]

يبين المناضل بوزوزو في هذا الموضع مفهوم الحركة الكشفية، ليستدل على مكانتها، مؤكدا أن الكشافة تعمل على مرافقة النمو الجسمي والعقلي والفكري للشباب، ولهذا وجب تغذيتها بأرقى المعاني وأزكى المبادئ، لتنمو وفق الأساليب التربوية السليمة التي دعا الإسلام إلى التحلي بها، مع الحرص الدائم على ربط العمل الكشفي بالقيم الدينية الإسلامية لتفادي تأثر الكشافين بكل ما يحيط بهم من مخاطر وانحرافات.

ينتقل بعد ذلك إلى التوضيح أكثر في ذلك، إذ يرى أن قلة من الناس هم هؤلاء الذين يفهمون المعنى الحقيقي للكشفية، وفي الجزائر هناك حتى من يعتبرها بدعة، غير أن هذه الأحكام استند أصحابها على الجوانب الخارجية للكشافة، باعتمادهم على الصورة كمصدر إلهامٍ لهم، مما يوحي لهم أن أحكامهم موضوعية، فمعظم الناس لا يعرفون إلا الجوانب الخارجية للكشافة؛ "فهناك من يعتبرها منظمة عسكرية، لأنه رأى الكشافة تمر في وقت سريع في طوابير وفي صفوف مرتبة مثل الجنود، البعض الآخر اعتبرها مؤسسة مسرح عندما رأى العناصر الكشفية تؤدي القطع المسرحية، وهناك من يراها حزب سياسي عند أدائها لأناشيد وطنية، في حين اعتبرها آخرون جمعية رياضية استنادا على النزهات التي تقوم بها في الهواء الطلق، وممارستها لبعض الأنشطة والألعاب الرياضية".[2]

وهو نفس التوجه الذي سلكه قادة ومناضلي الكشافة الجزائرية، إذ يجمعون على أهمية هذه الأساليب الكشفيّة التعليميّة مع الاهتمام أكثر بالجوانب المعنوية الروحية، وهو ما ورد في نشرة الكشافة الجزائرية رقم: 02 الصادرة سنة 1948-1949م، من أبرز ما ورد فيها في هذا الشأن أن الكشافة "تهدف إلى ضمان النمو المعنوي والبدني للصبي، مع استهداف الجوانب المعنوية الأكثر فعالية والتي تتماشى مع أساليب التعليم النشطة المتبعة في العديد من الدول في الشرق والغرب".[3]

---

[1]- C.A.O.M, Mahmoud Bouzouzou, Qu'est-ce que le Scoutisme ? Scouts Musulmans Algérien, 3 Rampe de La Pêcherie, Alger, dossier n° 93/4257.

وللاستزادة أكثر حول معنى الحس الكشفي، ومبادئ الكشافة الإسلامية الجزائرية القائمة على الإرادة وروح الاستمرارية، يرجى مراجعة نشرة ك.إ.ج الصادرة سنة 1945م:

Bulletin S.M.A, Message de commissaire général: volonté et esprit de continuité, n°:07, 1945, C.A.N, 3X, 003/01/004.

[2]- C.A.O.M, Mahmoud Bouzouzou, Qu'est-ce que le Scoutisme ? Scouts Musulmans Algérien, 3 Rampe de La Pêcherie, Alger, dossier n° 93/4257.

[3]- C.A.N, Bulletin de S.M.A N°:02, 1948-1949, scoutisme et politique, 3X, N°: 003/01/004.

وإن كان الفتية المنْظَمِين للأفواج الكشفية ينخرطون فيها من باب المتعة، المغامرة، والاكتشاف؛ فإن قادتهم كانوا يقصدون ذلك حتى يصبح الفتية رجال الغد الذين يحررون الجزائر، وهو المعنى الذي حرص بوزوزو على تأكيده في تعريفه للكشاف بقوله:"ليس الكشاف[1] من الذين يمرون في الدنيا مثل الأموات؛ فمنذ بلوغه سن الرشد يجب أن يتمرس على فتح عينيه وأذنيه؛ يعني ذلك أنه يوقظ أحاسيسه لاكتساب ملكة حب الاطلاع العلمي، مما يضطره إلى اكتشاف طرق معرفة الحياة، فمن أهداف الألعاب الكشفية؛ صيانة حب الاطلاع وتربيته وتوجيهه، لكن الكثير يظنها مجرد أداة ترفيه، والحقيقة أن هذه الملكة تنمو مع السن حسب النمو الفكري للطفل، وإذا ارتقت إلى أوجها أخذت في التعمق".[2]

1-2-مشاركته في المخيّم الاتحادي للكشافة بتلمسان 1944م:

نظمت الحركة الكشفية عدة نشاطات؛ مخيمات تدريبية، تربصات تكوينية، وعلى إثر ذلك انتظم أكبر تجمع تاريخي ل:ك.إ.ج في مخيم تلمسان بهضبة لالا ستي من 23 إلى 30 جويلية 1944م تحت شعار "الاستقلال والحرية"؛ اشترك فيه حوالي 500 قائد من مختلف الأفواج والفرق المنتشرة عبر الوطن، كما حضرته شخصيات كبيرة؛ ثقافية، دينية، وسياسية جزائرية في طليعتها الشيخ الإبراهيمي وفرحات عباس؛ بما للأول من نفوذ روحي وقيمة أدبية في نفوس الجزائريين، وبما للثاني من مكانة أدبية وسياسية في الأوساط الثقافية والسياسية، إذ أكدا في خطابيهما أن الجزائر تعلق آمالا على العناصر الكشفية، أما حزب الشعب الجزائري الذي شارك بعض قادته السريين في هذا المخيم[3]، وقيل أن قائده مصالي الحاج أرسل ببرقية تهنئة للكشافة بهذه المناسبة.

أما النشيد الرسمي لهذا المخيم الذي دام أياما في غابة عيون الحجل المشرفة على تلمسان فهو "من جبالنا"؛ هذا النشيد الكشفي الوطني تردد صداه لأول مرة في جبال وسفوح تلمسان طيلة أيام المخيم، وحفظته

---

[1] – الكشاف كلمة عربية صميمة ولكنها قليلة الاستعمال في القديم، وإنما تطلق عادة على الإنسان أو الفارس الذي يتقدم القافلة العربية في الأسفار، كي يكشف عن الأماكن الصالحة للإقامة واللائقة لضرب الخيام بما يوجد فيه من كلأ وماء وطيب هواء، وقد أصبحت هذه الكلمة في العصر الحديث كثيرة الاستعمال. ويسمى الكشاف أيضا الرائد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرائد لا يكذب أهله". مأخوذ من العدد الأول من النشرة الداخلية سبتمبر 1947 للكشافة الإسلامية الجزائرية بقلم محمود بوزوزو نقلا عن: محمد الطيب إلول، علي عروة، **الفوج الكشفي الأمير خالد ببلكور من رواد الكشافة الإسلامية الجزائرية من 1946–1962**، مطبعة Spa-Sepu، بابا حسان الجزائر، دون تاريخ، ص331.

[2] – محمود بوزوزو، معنى كلمة كشاف، مأخوذ من العدد الأول من النشرة الداخلية للكشافة الإسلامية الجزائرية في سبتمبر 1947م، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص223-224.

[3] – محفوظ قداش، مصدر سابق، ص1091.

العامة والخاصة، ويعبر بوضوح عن التطلع إلى العمل الثوري والرغبة في تحقيق الاستقلال، وهو من وضع وتلحين الكشاف الشهيد حسان بالكيرد.[1]

والجدير بالذكر أن مخيّم تلمسان حضرته أيضا شخصيات سياسية فرنسية حاكمة مثل: وزير الشبيبة في حكومة ديغول المؤقتة الأستاذ روني كابيتان(René Capitant)[2]، وعامل عمالة وهران(Lambert) ونائبه بتلمسان (Uralic Vrolick) وغيرهم لمراقبة هذا الانبعاث الكشفي المباغت، خاصة في ظل الظروف الحرجة التي تعيشها الجزائر والعالم، وعلى إثر النجاحات[3] المحققة من طرف الفرق الكشفية الجزائرية المشاركة في هذا المخيّم، والمجهودات الوطنية لبعض القادة من بينهم محمود بوزوزو؛ علقت جريدة فرنسية على استعراض نهاية المخيم الفدرالي ل:ك.إ.ج في تلمسان جويلية 1944م بأن: "الجيش الجزائري ولد وعلى رأسه الجنرال بوزوزو".[4]

في هذه الفترة نشط محمود بوزوزو في مدينة القليعة؛[5] إذ تولى بها إدارة الفريق المحلي للكشافة الإسلامية، وهناك كشف لقاءاته بالوطنيين، وخلالها اتهم بالمشاركة في احتفالات الثامن ماي 1945 من قبل السلطات الفرنسية.[6]

---

[1] - ولد في 22 نوفمبر 1905 بمدينة قسنطينة، أحد الكشافين الكبار من الأعيان المصلحين في مدينة سطيف، كان صاحب مكتبة هناك سماها "الترقي الصغير"، شارك في جميع الحركات التحررية سواء كانت ثقافية أو سياسية أو دينية أو رياضية، أسس الفوج الكشفي "الحياة" في 1938، استشهد في ثورة التحرير سنة 1957م، ترك العديد من الأعمال المسرحية والأناشيد الكشفية والوطنية، ويخطئ من ينسب هذا النشيد "من جبالنا" إلى الشاعر مفدي زكريا، وما في النشيد من كلمات عامية وبعض اللحن يثبت ذلك. ينظر: محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، **مجلة الثقافة**، ع 70، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، جويلية-أوت 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص-ص 64-65.

[2] - أستاذ في الحقوق بجامعة باريس، مما يؤثر عن الأستاذ أنه توقف عن التدريس بالجامعة احتجاجا على اغتيال علي بومنجل في شهر فيفري 1957. ينظر: محمد الصالح رمضان، نفسه، ص65.

[3] - توج تجمع تلمسان بفوز بالغ، وأحسن دليل على ذلك حصول الكشافة الجزائرية على الاعتراف بها من قبل مجلس الكشافة الفرنسية في نوفمبر 1944، وفي شهر ديسمبر من نفس السنة تم الاتفاق على انخراط ك.إ.ج في مجلس الكشافة الفرنسية بشرط أن تحتفظ هذه الحركة بشخصيتها واستقلاليتها، كما تقرر في نفس الاجتماع الشروع في نشر مذكرات الحركة. ينظر: قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص46. وبتجمع تلمسان، تحققت وحدة الكشافة الجزائرية. ينظر محفوظ قداش، مصدر سابق، ص1091.

[4] - Qu'est d'Oranais, 11 et 18 Aout 1944.

نقلا عن: رامي سيدي محمد، الكشافة الإسلامية الجزائري في الغرب الجزائري بين الاستعداد، الانطلاقة والمشاركة في الثورة التحريرية، **المعيار**، المجلد التاسع، العدد الأول، 2018، ص 271.

[5] - في حوار لي عبر الهاتف مع الأستاذ منير عربية، مسؤول الإعلام بجمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية ومهتم بالتاريخ الكشفي بتاريخ 03 نوفمبر 2019 أشار أن محمود بوزوزو نشط فترة من الزمن في مدينة دلس التابعة لولاية بومرداس حاليا، مبينا أنها كانت مطلع الأربعينات، وذكر أيضا أنه أسس فيها فوج كشفي باسم: "فوج الإحسان" والذي مازال ينشط إلى اليوم، وعلى الرغم من تواصلي عدة مرات مع رئيسه السيد: يونس علي موسى، لكني لم أظفر بمعلومات ضافية عن تاريخ تأسيسه وأهم نشاطاته وغيرها.

[6] - C.A.O.M, S.L.N.A, Notice Individuelle, 831 NA/3, Confidentiel, Le 09 avril, 93/4257.

حميدي أبو بكر الصديق، محمود بوزوزو أحد الأقلام في النضال، مرجع سابق، ص161.

ولأن الكشافة الإسلامية حركة شبانية لم تخف طابعها التحرري، في هذا الصدد وأثناء تصدر فرقة الكشافة الإسلامية لمظاهرات الثامن ماي 1945، قال أحد الضباط الفرنسيين متعجبا من التنظيم الشبه عسكري الذي وصلت إليه الأفواج الكشفية الجزائرية آنذاك: "هذا هو الجيش الذي سيقاتل فرنسا في المستقبل".[1] وهو ما حدث بالفعل، إذ أن عدد كبير من منخرطيها يعتبرون من الكوادر الوطنية المفجرة للثورة التحريرية، وعناصر فاعلة داخل جبهة وجيش التحرير الوطني.

توقعت سلطات الاحتلال الفرنسي بأنّ ح.ع.2، وأحداث الثامن ماي ونتائجها ستؤثر سلبا على سير العمل الكشفي، فيتوقف نشاط هذه الأفواج الموجودة على المستوى الوطني، وتتراجع وتيرة عملها، لكن ذلك لم يحدث؛ إذ كشفت تلك الأحداث الطبيعة الحقيقية للكشافة؛ "مدرسة للوطنية"، أما القمع في كل من قسنطينة والقبائل الذي تلاها فقد قوى من وحدة الحركة، فشهدت تضاعفا لنشاطاتها الكشفية، وتواصل تأسس وميلاد فروع جديدة عبر التراب الوطني، متمسكة بموقفها الثابت، مؤكدة طابعها الوطني التحرري.

فبعد أحداث الثامن ماي 1945م، ترنحت الشعلة لكنها لم تنطفئ حسب قول المناضل الكشفي محمد درويش الذي أسس عبارته هذه على "الطاقة الحيوية التي كانت تبذلها الحركة الكشفية آنذاك في منطقة الجزائر ومنطقة وهران بالخصوص، من ذلك إصدار عشرات من المذكرات في الفترة المتراوحة بين شهر ماي وشهر ديسمبر 1945م".[2]

2 –تعيينه مرشدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية 1946م:

بتاريخ 20 جانفي 1946م، رخص والي الجزائر العاصمة للكشافة الجزائرية باستئناف نشاطها، وفي شهر أفريل من نفس السنة تبعه والي قسنطينة متخذا نفس الإجراء في ولايته؛ فاستأنف النشاط من جديد، بعد الإفراج عن المساجين.

في نفس السنة 1946م، توجه محمود بوزوزو إلى مدينة مليانة وكثّف من نشاطاته هناك، وعلى إثرها عين مرشدا عاما لجامعة الكشافة الجزائرية خلفا للمرشد العام السابق "عداد عبد القادر"، فبدأ يتحرك وينشط باسم الجامعة في نطاق مهمته تلك؛ إذ كاتب بعض المرشدين، وقابل بعضهم الآخر يستطلع آراءهم في مفهوم الإرشاد، أهميته، ودوره في تطوير الحركة الكشفية، فتحصل على اقتراحات عديدة منهم.[3]

---

[1] – رامي سيدي محمد، مرجع سابق، ص 271.

[2] – جمعية قدماء الكشافة، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص46.

[3] – شهادة محمد الصالح رمضان، الإرشاد في الكشافة الإسلامية الجزائرية، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص–ص 219–221.
Achour CHEURFI, op.cit, p137.

2-1-تعريف الإرشاد وأهميته حسب محمود بوزوزو:

على إثر تعيين محمود بوزوزو مرشدا عاما لحركة ك.إ.ج في جانفي 1946م، بدا له من الأولويات لفت نظر الأفواج الكشفية إلى أهمية الإرشاد(منشور 06 مارس1946م)، كما قدم بعض التعليمات الهامة للمرشدين فيما يخص مهامهم لتبصيرهم بالأسلوب الكشفي؛ لأن الفهم الخاطئ لمعنى الإرشاد لا يمكن أن يعطي ثمارا طيبة في هذا المجال، فالإرشاد حسبما ذهب إليه لا يقتصر على تعلم عقائدي للدين بطريقة مدرسية كما يظن البعض؛ أي تعليم النشء آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وإقامة الصلاة، كما لا يمكن حصره في إلقاء خطب ومواعظ دينية ودروس حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم وإنجازات العظماء كما يظن البعض الآخر، وكلا الفريقين بعيد عن الجادة، فهما يعلمان الدين ولا يربيان الروح والخلق.[1]

فالإرشاد في نظره هو "صوغ روح، وبث فكرة، وخلقُ حياة نفسية داخل الطفل، كل ذلك بإحياء الضمير الخلقي فيه"، معتبرا الأشخاص الذين لا يفهمون الإرشاد بهذا المعنى يوشكون أن يؤدوا دور مدرس لا مرشد[2]، فكم من مسلم يعرف جيدا مبادئ الإسلام لكنه يهمل واجباته نحو الله والعباد، لأنه تلقى تعليما ولم يتلق إرشادا أو بالأحرى تربية دينية.[3]

يشدّد بوزوزو على أهمية التربية الدينية وضرورة تثبيتها بشكل أصيل وسليم في عقول الفتيان؛ لأنه أدرك بالتجربة صعوبة الرسالة المنوطة به، وأدرك صعوبة الوصول إلى الكمال الذي تقوم على أساسه النظم الكشفية، ويطمح إلى تحقيقه بعض المرشدين، ومما يزيد في ذلك صعوبة هو العصر الذي نعيش فيه؛ عصر الاستهانة بالأخلاق، وبالمبادئ والقيم، عصر الاستهانة بالدين، مما زاد المهام تعقيدا، وهو ما يدفع الشباب بالمقابل إلى العزوف عن الامتثال للأوامر.

وفي تقييمه للوضعية الراهنة والمقبلة للإرشاد بدا له أن الإرشاد في معناه الحقيقي، كان غائبا في وسط الكشافة الجزائرية، أو بالأحرى لا يحتل مكانا مرموقا في برامجها، والأسباب لذلك حسبما ذكر عديدة منها ما سيأتي:

---

[1] – أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص 225.

Watanabe SHOKO, Organizational Changes in the Algerian National, p 54.

[2] – المرشد: هو القائد المسؤول عن التربية الدينية ضمن الفوج، وهو يسهر من خلال الدروس التي يلقنها وإرشاداته السلوكية على المحافظة وتنمية روح الكشافة وفق مبادئ الإسلام الخالدة. ينظر: محمد الطيب إلول، مرجع سابق، ص58.

[3] – محمود بوزوزو، الإرشاد، النشرة الداخلية للكشافة الإسلامية الجزائرية، نوفمبر-ديسمبر 1946، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مرجع سابق، ص225.

- مخطط الإرشاد لم يكن محددا بالضبط.
- نقص المرشدين في الكشافة الجزائرية.
- انقطاع العلاقات بين المرشدين.
- عدم شعور المرشدين بالارتياح داخل الوسط الكشفي.[1]

وانطلاقا من هذه المعطيات؛ راح بوزوزو يناشد القائمين على الكشافة الجزائرية، قصد شحذ الهمم وإعطاء الإرشاد المكانة التي يجب أن يكون عليها؛ إذ اعتبره ركيزة أساسية لتحقيق النتائج المرجوة من النشاط الكشفي والالتفاف أكثر حوله.

وعليه يرى المرشد العام بوزوزو أن الإرشاد ضروري، ويُرجِع ذلك إلى الأسباب التالية:

1. إن المادتين (الثانية والسادسة) من قانون الكشافة[2] تذكران الله وتوصيان بالوفاء له، فكيف يمكن الوفاء لله بغير دين.
2. يأمر العهد الكشفي[3] بطاعة الله (وهذه الفقرة لا تحتاج إلى تفسير).
3. إن النشء الذي تعهدنا بتربيته ينتمي إلى شعب متمسك بالإسلام تمسكا بليغا ولا يحق لنا إهمال هذا الارتباط.
4. يجب أن نبقى أوفياء لمبدأ بادن بأول الذي أراد محاربة اللادينية بواسطة الكشافة.
5. إن الاسم الذي اخترناه وهو الكشافة الإسلامية الجزائرية ينفي كل فكرة لا دينية، ويدل على أن حركتنا ذات عقيدة وطيدة ألا وهي الإسلام.
6. توظيف جامعتنا للمرشدين دليل ملموس على ارتباطنا بالإسلام.
7. لقد برهن ديننا الإسلامي على صلاحه، والتاريخ شاهد على عظمته، فكم نجّا رجالا ونساء وشعوبا من
8.

[1] – محمود بوزوزو، الإرشاد، النشرة الداخلية للكشافة، مصدر نفسه، ص230.

[2] – يتكون القانون الكشفي من عشرة بنود هي: شرف الكشاف يوثق به ويعتمد عليه، الكشاف مخلص لملكه ولأولياء أمره ووطنه ورؤسائه، الكشاف نافع ويساعد الآخرين، الكشاف صديق للجميع وأخ لكل كشاف، الكشاف مهذب، الكشاف محب للحيوان، الكشاف مطيع لأوليائه ورؤسائه دون تردد، الكشاف يبتسم ويهزأ بالصعاب، الكشاف مقتصد، الكشاف طاهر الفكر والقول والعمل. ينظر: عبده حمزة خياط، **الحركة الكشفية من منظور إسلامي**، ط1، مطابع المجموعة الإعلامية، المملكة العربية السعودية، 1992، ص-ص 55-56.

[3] – عهد الكشاف أو القسم، وهو تعهد رسمي يؤدى أمام قادة الفوج على القيام بالواجب أمام الله والوطن، والبقاء وفيا لمثل الكشافة العليا، ويكون بالصيغة التالية: "أعاهد بشرفي على أن أعمل جهدي للقيام بواجبي نحو الله والوطن ومساعدة الناس في كل حين وإطاعة شريعة الكشاف؛ أي القانون". ينظر: محمد الطيب إلول، علي عروة، مرجع سابق، ص59.

الجاهلية وأخرجهم من الظلمات إلى النور.[1]

وحسب محمود بوزوزو فإن ك.إ.ج حركة ذات عقيدة وطيدة؛ ألا وهي الإسلام، وما الاسم الذي اختارته إلا دليل على ذلك الترابط الوثيق؛ وهو ما ينفي عنها كل فكرة لا دينية؛ إذ قال: "نستلهم الإرشاد من القرآن الكريم والحديث وسيرة الصحابة، ثم من كل ما يبنى عليه الإسلام من حسن المعاملة وعظمة، إنه الدين القيّم الذي يدعو إلى الخير وينهى عن المنكر".[2]

ثم يأتي بوزوزو بالحديث عن الإسلام معتبرا إياه القيمة الروحية الأكثر أهمية في وطننا، نظرا لأن العادات والتقاليد، الموروث الثقافي، الحياة العائلية والاجتماعية، وبكلمة مختصرة كل طبائع المجتمع الجزائري وأنظمته القانونية والفكرية منبثقة من الإسلام؛ لهذا حرص دائما على تثبيت قيّم الفكر الإسلامي في عقول الناشئة، ونفوس العناصر الكشفية التي يشرف عليها بقوله: "نريد من الشبان الذين تكفلنا بهم أن يعبر سلوكهم عن الإسلام وأن يجعلوا منه حقيقة حية، لأن قانوننا وتعهدنا يستمدان روحهما من روح القرآن".[3]

يقوي المناضل بوزوزو استدلاله على العلاقة الوطيدة للإرشاد بالدين الإسلامي، بالحديث عن وظيفة المرشد والتربية الدينية التي يلقنها للفتيان، وهذا دليل ملموس على ذلك الترابط الوثيق مستمدا منابع الإرشاد من القرآن الكريم، يقول في هذا الصدد:"لا غنى لنا عن الاستعانة بوسيلة مثلى كالدين...توظف فيدراليتنا من الأكفاء في هذا المجال مرشدين مكلفين بالتربية الروحية والخلقية للأطفال فهم يقومون بما نسميه الإرشاد أو التربية الدينية".[4]

ونظرا إلى أن الحركة الكشفية تهدف إلى تربية الفطرة الإنسانية، فلا غنى لها عن الاستعانة بوسيلة كالدين في القيمة والقوة، فبالدين يخضع المرء لقدر من الانضباط؛ "فلا أحد يستطيع أن ينكر الدور الأساسي الذي يلعبه الدين في ترقية الروح وتهذيب الطبع البشري"،[5] فالدين يمكن من رسم طريق محدد لسلوك وطبائع الأفراد، بعدما يعرفهم بكل وضوح بحقوقهم وواجباتهم نحو الذات واتجاه مجتمعهم.

ومن جهة أخرى، فمع إقصاء محمود بوزوزو لفكرة الإلحاد، فقد حرص على ضرورة الاستحضار الدائم للحقائق الروحية التي جاء بها الإسلام، وتثبيتها لدى الأطفال الذين هم في ذمته، ولكن بتفادي كل إكراه، يقول

---

[1] – محمود بوزوزو، الإرشاد، النشرة الداخلية للكشافة، مصدر سابق، ص-ص 225-226.

[2] – نفسه، ص226.

[3] – محمود بوزوزو، مبادئنا، النشرة الداخلية للكشافة الإسلامية الجزائرية 1948-1949، نقلا عن: محمد الطيب إلول، علي عروة، مرجع سابق، ص 48-49.

[4] – محمود بوزوزو، الإرشاد، النشرة الداخلية للكشافة، مصدر سابق، ص224.

[5] – نفسه، ص224.

في هذا الصدد: "كنا نريد من أطفالنا أن يقوموا بواجباتهم الدينية، لا بالإكراه وإنما بحب الله"[1]، مؤكدا على أن المؤمن الصالح ينبغي له دائما أن يحب الله، وأن يحرص دائما أن يراه الله في الوضع الذي يرضاه، هاته القيمة الأخلاقية يجب أن تكون له نبراسا في كل سلوكاته.

وبالعودة إلى جملة النصوص الكشفية التي حرص على نشرها منذ توليه مهمة الإرشاد، من خلال النشرات الكشفية التي كانت تصدر دوريا عن الكشافة الجزائرية، يؤكد أنه لا نهضة للعالم الإسلامي إلا بالجانب الروحي؛ لهذا حرص على الاعتناء بالتربية الدينية، الخلقية والعقلية، يغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية بكل وسائله في نفوس الكشافين، يأخذهم على فروض الدين، والتمسك بالأخلاق السامية والمبادئ الإسلامية العظيمة، فكانت دروسه ممزوجة بالدعوة والإصلاح، وبحماسه المعهود برهن عن شدة حبه للاستقامة والسلوك السوي.

وفي هذا السياق، أشار محمود بوزوزو إلى كون القرآن الكريم أحد المراجع التي اعتمد عليها اللورد بادن باول في وضعه أسس الحركة الكشفية؛ "فكل من قانون الكشافة والطموح الكشفي لا يختلفان أبدا عن أخلاق الإسلام، ولا غرابة في هذا التطابق، فالقرآن هو من المراجع التي اقتبس منها مؤسس الكشافة بادن باول مبادئه، وهو ما يورده برنارد تورال في كتاب كشافة بادن باول".[2]

إذن، فعلى الرغم من أن نظام التدريب والتربية الكشفية نظاما عالميا من وضع الإنجليز، فقد وافق منهجه رغائب الشعوب وتطلعاتها للتحرر والنهوض، فإن الجزائريين استطاعوا أن يهضموا نظرياتها، ويبدعوا في تطبيقاتها ونظمها، مما جعل كشافتنا ذات شخصية جزائرية أصيلة، لها لغتها ورموزها وروحها الوطنية العربية الإسلامية.[3]

2-2-مسؤولية المرشد:

ينبه بوزوزو إلى أنه للمرشد مسؤولية كبيرة في تكوين رجال الغد؛ سهلة بالقول صعبة بالعمل والتجسيد، إذ أنها ترتكز على هداية الفتيان إلى الطريق المستقيم، عن طريق تحرير النفوس من الرذائل، وإنعاش المشاعر، وترويض الطباع، فيعتبر المرشد بمثابة روح الفوج يربي بالفعل أكثر مما يربي بالقول، تكفي كلمة منه أن ترفع أو تحط من معنويات الفوج؛ إذ يرى أن "مهمته حساسة، وهي لا تؤدَّى باليد كما يفعل الطبيب، لكن دواء المرشد ينفذ

[1] – محمود بوزوزو، مبادئنا، مصدر سابق، ص49.

[2] - Watanabe SHOKO, Organizational Changes in the Algerian National Movement, op.cit, p 54.

محمود بوزوزو، الإرشاد، مصدر سابق، ص227.

[3] – مولود طياب، أخبار بجاية، مصدر سابق، ص 102.

إلى أعماق الغرائز الشخصية فيحركها، فليس له أداة للعمل غير اللسان والحركة، وإن من الكلمات ما يفعل بالروح مالا تفعله المادة الكيماوية في الشيء فتحركه كما تشاء".[1] ولهداية الصبي إلى الطريق المستقيم، يرى أنه من الواجب على كل مرشد أن يأخذ في الحسبان مستوى سنه، وإدراكه وأن يتحدث إليه بلغة يفهمها.

ينتقل بعدها إلى التفصيل أكثر في دور كل من القائد العام والمرشد؛ فبينما يتكفل الأول بالجانب التقني والإداري، يهتم الثاني بالجانب الروحي، هذا التوافق في تولي المهام يهدف إلى تحويل شباب الجزائر إلى كشافة أكفاء، معتبرا أن دور المرشد واضحا تمام الوضوح، مؤكدا على إلزامية توليه القيادة الروحية للأفواج الكشفيّة؛ لأن ترسيخ القيّم الروحية في نفوس الناشئة أساس نهضة الأمة الإسلامية، وعليه يجب على المرشد"أن يجتهد في جعلهم مسلمين أخيارا يؤدون فرائض الإسلام على أحسن وجه، فعليهم أن يتصرفوا لا كآلات بل كفتية أذكياء عقلاء يعلمون ما يفعلون".[2]

وحسب ما يذهب إليه محمود بوزوزو، فإن المرشد العارف بتقنيات الكشافة يؤثر في أتباعه أحسن من الذي يجهلها، فمن المؤكد أن مهمته بيّنة، لكن لا يجب إبقاءه في جو روحي بحت؛ فمن صالح الحركة الكشفية أن يجمع المرشد بفضل ثقافته وقدراته بين الجانب الروحي والتقنيات الكشفية، وهو ما يسمح له أن يكتشف أساليب جديدة لا تخلو من فائدة له وللحركة الكشفية، لذا فالأفضل له حسبما يذهب إليه أن يكون "قادرا على قيادة الفوج تقنيا وروحيا".

يشدّد بوزوزو على إلزامية المزواجة بين الجوانب الإدارية والروحية؛ لأن اكتساب المرشد لهذه الميزات سيسمح له تلقائيا بقيادة الفوج دون مواجهة أي صعوبات، وهذا الاستثناء طبعا في حالة غياب القائد، وهكذا تتوطد سلطته في الفوج، وكل ذلك في صالحه وصالح الحركة.

2-3-منجزات محمود بوزوزو على إثر تعيينه مرشدا عاما للكشافة:

انتفعت الحركة الكشفية الجزائرية بتوجيهات هذا الرجل وظهر ذلك في تقدمها فكريا وحركيا، ويظهر ذلك جليا من خلال ما يلي:[3]

2-3-1-عقد مخيّم للمرشدين:

على إثر تعين بوزوزو مرشدا عاما للكشافة الإسلامية في جانفي 1946م، قدم بعض التعليمات الهامة للمرشدين فيما يخص مهامهم لتبصيرهم بالأسلوب الكشفي، ولم يجد آنذاك وسيلة للكتابة بالعربية فكتب

[1] - محمود بوزوزو، الإرشاد، مصدر سابق، ص229.

[2] - أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص-ص227-228.

[3] - محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص221.

بالفرنسية مقالين نشرا في العددين الثامن والتاسع من النشرة الداخلية التي كانت تصدر باللغة الفرنسية فقط، ولكنه تلقى احتجاجات من المرشدين تطالبه بالكتابة بالعربية وهي اللغة الوحيدة التي يحسنونها، فتبين له أن معظم المرشدين لا يحسنون اللغة الفرنسية لأن ثقافتهم عربية محضة، عندئذ شعر بنقص كبير في مؤهلات وأفكار المرشدين، إذ قرر على إثرها عقد مخيّم للمرشدين لتدارس أمور الإرشاد، وافقت عليه القيادة العامة وانعقد في الذواودة البحرية قرب مدينة القليعة من السابع إلى الرابع عشر جويلية 1946م.

فنُظِمت لهم أنشطة كشفية بحتة كالتربية البدنية، الألعاب الرياضية، ونظام الدوريات والسهرات، كما نظمت حصصا للتربية الخلقية والروحية للطفل، فكانت مناسبة لتعويد بعض المرشدين على الحياة الكشفية، وبعد مضي أسبوع أعرب محمود بوزوزو عن تشكراته وامتنانه لفوج ك.إ.ج واللجنة المحلية بمدينة القليعة على حسن الضيافة التي خصوا بها هذا المخيم.[1]

بعد هذه المبادرة رجع كل المرشدين الذين شاركوا في هذا المخيم بانطباعات طيبة وأعربوا عن رغبتهم في العودة إلى مخيمات أخرى مثل هذه، وكانت الرغبة في إبقاء تلك الروابط على الدوام، لكن ذلك يتطلب الكثير من المصاريف، زد على ذلك أن المرشد مكلف بمهام أخرى خارج الكشافة لا يمكن لا يسهل الغياب عنها.[2]

2-3-2-إصدار نشرة باللغة العربية:

لاحظ محمود بوزوزو الثقافة العربية الصرفة للمرشدين، وبالتالي عجزهم عن الاستفادة من كل الوثائق الكشفية، ومحرومين من إكمال معارفهم البيداغوجية، من خلال قراءة كتب مؤسس الكشافة بادن باول، أو الاطلاع على الدراسات التي كان ينشرها بلا انقطاع قادة محنكون في مواضيع كشفية وتربوية متنوعة، وبالمقابل كانت النشرة الصادرة عن الكشافة الجزائرية والمكتوبة بالفرنسية لا تفي بحاجاتهم؛ لهذا رأى بوزوزو لزوم التحضير لإصدار نشرات باللغة العربية، يقول في ذلك: "أضحت كتابة النشرة باللغة العربية أمرا ضروريا لتلبية حاجات المرشدين."[3]

وبالتالي تم التوصل إلى نشر أول عدد من النشرة الداخلية للكشافة الجزائرية باللغة العربية،[4] وبصدوره تمنى محمود بوزوزو أن ينال رضا وإعجاب كافة المرشدين، وصرح أن هذه النشرة ستكون منبرا لهم يعبرون فيه عن

[1] - محمد الصالح رمضان، الإرشاد في الكشافة الإسلامية الجزائرية، نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص230.

[2] - محمود بوزوزو، الإرشاد، المصدر سابق، ص230.

[3] - أبو عمران الشيخ، مصدر السابق، ص230.

[4] - Watanabe SHOKO, Organizational Changes in the Algerian National Movement, op.cit, p 54.

آرائهم وتطلعاتهم، كما ستكون فرصة من خلال هذه النشرة للتعريف بالكشافة أكثر وتقريب الفهم الصحيح إلى الأولياء، وأصدقاء الكشافة الجزائرية، وكل المثقفين باللغة العربية.[1]

2-3-3-العناية بالمرأة وإقحامها في العمل الكشفي:

أدرك بوزوزو أن تقويض مخططات الاستعمار الفرنسي الهادفة إلى تجهيل الشعب الجزائري يتم في جزء منه بتثقيف المرأة، بل وإشراكها في العمل الكشفي على وجه الخصوص، وهو ما يساعدها على تنمية قدراتها ورفع درجة وعيها، لتتمكن من استنهاض الأمة بأكملها باعتبارها نصف المجتمع، لذا حرص على استقطاب الإناث للعمل الكشفي، وهو ما يُسْتَشّف من خلال كلمته الموجهة إلى النساء قائلا: "لقد حان الوقت لتساهم المرأة المسلمة في رفع مستوى وطنها، ولا تستطيع ذلك إلا إذا تلقت تربية عملية، ونظرا إلى أن الكشافة نظام يلبي هذا الشرط، فالرجاء من الأخوات اللواتي يأنسن في أنفسهن القدرة على ممارستها أن يتقدمن إلينا".[2]

ثم يأتي بوزوزو بالحديث عن مهام المرأة الكشفية؛ والمتمثل أساسا في تكوين الفتيات وتنشئتهن تنشئة سليمة، وهذا ما يتوقف على أخلاق المرأة وتدينها بالدرجة الأولى، فتراه يشدِّد على نوعية ثقافة المرأة، إذ يجب حسبه أن تكون ثقافة دينية عربية بحتة لا ثقافة غربية، لأن ذلك سيؤثر سلبا على عقول الفتيات قائلا: "ولِتُمارسْن كشافة يجب أن تلتزمن بالأحكام الإسلامية، وتحترمن عاداتنا الصالحة، فهي تستجيب لتطلعات شعبنا الذي يريد أن يرى أبناءه يشبون على احترام شخصيته".[3]

وهي نفس نظرة العلامة المصلح الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى نوعية الثقافة التي يجب أن تتلقاها المرأة الجزائرية؛ لأنها دليل الأجيال القادمة، فركز على تلقينها تعليما يحفظ مستقبل الأمة الجزائرية العربية الإسلامية، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالتعليم الديني، وفي ذلك يقول: "فإذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكوِّن أمهات دينيَّات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا، وتربيتهن تربية إسلامية".[4]

وعي بوزوزو بمكانة المرأة المثقفة ودورها في بناء المجتمع، جعله يعتبرها من أهم القضايا الاجتماعية التي يجب أن يكافح من أجلها كل المصلحين الاجتماعيين، انطلاقا من قناعاته الثابتة بدورها في توجيه أبناء وطنها في الطريق السوي نحو الصلاح والنجاح، معتبرا أن أكبر خدمة تقدمها المرأة لمجتمعها القضاء على جهل وفساد أبنائه بصدق وإخلاص وفي كل الظروف؛ "إنكن تعهدتن بتربية فتياتنا ومعنى ذلك تهيئة الأجيال المقبلة، ستكون امرأة

[1] – أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص230.

[2] – نفسه، ص-ص233-234.

[3] – أبو عمران الشيخ، نفسه، ص-ص232-233.

[4] – عمار طالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، ج4، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص-ص201-202.

الغد التي ستنشئنها صورة منكن لا محالة، وستكون مسلمة صادقة وجزائرية صالحة، وصرفها عن هذا الطريق جريمة من الجرائم التي لا يغفرها التاريخ".[1]

4-إشرافه على تنظيم العروض المسرحية والأناشيد الكشفية ودورهما في إذكاء الروح الوطنية:

ساهمت النشاطات الكشفية المتنوعة في بلورة الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري؛ إذ كانت العروض المسرحية المقدمة خلال الحفلات الكشفية ذات بعد ثوري، أما طابعها فقد زاوج بين التوعوي والتحريضي، معبرة بذلك عن طموحات وآمال الشعب الجزائري في التحرر، منتقدة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وتهدف بطريقة غير مباشرة إلى نشر الوعي، وتوحيد الصفوف، وتحفيز الهمم وحث الشباب على العمل والتضحية في سبيل تحرير الوطن.

وفي هذا الإطار، أشرف محمود بوزوزو على سهرة مسرحية تميل إلى السياسة، أقيمت بالمسرح البلدي لمدينة بجاية من تنشيط فريق الكشافة الإسلامية الجزائرية القادم من مدينة الأغواط، بمشاركة الكشافة المحلية وبحضور حوالي 400 شخص. كان ذلك يوم الاثنين التاسع من شهر جوان لسنة 1947م على الساعة التاسعة مساءا؛ أما القضية المعالجة في هاته القطعة المسرحية فقد ناقشت الأوضاع السياسية والاقتصادية في القطر الشقيق تونس، والسياسة الفرنسية المتبعة هناك، مما أثر سلبا على الأوضاع الاقتصادية للبلاد؛ على إثر منع بعض السفن القادمة من مصر والمحملة ببعض المواد الاستهلاكية من الدخول إلى التراب التونسي.[2]

وفي منتصف السهرة تقدم السيد محمود بوزوزو إلى المنصة وألقى خطبة رسمية مشبعة بالروح الوطنية؛ شارحا الهدف من الانخراط في الكشافة الجزائرية، ودور العمل الكشفي في تكوين الشباب، مشيرا إلى التظاهرات الدولية المقبلة (جمبوري السلم) داعيا الكشافة الجزائرية إلى ضرورة المشاركة فيها. وفي الأخير وجه شكره إلى الشباب؛ مفسرا ذلك الحضور المكثف بدرجة الوعي التي وصل إليها أبناء الجزائر، وأضاف قائلا: "نحن نعتمد بشكل كبير على الشباب الذين نعتبرهم رجال الغد".[3]

كانت هذه العروض المسرحية المقدمة خلال الحفلات الكشفية من طرف الكشافين تُعرَضْ بطريقة تربوية هادفة؛ ارتبطت في مضمونها بالنضال الذي خاضه الفرد الجزائري من أجل إثبات هويته الثقافية وشخصيته

[1] – محمود بوزوزو، الإرشاد، مصدر سابق، ص233.

[2] – C.A.O.M, Soirée théâtrale à tendance politique donnée à Bougie par l'équipe de scoute musulman Algérienne de Laghouat, Polices des Renseignements Généraux, Rapport a Le Commissaire Principal, distriet de Constantine N°469, le 10 juin 1947, D.N°: 93/4257.

[3] – ibid.

الوطنية، مترجما مطالبه الوطنية عبر هذه النصوص، موجها انتقاداته للسلطات الفرنسية بطريقة غير مباشرة، إذ شكلت جل النشاطات المسرحية جبهة ثقافية قوية لمواجهة السياسة الاستعمارية خاصة بالنظر إلى تفاعلاتها الدائمة مع نشاطات الحركة الوطنية الجزائرية.

وبالمقابل حرص الجزائريون -في خضم نضالهم الثقافي-على تجنب الاصطدام المباشر مع إدارة الاحتلال، والسعي بهدوء وذكاء نحو تأسيس مسرح جزائري ملتزم بقضايا الشعب، مشبّع بالقيم التحررية، خادما للتوجه السياسي الاستقلالي، إذ يؤكد الفنان المسرحي علالو[1] في مذكراته: "كان هناك هدف مهم كنا نسعى إلى تحقيقه وهو تأسيس وتأصيل مسرح جزائري عربي ناطق باللغة العربية...وقد كانت هناك بعض الإشارات السياسية في المسرح الذي كنا نقدمه".[2]

أما الأناشيد الكشفية[3] فقد كان لها أثرا بالغا في بث الوعي الوطني التحرري، والدعوة إلى الوحدة الوطنية؛ انطلاقا من تكوين الكشاف تكوينا إسلاميا وطنيا؛ من أجل مشاركة الشعب في احتفالاته وتجمعاته، خاصة احتفالات تلاميذ المدارس الحرة آخر السنة، الأعياد والمواسم الدينية، حضور الحفلات الخيرية وغيرها من الأعمال الوطنية الجليلة.

وهذا الملمح هو الملاحظ في الغالب؛ فيما يخص الاحتفال الكشفي المؤطر من طرف القائد العام محمود بوزوزو؛ فإن أغلب الأناشيد التي أدتها فرقة الكشافة لمدينة الأغواط طرحت مسألتي "الوطن والحرية"؛ كانت الأولى بعنوان: "التراب الجزائري" أثنت على الوطن الجزائري وتاريخه المجيد، والثانية بعنوان: "حب الحرية".

وقد احتوت على عبارات ساهمت بشكل مباشر في بث الروح الوطنية وتنمية الشعور القومي خاصة لدى فئة الشباب، ومن أعمق العبارات أثرا؛ "الجميع يحبون الحرية وأعداؤنا يكرهونها"، "هذه الحرية سيتم الدفاع عنها

[1] – هو سلالي علي(1902–1992) المعروف بكنية علالو، أحد رواد المسرح الجزائري مطلع القرن العشرين رفقة كل من محي الدين باشطارزي، ورشيد قسنطيني وغيرهم ممن خدم القضية الوطنية عبر خشبات المسرح.

[2] – أحسن ثليلاني، **المسرح الجزائري والثورة التحريرية دراسة تطبيقية في صور إسهام المسرح الجزائري في ثورة أول نوفمبر 1954**، دار الساحل، الجزائر، 2013، ص81 وما بعدها.

[3] – شارك العديد من القادة في تأليف الأناشيد التربوية والوطنية من بينهم القائد محمد الصالح رمضان الذي ساهم بكل حماسة في تأدية بعض الأناشيد الكشفية منها وضعه نشيد لتحية العلم الكشفي، ونشيد للرياضة البدنية، ونشيد لشبل ابن باديس. ينظر: محمد الصالح رمضان، **إسهاماتي في الكشافة الإسلامية**، المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، الجزائر، 2003، ص-ص26-28.

من قبل الشباب". كما كانت هناك مشاركة فاعلة للفنان المصري "محمد عبد الوهاب" الذي أدى أنشودة بعنوان: "نحب عيش الحرية" التي ألقت في قلوب الكشافين وكل الحضور رغبة أكثر في تبني القضايا التحررية.[1]

ولقناعة الجزائريين بدور الكشافة في مجال الثقافة وبث الحماس الوطني في نفوس الناشئة بأناشيدها الوطنية، حرص أكثرهم على إرسال أبنائهم للانضمام إلى الكشافة ينهلون منها ما يعزز انتماءهم العربي الإسلامي، ويثبت أكثر عناصر الهوية الوطنية، وعليه نورد شهادة المناضل عيسى كشيدة أحد العناصر البارزة في الثورة معترفا بأهمية انتمائه للكشافة، وأثرها على أفكاره وتوجهاته: "إن ممارسة الحياة الكشفية فتحت عيوني وبصيرتي، وأفهمتني ما يعانيه الجزائريون من مآسي، وعلمت وأنا في الفوج الكشفي أن أجدادي ليسوا رجال الغال وعلمت أيضا أن بلادي الجزائر يستعمرها الأجانب، وأن سبب مآسينا بلد اسمه فرنسا".[2] وبذلك اكتسبت هذه الحركة شعبية واسعة وسط الجماهير حتى باتت من الحركات الوطنية الواعية التي أحبها الشعب وتأثر بها.

نتيجة لهذه الوضعية، حرصنا على ذكر هذه الحوادث لما لها من دلالة على الروح التي كانت تدفع الكشافة المسلمين الجزائريين لمثل هذه المبادرات، تلك الروح مردها إلى التربية الإسلامية والروح الوطنية الناجمة عن التربية الكشفية، ناهيك عن تأثيرات المناخ السياسي والاجتماعي التي كانت تبثه جل الأحزاب السياسية والجمعيات الإصلاحية الناشطة في الجزائر آنذاك.

ثانيا: مشاركته في التجمع الدولي للكشافة جمبوري السلم 1947م

1–تحضيرات الوفد المشارك:

سجلت ك.إ.ج حضورها في مخيمات وتظاهرات كشفية دولية، عن طريق ممثليها من قادة وكشفيين بغرض التكوين وتمثيل جامعة الكشافة الجزائرية في الخارج، ولعل أبرزها جمبوري[3] السلم العالمي في صيف 1947م المتبوع بتجمع براغ.

---

[1] - C.A.O.M, Soirée théâtrale à tendance politique donnée à Bougie par l'équipe de scoute musulman Algérienne de Laghouat, P.R.G, Rapport a Le Commissaire Principal, distriet de Constantine N°469, le 10 juin 1947, D.N°: 93/4257.

[2] - سعيد بورنان، **رواد الكفاح السياسي والإصلاحي 1900–1954**، ط3، دار الأمل، الجزائر، 2015، ص240.

[3] - جمبوري (Jamboree): المهرجان الدولي للكشافة أو الجمبوري هو اسم من أصل هندي ويقصد منه تجمع القبائل في مكان خاص، وهو مخيم يسمح بالتواصل بين شبيبة العالم أما عن مفهومه الاصطلاحي المتعلق بالكشافة فإنه ينطبق على الاجتماع الدولي للكشافة، من ذلك هذا الجمبوري المنظم في أوت 1947م الذي شهد مشاركة قرابة 200 فرد من الكشافة الإسلامية الجزائرية أتى أعضاؤها من كل مناطق القطر الجزائري، عبرت الكشافة بهذه المناسبة وبواسطة تظاهرات مختلفة عن أحاسيسها الوطنية كما أنها وزعت مناشير ذات طابع سياسي. ينظر: محمد الطيب إلول، علي عروة، مرجع سابق، ص 119.

انعقد مخيم السلم قرب باريس في نفس الفترة التي انتظم فيها المهرجان العالمي للشبيبة في براغ تقريبا، يرمي إلى ربط الصلة بين شباب العالم، تربع على مساحة 625 هكتارا، أقيمت عليها بلدة كاملة من بيوت وخيم ذات جدران مرفرفة وألوان متنوعة، تأوي ليلا أكثر من 30.000 كشاف جاؤوا من 42 بلد. تولت فرنسا تنظيم هذا المخيم الذي سمي "بمخيم النصر" وعقدت العزم على إعطائه رونقا معينا وتحملت من أجل ذلك أعباء جسيمة. أما عناصر ك.إ.ج فكانت تواقة إلى كل اتصال مع الخارج فاستغلت الفرصة المواتية لتحتل مكانها التي لها الحق فيه ضمن الحصة المخصصة للجزائر.[1]

للكشافة الجزائرية أهداف مسطرة وخاصة تنوي بلوغها من خلال مشاركتها في التجمع؛ منها التطلع إلى الإفلات من العزلة السياسية التي طبقها عليهم النظام الاستعماري، فهي على يقين أن وجود عناصرها بالخارج سيتيح لهم فرصة التعرف على الآخر، والتعبير بحرية تامة دون قيود أو ملاحقات عن رغبتهم في التحرر من ربقة الاستعمار الفرنسي الذي كبّل طموحاتهم وحدّ من قدراتهم، وذلك بداية من إيصال صوت الجزائر إلى الوفود المشاركة كمرحلة أولى، ومن ثم إلى كل بلدان العالم. يقول محمود بوزوزو موضحا رأيه في مشاركة العناصر الكشفية في مثل هذه المؤتمرات قائلا: "وما هذان المؤتمران إلا صورة من الصور الجميلة للحياة التي يحبها شباب العالم، وهي تمثل بحق الرغبات الصادقة التي تخفق بها قلوبهم، ونحن شبان الجزائر من هذا الشباب الطامح إلى هذه الحياة السعيدة، وأننا نحمل معنا تحية الجزائر المسلمة إلى إخواننا الطامحين مثلنا إلى العلى".[2]

وبما أن المجلس الجزائري للكشافة الفرنسية وافق على مبدأ مشاركة عناصر ك.إ.ج في جمبوري مواسون،[3] تجند كل قادة فرع الرواد ومحافظو القيادة العامة للتحضير للمشاركة، واتُخِذ قرار بالإجماع بإرسال وفد يتكون من ممثلي كل فرقة تنشط آنذاك، علما أن الحصة الممنوحة للمشاركة هي أربع فرق فقط، وعليه تم اختيار المشاركين في شهر ديسمبر من سنة 1946م[4]، بعد القيام بمخيمات ربيعية انتقائية لأحسن الطلائع والأفراد الذين يتراوح سنهم ما بين 14 و17سنة في كل من البليدة وقسنطينة ووهران.[5]

---

[1] - أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص66.

[2] - **البصائر**، السلسلة الثانية ع3، 08 أوت 1947. محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 95.

[3] - مواسون حوالي70 كلم على باريس.

[4] - جمعية قدماء الكشافة، مرجع سابق، ص 30.

[5] - C.A.N: M. FARES, 6 ème Jamboree, Jamboree de la paix, le 09 novembre 1946, sous série 3X, N°: 001/04/077.

وبناءا على مراسلة من القائد العام محفوظ قداش إلى الطاهر التجيني مؤرخة في التاسع أكتوبر 1946[1]، طالب فيها المسؤول الأول عن الوفد الجزائري المشارك في الجمبوري بضرورة التصريح رسميا بأسماء رؤساء الأقسام والفرق المشاركة في الجمبوري.

على إثرها سارع المحافظ العام التجيني لتنفيذ القرار، معلنا عن تشكيل أربعة فرق ستشارك رسميا في الجمبوري، تتكون كل فرقة من 36 كشاف[2]، وهي: فرقة عبد القادر، فرقة بن باديس، فرقة طارق، فرقة عقبة، أما رؤساء هذه الفرق فهم على التوالي: أبو داود عمر، بن محمود محمود، أبو عمران الشيخ، ونوّار محمد.

وفي التقرير الذي أعده محمد فارس عن التحضيرات الواجب اتخاذها، نبّه المسؤولين وقادة الفرق إلى نقطة هامة جدا في إطار الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وتتمثل في اعتبار العربية اللغة الرسمية للكشافة الجزائرية في هذا المخيّم، حتى تثبت للعالم أن الجزائر بلغتها، وتاريخها، وثقافتها العريقة بلد مستقل عن بلد آخر اسمه فرنسا بقوله: "يبذل قادة الوحدات قصارى جهدهم للقيام بأنشطتهم باللغة العربية أو الأمازيغية لنقدم كشافة بمظاهر وسِمَات جزائرية صرفة".[3]

تجمعت الفرق بساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا) يوم 30 جويلية 1947م، انتهت التحضيرات بحفل واستعراض عام عبر شوارع القصبة(العاصمة) تحت تصفيقات وهتافات السكان.

وبالنظر إلى العلاقة الوثيقة التي ربطت تنظيم ك.إ.ج بالتيار الإصلاحي؛ أرسل الشيخ البشير الإبراهيمي نيابة عن كل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برقية[4] إلى السيد الطاهر التجيني رئيس الوفد الكشفي المشارك في جمبوري السلم بمواسون، يعرب فيها عن ابتهاجه بمشاركة الكشافة الجزائرية في هذا التجمع الكشفي العالمي، ويقدم فيها أطيب التمنيات لكل الوفود الإسلامية المشاركة هناك.

أبحر وفد الكشافة الجزائرية بتاريخ 31جويلية 1947م من ميناء الجزائر إلى فرنسا على متن باخرة حربية فرنسية تحمل اسم (Georges league) وضعت تحت تصرف كشافة الجزائر، للوصول إلى مرسيليا يوم الفاتح من شهر أوت وإلى باريس يوم بعد ذلك، ومن ثم اتجه الوفد نحو مخيم مواسون.[5]

---

[1] – رسالة قداش إلى التجيني حول جمبوري السلم مؤرخة في التاسع أكتوبر سنة 1946، مركز الأرشيف الوطني رقم: X3 /073/4/1.

[2] – جمعية قدماء الكشافة، مرجع سابق، ص 30.

[3] - C.A.N: M. FARES, 6 ème Jamboree, Jamboree de la paix, le 09 novembre 1946, sous série 3X, N°: 001/04/077.

[4] - C.A.N: Télégramme du cheikh "Ibrahimi adressé a taharTédjini"1947, N°: 3X/001/04/098.

[5] – جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص31.

2-حيثيات ووقائع المشاركة:

فور وصول الوفد[1] انطلقت الفرق في تنصيب مخيم الوفد الذي زُيِّن بخيمة واسعة من الجنوب الجزائري مصنوعة من وبر الجمال، نصبت في مكان مرتفع مرئية من كل مكان، محاطة بكثبان صغيرة، وفي الداخل فرشت بسجاد صوف، وزينت بمآذن بيضاء مصطفة في مجموعتين ويعلوها هلال، وخناجر نحاسية متقنة الصنع، في الخارج واحة اصطناعية عليها بعض النباتات من الصبار ونباتات زيتية أخرى.[2]

الافتتاح الرسمي لجمبوري السلم كان يوم التاسع أوت بحضور كل الوفود المشاركة، هنا يجب أن نذكر بعض عراقيل السلطات الاستعمارية التي لجأت إلى أسلوب التفريق بين الكشافين الجزائريين وباقي كشافي الدول العربية إذ وضعت كلا منهما في جهة، ولجمع الشمل فكر الإخوان في حل، وبمبادرة من المرشد العام "محمود بوزوزو" اهتدوا إلى فكرة نصب مسجد في المخيم الجزائري، فرأت الدول العربية بأنه لا داعي لبناء مسجد آخر، ما دام أن الجزائريين بادروا ببنائه في الجهة التي يقيمون بها، فبإمكان كل الوفود العربية أداء الصلاة فيه. هكذا نجحت فكرة محمود بوزوزو الذي قال: "إذا كنا نلتقي مرة في الأسبوع، فبإمكاننا أن نلتقي خمس مرات في اليوم".[3]

من بين جميع الفرق الكشفية الإسلامية التي شاركت في هذا التجمع الدولي، كانت ك.إ.ج الوحيدة التي اتخذت مبادرة إنشاء مصلى للصلاة داخل مخيمها، يؤمه كثير من عناصر الفرق الإسلامية الأخرى لأداء الصلوات الخمس به.

وشاءت الظروف أن يحل عيد الفطر والمخيم الكشفي لا يزال قائما، فاستغلت الوفود الإسلامية هذا المسجد، للاحتفال بيوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك الموافق للثالث عشر من شهر أوت، كما أدت معظم الفرق الإسلامية صلاة عيد الفطر يوم السابع عشر من نفس الشهر إلى جانب كشافينا بالمصلى؛ إذ أمَّ الصلاة الشيخ "محمود بوزوزو" وألقى خطبة العيد.[4]

-العلم الوطني في مواسون:

حرصت أفواج ك.إ.ج على رفع الألوان الوطنية في عدة مناسبات؛ في سهراتها، استعراضاتها، ومخيماتها، إذ أن أغلب الجزائريين لم يتسن لهم رؤية العلم الجزائري قبل ثورة نوفمبر إلا على يد الأفواج الكشفية، فكان لها

[1] - يرجى الإطلاع على الملحق رقم 15: صورة في باريس للوفد الجزائري المشارك في جمبوري السلم 1947م.

[2] - Mohamed Derouiche, Scoutisme école de Patriotisme, ENAL, OPU, Alger, 1985, p136.

[3] - عمر عيساني، **العلم الجزائري والكشافة الإسلامية الجزائرية مرة أخرى، الكشافة الإسلامية الجزائرية**، دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، سلسلة ندوات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، ص139.

[4] - جمعية قدماء الكشافة، مرجع سابق، ص31.

دور بارز في إظهار العلم الوطني للشعب الجزائري في كل فرصة، منها فرقة الكشافة الإسلامية المشاركة في جمبوري مواسون 1947م؛ إذ كُلِفت العناصر الكشفية بضرورة إيجاد طريقة يتم فيها رفع العلم الجزائري خلال هذا التجمع الكشفي الكبير، فيقول محمد يزيد مسؤول اتحادية الحركة الوطنية في فرنسا آنذاك: "إن الأمانة التي كنتم تنتظرونها جاهزة-يقصد الراية الوطنية- ولكن عليكم إن تجدوا الكيفية المناسبة لإظهارها".[1]

وفي اللحظة التي كلف فيها الوفد الجزائري برفع العلم الفرنسي في التجمع الصباحي[2]، توصل الإخوان إلى فكرة تسليم العلم الجزائري إلى معلمة ليبرالية من بلجيكا[3]؛ إذ رحبت بدورها بالفكرة، فتقدمت عند انطلاق الاستعراض الكشفي واضعة العلم الجزائري قبل المنصة بحوالي 10 أمتار، وعند وصول الفرقة الجزائرية إلى المنصة رُفع العلم الجزائري بواسطة عصا الكشاف، فلم تحرك السلطات الاستعمارية الفرنسية -التي استشاطت غضبا-ساكنا؛ بما أن الموكب الكشفي قد انطلق أمام مرأى باقي الوفود العالمية.

وبعد مشي الكشافين الجزائريين لمسافة 10 أمتار رافعين العلم الوطني، أعيد العلم إلى المعلمة، بعد محاصرة السلطات الفرنسية للعناصر الكشفية وتفتيشها، إذ وصل بهم الأمر إلى نزع القمصان لبعض الكشافين الجزائريين اعتقادا منهم أن العلم الجزائري قد أخفي داخل الملابس.[4]

من أهم ما ميز جمبوري السلم بمواسون أيضا في رفع العلم الباكستاني وإنزال العلم البريطاني، وذلك في نفس اليوم الذي استقلت فيه الباكستان، وقد استدعي الوفد الكشفي الجزائري مثل بقية الوفود لحضور هذه المناسبة التاريخية، وأمام دهشة الجميع دعا قادة المخيم الباكستاني بعض من كشافتنا إلى المشاركة في رفع العلم الباكستاني، كانت لحظة تاريخية، تخللها الهتاف أملا في رفع العلم الجزائري عاليا.[5]

---

[1] – عمر عيساني، مرجع سابق، ص-ص 139-140.

[2] – في الأيام الأولى كان الفرنسيون يأتون كل صباح إلى مخيم الجزائريين لإجبارهم على تحية العلم الفرنسي، لكن كشافي الجزائر رفضوا ذلك، بل واظبوا كل صباح على رفع العلم الجزائري الذين كان بدون النجمة الحمراء، ولكنه يرمز للجزائر الحرة المستقلة. عبد الرحمان بسطانجي، "ذكريات من الحياة الكشفية"، الكشافة الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 151.

[3] – لأن الترتيب الساري والمعمول به أن تكون الفرق الكشفية الجزائرية وراء الفرق الكشفية البلجيكية؛ أي تسبق كشافة فرنسا والرواد الفرنسيون، والرواد الإسرائيليون. عمر عيساني، مرجع سابق، ص 140.

[4] – عمر عيساني، مرجع نفسه، ص140.

[5] – عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، **محطات مضيئة من تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية**، الكشافة الإسلامية الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص134.

3–آثار مشاركة الوفد الجزائري في هذه التظاهرة العالمية:

سنستخرج بعض العبر الناجمة عن المشاركة الجزائرية في هذا المخيم، من خلال التقارير التي كتبها المسؤولون المشاركون؛ إذ اجتهدوا في إبراز الآثار التي تركتها تلك الأحداث في العناصر الكشفية المشاركة، حيث استفاد الجميع من الاتصالات العديدة والمتنوعة، وقدموا للدول الغربية درسا في السلم والتآخي والتعايش.

فكيف كانت تصرفات أعضاء الوفد الجزائري وهم يشاركون لأول مرة في مهرجان عالمي؟

نستخلص الإجابة على هذا السؤال من شهادة القائد العام الطاهر التجيني، الذي أظهر إعجابه بإنجازات الكشافين الجزائريين قائلا: "لقد أثلج صدرنا ما شاهدناه في مخيم مواسون، فلم تكن الفرق الأربعة لـ: ك.إ.ج أقل مستوى من مئات الفرق الأخرى، لو شاهدنا "بادن باول" لرأى فينا خير تلامذة له...استفاد الكشافة المسلمون الجزائريون من هذا المخيم كل حسب مؤهلاته، لكنهم عادوا كلهم بنظرة أشمل وأكثر واقعية إلى العالم المحيط بهم."[1]

وعندما تحدث المرشد بوزوزو عن هذه العبر مستشهدا بالتاريخ الحديث للحرب العالمية الثانية التي أثارت رياح الحرية قال: "لقد انبهر الشباب الذين جاؤوا من البلدان المستعمرة في أول الأمر، لكن سرعان ما تفطنوا إلى أن ذلك النور لا يشملهم، فتفتحت عيونهم لحقيقة وضعيتهم، فلم تبق تنخدع بالأكاذيب التي تخدم مصالح أنانية وإجرامية، فكان الكشافة المسلمون الجزائريون يعبرون عن إيمانهم بمصير وطنهم وتحريره، واقتنعوا بأن هذا التحرير لا يصنع إلا بالاعتماد على النفس".[2]

إذن كان جمبوري مواسون فرصة لممثلي الكشافة الجزائرية لتمثيل الجزائر أحسن تمثيل في أول مشاركة لهم في تظاهرة عالمية حضرها ما يقارب الخمسين ألف كشاف من 42 دولة، حيث استفاد هؤلاء من هذا المخيم كل حسب قدراته، وعادوا بنظرة أكثر واقعية لظروفهم الراهنة في ظل القمع الاستعماري المتنامي، أما التأطير وحسن التسيير فقد ظهر في غاية الإحكام، مما مكنهم من إثبات وجودهم وإظهار تصورهم للحس الكشفي، وهو ما أعطى صورة صادقة عن عقلية ومستوى تفكير الفرد الجزائري لباقي الوفود المشاركة على تعددها واختلاف طبائعها.

ومن جهة أخرى، وبعد اختتام جمبوري السلم في الخامس والعشرين من شهر أوت، وبدعوة من اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية شارك وفد الكشافة الجزائرية في فعاليات المهرجان الدولي للشبيبة، إذ تنقل في نفس

[1] – أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص 69.
[2] – نفسه، ص 70.

الشهر إلى مدينة براغ لحضور تجمع عالمي آخر، ولكن كانت مشاركة الحركة الكشفية في هذا المهرجان رمزية، إلا أنها تدل على رغبة الحركة الكشفية وإرادتها الثابتة في أن تشارك في جل التظاهرات الدولية للشبيبة.

أما عن نتائجها فقد كانت جد إيجابية، بحيث أن أعضاءها أقاموا علاقات مع مختلف ممثلي الشبيبة الحاضرة في المهرجان، وممثلي البلدان الإسلامية والعربية على الخصوص والبلدان المستعمرة، التقى الوفدان (وفد مواسون ووفد مهرجان الشبيبة) بدعوة من مسؤولي جمعية الطلبة المسلمين في باريس ونشّطا حفلة لفائدة المغتربين بقاعة واغرام بمدينة باريس (salle Wagram)، التي أحدثت ضجة كبيرة بسبب ترديد الأناشيد الوطنية، والخطابات الثورية الوطنية والمسرحيات الهادفة.[1]

ومع نهاية هذا الحفل انتهى سفر ممثلي الحركة الكشفية في المهرجان الدولي للشبيبة بمدينة براغ، وانتهت معه مشاركة ممثلي ك.إ.ج التي حضرت لأول مرة في أعظم تظاهرة عالمية، تظاهرة كان لها أثر عميق ثابت لدى كل مشارك. أما عودة الوفدين إلى الجزائر فكانت في الثالث من شهر سبتمبر 1947م.

هذه التجمعات العالمية سمحت برفع اسم الجزائر عاليا في الميادين الكشفية، وهذا غير الملتقيات والمخيمات والجولات، أو الرحلات الدراسية بين الإخوة الأشقاء الأقربين مغاربة وتونسيين وعرب، وجميع بلدان العالم، حيث كون الكشافون الجزائريون صداقات، وتعرفوا على ثقافات وعرفوا بشخصيتهم ووطنهم الجزائر، وبأنه ليس فرنسا، ولا تربطه أي علاقة مع فرنسا كما كانت تُروج له.

ثالثا: أزمة 1948م، وبداية توجهه السياسي

1-تصاعد الحس الوطني في الحركة الكشفية الجزائرية وحدوث أزمة 1948م:

بعد العودة من الاجتماع العالمي للكشافة بفرنسا عام 1947م، تفاجأ قادتها بحدوث أزمة داخلها؛ وذلك لأن الإدارة الاستعمارية أخبرت الرئيس عن قلقها من وجود عناصر متطرفة في صفوف ك.إ.ج، وعن وجوب تطهيرها منها، وهو ما تجسد فعلا، فقد كان للمخيم الكشفي في مواسون بباريس أثر كبير على القادة الكشفيين؛ إذ تحرروا لمدة من الجو الاستعماري الخانق، واستطاعوا أن يعبروا بحرية أكثر عن الشعور الوطني الذي كان يبعثهم على النشاط، والتأثير ذاته الذي لعب دورا في نشأة أزمة الكشافة الجزائرية.

ذلك أن المادة الثانية من القانون الأساسي للكشافة الجزائرية تنص على أن غاية الاتحادية هي "تشجيع التربية الكشفية، وتكوين الشبيبة في المجال الأخلاقي والصحي والبدني، بالإضافة إلى التدريب العلمي وفق المبادئ

[1] - عبد الرحمان بسطانجي، ذكريات من الحياة الكشفية، مرجع سابق، ص 151. جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص 31.

وطرق الكشافة، كما ركزت قوانينها على منع أي نشاط سياسي داخل الأفواج، وكل مخالفة تعرض صاحبها للإقصاء".[1]

رغم ذلك، فإن ح.ش.ج(P.P.A) تمكن بفضل إيديولوجيته وأفكاره الثورية التحررية من استمالة شباب الكشافة الجزائرية في وقت مبكر؛ إذ احتضن هذا الحزب السياسي تلك الحركة الشبانية الناشئة في مهدها، فالعلاقة بينهما متجذرة تعود إلى تأسيس أول الأفواج الكشفية سنة 1935م، فأغلب المنخرطين في حركة الكشافة ربطتهم علاقات وطيدة مع حزب الشعب، إن لم نقل أن أغلب مؤسسي الأفواج الكشفية كانوا مناضلين في صفوف الحزب أو متعاطفين معه.

وعليه فإن الفكر الاستقلالي التحرري الثوري برز جليا من خلال توجهات أغلب العناصر الكشفية، ولكن بشكل فردي وسري تجنبا للانقسام، وأبرز مثال على ذلك انتماء مؤسس الكشافة ورئيس الاتحادية "محمد بوراس" إلى لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا[2] سنة 1939م، هذه الأخيرة التي دخلت في اتصالات مع ألمانيا قصد مساعدتها بالسلاح، وهو ما كلفه حياته.[3]

وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه المناضل والقائد العام للكشافة محفوظ قداش، مؤكدا العلاقة الوثيقة التي ربطت ح.ش.ج بجامعة الكشافة الجزائرية، فبفضل مساعدة هذا الحزب ودعمه واصلت الكشافة الجزائرية نشاطاتها مُشكِلةً العمود الفقري الشاب للحركة الوطنية الجزائرية؛ إذ كان المناضلون السياسيون ينشطون في وضح النهار بالتوازي مع الوحدات التي كرست للتربية الكشفية، فهدفه الأساسي تمثل في تكييف الكشافة مع الواقع الجزائري، وتبنيها للقضية الوطنية، يوضح ذلك أكثر فيقول: "كانوا يعملون مع القادة لتكوينهم على الصعيد السياسي واطلاعهم على الكفاح الثوري والتمرينات العسكرية".[4]

---

[1] – أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية بحزب الشعب الجزائري-حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1935-1954م، **المرآة للدراسات المغاربية**، العدد 3، مخبر الدراسات المغاربية النخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، جوان 2015، ص-ص137-138.

[2] – تأسست لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا(CARNA) في بداية الأمر في باريس في فيفري 1939، ثم تأسس سنة 1940م فرع لها في الجزائر التي كان على رأسها في بداية الأمر سعيد عمراني وطالب عبد الرحمن. ينظر: رامي سيدي محمد، المرجع السابق، ص85. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق-من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية (1950-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2007-2008، ص 37.

[3] – تم اعتقاله في 08 ماي 1941 بتهمة الجوسسة لصالح الألمان وحكم عليه بالإعدام بعد ستة أيام فقط، ونفذ الحكم في فجر السابع والعشرين من نفس الشهر، ويفسر الجنرال "ويغن" هذه السرعة في التخلص من قائد ك.إ.ج بقوله: "تمت محاكمته وإعدامه قبل أن تتسلم لجنة الهدنة الألمانية رد حكومتها على طلب التدخل للعفو الذي أرسل إليها". ينظر: رامي سيدي محمد، مرجع سابق، ص279.

[4] – في 1949م أنشأوا جريدة صوت الشباب حيث كانت تناقش فيها إضافة إلى القضايا البيداغوجية الكشفية، المشاكل السياسية، وقد قامت في البداية بإجراء اتصالات وحوار حقيقي مع الطلبة الكاثوليك والبروتستانت وكشافة الجمعيات الأوربية، وكانت ك.إ.ج منظمة شبان حزب الشعب الجزائري، تعلن صراحة انتماءها إلى الحركة الوطنية. ينظر محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 1092-1093.

وما يؤكد تبني الكشافة الجزائرية لأطروحات ح.ش.ج بشكل صريح، جمبوري مواسون والمهرجان الأول للشبيبة ببراغ؛ إذ دافعت الكشافة الجزائرية عن مواقف حزب الشعب السياسية؛ فقد أعرب أعضاء الوفد الكشفي عن رفضهم رفع العلم الفرنسي في مخيمهم الفرعي وقاموا باستعراض خلف العلم الجزائري، وقدموا تقارير سياسية، وثائق، ومناشير محررة من طرف قادة ح.ش.ج تدين الهيمنة الاستعمارية الفرنسية الصليبية العنصرية، وتطالب بحق الشعب الجزائري في الاستقلال والتحرر.

وفي هذا الإطار، يذكر المناضل عبد الحكيم بن الشيخ الحسين أنه التقى بالأخوين أمحمد يزيد وعبد الله فيلالي، واستلم منهما حقيبة مملوءة بالمناشير التي تندد بالإجراءات التعسفية الاستعمارية، وتشرح الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري تحت الحكم الاستعماري، فاتصل بدوره بالمناضلَيْن عبد الرحمان بسطانجي ومحمد زروقي، واتفق الثلاثة على أن يتكفل كل واحد منهم بتوزيع هذه المناشير في كل منطقة من مناطق المخيم المترامي الأطراف، ولما قلت الحركة نسبيا بالمساء شرعوا في توزيع هذه المناشير ورميها تحت المخيمات.

وعلى إثرها تم استدعاء المناضل عبد الحكيم بن الشيخ الحسين من طرف القائد العام الطاهر التجيني وبيده نسخة من المنشور، برفقة الإخوة عمر لاغا، محمود بوزوزو، ومحفوظ قداش، وأعلمه بأنه متهم من قبل الأمن الفرنسي بالتدبير لهذا الموضوع.[1]

ومن جهة أخرى، فقد أثار حضور وفد الكشافة الجزائرية للمهرجان العالمي للشبيبة بمدينة براغ حفيظة السلطات الفرنسية، إذ أظهر أعضاء الوفد عزمهم على تحقيق استقلال الجزائر، ولفت أنظار العالم إلى قضية بلادهم، من خلال تقديمهم "تقريرا عاما حول تاريخ الجزائر، الحركات السياسية، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، كما نددوا بالإدارة والنظام الاستعماري".[2]

وعليه تعرضت هذه الحركة المشبعة بالقومية إلى عداء الإدارة الاستعمارية؛ فتلك الممارسات السياسية لعناصر الكشافة الإسلامية الجزائرية لم ترض الإدارة الفرنسية، ولا بعض أعضاء اللجنة المديرة، وأقلق الموقف الوطني المتزايد للحركة الكشفية الجزائرية الإدارة الاستعمارية، وعجل بحدوث أزمة 1948م؛ التي نتج عنها انقسام الكشافة الجزائرية إلى جمعيتين نشطتا على الساحة جنبا إلى جنب بداية من هذه السنة.

الأمر الذي تؤكده شهادة المناضل عبد الرحمان بسطانجي: "في الوقت الذي رجعنا فيه إلى الجزائر–أي بعد المشاركة في جمبوري السلم–كان من الضروري تسييس هذه المنظمة، لأن الأمر تلقيناه من حزب الشعب الجزائري،

[1] – عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، مرجع سابق، ص133.

[2] – محفوظ قداش، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ص 1117؛ جمعية قدماء الكشافة، مرجع سابق، ص46.

ويمكن القول أن أغلب رؤساء الأفواج في الجزائر كانوا مناضلين في ح.ش.ج، بعثنا لهؤلاء الرؤساء لعقد اجتماع فوري للمنظمة الكشفية عام 1947م، وفعلا تم هذا اللقاء في سيدي فرج لتغيير عدة أمور من بينها إدخال المنظمة في معترك السياسة، لكن للأسف بعض العناصر لم تقبل هذا الاتجاه".[1]

تجسد انقسام جامعة الكشافة الإسلامية فعليا بتاريخ 18أفريل 1948م، أثناء اجتماع اللجنة المديرة بالجزائر، بسبب تدخل السياسة الحزبية، حيث قام جدل بين أصحاب الفكرتين المتعارضتين؛ أي بين عمر لاغا والطاهر التجيني؛ إذ أعرب أغلبية المؤتمرين إرادتهم في البقاء متضامنين مع القادة المنخرطين في ح.ش.ج، أسفر هذا التضارب في التوجه عن ظهور اتجاهين:

الاتجاه الأول: رفض انخراط ك.إ.ج في العمل السياسي، مطالبا بالحفاظ على حياديتها خوفا من ملاحقة السلطات الفرنسية، وتجميدها لباقي نشاطاتها التربوية، وحرمانها من الإعانات. تبنى هذا الاتجاه كل من الطاهر التجيني، أبو عمران الشيخ، والصادق الفول الذين لم يتقبلوا القرار، وكانوا غير راضين عن هذا التوجه الذي أخذته الجمعية، وبالتالي انسحبوا من ك.إ.ج، وأسسوا منظمة موازية بتاريخ 17ماي 1948م عرفت بـ: فتيان الكشافة الإسلامية الجزائرية (B.S.M.A).[2]

الاتجاه الثاني: رأى أصحاب هذا الاتجاه أنه من الضروري على الحركة الكشفية في الوقت الحاضر أن تدخل معترك السياسة، وتشارك مباشرة وعلنا في ممارسة أنشطة سياسية ضد الاستعمار الفرنسي، دافع أنصار هذا الاتجاه على التوجه السياسي وتمسكوا بتسمية الكشافة الإسلامية الجزائرية، كما انضم أغلب قادتها إلى ح.إ.ح.د.[3] مثّل هذا الاتجاه قائدها العام عمر لاغا، ومرشدها العام محمود بوزوزو، ومحفوظ قداش.

إذن، الأصل في الأزمة هو تسييس الحركة الكشفية من عدمه؛ حيث حرص بعض قادتها على عدم إدخالها في العمل السياسي وإبعادها عن أي انتماء حزبي، ومع عدم اقتناع الأغلبية بذلك، اتُخِذ قرار الخوض في النشاط السياسي، فحدث الانشقاق، وقد لخص الأستاذ محمد الصالح رمضان الأسباب الحقيقية لهذا الانقسام في

---

[1] – عبد الرحمان بسطانجي، ذكريات من الحياة الكشفية، مرجع سابق، ص 152. وفي هذا الاجتماع تم تعيين مكتب اللجنة المديرة للكشافة الإسلامية الجزائرية كالتالي: الرئيس: محمود بوزوزو، نائب الرئيس: عمر لاغا، الأمين العام: محفوظ قداش، الأمين العام للخزينة: بن عبد الوهاب حمدان. محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 1116.

[2] - Charles Robert Ageron, **Histoire de l'Algérie contemporaine 1871– 1954**, P.U.F, Paris, 1979, p 592.

جمعية قدماء الكشافة، الكشافة مدرسة الجودة، المرجع السابق، ص46.

[3] - C.A.N: Le Scoutisme Algérienne- prisse au point, 3X, N°: 002/05/002. Mohamed Derouiche, op.cit, p 147.

قوله: "هذا الانقسام كان لأسباب داخلية وخارجية، ولاختلاف طبائع القادة المسيرين وتباين وجهات نظرهم".[1] معتبرا هذا الانقسام طبيعي في كل حركة اتسعت وكثر أتباعها، وهو نفس المشكل الذي وقعت فيه الكشافة الفرنسية نفسها في فرنسا والجزائر.

على إثر هذا الحدث دعيت الجمعية العامة ليومي 03 و04 جويلية 1948م للاجتماع بالحراش تفاديا للانشقاق، لكن تضارب الآراء كان واضحا وفادحا، وكل أطراف النزاع بعيدين كل البعد عن بعضهم البعض.

أما مجريات أعمال الجمعية العامة فقد طرحت في النشرة الداخلية للكشافة الجزائرية رقم01 لسنة (1948-1949م) مما جاء فيها ما يلي: الجمعية العامة أقحمت قادة شباب ومناضلين في حزب الشعب، فتشكل أعضاء المكتب كالتالي: محمود بوزوزو رئيسا، عمر لاغا نائبا له مكلف بالعلاقات الخارجية، محفوظ قداش الأمين العام، حمدان بن عبد الوهاب أمين المال. كما شكلت هيكلا جديدا للقيادة العامة كالتالي: محفوظ قداش المحافظ العام، حمدان بن عبد الوهاب نائبا له، محمود بوزوزو مرشد عام، علي سالمي وحمدان بوزار محافظان لفرع الأشبال، محمد درويش وعمر بوداود محافظان لفرع الكشاف، صالح لوانشي ورشيد ماحي محافظان لفرع الجوال.[2]

2-تعيينه قائدا عاما للكشافة الإسلامية الجزائرية:

انعقد مؤتمر عام أسفر عن تعيين محمود بوزوزو بالإجماع في الرئاسة إلى جانب الإرشاد العام؛ هذه المسؤولية العامة استوجبت منه التخلي عن العمل الصحافي والتفرغ تماما للمهام الكشفية الجديدة؛ يدقق أكثر في ذلك فيقول: "بعد أزمة 1947م، وعلى إثر المؤتمر العام المنعقد تم تعييني للرئاسة إلى جانب الإرشاد العام، هذه المسؤولية استوجبت أن أتخلى عن العمل الصحافي وأتفرغ للمهام الجديدة."[3]

لكن الأوساط الفرنسية ربطت ابتعاده عن خط الإصلاح بالظروف المادية، وقلة عائدات الكتابة في صحافتها الإصلاحية.[4]

---

[1] – محمد الصالح رمضان، **تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر**، مخطوط بمركز الأرشيف الوطني، رصيد الكشافة الإسلامية الجزائرية، رقم: 005 /01/004/3X، ص 66.

[2] – جمعية قدماء الكشافة، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص46. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، مصدر سابق، ص53.
Mohamed Derouiche, op.cit, p150-151.

[3] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p1.
محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

[4] – حميدي أبو بكر الصديق، دراسات وأعلام، مرجع سابق، ص193-194.

بيد أن محمود بوزوزو يُفنِد هذا الطرح بقوله: "قبلت المسؤولية في جريدة البصائر إذْ شاركتها في أفكار التحرير، ولكن اضطررت إلى التخلي عن هذه الوظيفة لتكريس جهودي للكشافة الإسلامية الجزائرية والتي كنت قد عينت قائدها العام".[1]

ولئن كان بوزوزو قد أعلن موقفه جهرا معاداة السياسة الاستعمارية وموقفه من العمل الإصلاحي، وهو نفس الموقف الذي اتخذه الشيخ محمد السعيد الزاهري وبعض الأعضاء الآخرين من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ معتبرين أن إطار الجمعية ضيق ولا يستجيب لتطلعاتهم وطموحاتهم في مكافحة الاستعمار وتحقيق الاستقلال، يقول في هذا الشأن: "كنت غير قادر على القيام بذلك مع الجمعية الإسلامية، والتي كانت غير سياسية".[2]

والتفسير المرجح حسب ما توصلنا إليه أن محمود بوزوزو تبلور لديه العمل أكثر ضمن خط حزب الشعب والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، وميله أكثر إلى التوجه السياسي الذي يتوق فيه إلى النضال الثوري والنزعة الاستقلالية، فبعد محاولات عديدة وجهود مضنية توصل إلى أنه لا يمكن تنظيم المجتمع الجزائري، في جميع المجالات، وفقا للمصلحة الحقيقية للشعب إلا في ظل جو من الحرية المطلقة؛ يقول في ذلك: "وهذا ما يجعلني مصمما لمباشرة المقاومة السياسية، فلا نستطيع على حسب اعتقادي أن ننظم مجتمعنا في جميع الميادين إذا لم يكن وطننا حرا مستقلا".[3]

إذن تميز الشيخ بوزوزو ببعد النظر، وسعة الأفق، ولهذا أعدل عن خططه فقد كان مسلحا بما فيه الكفاية للانتقال إلى خطوة أخرى رأى أنها أكثر فائدة لضمان مستقبل زاهر للأمة الجزائرية وشعبها الأبي، فبعد سنوات من العمل الجاد في إطار الحركة الإصلاحية التابع في الأساس إلى جمعية العلماء المسلمين، وإسهاماته في حقل الإصلاح الاجتماعي، أدرك أنه لا يمكن التخلص من الاستعمار بالاكتفاء بالنضال الإصلاحي وحده، والتركيز على التعليم كوسيلة أساسية من بين وسائل أخرى لمقاومة الاستعمار واسترجاع السيادة الوطنية، يقول في ذلك: "هذا ولست أريد أن تتجه جميع هيآتنا الوطنية إلى العناية بهذين الجانبين (التربية والتعليم) من جوانب القضية الوطنية العامة، وتهمل الجوانب الأخرى التي قد تكون في ظروف خاصة أجدر بالعناية وأحق بالاهتمام؛ فإن كل

[1] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

[2]- Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

[3] – جمعية قدماء الكشافة الإسلامية، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، 2010، ص81.

ما يعجل بإزاحة كابوس التسلط الأجنبي، ويبدد سحب الاستعمار الحاجبة لأشعة الشمس أن يحتل المقام الأول في برامج أعمال جميع الحركات الوطنية على اختلاف وسائل عملها."[1]

وبالتالي اعتبر بوزوزو أن كل المجهودات التي تبذلها العناصر الفاعلة على الساحة الوطنية آنذاك، والتي لا تُدخِل ضمن برنامج عملها النضال السياسي والإيديولوجي لا تكفي لإعداد جيل يحرر الجزائر، لذلك اغتنم فرصة تعيينه مرشدا ورئيسا عاما لحركة ك.إ.ج ليعبر عن رغبته في ولوج حقل الإصلاح السياسي؛ إذ انتقل من الإصلاح الديني والاجتماعي، معلنا مباشرة النضال السياسي التحرري الثوري، مبديا تأثره العميق والواضح بالتيار الاستقلالي، والانسحاب تدريجيا من العمل الإصلاحي بداية من تخليه عن التحرير في البصائر.

وفي إطار جهوده الرامية إلى اعتبار الكشافة الإسلامية وسيلة من أبرز الوسائل للحفاظ على الهوية الوطنية، إيمانا منه بمساهمتها في إذكاء الروح الوطنية، وتنمية النزعة الاستقلالية، وجه خطابه إلى النساء الجزائريات اللواتي يرغبن في الانخراط في العمل الكشفي شارحا أهداف هذه الحركة النبيلة، مؤكدا أن كل الجهود الكشفية يلزم أن تسخر لتحقيق الاستقلال الوطني، فيقول: "إياكن أن تعتبرن الكشافة ملهاةً ترفيهية لتمضية الوقت، بل الواجب أن تسخر هذه الوسيلة التربوية لرفع مستوى قومنا ووطننا".[2]

وعلى إثر أزمة الانشقاق التي حدثت في صفوف الحركة الكشفية، استغلت الإدارة الفرنسية الظرف لبث الشقاق؛ إذ بادرت إلى فصل أعضاء الكشافة الإسلامية من عملهم بصفة موظفين، وبالمقابل أعلنت مساعدتها لجمعية ف.ك.إ.ج (B.S.M.A) معلنة تضامنها معها، وهو ما تجسد فعلا من خلال؛ "رفض منح الإعانات، رفض إعطاء الرخص لإقامة الاحتفالات والأنشطة الكشفية الأخرى، الاستجوابات المتكررة للقادة، تدخل رجال الدرك من أجل إخلاء المعسكرات الكشفية، تخويف المسؤولين".[3] والغرض من هذا التحرش ما هو إلا إثارة الجمعيتين بعضهما ضد البعض.

هذه الإجراءات القمعية أقلقت الشيخ بوزوزو، وكان قد تجاوزها سابقا عند صدور قرار نفيه إلى مدينة الأغواط، إذ رأى على إثرها آنذاك تناقضات السياسة الفرنسية، لكنه قرر مواصلة الكفاح الإصلاحي الاجتماعي في إطار التعليم العربي الحر، ونضاله الصحفي كمحرر ومصحح في البصائر، لحاجة الشعب الجزائري لمثل هذه المبادرات، مع انخراطه في العمل الكشفي بداية من سنة 1943م، لكنه قرر في نهاية المطاف العودة إلى الكفاح

[1] - المنار، س1، ع13، 04 جانفي 1952.

[2] - محمود بوزوزو، نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية، العدد رقم 14الصادر عام 1946م نقلا عن: أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص233.

[3] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p68.

السياسي الذي بواسطته يتسنى للشعب الجزائري تحقيق مصيره، يوضح أكثر في ذلك فيقول: "وكان ذلك النضال ضروريا والذي فرضه عليا ضميري".[1]

لذا نعتبر هذه السنة، 1948م نقطة التحول والنضج السياسي والفكري للمناضل محمود بوزوزو والتي حددت مساره، إذ اقتنع أن الاستقلال هو السبيل الوحيد ليسترجع هذا الشعب كرامته؛ إذ اقتنع أن الدعوة الدينية والنشاطات الإصلاحية الاجتماعية وحدها غير كافية لخوض غمار هذه الحرب، وتحقيق أماني الأمة الجزائرية، وهو ما يؤكده قول الصحفي حميد طاهري:"محمود بوزوزو نظر بعيدا إلى غير لحنه، كان مسلحا بما فيه الكفاية للانتقال إلى مرحلة أخرى، هذا في نهاية المطاف إذ قرر القيام بالنضال السياسي".[2]

وربما كان انخراط محمود بوزوزو في الحركة الكشفية، وممارسته للنشاطات الكشفية الوطنية، كلها عوامل عززت الروح الوطنية لديه، وسلحته أكثر لخوض غمار الحرب؛ فانخراطه في العمل الكشفي عرف خلاله أهم انقلاباته الفكرية والسياسية إذ تأثر بالفكر التحرري خاصة بعد مشاركته في أهم التظاهرات الوطنية والعالمية، مُشَكِلةً محطة هامة في قناعاته وتوجهاته، إذ أنه لم يكن يرى مانعا من مساهمة حركة الكشافة الجزائرية في النضال السياسي ضد الاستعمار، وهو ما أضحى جليا بعد أزمة 1948م، إذ رأى أن "كل كشافة جزائرية هي بالضرورة سياسية".[3]

هذه القناعات والتوجهات الفكرية التي برزت جليا خلال الأربعينات والخمسينات، لم تنشأ من الفراغ، بل انطلاقا من تكوينه العقدي الديني، وتربيته الإسلامية؛ فالعلاقة بين الدين والنشاط السياسي بالنسبة إليه علاقة وثيقة، وحسبه فإنه: "في الإسلام لا يمكن الفصل بين الدين والسياسة".[4] معتبرا أن كل نشاط سياسي سواء لتحرير الوطن، أو لإصلاح المعاهد والمؤسسات يدمج بالضرورة في حركة واسعة من الوطنية والدينية، فلا فصل لديه بين القيّم الروحية والأنظمة السياسية.[5]

---

[1] - Ibid, p 69.

[2] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p1.

[3] - C.A.N: Le Scoutisme Algérienne- prisse au point, 3X, N°: 002/05/002.

[4] - C.A.O.M, Gouvernement général de l'Algérie, Cabinet S.L.N.A, Bull de la presse D'Alger, Questions Musulmans, N°: 1256 NA/5, Période du 1° au 15 Mai 1952.

[5] - Watanabe SHOKO, To be Religious and to be Political in Colonial Algeria: The Ulama and The Nationalists, Two Approaches, **The Journal of Sophia Asian Studies**, p122- 123.

3-نضاله الكشفي بالغرب الجزائري:

ظل الفكر الثوري مُتبنِيًا من قبل العناصر الكشفية بشكل فردي وسري لتجنيب الأفواج الكشفية الحل والإقصاء، إلى أن برز في أوساطها تيار مساند بشكل علني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، فلم تتمكن حينها فيدرالية الكشافة الإسلامية من إخفاء موقفها ونضالها السياسي بل حملت أفكارا وطنية تحررية، اتضحت ميدانيا من خلال ممارسة نشاطاتها.

فمن خلال زيارة القائد الكشفي محمود بوزوزو في جانفي 1949م إلى العديد من مدن عمالة وهران، يظهر في تصريحاته الطابع السياسي لنشاطه رغم تحفظه وحذره تحسبا للمراقبة الاستعمارية، إلا أنه أفصح عن مواقف وطنية شجاعة، ويظهر ذلك من خلال خطابه بمدينة معسكر في 10 فيفري 1949م الذي جاء فيه: "علينا الاقتداء بمقاومة الأمير عبد القادر، ولنجعل من تضحياته نموذجا لنا من أجل مواجهة الاستعمار وتحرير بلدنا الجزائر".[1]

كشف محمود بوزوزو من نشاطاته في مدن عمالة وهران خلال سنة 1949م، ويتجلى ذلك من خلال زيارته لمدن: تلمسان، مغنية، سعيدة، المشرية، بشار والقنادسة، عين الصفراء، سيدي بلعباس، وهو ما يتضح أكثر من خلال الجدول التالي:

المدينة	تاريخ الزيارة	النشاطات
تلمسان	14جانفي1949م	أقام محاضرة بقاعة الحفلات بالبلدية بحضور 150فرد، وكثير من نواب حزب حركة الانتصار.
مغنية	15جانفي 1949م	حضر إلى مغنية قادما من تلمسان وذلك من أجل إعادة تنشيط الفوج الكشفي المحلي.
سعيدة	الاثنين 14فيفري 1949م	قال في هذا التجمع بأنه في زيارة ميدانية ويقوم بدورة في كل أنحاء الجزائر منذ 01نوفمبر1948م، وأشار إلى ضرورة توحيد صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية. كما زار مقر حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بسعيدة والتقى بشخصية عبد القادر.
المشرية	16فيفري 1949م	استقبله هناك عون الصحة راشيدي دون تجمع شعبي.
بشار والقنادسة	17فيفري 1949م	خطب في مسجد المدينة بعد صلاة الجمعة.

[1] – جيلالي بلوفة عبد القادر، مرجع سابق، ص214.

عين الصفراء	18فيفري 1949م	استقبله الباشا خالدي، كما ألقى محاضرة في المسجد.
سيدي بلعباس	23ماي 1949م	نزل ضيفا عند بن رازي الشيخ وهو عضو في حزب حركة الانتصار، ثم أقام في نزل "الفندق الجديد"(Rue prudon, Nouvel Hôtel prudon).[1]

الجدول رقم 02: نشاطات محمود بوزوزو بالغرب الجزائري خلال سنة 1949م

وفي زيارته الأخيرة التي قادته إلى مدينة سيدي بلعباس في 23 ماي 1949م-رغم قرار الأمين العام للعمالة بمنعه من التنقل والإقامة فيها لخطورته- اتصل بالشخصيات الكشفية السياسية، واجتمع مع مرشحي حزب إ.د.ب.ج؛ لالوت بلعباس، لالوت الغوثي، بن داودي محمد، كما تواصل مع مناضلي حزب ح.إ.ح.د، وخلالها سلم بوزوزو نشرات دعائية أنجزت من قبل فيدراليته.[2]

هذه النشاطات المكثفة للقائد العام للكشافة الأستاذ بوزوزو في الغرب الجزائري، وبالضبط مدن عمالة وهران خلال سنة واحدة تفسر لنا أكثر سبب انسحابه من العمل الإصلاحي بداية من تخليه عن العمل الصحفي إثر تعيينه قائدا عاما للكشافة، وتفرغه التام للنضال الكشفي تقديرا منه للمسؤولية الملقاة على عاتقه، خاصة بالنظر إلى ظروف الانشقاق التي تعيشها الحركة، فيقول معللا هذا التوجه: "لأن هذا العمل يتطلب مني التنقل في عموم القطر الجزائري لتفقد الأفواج واللجان في كل مكان، وقد استغرق ذلك شهورا، إلى أن حصل الاطمئنان على استمرار سير الحركة في الطريق الذي اخترناه".[3]

هذا النضال السياسي المكثف بالغرب الجزائري من قبل محمود بوزوزو، سيُعَزَز أكثر من خلال التحركات الواسعة لمجموعة من القادة الآخرين الذين ساروا في نفس التوجه، وعلى رأسهم؛ عمر لاغا، صالح الوانشي، حمدان بن عبد الوهاب على إثر استغلالهم لمناسبات تنظيم راليات المخيمات المدرسية في مدن الغرب الجزائري، وبالضبط في: وهران، مستغانم، تلمسان، سيدي بلعباس، مغنية، سعيدة، بشار.[4]

كما عرفت سنة 1950م عودة نشاط فوج "نمورز" تحت رئاسة بعوش محمد ولد عبد القادر، ففي التقرير الذي أورده المفتش دوي جون (Doye Jean) صرح قائلا: "إن نشاط ك.إ.ج يتطور إلى درجة الخطورة في ناحية نمورز وخلال كل المناسبات".

[1] - جيلالي بلوفة عبد القادر، نفسه، ص215.

[2] - أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية بحزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص145.

[3] - محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، 25 فبراير 1982.

[4] - Mohamed Derouiche, op.cit, p173.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن فوج الضحى "بنمورز" قد تأسس خلال سنة 1945م من مسؤولين معروفين، كصالح أحمد الكبير من الاتحاد الديمقراطي، وقد كان هذا الفوج ذو توجه إصلاحي، ثم بدأ يميل نحو التوجه الوطني، حيث أنه في جانفي 1949م خلال الزيارة التي قام بها "محمود بوزوزو"، ألح المفتش العام للفوج على أن تبقى الكشافة الإسلامية غير سياسية، وقد دفع هذا الطرح بالقائد المحلي للفوج حمدون بتقديم استقالته علنا لأنه كان يرى في مساهمة الكشافة في النضال السياسي الوطني واجبة.[1]

قام محمود بوزوزو بزيارة أخرى لمدينة وهران بتاريخ 04 سبتمبر 1951م والتي غادرها في 05 سبتمبر من نفس العام، التقى خلالها بالمناضل عبد الحميد مهري، وأكد في هذه الزيارة على ضرورة الوحدة الوطنية وتوحيد الصفوف، إضافة إلى ذلك ناقش أعضاء المجلس الجهوي ل: ك.إ.ج في 14 أكتوبر 1951م تحت رئاسة محمود بوزوزو، ومحفوظ قداش ومالمان، وكروشيه، وصالح لوانشي ضرورة تنشيط القاعدة للأفواج الكشفية بعمالة وهران وتفعيلها بما يخدم القضية الوطنية.[2]

تأكيدا لما سبق، وفي إطار التعبير عن مواقفها الوطنية، وتوعية الشباب الجزائري بفاعلية العمل الكشفي؛ قامت جوالة ك.إ.ج بإصدار أول جريدة شهرية بعنوان "صوت الشباب"(La Voix des jeunes) سنة 1952م؛ مفتوحة أمام كل الشباب، تناولت مقالاتها الوضعية السياسية للشباب الجزائري، كما ناقشت الظروف والقضايا الاجتماعية والدينية والثقافية؛ موضحة موقفها الوطني، مؤكدة على النضج السياسي الذي آلت إليه هاته الحركة.[3]

عُيِّن كل من صالح لوانشي ومحفوظ قداش بالترتيب المدير ورئيس التحرير لهذه الجريدة، وفي عددها الأول الصادر في شهر أفريل 1952م، شرحت هيئة التحرير أهدافها، نجملها في العناصر التالية:

- الدفاع عن مصالح الشبان وحقوقهم في الحياة والثقافة.
- المساهمة في تكوين الشبيبة الجزائرية، وإنعاش حماسها، وإعطائها نماذج المبادرات النافعة.
- إحاطة الشباب بالقضايا المصيرية الهامة التي كانت تطرح آنذاك، والتي لا يجوز التغافل عنها.[4]

---

[1] - جيلالي بلوفة عبد القادر، مرجع سابق، ص 216.

[2] - جيلالي بلوفة عبد القادر، مرجع سابق، ص 221.

[3] - Mohamed Derouiche, op.cit, p176.

[4] - محمد الطيب إلول، مرجع سابق، ص87.

ولأن الجريدة كانت تهدف إلى تكوين الشباب سياسيا؛ فقد اعتبرتها مصالح شرطة الاستعلامات العامة في تقريرها رقم مائتان وثلاثة وخمسون الصادر بتاريخ 10 أفريل 1952م "جهاز حرب وطني محض".[1]

وفي شهر أكتوبر من سنة1953م، زار محمود بوزوزو وهران للمرة الثانية؛ إذ أظهر في هذه الزيارة رغبته في التعامل مع ج.ع.م.ج التي كانت تفضل العمل التربوي الإصلاحي على العمل السياسي، وهو ما أدى إلى بروز خلاف بينه وبين عناصر من حزب ح.إ.ح.د.[2] فالملاحظ أن جمعية العلماء لم تكن ترغب في دخول الكشافة معترك السياسة؛ إذ التزمت الحياد، ولم تتدخل على إثر أزمة الانقسام التي تعرضت لها الكشافة الإسلامية سنة 1948م لإيجاد حل وسط بين الطرفين.

وما يؤكد ذلك موقف الشيخ محمد الصالح رمضان الذي كان معينا من طرف الجمعية على رأس مدرسة دار الحديث[3] بتلمسان منذ سنة 1945م، إذ ذكر أن: "المرشد العام للفرع المتحزب من للكشافة الإسلامية الجزائرية محمود بوزوزو زاره في تلمسان، ورجاه الالتحاق بجامعته لكنه أعرب عن عدم رضاه بالاقتراح قائلا: معذرة يا أخي لا أحب كشافة يشرف عليها حزب سياسي".[4]

على إثر الزيارات التي قام بها محمود بوزوزو للغرب الجزائري، ونشاطاته الحثيثة في سبيل تربية الأجيال وإعلاء كلمة الحق، تحفزت جل العناصر الكشفية وحرصت على مضاعفة نشاطاتها السياسية في إطار الحزب السياسي الثوري حركة انتصار الحريات، حتى أن العديد من قادة الأفواج الكشفية في الغرب الجزائري أصبحوا أعضاء في المجالس المحلية، على غرار "الكبير محمد"، و"مالمان بومدين" من فوج "محبوبة" اللذان أصبحا عضوين في المجلس البلدي لمدينة مغنية. كما ترشح عن حركة الانتصار في الانتخابات المحلية لبلدية سيدي بلعباس عضو من فوج الأمل وهو "بن غازي الشيخ" والذي شارك كذلك باسم الحزب في انتخابات الجمعية الوطنية في 12 جوان 1951م.[5]

---

[1] – رشيد طوبيشي، محفوظ قداش، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص 85.

[2] – جيلالي بلوفة عبد القادر، مرجع سابق، ص-ص219-220. أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية بحزب الشعب، مرجع سابق، ص145-146.

[3] –كانت مدرسة دار الحديث أول المدارس بناءً في الغرب الجزائري، حيث تم الانتهاء من تشييدها يوم 27 سبتمبر 1937، وحظر حفل الافتتاح الشيخ عبد الحميد بن باديس، والمصلح المغربي إبراهيم الكتاني وجمع غفير من العلماء والمصلحين، أما عن برامج الدراسة فقد اختلفت ما بين العلوم الشرعية كالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودروس في الفقه والتفسير، وأيضا علوم اللغة كالأدب والعروض والشعر، والتاريخ والجغرافيا. ينظر: تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931–1956**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 177.

[4] – أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص 177.

[5] – أمال علوان، **أثر الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية على الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1935–1962**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2013/2012، ص 167.

وفي 25 أكتوبر 1953م نزل بوزوزو ضيفا على تلمسان، واستقر بنزل الماجستيك واتصل بالمفتش الجهوي لـ: ك.إ.ج في مدينة تلمسان السيد "قهواجي يوب" لدراسة واقع الحركة الكشفية ونشاطها بهذه المدينة.

إن هذه التحركات الميدانية التي قام بها محمود بوزوزو تعكس في حقيقة الأمر مساهمة الكشافة الإسلامية في النضال السياسي الذي كان يخوضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، فعلى الرغم من منعه من التنقل في مدن العمالة كما ذكرنا آنفا، إلا أنه واصل زياراته المتكررة مظهرا بذلك مواقف وطنية شجاعة. [1]

وتأكيدا لما سبق، يمكن اعتبار أن الشيخ بوزوزو سلك هذا التوجه الاستقلالي انطلاقا من نظرته وتصوره للحس الكشفي؛ مراهنا على أن الكشافة وسيلة فعّالة يمكن أن تعيد للجزائر مجدها، وتسمح لها باحتلال مكان لائق وبالتالي تساهم في التطور الحضاري للعالم برمته، فيقول: "الغرض من ك.إ.ج أنها تستجيب لحاجة ماسة لدى الشعب الجزائري الذي يطمح إلى مكان عظيم في العالم". [2]

وهكذا انتقل بوزوزو في هذه المرحلة إلى أساليب كفاح سياسية جديدة، اعتمد فيها استعمال وتوظيف الفكر والمعرفة، والتطلع إلى استخدام وسائل جديدة أكثر فعالية، خاصة بعد تشبعه بالفكر التحرري الثوري، والقيم الدينية والمثل الخالدة، فاستغل فرصة تعيينه كقائد عام لحركة ك.إ.ج ليكرس جهوده للنضال السياسي الصرف، خارج إطار الجمعية ونشاطاتها الإصلاحية البحتة، ومبادئها الرافضة للنضال السياسي، يتضح ذلك من خلال قوله: "فهمت حينئذ أن تنظيم مجتمعنا لن يتحقق إلا في جو من الحرية المطلقة، وأدركت أن المشكل الرئيسي سياسي". [3]

يُقِر محمود بوزوزو أن للحركة الكشفية نمط خاص من الحياة؛ لكنه يرى أن الوقت الراهن يفرض علينا ضرورة تجاوز تلك النمطية، لأن التمسك حرفيّا –حسب ما يرى–بمصنفات تجاوزها الزمن، وإهمال الروح يؤدي إلى تكوين رجال لا يقدرون على فهم واقعهم؛ إذ أن الرضا بالواقع الاستعماري الذي دمّر الروح الجزائرية، والسكوت أمام تلك العراقيل التي تؤخر تطور وازدهار بلدنا "تفاديا لانحراف الحركة الكشفية"[4] أمر غير مقبول إطلاقا، واعتبره فهما غير صحيح للرسالة التي قامت من أجلها الحركة الكشفية الجزائرية.

---

[1] – جيلالي بلوفة عبد القادر، مرجع سابق، ص–ص219–220. وآمال علوان، أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية بحزب الشعب، مرجع سابق، ص145–146.

[2] - C.A.O.M, Mahmoud Bouzouzou, Qu'est-ce que le Scoutisme ? Scouts Musulmans Algérien, 3 Rampe de La Pêcherie, Alger, dossier n° 93/4257.

[3] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير1982م.

[4] – محمود بوزوزو، مبادئنا، مصدر سابق، ص 51.

وعليه، يرى أن هذا الأسلوب والنمط الكشفي لا ينبغي أن يبتعد عن الواقع الذي يعيشه الجزائريون؛ إذ أن هاته الحركة الكشفية في أصلها نشأت في رحم بيئة استعمارية، وبالتالي فإن العمل الكشفي في وضعية استعمارية يأخذ بالضرورة البعد السياسي، حتى وإن أعلن قادتها ضمن مبادئها وقانونها أنها لا تخوض في المسائل السياسية.

وبالعودة إلى تسميتها "كشافة إسلامية جزائرية"، نلاحظ أنها صبغت نشاطاتها وأهدافها بالروح الدينية الإسلامية، وبما أنها أعلنت ضمن مبادئها أنها تعمل في إطار النظم الإسلامية، فإنما هو تأكيد على خاصية الإسلام للأمة الجزائرية، وإثباتا لهويتها الدينية وانتمائها العربي الإسلامي، لذا فإن بروز هذا اللفظ "إسلامية" يوحي بنضالها من أجل الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، فلا يمكن للمجتمع الجزائري أن يثبت ذاته الدينية الإسلامية في رحم بيئة استعمارية، وسياسة عنصرية صليبية تعمل على تدمير روحه الدينية وطمس معالم هويته الوطنية.

نتيجة لهذه الوضعية، يؤكد بوزوزو أن كل حركة تربوية لا تولي اعتبارا لحقائق الوسط الذي تعيش فيه، ومتجردة من مجريات العصر، محكوم عليها بالفشل لا محال، والأمر ذاته بالنسبة لتنظيم ك.إ.ج؛ إذ أن كل قضايا الشعب الجزائري المعيشية مرتبط بعضها ببعض، ولا يمكن فصل هاته عن الأخرى، من أجل ذلك أكد أن الاهتمام بكل القضايا التي تطرح على الشعب، وكذا على الإنسانية جمعاء، واجب على كل مرب واع بمسؤوليته في تكوين رجال الغد.

وهو التوجه ذاته الذي أكده العديد من القادة الكشفيين، من بينهم القائد العام محمد الصالح رمضان الذي وضح التوجه العام للحركة الكشفية، وارتباطه الوثيق بالنظم السياسية والعسكرية بقوله: "الكشافة منظمة عالمية لتربية الشباب على الأخلاق الفاضلة، والوطنية الصادقة، والأخوة الإنسانية، ليست سياسية ولا عسكرية بالمفهوم العام للسياسة والعسكرية، ولكنها تأخذ من المبادئ السياسية والنظم العسكرية ما يتلاءم مع خطتها ويخدم مصالحها".[1]

[1] – محمد الصالح رمضان، **تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر**، مخطوط في مركز الأرشيف الوطني بئر خادم، رصيد الكشافة الإسلامية الجزائرية، رقم: 3X/004/01/ 005.

رابعا: محمود بوزوزو والثورة الجزائرية

1-أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتأثيرها على الحركة الكشفية:

فتح المؤتمر الثاني لحزب ح.إ.ح.د (4-6 أفريل 1953م) أزمة معلنة داخل صفوفه وبين مناضليه، أدت إلى انقسامهم بين "المركزيين" و"المصاليين"،[1] فهل أثرت هذه الأزمة على وحدة الكشافة الإسلامية (S.M.A)، هذا التيار الوطني الذي أعلن مساندته الواسعة للحزب توجها وميدانا؟

إن التقارير الفرنسية أو حتى الدراسات حول تاريخ الحركة الكشفية، لم تشر إلى أي تأثر أو انحياز الرجل الأول في هذا التيار وهو الشهيد "عمر لاغا"، إلى أي من الطرفين المتصارعين في الحزب السياسي، وعليه ربما يكون ضمن الطرف الثالث الذي حاول إصلاح ذات البين، أو أنه أخفى ميولاته تجنبا لأي انشقاق آخر داخل الحركة الكشفية.

في حين تطلعنا أحد التقارير قبل ثلاثة أشهر من اندلاع الثورة التحريرية، بأن هناك حساسيات في صفوف الحركة الكشفية بالجزائر(العاصمة) بين القيادة العامة ومجلس الإدارة، بسبب اختلاف المواقف بين "محفوظ قداش" المحافظ العام و"صالح لوانشي" المحافظ الوطني من جهة، وبين "محمود بوزوزو" الرئيس والمرشد العام من جهة أخرى، ويعود سوء التفاهم إلى الانقسام الحاصل في صفوف ح.إ.ح.د.[2]

وأردف التقرير مشيرا إلى ارتقاب القادة الكشفيين انعقاد المؤتمر الكشفي الوطني، الذي سينعقد في تيزي وزو يومي 19 و20 سبتمبر 1954م، وذلك لتوضيح الوضعية ورسم مسار نهائي تمشي عليه فيدرالية الكشافة الجزائرية، ومما لاشك أن المؤتمرين ناقشوا حيثيات الأزمة التي تعيشها حركة الانتصار، لكن ما نجهله هو التوصيات التي خرج بها هذا المؤتمر الكشفي.[3]

وحسب ما أشارت إليه العديد من المصادر والدراسات فإن أزمة الانشقاق التي عاشها حزب الشعب، أثرت على قادة الكشافة؛ إذ أشارت بعض التقارير إلى خلاف على مستوى القيادة (S.M.A) لكنه لم يصل إلى القاعدة،[4] لأن القيادة العامة للحزب فعلت كل ما بوسعها لإخفاء الصراع عن القاعدة الشعبية، وما يؤكد ذلك العبارة التي وردت في التقرير من "أن الحساسيات توجد في العاصمة"، فلم يعمم الوصف على باقي الأفواج

[1] - عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 330 وما بعدها.

[2] - أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية بحزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص156.

[3] - أمال علوان، مرجع نفسه، ص-ص 156-157.

[4] - أمال علوان، أثر الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية على الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 181-182.

الأخرى من مناطق الوطن[1]، فقد تجنبوا استغلال الوضعية في نشاطاتهم الكشفية، وكرسوا أعمالهم لتكوين المواطنين أكثر من السابق.[2]

2-موقف الكشافة الإسلامية الجزائرية من اندلاع الثورة:

لا يمكن إغفال وتجاهل دور الحركة الكشفية الجزائرية في بلورة الوعي الوطني منذ البدايات الأولى لنضالها، والتي قادها مؤسسها الشهيد محمد بوراس مكلفة إياه حياته، فخلال ح.ع.2 قام محمد بوراس بالاتصال بلجنة وقف إطلاق النار بالجزائر العاصمة، فتم توقيفه من قبل السلطات الفرنسية بتهمة تسريب وثائق سرية للألمان.[3]

لكن في الحقيقة كانت محاولة محمد بوراس من خلال اتصاله بالألمان تهدف إلى إدخال السلاح إلى الجزائر؛ إذ يصف محفوظ قداش جهود رفيقه "بالمبادرة الفردية الهادفة إلى الحصول على أسلحة لتدريب الشبان الجزائريين"، كما أن هذا التوجه تؤكده شهادة المناضلان الصادق الفول ورابح بوبريط؛"بوراس كان يسعى إلى تشكيل شبيبة كشفية وطنية تحضر للكفاح المسلح".[4]

ويكفي -حتى نعرف دور الحركة الكشفية في بلورة الوعي الوطني والمساهمة في الثورة، وتحقيق استقلال الجزائر-أنْ نذكر أنَّ عدد كبير من منخرطيها يعتبرون من الكوادر الوطنية المفجرة للثورة التحريرية، وعناصر فاعلة داخل جبهة وجيش التحرير الوطنيين، من ذلك أن مجموعة 22 التي فجرت الثورة الجزائرية سنة 1954م كان من بينهم سبع عشرة (17) كشافا؛ نذكر منهم العربي بن مهيدي، زيغود يوسف، سويداني بوجمعة، ديدوش مراد وغيرهم. ويكفي الحديث أن هذا الاجتماع قد عُقِد في بيت أحد الإطارات الكشفية بالجزائر العاصمة وهو المجاهد إلياس دريش.

ولما قامت الثورة التحق بها عدد من الكشافين وبقي من بقي، بعضهم في صفوف الجبهة والبعض الآخر في الجيش، مجاهدين ومناضلين في الجبال، ووجدت الثورة فيهم خير العناصر الواعية المدربة على العمل والنظام، المشبعة بالروح الوطنية عن فهم واقتناع، المدركة لكل الأبعاد الثورية التحريرية، فكونت منهم خير الإطارات النضالية السياسية والعسكرية، وأثبتوا جدارتهم في خدمة بلادهم بصدق وإخلاص، سواء في الجبال والغابات، أو

[1] - أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية بحزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص146.

[2] - جمعية قدماء الكشافة، الكشافة مدرسة الجودة، مرجع سابق، ص46.

[3] - محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 822.

[4] - Mohamed DEROUICHE, Op.cit, p46.

في الأعمال الفدائية، أو غيرها من الأعمال الاجتماعية والإسعافات الأولية التي كانت تتطلبها الثورة في كل ميدان.[1]

أما بالنسبة لفرع ف.ك.إ.ج (B.S.M.A) وكما ذكر القائد أبو عمران الشيخ أنه مع اندلاع الثورة تلقى القائد محمد القشعي الأوامر على إثر اتصاله بجبهة التحرير الوطني بإيقاف كل النشاطات الجماعية، والالتحاق بصفوفها بشكل فردي، فامتثل المكتب الفيدرالي للأوامر، ووضع تحت تصرف الجبهة كل ما كان يملك من أموال وعتاد ومخيمات وبدل وخرائط جغرافية، وخلال اجتماع الإطارات الفيدرالية في بيت الشباب بحسين داي (الجزائر) من 09 إلى 11 أفريل 1955م صدر الأمر بالتحاق كافة الكشافين الذين ينتمون إلى هاته الجمعية بصفوف ج.ت.و كلٌ من مقر إقامته.[2]

أما فرعها المتحزب بقيادة محفوظ قداش في العاصمة فقد واصل نشاطه الكشفي، وإن كان محدودا على غرار عدد من الأفواج في جهات من الوطن، وذلك للتغطية على النشاطات السياسية ل: ج.ت.و[3]، لكنها طالبت كشافيها بالالتحاق بصفوف جبهة وجيش التحرير الوطنيين.

وفي ما يتعلق بموقف محمود بوزوزو فقد أعلن دعمه لجبهة وجيش التحرير الوطنيين، داعيا إلى الكفاح المسلح مؤكدا "عدم معارضته للثورة التحريرية"[4]، إذ تمسك في مناسبات عديدة بالوحدة حول المشروع السياسي التحرري، مشيرا إلى ضرورة الإعداد للكفاح المسلح، مؤكدا- قبل اندلاع الثورة بسنوات- على ضرورة مواجهة فرنسا بكل الطرق والأساليب، داعيا إلى حمل السلاح، والثورة ضد السياسة العنصرية الفرنسية، فكتب قبل اندلاعها بسنتين وبالضبط سنة 1952م قائلا: "والاستعمار لا يذعن إلا عند مقابلة السلاح بالسلاح، والعنف بالعنف، والقوة بالقوة، ولا يفهم غير لغة القوة والجبروت".[5] في إشارة منه إلى ضرورة مباشرة الكفاح المسلح.

معتبرا أن أن النضال السياسي وحده لا يكفي لتحقيق الاستقلال؛ يقول في ذلك: "فالمشاركة في الانتخابات البرلمانية وحمل الشعب على التحمس لها، بصفتها سلاحا من أسلحة الكفاح القومي التحرري يجب استعماله، لكن دون الاكتفاء به وحده، ودون الاعتقاد بأنه الوسيلة الوحيدة للتحرر"[6]، وهو ما تؤكده شهادة

---

[1] - محمد الصالح رمضان، **كشافتنا في حرب التحرير**، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، وثائق مركز الأرشيف الوطني الجزائري، رصيد ك.إ.ج، تحت رقم: 3X/004/01/005

[2] - أبو عمران الشيخ، مصدر سابق، ص-ص 98-99.

[3] - يذكر أبو عمران الشيخ أن هاته الفيدرالية حصلت على إذن من الجبهة من تونس لمواصلة عملها. ينظر: أبو عمران الشيخ، نفسه، ص 100.

[4] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p 75.

[5] - **المنار**، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[6] - **المنار**، س1، ع 5، 15 جوان 1951.

الشيخ محمد الصالح الصديق: "إن الشيخ محمود بوزوزو وطني صادق الوطنية، عدو لدود للاستعمار الفرنسي، لا يطيب له عيش إلا في ظل الحرية، مؤمن بأن حرية الجزائر لا تنال بالخطب والأناشيد وتقديم المطالب، وإنما بالتضحية والفداء، والجهاد البطولي الشاق".[1]

غير أن الشيخ محمود بوزوزو وبمجرد اندلاع الثورة، تعرض للاعتقال، فكان عليه بناءً على النصيحة التي تلقاها من بعض الأصدقاء، وبمساعدة بعض الأعضاء الآخرين الناشطين في الطرف الآخر –فتيان الكشافة (B.S.M.A)– الانتقال إلى باريس مع وعد بجعل نفسه في خدمة جبهة التحرير[2]، وسنفصل أكثر في ما حدث له بعد ذلك فيما سيأتي.

3–تعرضه للاعتقال والتعذيب:

من مواقف الأستاذ محمود بوزوزو الجريئة، سعيه بعد اندلاع الثورة إلى جمع شمل الجبهويين والمصاليين في صف واحد، وتألّم كثيرا جرّاء الصراع الدموي الذي انفجر بين الطرفين، نتيجة غياب الرزانة وعدم تغليب الحكمة، هذا ولم يدّخر أيّ جهد من أجل حقن دماء الإخوة المتصارعين، وعانى الأمرّين في سعيه هذا، حتى كاد أن يدفع – أثناء مروره بالمغرب الأقصى– حياته ثمنا لإصراره على تحقيق الوحدة بين الصفين المتناحرين، بعد اتهامه بالانتماء إلى صف المصاليين عن غير وجه حق، من طرف بعض مسؤولي الثورة الذين لا يعرفون مكانة الرجل في نشر الوعي الوطني الوحدوي.[3]

فعندما اندلعت الثورة المسلحة في نوفمبر 1954م، تم توقيفه في الأسبوع الأول من طرف ضباط الدفاع عن الإقليم (D.S.T) الذين عذبوه بطريقة يندى لها جبين الإنسانية، حيث تم وضع أنبوب ماء في فمه وأنفه تتدفق منه المياه الجليدية، وبعد فقدان وعيه تم إحياؤه بضربات على الرأس والظهر، خضع لهذه العملية ثلاث مرات، ثم تلقى صدمات كهربائية في الكلى جعلته يسقط من دون وعي، وتكررت هذه العملية أيضا حتى لحظة لم يتمكن فيها من الاستيقاظ واستعادة الوعي مرة أخرى، ثم تلقى اللكمات المتوالية في البطن والوجه والرأس، حقيقة لقد عاش الموت كما ذكر، وفي وقت كان فيه يتألم كان معذّبه يقول له: "لن تموت...أنت مؤمن، فقط أطلب من ربك أن يحفظك".[4]

[1] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 217.
[2] - C.A.N, Le Scoutisme Algérienne- prisse au point, 3X, N°: 002/05/002.
[3] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 14.
[4] - Mahmoud Bouzouzou, De deux prisons à la liberté, op.cit, p69.

وبعد الاستجواب، تم إحضاره إلى القاضي الذي أخبره أنه مذنب بتهمة المساس بالأمن الداخلي للدولة الفرنسية بقوله:"حاليا هناك قادة من الكشافة في الجبال والغابات وأنت هو المسؤول". اقتيد إلى السجن، باعتباره سجينا في القانون العام، وبسرية تامة، وُضِع في زنزانة لمدة أسبوعين؛ كان يسمح له خلالها بقضاء نصف ساعة يوميا في فناء دون أشعة الشمس، وتدريجيا بدأ عدد النزلاء هناك يزداد، وفي أحد الأيام التقى في فناء السجن بشاب أخبره أنه السبب في دخوله السجن، فأجابه بوزوزو: "لكني لا أعرفك، ولم أقابلك أبدا، ولم أطلب منك أن تهاجم أي كان"[1]، فأخبره أن ذلك قد حدث بسبب مواظبته على قراءة جريدة المنار، حينها فهم بوزوزو موقف القاضي ضده. وبعد أربعة أشهر من الاحتجاز، أفرج عنه بكفالة وعندما سأله أحد محاميه الذي كان مسيحيا عما كان يفكر في القيام به ضد من عذبوه، قال له: "هم كائنات مشوهة فقدت الشعور الإنساني".[2]

4–حقيقة علاقته بتيار مصالي الحاج:

ليست لدينا الوثائق والشهادات الكافية التي تثبت أن محمود بوزوزو انتمى حقيقة إلى الحركة المصالية، أو اتخذ موقف معاديا للثورة وقادتها، لكن سنحاول جاهدين لمعرفة موقفه من ثورة نوفمبر 1954م، من خلال ما توفر من كتابات، واستنادا على توجهات الرجل وقناعاته، نستطيع فهم هذا الموقف، ولو إلى حين توفر ما يثبت ذلك أو ينفيه.

سار الحديث أن محنة الاعتقال التي تعرض لها الأستاذ محمود بوزوزو بالمغرب الأقصى سنة 1957م، كانت بسبب تموقعه في صفّ المصاليّين (الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A)[3]، فهل انتمى محمود بوزوزو حقيقة إلى الحركة المصالية؟ وهل قام فعلا بأنشطة معادية لتوجهات جبهة التحرير الوطني؟

قبل إجابتنا على هذا السؤال نستعرض بعض الآراء التي وردت في بعض الدراسات، والتي توحي في مجملها أن محمود بوزوزو اتخذ موقف معارضا للثورة الجزائرية، وبالتالي انتمى إلى الحركة المصالية من ذلك ما ذكرته الكتابات التالية: "اتخذ محمود بوزوزو موقفا مساندا لمصالي الحاج إثر الأزمة التي تعرض لها الحزب".[4] في حين

---

[1] - Mahmoud Bouzouzou, op.cit, p 70.

[2] - Mustafa HABES, Cheikh Mahmoud Bouzouzou: un monument du Savoir, op.cit, p11.

[3] – الحركة الوطنية المصالية (M.N.A)، ظهرت هذه الحركة في ديسمبر 1954 بزعامة مصالي الحاج بعد أن انشق حزبه ح.إ.ح.د إلى جبهتين: إحداهما تناصره وهم المصاليون ومنهم تكونت(M.N.A)، والجناح الآخر هم أعضاء اللجنة المركزية ومنهم الفئة التي تبنت خيار الكفاح المسلح وفجرت الثورة. للاستزادة أكثر حول الموضوع يرجى الإطلاع على: بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898م–1974م، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 1998، ص 288.

[4] - Benjamin STORA, Dictionnaire Biographique de Militants Nationalistes Algériens 1954-1962 (E.N.A, P.P.A, M.T.L.D), préface Mohamed Harbi, L'Harmattan, p172.

اعتبره أحد الكتاب الآخرين "من المناضلين الوطنيين الأوائل في الحركة الوطنية...وأنه كان ذو توجه مصالي".[1] بينما ذكر مبروك بلحسين صراحة أن محمود بوزوزو: "التحق بتنظيم الحركة الوطنية الجزائرية التابع لمصالي الحاج بعد اندلاع الثورة التحريرية، حيث انتقل إلى القاهرة ومنها إلى سويسرا حيث استقر هناك".[2]

كما نستعرض الشهادة الوحيدة التي تسير في هذا الاتجاه، والتي ذكرها الدكتور الباحث محمد أرزقي فراد في كتابه السالف الذكر، وهي شهادة المجاهد منصور بوداود المتواجد بالمغرب الأقصى منذ أواخر سنة 1955م لإنجاز مهمة جمع الأسلحة وإرسالها إلى الجزائر، بتكليف من عمر أوعمران (من قيادة الولاية الرابعة).

أدلى منصور بوداود بشهادته هذه إلى الإعلامي محمد عباس[3] المتخصّص في التاريخ، مفادها أن مسؤول الثورة في المغرب عبد الحفيظ بوصوف، بلغه أن الأستاذ محمود بوزوزو كان يتردّد على أخيه المقيم بمدينة مراكش المغربية، فكلف منصور بوداود باختطافه في أوّل فرصة، وعلى إثر ذلك كلف منصور بوداود عناصره المقيمة بالمدينة بإنجاز المهمة، وهو ما حدث فعلا.[4]

إذ تم اختطاف محمود بوزوزو في ثياب النوم ليلا من أمام منزله بالمغرب يوم 14 جويلية 1957م، بعد تدبير مؤامرة تم استدعاؤه فيها إلى مكتب البريد بحجة تلقيه اتصالا، ليتم محاصرته بعد عودته من مكتب البريد من طرف خمسة رجال مسلحين، واقتياده إلى مزرعة مهجورة، وهناك قضى ليلته، يقول في ذلك: "فجأة رأيت نفسي محاطا بخمسة رجال يحملون أسلحتهم في وجهي، أين ربطوا يداي خلف ظهري، تم اقتيادي إلى السيارة...واضطررت تحت تهديد المسدس إلى نسخ رسالة إلى أخي أخبرته فيها أنني غادرت المنزل فجأة من أجل خدمة بلدي".[5]

نُقِل محمود بوزوزو على عجل إلى مدينة الرباط، ثم إلى معتقل بمدينة وجدة بمعية عمر بن بولعيد، ومنها استطاع الرجلان الفرار بعد مخادعة الحارس، وتضيف ذات الشهادة أن الهاربَيْن قد سلّما نفسيهما للسلطات المغربية فقامت بإبعادهما عن المغرب.

---

[1] - Bromberger, SERGE (1912-1986), **Les rebelles Algériens**, Librairie PLON, Paris, 1958.

[2] - مبروك بلحسين، **المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر-القاهرة) 1954-1956**، مؤتمر الصومام في مسار الثورة، تر: الصادق، دار القصبة، الجزائر، 2004، ص 120.

[3] - محمد عباس، **مرافعة في سبيل الاستقلال**، دار المعرفة، الجزائر، 2015، ص188.

[4] - محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو، مرجع سابق، ص49.

[5] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p69.

بعد أسبوعين من الاحتجاز التقى بأحد المسؤولين الجزائريين في المغرب، فأخبره أنه تلقى من ممثله في نيويورك رسالة يزعم فيها أنه ينتمي إلى الطرف المعارض، قاصدا بذلك مساندته أو بالأحرى انتمائه إلى جناح مصالي الحاج المناوئ للثورة.

إذن، فالسبب في هذا التصرف من جبهة التحرير الوطني، هو الموقف الذي اتخذه بوزوزو من جناح مصالي الحاج، إثر تواجده سنة 1957م، لحضور مؤتمر إعادة التسلح الأخلاقي، وتزامن ذلك مع مناقشة القضية الجزائرية في الدورة الحادية عشر لهيئة الأمم الجارية في فيفري من سنة 1957م، ومحاولته التوفيق بين الطرفين؛ الوفد الممثل لجبهة التحرير من جهة والوفد الممثل لمصالي الحاج من جهة ثانية، حيث اتصل بعناصر الحركة الوطنية المصالية لإقناعها بشرعية الثورة والانضمام لجبهة التحرير الوطني، فمن خلال هذه الجهود الرامية إلى التوفيق بين الأطراف التي تتنازع القضية الجزائرية في هيئة الأمم، ودعوته إلى ضرورة تناسي خلافات الماضي، لذا اعتبره بعضهم معاديا للثورة.

يقول في هذا الشأن: "ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة لحضور مؤتمر إعادة التسلح الأخلاقي الذي دُعِيتُ إليه، وأثناء إقامتي بنيويورك في فبراير 1957م، تمت مناقشة المسألة الجزائرية في الأمم المتحدة، قابلت وفدين جزائريين، أنكر كل منهما حق الآخر في تمثيل الشعب الجزائري، لم يكن هناك أي اتصال بينهما، حاولت الكفاح من أجل الوحدة، ولكن دون جدوى".[1]

وعليه، فقد تنكر محمود بوزوزو لذلك التوجه غير السليم، والاعتقاد الباطل الناجم عن سوء تقدير الأشخاص، الأقوال والأفعال، مؤكدا استقلاليته التامة، نافيا تهمة الانتماء إلى الحركة المصالية أو العمل ضد جبهة التحرير، قائلا بثقة وثبات: "بينما كنت مستقلا، وسأظل كذلك، دون أن أعارضها–الثورة– أو أكون ضد خصومها، قناعة مني بإمكانية التغيير الذي يجلب الوحدة البناءة".[2]

إن موقف محمود بوزوزو الجريء هذا، جعله يبدوا في نظر الرأي العام الجزائري، كعدو للقضية الوطنية، فبعد حل كل الأحزاب، والتحاق أغلب الشخصيات الوطنية بالثورة، نادى هو بالوحدة، وهو أمر غير مستبعد بالنسبة لفكر رجل كرّس حياته ونضاله "للوحدة الوطنية"؛ فحِرْص بوزوزو على عدم إقصاء أي طرف مشارك في النضال الوطني، هو ما نادت به جبهة التحرير الوطني التي دأبت على توسيع دائرة النضال، باستيعابها لكل العناصر والتيارات، مطالبة جميع الهيآت والشخصيات بالانضواء تحت رايتها. والمبدأ ذاته الذي ناضل من أجله

[1] - Ibid, pp 73-74.

[2] - Mahmoud BOUZOUZOU, op.cit, p 75.

بوزوزو طيلة مساره، مما يؤكد لنا مساره الإصلاحي وتوجهه الوطني الثوري، هذا الإطار الجامع الذي يتسع مع الوقت، ويشرك كل الأطراف الفاعلة ولا يقصيها.

إذن، وعلى الرغم من فهم محمود بوزوزو للتوجه العام للثورة التحريرية التي اندلعت من أجل تحرير الجزائر، وقيامها من أجل جعل الجبهة الممثل الوحيد للشعب الجزائري آنذاك، مع حل كل الأحزاب السياسية والهيئات الدينية الناشطة قبل نوفمبر 1954م، إلّا أنه لم يتوان في الدعوة إلى الوحدة الوطنية التي تعتبر من قناعاته الشخصية، وناضل من أجل تحقيقها عقودا من الزمن، منتقدا ذلك الانفصال الحاصل بين القادة الوطنيين، ساعيا لتوحيد الجهود، وهو ما أكده في رسالته إلى المهدي البوعبدلي،[1] مفسرا جهوده تلك برغبته القوية في توحيد كلمة الوطنيين صفا متراصا لمكافحة الاستعمار قائلا: "ولم يخب رجائي في الله إذا ما خاب في الناس، بعد أن بذلت كل المساعي في سبيل توحيد كلمة الوطنيين على أساس مكافحة الاستعمار صفًّا متراصًّا".[2]

في هذه المرحلة أبدى رغبة في توحيد جهود الجزائريين تحت راية واحدة، وأشار إلى رغبته في فتح باب الحوار بين جبهة التحرير الوطني وجناح مصالي الحاج، وهو أمر لم يتقبله قادة الجبهة، الذين اعتبروا هذا اعترافا بالحركة المصالية (M.N.A)، وتأييدا لمواقف مصالي المناوئة للجبهة؛ إذ أن هذا الطرح حسب رأيهم يخدم التوجه الاستعماري، عكس ما دعت إليه جبهة التحرير مع اندلاع الثورة "لا وحدة ولا اتحاد إلا وراء الجبهة باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الجزائري".

إن الخط السياسي والفكري لمحمود بوزوزو الذي برز في كتاباته خلال فترة الأربعينات والخمسينات، خاصة خطاباته المنشورة في جريدة المنار، كلها أسانيد تبطل هذه الاتهامات، من ذلك قوله: "يجب أن تكون خطتنا المساهمة في خدمة القضية القومية العادلة والعمل بجانب العاملين في سبيل الحق، الأمر الذي يدعو إلى تعزيز جانب المجاهدين لا محاربتهم، وإلى تشجيع الطامحين إلى إنشاء المشاريع المستقلة لا تثبيطهم، وإلى تقديم المصلحة العامة على كل اعتبار حزبي أو شخصي، بالعدول عن نزعة الاحتكار والاستحواذ القاضية على المواهب وعلى روح الإنشاء والابتكار عند الموهوبين، تلك الروح التي يرجع إليها الفضل في بناء الحضارة الإنسانية".[3]

وتأكيدا لذلك فإن مواقفه كانت صريحة وجريئة، عبّر عنها بصراحة وصدق، واعتدال في الطرح، حيث كان دوره فاعلاً في ترشيد العمل من أجل وحدة الأمة الجزائرية، مقتنعا بأن النضال الموحد أكثر فائدة من كفاح

[1] – تجدر الإشارة لما لهاته الرسائل من قيمة تاريخية ومصداقية، خاصة إذا وضعنا في الحسبان أنها مراسلات شخصية لم تكتب للنشر، كما أن صاحبها لم يكن على دراية بأنها ستنشر يوما ما.

[2] – محمود بوزوزو، رسالة إلى المهدي البوعبدلي، نقلا عن: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 99-100.

[3] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

واحد ضد الآخر، والحرص على العمل بجد وثبات لترسيخ فقه الأولويات؛ مؤكدا أنه من واجب الحركات التقدمية أن تشجع كل مشروع مستقل عنها في أي ميدان كان، إذا ثبت صلاحه للأمة وتحقق الإخلاص والكفاءة في صاحبه، أما الفكرة القائلة "لا أؤيد من المشاريع إلا ما كان تحت تصرفي"، فإنها صادرة عن تعصب عظيم الخطر، راجيا للأمة الجزائرية السلامة منه، لأن الفكرة الاستحواذية تقتل الطموح، والجزائر في حاجة إلى كثرة الطامحين إلى المعالي.[1]

دفعته تلك المبادئ والقيم الإنسانية التي حملها، والتي لا تعرف حدودا إلى رفض الانخراط في أي هيئة دينية أو سياسية حزبية ضيقة؛ فقبل اندلاع الثورة رفض الهيكلة والانخراط في أي حزب؛ إذ عمل في البداية مع جمعية العلماء في إطار التيار الإصلاحي، متأثرا بفكر علمائها، سالكا نهج الإصلاح الديني والاجتماعي، من غير أن يتهيكل داخلها، أو يكن عضوا فيها، لكن عراقيل السلطات الفرنسية جعلته يقتنع ويغير وجهته، لتميل قناعاته أكثر إلى النزعة الاستقلالية الثورية، التي تقارب فيها إلى حد بعيد مع توجهات التيار الاستقلالي ممثلا في حزب الشعب ثم الحركة من أجل انتصار الحريات، فعمل جنبا إلى جنب مع قادته، واستفاد من دعمه المالي في تأسيس جريدته الوطنية المنار،[2] إلا أنه رفض الانضمام بصفة رسمية ودائمة إلى هذا الحزب، راجيا أن لا تتحكم الانتماءات الحزبية في توجهات الأفراد، مؤكدا أنه يجب أن تكون المصلحة العامة للوطن غاية الجميع، قائلا: "ونرجو أن لا تحول الحزبية دون تأييد المشاريع التي تخدم المصلحة العامة، مستقلة عن الأحزاب والهيئات مادامت المصلحة العامة غاية الجميع"[3]، ويقول في مقام آخر: "وبدل أن تضيع قوانا في تحطيم بعضنا بعضا، فلنبذلها في تحطيم أغلالنا وبناء وحدتنا".[4]

وفيما يتعلق بنشاطاته في صفوف ك.إ.ج، فقد ارتكزت في البداية على التكوين التربوي والديني للطفل، ورفع إحساسه بالانتماء لوطنه الجزائر، وتحضيره لتحريرها من خلال التكوين الشبه عسكري، ولكنه فيما بعد رأى أن الوقت حان للكشافة أن تباشر العمل في الحياة السياسية، وضرورة النظر في القضية التي تشغل بال كل

[1] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[2] - في هذا الشأن، قبل المناضل محمود بوزوزو الدعم المالي المقدم له من طرف حزب ح.إ.ح.د من أجل إنشاء جريدة وطنية تساهم في بث الروح الوطنية في عموم البلاد سنة 1951م، غير أنه اشترط الاحتفاظ باستقلالية النشر والتحرير، وما قطع الحزب لتلك الإمدادات عن الجريدة مطلع سنة 1954م إلا دليل على تلك الاستقلالية؛ فعلى إثر دخول حزب ح.إ.ح.د في أزمة داخل صفوفه، وتزامن ذلك مع طرح محمود بوزوزو لمشروع "الاستفتاء" حول الوحدة الوطنية على صفحات المنار، ربما هو الأمر الذي أقلق قادة الحزب ودفعهم إلى قطع تمويلهم عن الجريدة.

[3] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[4] - **المنار**، س3، ع43، 05 جوان 1953.

الجزائريين، معتبرا أن أي جهود وطنية لا تدخل ضمن محور نضالها قضية "استرجاع السيادة الوطنية"، فإن برامج عملها معرضة للفشل وتحتاج لإعادة النظر فيها.

في هذا الشأن، يقول عنه الأستاذ عباس عروة مدير مؤسسة قرطبة الإسلامية في سويسرا في حديث لإسلام أون لاين.نت: "الشيخ يعد من رواد الحركة الوطنية في الجزائر، فهو معلم ومرشد ومرب ورجل فكر، يتميز بالثقافة الواسعة في الفكر الشرقي والغربي، وله بصمات كثيرة على أجيال بأكملها، سواء في الجزائر أو في سويسرا، كما كان من رواد الكشفية الإسلامية التي ربّت جيلا كاملا ممن ساهموا في ثورة التحرير الجزائرية".[1]

ساهم بوزوزو من خلال آرائه وتوجهاته الكشفية في إثراء النضال الكشفي الجزائري، وأفرزت تحركاته جيل كامل من الناشطين والمهتمين بالقضية الوطنية، وبعضهم كان من المبادرين إلى العمل الثوري[2]، وفي هذا المقام نورد شهادة رضا بسطانجي عميد الكشافة الجزائرية الذي عرفه جيدا أواخر الأربعينات: "كان محمود بوزوزو على الأرجح رجلا خارج المألوف، وقد امتازت حركتنا بحضارة ثقافية هائلة معه، ولم يدخر جهوده لدعم الآخرين، بوزوزو من المسلحين بشعور استثنائي، على درجة عالية من التنظيم، وتعلمنا معه الكثير".[3]

فكيف يعقل أن ينضم محمود بوزوزو إلى الحركة المصالية، ويلتحق بجناح مصالي الحاج المناوئ لجبهة وجيش التحرير الوطنيين، بعد أن اندلعت الثورة من دونه، وفقد زمام المبادرة؟ وبعد أن رفض بوزوزو في وقت سابق الانخراط بشكل رسمي في حزبه ح.إ.ح.د رغم التقارب الكبير بينهما؟

إن التوجه الفكري والخطاب السياسي للمصلح والمناضل الوطني محمود بوزوزو امتاز بالثراء، التنوع، والشمولية عكس ما ذهب إليه خصومه الذين اتهموه بمعاداة الثورة والانتماء للحركة المصالية؛ فإعلانه دخول معترك السياسة مع الحرص على عدم التحزب، ورفض الانخراط في أي هيئات سياسية أو حزبية أخرى ضيقة، توضح نضجه، ومحاولته الجادة من أجل إيجاد مخرج آخر للقضية الجزائرية على أساس الوحدة الوطنية؛ يقول في هذا الشأن مستدلا بالتجربة الهندية ودور الزعيم غاندي في توحيد شعبه:"يا زعماءنا إن غاندي بشر مثلكم، ولكنه تحرر من الحظوظ النفسية، والأغراض الحزبية، والعصبية الدينية الضيقة لأنه كان إنسان حر الضمير، وهل يحرر غيره من لم يحرر نفسه؟ متى توحدون كلمتكم لتحرروا شعبكم؟ متى تعدلون عن هذه المهزلة-مهزلة الحزبية-التي ما هي إلا صورة من التقليد الأعمى لما هو واقع بين الفرنسيين ببلادهم".[4]

[1] - تامر أبو العينين، أقدم إمام بسويسرا، العلم سلاح المسلمين، مرجع سابق، ص 19.

[2] - Abbas Aroua, cheikh M. Bouzouzou n'est plus, **la tribune de Genève**, 01/10/2007.

[3] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p1.

[4] - **البصائر**، مجلد 5، ع23، 16 فيفري 1948.

مشيرا أن في الجزائر شعب يجمعه دين واحد، وقطر واحد فكيف لا يتحد؟ بخلاف الشعب الهندي، عظيم العدد، متفرق الأديان، منقسم الأقطار، هذه الفوارق التي كان لها أثر بالغ في التناحر وسفك الدماء، ناهيك عن الاستعمار الإنكليزي الذي يمتلك من المرونة ما تفشل أمامه كل الحيل، ورغم ذلك كله استطاع غاندي أن يوحد شعبه ليخلصه من الاستعمار، داعيا الزعماء الوطنيين وقادة الأحزاب وحتى الشعب الجزائري عامة إلى نبذ فكرة "من ليس معي فهو ضدي"، مبينا أن مثل هذه الأفكار والتوجهات لا تأتي بخير عند شعب في حاجة أكيدة إلى التآلف.

فكان موقفه من الأحزاب والهيئات الجزائرية موقف احترام وإنصاف، وإزانة الرجال بالمبادئ والأعمال، لا بالدعاوى والأقوال، داعيا إلى الاتحاد بإخلاص، مبينا أن الأحزاب متفقة غاية مختلفة لفظا، مؤكدا ضرورة توحيد برنامج العمل مع مراعاة المطامح القومية والقيم الروحية. ولا اعتبار لديه للأشخاص إلا بقدر وقوفهم عند المبادئ؛ "يتوخي الإنصاف أمام الهيآت الجزائرية مع الدعوة إلى توحيد الأهداف، ووسائل العمل".[1]

وفي السياق ذاته، تساءل عن إيجابيات التعدد الحزبي في الجزائر مبديا رأيه في ذلك قائلا: "وماذا جنت الأمة من تعدد الأحزاب سوى الشعور بضرورة الاتحاد"[2]، مشيدا بأهمية الوحدة بين الأحزاب الوطنية والشخصيات المستقلة، ممثلة في تأسيس ج.ج.د.ح.إ بتاريخ 25 جويلية 1951م، إذ رحب بإنشائها معلقا آمالا واسعة عليها؛ "إنها لبشرى تشرح الصدور وتنعش الآمال، وتقوى التفاؤل بمستقبل هذا الوطن، وهذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، نستبشر بهذا العمل...فهو خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية في برنامج عام واحد يعبر عن أماني الأمة الجزائرية القومية، والتي تهدف على استرجاع سيادتها واستقلالها".[3]

وكما هو مشاهد في عدد من المقالات، ويشهد بذلك الاستفتاء العام الذي طرحه على صفحات جريدة المنار بداية من العدد السابع عشر من السنة الثانية بعنوان "استفتاء هام في قضية الاتحاد"؛ إذ أثار اهتماما لدى الفئات المثقفة شاركت فيه أكثر من ثمانين شخصية؛ أبدت آراءها في إمكانية الوحدة بين الأحزاب الوطنية، والأسس التي تقوم عليها، طالبا من كل من لديه القدرة أن يدلي برأيه، من أجل البحث عن حلول صائبة للقضية الجزائرية.

[1] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.
[2] - **المنار**، س3، ع43، 05 جوان 1953.
[3] - **المنار**، س1، ع 6، 30 جويلية 1951.

كما تجاوز إطار نضاله الوحدة الوطنية الجزائرية إلى ضرورة الكفاح المغاربي المشترك؛ إذ دعا سائر الحركات التحريرية المغاربية إلى توحيد كفاحها ونبذ النزعة الانفرادية، التي ستؤدي حتما إلى تجزئة القضية المشتركة؛ تجزئة تعد اعترافا مباشرا بالحدود التي أقامها الاستعمار، وطعنة في صميم الوحدة الطبيعية التي تربط هذه الأقطار، حيث يقول في هذا الشأن: "فالحقائق الجنسية والتاريخية والتقاليد القومية التي تلحق الجزائر بالعالم العربي والإسلامي، لا بالعالم اللاتيني الذي تنتمي إليه الأمة الفرنسية"[1]، لأن مطالب الشعوب المغاربية كلها تحوم حول محور واحد، وهو الاستقلال التام، مما يستوجب توحيد السياسة والعمل في كل قطر مغربي.

بناء على ما سبق ذكره من آراء، شهادات، وتوجهات، نستبعد فكرة انتماء محمود بوزوزو إلى الحركة المصالية أو اتخاذه موقفا معاديا للثورة التحريرية وقادتها في الداخل والخارج، وحجتنا في ما ذهبنا إليه أن العمود الفقري لشخصه لا يوحي بذلك، فتكوينه الروحي العقدي، وتوجهه الفكري لا يسمح له بأخذ موقف معارض للثورة التحريرية، إذ خدم وطنه لفترة طويلة وهو مستقل في قراراته وتوجهاته، مؤثرا الاستقلالية التامة دون أن ينخرط في حزب أو هيئة مهما اختلفت مشاربها.

فقد ألفناه في جل كتاباته يؤمن بالاختلاف، ويدعو إلى تقبل الآخرين مهما كانت آراؤهم مختلفة عن أفكارنا وتوجهاتنا؛ مذكرا أن أوامر الحكمة توحي بل وتؤكد أن اختلافاتنا تشكل كنزا ثمينا، "وتقدم لنا فرصة فريدة لإثراء بعضنا البعض، وبهذا نبني الجسور التي تقرب بيننا، وهذا التوجه–حسبه–هو مسألة علم التربية ويبدأ بشكل واضح في المدرسة".[2]

إذن، كيف لرجل شكلت أفكاره التنويرية البذرة التي زرعت الوعي في الشباب الجزائري، بل وساهم في إقناع الشعب الجزائري بالانضواء في جبهة موحدة سابقة لجبهة التحرير الوطني أن يناوئ ثورة قامت من أجل استقلال الجزائر وافتكاك الحرية من المستعمر؟

ففي هذا السياق، استغل حلول الذكرى الأولى لميلاد ج.ج.د.ح.إ[3]، ليدعوا الجزائريين بكل أطيافهم إلى وجوب توحيد طاقات الأمة الجزائرية في جبهة واحدة، مقدما هذا الاقتراح في مقال رصين جاء بعنوان حاجتنا إلى جبهة تحريرية قال فيه: "فنحن في حاجة إلى جبهة تحريرية تمثل إرادة الأمة الحقيقية، قادرة على إثارة الحماس الذي

---

[1] – **المنار**، س 1، ع5، 15 جوان 1951.

[2] - Mahmoud BOUZOUZOU, Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées! Point de vue sur l'affaire des caricatures, **la tribune de Genève**, 11 février 2006.

[3] – بل كانت دعوته لإنشاء جبهة تحريرية سابقة لهذا الوقت؛ إذ دعا إليها في تاريخ سابق بقوله: "ولذا دعونا ولازلنا ندعو إلى إنشاء جبهة جزائرية تحريرية". ينظر: **المنار**، س2، ع 6، 04 جويلية 1952.

يخلق الظروف الموجبة لمراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية على ضوء المواثيق الدولية، والتقاليد الديمقراطية المقرة لحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، والتعاون على خدمة السلم والمدنية"[1]، إذا أوضح مقاله إلى ضرورة خلق جبهة تحريرية ملمحا إلى وجوب الاتحاد في إطار منظم، قادر على الإعداد للثورة والكفاح المسلح، وبالتالي فإن مصطلح "جبهة تحريرية" هو من بنات أفكار محمود بوزوزو، فهل يمكن لمناضل حر مستقل أن يتنكر لأفكار وحدوية حارب من أجلها في وقت كان كل حزب يدعوا إلى الاستقلال بطريقته الخاصة؟

بهذه الوسائل والأساليب حارب الاستعمار مناديا بالاستقلال بلهجة حادة، في وقت كانت فيه بعض الأطراف لا تقوى حتى على المطالبة بأبسط الحقوق، معتبرا الاستقلال حق طبيعي ومشروع لسائر الأمم والشعوب، يقول في ذلك: "والرغبة في الاستقلال دافع طبيعي تشترك فيه سائر الأمم، ولا يوجد على وجه الأرض أمة ترضى لنفسها العبودية، وتنفر من الحرية، ولا يتصور أن يتقدم نصف العالم ونصفه الآخر مكبل".[2]

لم يهادن الاستعمار الفرنسي أبدا، واعتبره مصدر كل المشاكل والأزمات التي يعاني منها الشعب الجزائري، بل حاربه بكل ما آتاه الله من فكر مستنير، بل تجرأ على نعته بكلّ الأوصاف القبيحة؛ كالتوحّش والظلم، القهر والاستبداد والعنصرية، وبكونه رسول الشيطان، جرثومة الفساد في الأرض، ونظاما ينتج الباطل والاستعباد، ويزرع الحقد والعنف، ويفسد الطبع البشريّ السليم، ويسدّ أبواب التقدم.

ولما نشر خطابه عن الحرية في باريس بعنوان: "لنكن يدا واحدة في رفع الهوان وبناء العزة"، وبعد إطلاع محمد الصالح الصديق على المقال سأل الشيخ محمود بوزوزو متعجبا: ألا تخشى عتاة الاستعمار الفرنسي وغلاته، فإن خطابك هذا صواعق من نار على رأس الاستعمار؟ رد بوزوزو عليه قائلا: "ليس لنا إلا هذا الطريق الذي سلكناه إلى الحرية، إنه صعب شاق تحف به المخاطر والمهالك، ولكنه موصل، لنصبر على ما يصيبنا فيه فهو ضريبة لابد منها لطالب الحرية.[3]

وعليه نتساءل: إذا كان الأستاذ محمود بوزوزو قد تجرّأ على معاداة الاستعمار وكشف سياساته وهو في عزّ قوّته بهذا الشكل الذي يوحي بشجاعة فائقة ووطنية متأججة، فهل يعقل أن يعادي إخوانه ويهادن الاستعمار الذي ضعف وكُسِرت شوكته بقيام الثورة التحريرية؟

[1] - **المنار**، س2، ع09، 15 أوت 1952.

[2] - C.A.O.M, S.L.N.A, Mahmoud Bouzouzou, AL-Manar Au Seuil de sa 2éme Année, 93/4257.

[3] - محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص 219.

طبعا لا، وكل هذه المواقف والآراء الثابتة دفعت مناضلين جزائريين يشهدون له بالوطنية والروح الثورية، وهو ما لمسناه في شهادة المناضل عبد الحميد مهري الذي زامله فترة طويلة، كما كانت له مساهمات فكرية رصينة في جريدة المنار، فلديه أفكار عن محمود بوزوزو أنه "فكري ملتزم، مرتبط بوطنه، بدينه، وبالكتابة، كان عالما ومربي الأجيال، سخي، متحدث جيد، عرف كيف يجمع بين الثقافة والعمل وترك آثاره التي لا تمحى أين ما ذهب، ومهما طال الزمن، كان حقا رجلا من الكبار ومن طينة العظماء".[1]

كما ذكر الأستاذ محمد أرزقي فراد أن وزير الشؤون الدينية السابق مولود قاسم نايت بلقاسم كان يحترمه كثيرا، ويقدر آراءه، ويدعوه لحضور ملتقيات الفكر الإسلامي، فلو كان محمود بوزوزو مصاليا، لما حظي بذلك التقدير من قبل هؤلاء.

أما المؤرخ الدكتور مصطفى نويصر فهو ينفي كذلك ارتباط محمود بوزوزو بالتيار المصالي، وإن كان لا يستبعد احتمال استمراره في توقير مصالي الحاج، وتقديره باعتباره أبا للحركة الوطنية الاستقلالية الثورية، أمّا المؤرخ الدكتور مولود عويمر فيرى أن العلاقة بين الرجلين خلال الثورة التحريرية، لم تصل إلى درجة "الهيكلة"، بل ظلت علاقة معنوية ليس إلاّ.[2]

هذا وقد تساءل المؤرخ الدكتور محمد لحسن أزغيدي قائلا: لنفترض أن الأستاذ محمود بوزوزو قد انضم إلى صف المصاليين، فهل يعقل أن لا يخرج ذلك إلى العلانية ومحمود بوزوزو هو من هو حتى تُغَيَّب أفعاله المعادية للثورة؟

ثم انتقل إلى القول بأن مناضل وطني مثل محمود بوزوزو لا يمكن أبدا أن يتنكر للمبادئ التحرّرية التي حصّن بها جيل نوفمبر 54، ولا يمكن أن يسير بين ليلة وضحاها عكس اتجاه كتاباته الثورية التي دفعت ذلك الجيل الذهبي إلى مستوى التحدّي وإعلان الثورة على العدو، تلك المقالات التي تماهت إلى حد بعيد مع مبادئ بيان أول نوفمبر 1954م، خاصة وأن صاحبها ذو قلم ثائر.[3]

وبدورنا نتساءل: لو انتمى محمود بوزوزو فعلا إلى الحركة المصالية، ألم يكن في مقدور قادة الثورة الجزائرية تصفيته؟ مثل ما حدث مع الكثير من المناضلين الذين تنكروا للثورة الجزائرية ومبادئها التحررية؟

---

[1] - Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou. Théologien, op.cit, p2.

[2] - محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص 50-51.

[3] - حوار مع الدكتور محمد لحسن أزغيدي، قاعة التعليم المتلفز، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة بتاريخ 19 فيفري 2018م. محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص-ص 52-53.

وإن ساند المناضل محمود بوزوزو توجهان مناوئة لجبهة وجيش التحرير الوطنيين، فلماذا لم نجد لاسمه ذكرا في جل الكتابات التي تناولت بالدراسة والتحليل الحركات المضادة للثورة؟

ولنفترض كذلك أن محمود بوزوزو كانت له توجهات معادية للثورة، فهل حمل السلاح ضد إخوانه؟

إن فكر بوزوزو وتوجهه وانتمائه للتيار الديني، وتشبعه بالفكر الإصلاحي، كلها عوامل كانت سببا في عدم رفعه السلاح ضد إخوانه رغم كيدهم وبغضهم له، ساعيا إلى تحقيق المصلحة العليا للوطن، متجاوزا بتلك القناعات عاطفة الانتقام للنفس.

لم يحمل ولم يدعوا إلى حمل السلاح ضد إخوانه بجيش وجبهة التحرير الوطنيين لأنه مثقف تشبع بالروح الوطنية، ونشأ نشأة دينية ناهلا ذلك من معين الحركة الإصلاحية الجزائرية تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس، يقول في ذلك: "ويشهد الله أنّنا حين كنّا بالمغرب والسلاح بأيدينا، سَعَيْنا في حقن الدِّماء حفظا للجهاد الجزائري من سوء المظهر في القطر الشّقيق، كما سعينا بعد ذلك في حفظ إخواننا اليائسين من الاستسلام للاستعمار".[1]

موضحا في الوقت ذاته أنه يدرك جيدا طبيعة البناء الفكري للفرد الجزائري الذي صَعُبَ عليه توحيده رغم الجهود المبذولة، ناهيك عن سياسة الاستعمار الرامية إلى بث الشقاق وزرع الفتن قائلا: "وإن ما نعرفه من طبيعة شعبنا، ومن طبيعة المستَعمِرين دفع بنا إلى السَّعي في تلافي الشِّقاق والمصير الدَّامي".[2]

ورغم المكائد التي لاقاها من إخوانه، إلا أنه لم يتخل عن إيمانه بوجوب توحيد الجهود، ليس من أجل تحقيق الاستقلال فحسب، بل رغبة منه في تفادي التقاتل والتناحر بين الإخوة الأشقاء بعد الاستقلال، وهو ما يؤكد عدم قيامه بأعمال مناوئة للنضال الثوري، وينم عن سعة أفقه ونظرته الثاقبة لمجريات الأحداث، فيقول: "ومازلت أدعوا لذلك–الوحدة–، لأني أراه سبيلا لتقوية الصفوف، كما أن الشقاق والتخاذل سبيل الضعف والتضعضع، وإن النظر إلى مستقبل الوطن يجعل هذه الدعوة من أوّل الواجبات، حتى لا يكون الاستقلال مناسبة للتناحر والتقاتل بصفة أوسع مما هو عليه اليوم".[3]

موضحا موقفه من أخطاء بعض العناصر الفاعلة في جبهة التحرير الوطني، والعاملين على إقصاء أطراف أخرى بل ومحاربتها، يقول في ذلك: "ولكن الانتهازيين الذين لم يقاسوا عشر المعشار ممّا قاسيناه، ولا يحملون من الحبِّ لوطنهم ودينهم عشر المعشار من حبنا، أرادوا أن يحتكروا العمل في بعد عن التعب والشقاء، مستغلين

[1] – محمود بوزوزو، رسالة إلى المهدي البوعبدلي، نقلا عن: عبد الرحمن دويب، مرجع سابق، ص 95-96.
[2] – نفسه، ص 98.
[3] – نفسه، ص 99-100.

تضحيات غيرهم، عاملين على إقصاء المخلصين خشية من ظهور أغراضهم، بل ساعين في تفريق الكلمة وتوسيع شقة الخلاف". مؤكدا سكوته عن هذه التجاوزات بقوله: "وإننا ساكتون عما نعلمه من الجرائم والضلالات والتناقضات التي شهدناها عند إخواننا".[1]

ثم يتجه بوزوزو إلى تفسير موقفه، وتوضيح سبب تبنيه الحياد اتجاه ما يحدث في الجزائر، مصرا على تمسكه بالقيم والمبادئ الإسلامية التي نشأ عليها، فيقول: "وإن ابتعادنا هذا عن وطننا، وعن الكفاح المباشر لا يعني عدم الإقدام على المسؤوليات، إنّما يعني أننا لا نريد العمل مع أيٍّ كان إلا على أساس المبادئ الإسلامية، مستدلا في ذلك بما رواه خباب بن الأرت رضي الله عنه عن رأي الرسول صلى الله عليه وسلم بالموقف اللّائق بالمسلم في مثل هذه الظروف فرد قائلا: فاعتزل تلك الفِرق كلّها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة".[2]

كما أن استئناف بوزوزو لمشواره السياسي والدعوي على وجه الخصوص في عدة مدن أوربية، إلى أن استقر في سويسرا في ديار المهجر رغم الصعوبات التي عاشها دليل على ثبات قناعاته.

حيث كان اختياره لمدينة جنيف صائبا؛ إذ وجد فيها الأرض الخصبة، أين أثمرت أفكاره ومواقفه حيث المناخ الفكري الملائم، لما يعرف عن هذا البلد من حياد، وسلم تاريخه من لوثة الاستعمار، كما أنه احتضن أول هيئة أممية لحل المشاكل بالطرق السلمية، وهو ما يتوافق مع نضاله لسعادة الإنسانية جمعاء. وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نورد شهادة الأستاذ مصطفى حابس، برلماني جزائري سابق الذي قال: "أراد الأستاذ بوزوزو عندما قدم إلى سويسرا أن يخرج من الاختلافات المحلية، لينخرط في شأن عام، يتعلق هذه المرة بإعادة صياغة الرسالة الحضارية للثقافة العربية والإسلامية."[3]

وبالرغم من كل الجهود التي بذلها في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية، وسبل تعزيزها، من أجل تحقيق حرية حقيقية للشعب الجزائري، إلا أنه في نهاية المطاف يلقي باللوم على نفسه، ويقر بتحمله مسؤولية ما حدث له من مآسي سواء من الاستعمار الفرنسي، أو من قبل إخوانه المناضلين، فيقول: "في ضوء هذه الاعتبارات، يجب أن أقول أنه كل ما حدث لي سواء من الجانب الفرنسي أو الجانب الجزائري، تقع مسؤوليته على عاتقي، وأنا أقوم بإلقاء اللوم على نفسي، لأني لم أتمكن من القتال بطريقة فعالة من أجل الوحدة".[4] ولا أدّل على توجهاته، وأفكاره التحررية، وحبه للوطن وسعيه لتحقيق المصلحة العامة من هذا الاعتراف.

[1] - محمود بوزوزو، رسالة إلى المهدي البوعبدلي نقلا عن: عبد الرحمن دويب، مصدر سابق، ص 95-96.

[2] - نفسه، ص99.

[3] - En Mémoires de cheikh Mahmoud Bouzouzou, op.cit, p 22.

[4] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p78.

خلاصة:

انشغل محمود بوزوزو بتأسيس وقيادة الحركة الكشفية في الجزائر، وكان من روادها أربعينات وخمسينات القرن العشرين، وبتعيينه قائدا عاما لها، أصبحت تضم هيكلة جديدة برئاسته، وبداية من 1949م تطلعت الحركة أكثر لممارسة العمل السياسي الذي رأته ضروريا في الوقت الحاضر، تجلى ذلك أكثر من خلال زيارة القائد الكشفي محمود بوزوزو إلى عدة مدن من عمالة وهران، للاطمئنان على سير العمل الكشفي؛ وإدراكا منه لخطورة الأوضاع التي تعيشها الجزائر، أكد أن مسؤولية أي مصلح أو مفكر أو مناضل لا يمكن أن تستقيم وتؤتي ثمارها مع وجود تيار استعماري يسود البلاد، ويشتت أهلها، لهذا اتجه فيما بعد إلى المطالبة علنا باستقلال الجزائر.

وعليه، لم يقتصر محمود بوزوزو طيلة فترة نضاله الكشفي على التكوين التربوي فقط، بل حرص على إعداد وتكوين نشء مشبع بالقيّم والمبادئ الثورية من خلال خطاباته ونشراته الكشفية؛ إذ ساهمت جهوده في دعم التيار الثوري التحرري، الذي كان ينادي ويعمل في سبيل استقلال الوطن، كما شارك في تكوين جيل ساهم في التحضير للثورة والإعداد لها، من خلال تنمية الحس الوطني الثوري في نفوس الشباب، مما عرضه للكثير من الأضرار مع اندلاع الثورة؛ الاعتقال والسجن، التعذيب، النفي والإبعاد من أرض الوطن.

الفصل الرابع

جريدة المنار دراسة تحليلية1951-1954م

أولا: تعريفها، ظروف نشأتها، وأهدافها

1-تعريفها

2-ظروف نشأتها

3-أهدافها

4-خطها الافتتاحي

ثانيا: دراسة بيبليوغرافية لجريدة المنار

1-التركيب الشكلي والإخراج

2-الكتاب والأدباء والشعراء في المنار

3-الأسماء المستعارة

4-دور الصور والرسومات في إثراء محتوياتها

5-أركانها

6-أشكال الكتابة فيها وأسلوبها

ثالثا: موقف الإدارة الاستعمارية منها وعوامل انقطاعها عن الصدور

1-موقف الإدارة الاستعمارية منها

2-عوامل انقطاعها عن الصدور

تمهيد:

لم يكتف محمود بوزوزو بالحركة التعليمية في إطار الحصص الرسمية المسموح له بتدريسها في المدارس الرسمية الفرنسية، أو من خلال جملة الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها في النوادي الثقافية والجمعيات التي حرص على تأسيسها في عدة مناطق من الوطن، وتتلقاها فئات واسعة من شرائح المجتمع كلما سنحت له الفرصة، وكلما خفت عنه المراقبة، بل راح يتطلع إلى مجالات أخرى، وينشد وسائلا أخرى رآها ضرورية للنهوض بالمجتمع الجزائري، فاتجه -بعد الكتابة الصحفية في عدة جرائد- إلى إنشاء جريدة حرة تكون منبرا لكل الأقلام التي رأت في نفسها القدرة على الكتابة، وعليه أنشأ جريدة المنار التي ترأس تحريرها طيلة فترة صدورها.

وعليه سنعكف في هذا الفصل على محاولة التعرف على ملامح الوضع العام السياسي في الجزائر، والذي شكّل بيئة ضاغطة ومُقيِّدة لحرية الرأي والتعبير من خلال الممارسات القمعية من طرف الإدارة الاستعمارية إزاء الصحافة الجزائرية ورجالاتها. ثم دراسة جريدة المنار دراسة شاملة من حيث الشكل والإخراج، لنتوصل إلى معرفة مستوى التطور الإعلامي والفكري الذي بلغته الصحافة الجزائرية خاصة إذ علمنا أن صدورها كان في فترة حرجة من تاريخ الجزائر، فكانت كتاباتها إيذانا باندلاع الثورة التحريرية في نوفمبر 1954م.

أولا: تعريفها، ظروف نشأتها، وأهدافها

1-تعريفها:

المنار جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة نصف شهرية مؤقتا، أنشأها الأستاذ المناضل محمود بوزوزو، كتابها من مختلف الاتجاهات لكن أبرزهم من أنصار حزب الشعب[1] صدرت بالجزائر العاصمة 16 نهج روفيقو سابقا، وطبعت بالمطبعة العربية[2] التابعة للشيخ إبراهيم أبو اليقظان، والتي كانت تحت إشراف ولده عيسى أبو اليقظان.[3]

هذه المطبعة التي ذكرها المؤرخ أحمد توفيق المدني وأشاد بدورها في تنمية الحركة الفكرية والعلمية وبعث روح النهضة والإبداع، فيقول:"ومن جهود أبي اليقظان في إرساء دعائم النهضة، أنه أسس سنة 1930م المطبعة العربية[4]، حيث أصبح يطبع بها صحفه الخاصة وصحف سواه وكتبهم، فكان لها شأن عظيم في تكوين نهضة أدبية في الجزائر".[5]

تأسست جريدة المنار في شهر مارس سنة 1951م؛ أي بعد مرور 121 سنة على الاحتلال الفرنسي للجزائر، يعود حق امتيازها لمؤسسها الشيخ محمود بوزوزو، وهو مديرها في الوقت ذاته، وحملت اسمه بهذه الصفة "محمود بوزوزو المسؤول عن الإدارة والتحرير".

يقر صاحبها أنها ثمرة من ثمرات الجهود المبذولة التي تعمل على بث الوعي الوطني والقومي مع توفيق من الله تعالى، فيقول: "وليس المنار شيئا مبتكرا، بل هو صدى من أصداء الجهود المبذولة في سبيل القضايا العادلة، وهي جهود لا تنتهي فوق هذه الأرض مادام في روح الإنسان قبس من نور الله يقوي تعلقها بالعدل الإلهي".[6]

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، دار الغرب الإسلامي، ص271.

[2] - ورد ذكر المطبعة العربية بالجزائر بداية من العدد الأول من السنة الثانية الصادر بتاريخ 11أفريل1952.

[3] - عيسى بن الحاج إبراهيم أبو اليقظان، نجل الشيخ، درس بتونس، كان مساعدا لوالده، قائما على تسيير المطبعة العربية طيلة فترة الحرب العالمية الثانية، توفي في 03 فيفري 1966م بتونس إثر تعرضه لحادث مرور. ينظر: خيري الرزقي، **المشرق العربي من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان**، دار شطيبي، الجزائر، 2015، ص 80.

[4] - المطبعة العربية: هي أول مطبعة حديثة باللغة العربية في مدينة الجزائر، أنشأها الشيخ إبراهيم أبو اليقظان بالعاصمة سنة 1931م، وهو مشروع اشترك فيه التجار الميزابيون وغيرهم، وهم أصحاب مبادرات مفيدة من هذا النوع، وكانت تتولى طباعة الصحف التي أصدرها أبو اليقظان، كما كان لها الفضل في نشر العديد من الكتب والجرائد، تقع في القصبة شارع روفيقو سابقا، ذبيح الشريف اليوم، وقد بقيت إلى عهد الاستقلال، ثم نقلت إلى وادي ميزاب غرداية. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مصدر سابق، ص311. وكانت الفكرة الأولى تدور حول إعطاء المطبعة اسما آخر هو "المطبعة العصرية"، إلا أن أبا اليقظان رفض التسمية وأعطاها اسم المطبعة العربية نظرا للبعد الوطني والقومي. ينظر: خيري الرزقي، مرجع سابق، ص 79.

[5] - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص 205.

[6] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951. =

صدر العدد الأول منها يوم الجمعة 21 جمادى الثانية 1370هـ الموافق لـ: 29 مارس 1951م، واستمرت في الصدور طيلة ثلاث سنوات، صدر خلالها واحد وخمسون (51) عددا في الفترة الممتدة من29 مارس 1951م إلى الفاتح جانفي 1954م تاريخ صدور آخر عدد، وكان ذلك على النحو التالي:

السنة الأولى: صدر خلالها 19 عددا من 29 مارس 1951 إلى 28 مارس 1952م.

السنة الثانية: صدر خلالها 20 عددا من11 أفريل 1952 إلى 27 مارس 1953م.

السنة الثالثة: صدر خلالها 12عددا من 10أفريل 1953 إلى 01 جانفي 1954م.

جَمَع أعدادها كاملة أول مرة في مجلد واحد مديرها ورئيس تحريرها الأستاذ محمود بوزوزو بالتعاون مع المناضل الأستاذ محمد قنانش، واختارا لها العنوان التالي: "سلسلة التراث 1 المنار"، وتم طبعها في مجلد واحد بمطبعة الرغاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1982م، ولا يفوتنا أن ننوه أنه تمت فهرسة جريدة المنار بأعدادها كاملة، من خلال وضع فهرس للموضوعات للسنوات الثلاث يجده القارئ في آخر المجلد الذي جمعت فيه الأعداد كاملة؛ حيث تذكر موضوعات كل سنة مفهرسة زمنيا حسب تاريخ الصدور، مع مراعاة ترتيب الأعداد والصفحات، حيث يذكر الباحث محمد ناصر أنه ساهم في إنجاز فهرس مفصل لموضوعات هذه الجريدة وكتابها.

وبطبيعة الحال فإن الفهرسة تطلبت ذكر العناصر التالية: الموضوع، الكاتب، العدد، الصفحة، تاريخ الصدور، الملاحظات[1]. وبعده مباشرة نجد فهرس ثاني موسوم بـ: فهرس الكتاب؛ حيث تمت فهرسة أسماء المؤلفين والكتاب الذين كانت لهم مساهمات فيها، مفهرس أبجديا بالاعتماد على: اللقب أو الاسم العائلي، ثم الاسم، وإن لم يرد هذا ولا ذاك نجد اسم الشهرة أو الاسم المستعار.

ظهرت جريدة المنار بطبعتها الأصلية والمتوفرة اليوم في المتاحف والمراكز الأرشيفية؛ بما في ذلك مركز الأرشيف الوطني الجزائري تحت رقم: JA75 والذي تصفحنا منه بعض أعدادها، وأعيد طبعها سنة 2007م في نفس الشكل، مع المحافظة على ترتيب الأعداد والصفحات والأرقام والصور في الجريدة، وتذييلها بفهرس عام

= Jacques JURQUET, **la Révolution Nationale Algérienne et la parti Communiste Français**, Désélections à la lutte armée, Tome 4, édité par le monde en Marche, Marseille, 1979.

[1] – جدير بالذكر أن هذا العنصر "الملاحظات" لا نجده في كامل الأعداد؛ إذ أنه يظهر فقط في الأعداد التي نقلت فيها المنار ما نشرته عن صحف أخرى، فيتم على إثر ذلك توضيح المصدر الذي أخذ منه المقال، وفي حالات أخرى نجد بين قوسين لفظة "شعر"، لتبين لمتصفحها أن الموضوع المعالج جاء في قصيدة شعرية وغيرها من التوضيحات الأخرى.

لموضوعاتها، فلم يختل على إثرها شكل المقالات ولا ترتيبها، وتولت دار البصائر طباعتها ونشرها، وهي الطبعة المتوفرة حاليا في دور الثقافة، المتاحف، المكتبات الجامعية، ومختلف المراكز العلمية الأخرى.

أما النسخ التي اعتمدنا عليها في دراستنا هذه سواء الدراسة الشكلية أو الموضوعية، فهما نسختين: النسخة الأولى الصادرة سنة 1982م، وهي نفس النسخة المحفوظة في مركز الأرشيف الوطني الجزائري، وأرشيف ولاية قسنطينة، وهي النسخة التي اقتنيناها من إحدى المكتبات المتخصصة في بيع الكتب القديمة بحي "الكوش" العتيق وسط مدينة المسيلة سنة 2013م، أما النسخة الثانية فهي طبعة 2007م، وهي موضوعة تحت تصرف الباحثين والدارسين لتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، وحتى العالم العربي والإسلامي في تلك الفترة.

أعلن مديرها منذ البداية ضمن مبادئها أنها جريدة حرة وغير متحزبة؛ أي لا تنتمي لأي حزب أو هيئة، ففي مقال افتتاحي يؤكد الشيخ محمود بوزوزو على استقلالية هذه الجريدة عن أي حزب من الأحزاب الناشطة آنذاك، غير أنه يقر بأن هذا لا يمنعها بأن تكون لسان حال العروبة والإسلام، الحرية والاستقلال.

فهي بهذا التوجه تناصر كل الحركات التحررية التي تعمل على تحقيق استقلال الشعوب واسترجاع سيادتها، وبهذا كان مسار نضالها قريب جدا من برنامج ح.إ.ح.د، وهو ما دفع العديد من الكتاب لاعتبارها لسان حال هذه الحركة، من ذلك ما ذكره الباحث عبد المالك مرتاض[1] من أن المنار كانت موالية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في بداية أمرها ثم استقلت من بعد ذلك.

الأمر ذاته أشار إليه باحثين آخرين؛ منها أن المنار كانت "مستقلة في الظاهر، ولكنها كانت تابعة للحزب...ثم استقلت وتوقفت عن الصدور"،[2] أما محفوظ قداش فقد ذكر أن "المنار المستقلة نظريا، في الواقع كانت تمول وتراقب من قبل الحزب".[3]

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها، أن المنار كانت تمول من طرف حركة الانتصار، ولكن في الوقت ذاته كانت مستقلة في آرائها، حرة في توجهاتها، وهو ما يعترف به محمود بوزوزو بقوله:"وبمساعدة حزب وطني أنشأت صحيفة مستقلة، تدعوا إلى مراجعة العلاقات بين فرنسا والجزائر على أساس ميثاق الأمم المتحدة والميثاق العالمي لحقوق الإنسان".[4]

---

[1] – عبد المالك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية الجزائرية 1830–1962**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 205، ويذكر محمد الطيب العلوي في الصفحة 237 من كتابه مظاهر المقاومة الجزائرية أيضا أن المنار كانت تابعة لحزب حركة الانتصار.

[2] – إحسان حقي، **الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد**، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، أفريل 1961، ص 238.

[3] – محفوظ قداش، مصدر سابق، ص 1100.

[4] - Mahmoud BOUZOUZOU, De deux prisons à la liberté, op.cit, p69.

تأكيدا لما سبق، فإن المنار في الواقع ليست تابعة لحزب ح.إ.ح.د، رغم أنها كانت تعبر عن اتجاهاته ومبادئه، ومعظم كتابها من رجال هذا الحزب، الأمر الذي حرص مديرها على ذكره كلما تحدث عن توجه الجريدة، أهدافها، ومبادئها بقوله: "ونشكر حركة الانتصار للحريات الديمقراطية على تأييدها لنا، ونرجو أن لا تحول الحزبية دون تأييد المشاريع التي تخدم المصلحة العامة مستقلة عن الأحزاب والهيئات مادامت المصلحة العامة غاية الجميع".[1]

إذ تيقن أنه لن يتمكن من تحقيق أهدافه، إلا إذا كانت جريدته حرة مستقلة من أي قيود حزبية، وهو ما يوضح أكثر التوجه الفكري للمناضل الأستاذ محمود بوزوزو الذي حرص دائما على العمل الجماعي وإشراك الجميع، بما يعود بالمصلحة العامة للوطن الجزائري.

الأمر الذي أكده أحد الباحثين من أن أكثر الصحف صدقا وصراحة ما كانت حرة وغير متحزبة، فيقول في ذلك: "ولعل أصدق الصحافة حديثا وأكرمها أخلاقا، وأكثرها تحررا ما كانت حرة في آرائها واتجاهاتها، لا تراعي مبادئ حزب ولا تجاري سياسة حكومة، وإنما هي صحافة تنشد الحق الذي هو أعلى من الأحزاب والحكومات، وتبحث عن الحقيقة فتنشرها معبرة عنها في جرأة ونزاهة".[2]

وما لا يجب إغفاله، أن جماعة من أصدقائه كان لهم الفضل في إنشائها، ومساعدته في جمع الاشتراكات والمساعدات، لأنه من الصعب أن يكون في مقدوره تحمل أعباءها وتكاليفها المادية وحده، يقول في هذا الشأن: "ولا يفوتنا أن نكرر شكرنا لجميع أصدقائنا الذين ساعدونا ماديا على مواصلة نشر الجريدة، فلهم علينا فضل لا ينسى".[3]

وفيما يتعلق بالأسباب التي دفعت الأستاذ محمود بوزوزو إلى إصدار "المنار"، فقد شرحها في المقدمة التي قدم بها أعداد الجريدة عندما جمعها في مجلد واحد قائلا: "وجاء عام 1950م فعرض عليّ بعض الأصدقاء المنتمين إلى ح.إ.ح.د إصدار جريدة وطنية غير متحزبة، تكفل لها جميع حقوق الطبع والتوزيع مع استقلال التحرير بشرط بث الروح الوطنية في كامل البلاد".[4]

---

[1] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[2] – عبد المالك مرتاض، **نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925–1954 النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص95.

[3] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[4] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

انطلاقا من إيمان بوزوزو بأن الصحافة من أسرع الوسائل لتبليغ الأهداف، وبلوغ الغايات، سارع لإنشاء جريدة المنار آملا بأن يكون لها دور فاعل في تنمية الحس الوطني، وأن تكون أداة بث روح المسؤولية لدى الشباب الجزائري، وتوعيته بواجباته اتجاه دينه، ووطنه، وشعبه، وهو ما تجسد فعلا من خلال ما ذكره محمود بوزوزو من أن رسالة الصحافة تكمن في "خدمة وتنوير الأفكار، وإنعاش الضمائر، ورفع مستواها وتوجيهها إلى الخير".[1]

2-ظروف نشأتها:

لا يخفى على أحد دور البيئة والمحيط في التأثير على السلوك والتفكير الثقافي للأفراد والمجتمعات بأكملها، ومنها جريدة المنار التي برزت إلى الوجود بعد الأحداث التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية، ولاسيما حوادث الثامن ماي 1945م؛ إذ انعكست هذه الظروف على محتويات أعدادها التي كشفت تطورات الحياة سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا، هذا في الجزائر ناهيك عن بلدان المغرب العربي، والعالم برمته.

فهي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية التي تشهد بصدق على مرحلة حاسمة من تاريخ النضال التحرري؛ إذ يجد الباحث على صفحاتها صور وشهادات تؤرخ لكفاح الشعب الجزائري، وبالمقابل تفضح الاستعمار الفرنسي وممارساته ضد الشعب الجزائري.

شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حتى قيام الثورة التحريرية ظهور صحف وطنية كثيرة، تميزت في الأغلب الأعم بلهجتها الوطنية الحارة التي لم تشهد الفترات السابقة لها مثيلا وانعكست فيها بصدق مرحلة المواجهة التي أعلنها الشعب الجزائري، ولا ندرك أهمية هذه الجريدة إلا بالرجوع إلى الظروف التي صدرت فيها، وبلغت أشدها في ويلاتها، فبمعرفة الظروف نعرف مدى الجهاد التي خاضته، وندرك مبلغ التحدي التي كانت تجابه به السلطات الفرنسية.

وعليه شهدت الفترة التي ظهرت فيها جريدة المنار بالنضال السياسي واتساع نشاط الأحزاب؛ حيث دخلت الجزائر بعد ح.ع.2 مرحلة كفاح جديدة تميزت بعودة النشاط للحركة الوطنية الجزائرية، وقيام أحزاب جديدة، وبالتالي شكلت أحداث الثامن ماي 1945م حدا فاصلا، وبداية ميلاد إمكانية توحيد العمل السياسي والنضال الوطني بين الجزائريين بمختلف توجهاتهم وانتماءاتهم؛ إذ استقرت هذه الأحزاب جميعها على المطالبة بالاستقلال مع بعض الاختلافات، فقد كانت تتراوح ما بين المطالبة بالاستقلال الذاتي مع الاتحاد مع فرنسا فيدراليا ، وكان يمثل هذا الاتجاه فرحات عباس، وبين المطالبة بالاستقلال الكامل وكان يتزعم هذا الاتجاه مصالي الحاج وحزب ح.إ.ح.د.

[1] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

وقد انعكست هذه الأحداث على الرّأي العام الجزائري الذي أصبح أكثر وعيا وإدراكا للظروف السياسية التي تمر بها البلاد كما ازداد عدد المثقفين الجزائريين، وخاصة من يتقنون اللغة العربية حيث أن مدارس جمعية العلماء استطاعت خلال هذه الفترة تخريج أعداد كبيرة من الجزائريين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية في صفوف الجيش الفرنسي ونقلوا للمجتمع الجزائري خلاصة ما اكتسبوه خلال الحرب من خبرات وانطباعات.[1]

أما بداية الخمسينيات، فقد كانت مرحلة كفاح صعبة جدا على قادة الحركة الوطنية من جهة، وعلى الشعب الجزائري عامة؛ إذ ظهرت الإدارة الفرنسية بسياسة جديدة لأن الاحتلال الفرنسي أصبح متحكما في كل الأمور تحكما جيدا، فحكومات الجمهورية الفرنسية الرابعة وممثلي الإدارة في الجزائر قد استعملوا كل الوسائل المنافية للأخلاق، وقوانين فرنسا الديمقراطية من أجل منع الجزائريين من حرية الرأي والتعبير عن أفكارهم ومبادئهم.

كما تميز الجو الذي ظهرت فيه المنار أيضا بالاضطراب وعدم الاستقرار وتدهور أوضاع الشعب الجزائري الاقتصادية والاجتماعية، وقد وضح لنا مدير التحرير السيد محمود بوزوزو ظروف نشأتها في مقال له بذات الجريدة جاء فيه: "فقد نشأت هذه الجريدة في ظروف حرجة، وقضت المرحلة الأولى من حياتها في ظروف حرجة، تمتاز بالاضطراب الناتج بطبيعة الحال عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التابعة للنظام الاستعماري المفروض على أمة عربية مسلمة تكافح في سبيل استرجاع سيادتها واستقلالها، كفاحا متنوعا يتمثل في تعدد الأحزاب والهيئات التي تتقاسم الشعب، وتهاجم المظالم والمكائد الاستعمارية، في هذه الظروف ولدت جريدة المنار كنتيجة طبيعية لها، وثمرة من ثمار الجهاد الفكري، الذي قام به المخلصون من أبناء الجزائر في سبيل القضايا العادلة".[2]

وجدت جريدة المنار في هذا الوقت بالذات لتتحمل مسؤولية كبيرة على عاتقها فقد ولدت في ظروف استعمارية رهيبة تميزت بالقمع الاستعماري، التزوير الانتخابي، الاعتقالات والملاحقات، المضايقات على كل مناضل في سبيل الحق والحرية، هذا بالموازاة مع النضالات الفردية للأشخاص والهيئات والأحزاب الناشطة آنذاك في الجزائر.

ولعل أهم ما يعين على تفهم تاريخ الصحافة الوطنية التعرف بذلك المناخ الخانق الذي نشأت فيه، فإن أول ما يلفت النظر حقا هو التساقط المتتابع، والانقطاع المستمر إلى حد بات معه ظاهرة من ظواهر الصحافة،

[1] – عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954–1962**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص42-43.

[2] – **المنار**، س1، ع19، 27 مارس 1952.

فإن أعمار أغلب الجرائد العربية الوطنية لا يعد بالسنوات ولكن بالشهور والأيام، هذا وعلى الرغم من أن الصحافة العربية في الجزائر لم تعرف طوال تاريخها سوى صحيفة يومية واحدة، وهي جريدة النجاح المعروفة بميولها مما جعل الاستعمار يرخي لها العنان.[1]

أما في ما بين 1947-1953م، فقد ظهرت صحافة إسلامية باللغتين العربية والفرنسية، تسيرها وتمولها في الأغلب الأعم الجمعيات الدينية والأحزاب السياسية المعروفة آنذاك، وقد صدرت في هذه الفترة حوالي ثلاثين جريدة ثلثها باللغة العربية، ولكن ست منها فقط استطاعت البروز بشكل منظم، باعتبارها لسان حال حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.[2]

يرى الباحث الفرنسي كلود كولو[3] بأن الإدارة الاستعمارية مارست إزاء الصحافة الإسلامية، أي الجزائرية تمييزا تأسس على خيار اللغة، وبالتالي فإن كل جريدة خطها يحمل في ثناياه دعاية مناهضة لفرنسا، واستعمالها للغة العربية معناه تأكيد على الهوية الجزائرية ومحاربة تيار التغريب أو الفرنسة، وعليه تم إخضاعها لنظام قمعي استثنائي غير رسمي، وهكذا أصبح مجال التعبير جد ضيق بالنسبة للصحافيين أو الكتاب، وإذا عثرت الدولة على فصل يحتوي على الدفاع عن الدين والوطن، وينبه الحكومة في ذلك إلا وأجابت نداءها بمنع رواجها وبطلانها بالمرة.

الأمر الذي يثبته أحد المعاصرين بقوله: "وحرية الصحافة مصونة في بلاد الجزائر، مادامت هذه الصحف تسبح بحمد فرنسا، ومادامت تصدر باللغة الفرنسية، وأما إذا كانت صحيفة عربية، أو أرادت أن تقول الحق، فسيف الظلم مسلط عليها، ولا تعدم الحكومة ألف حيلة للقضاء على الصحيفة أو على صاحبها، ولذا فإنه لم توجد صحيفة واحدة يومية عربية في الجزائر، على الرغم من وجود صحف كثيرة في تونس والمغرب، ولم تكتف الحكومة بهذا الضغط على حرية الرأي العربي، بل إنها ذهبت إلى أبعد من هذا الحد، ومنعت دخول أكثر الصحف العربية الصادرة في جميع الأقطار العربية إلى الجزائر، اللهم إلا بعض الصحف الحيادية أو الموالية".[4]

---

[1] - محمد ناصر، **الصحف العربية في الجزائر**، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،2007، ص30.

[2] - محمد حمدان وآخرون، **الموسوعة الصحفية العربية**، ج4، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1995، ص 70.

[3] - Claude COLLOT, le régime Juridique de la presse musulmane Algérienne, **la revue Algérienne des sciences juridique**, n2, 1969, p 347.

عبد المالك مرتاض، أسلوب الصحافة العربية في الجزائر، **الثقافة**، س6، ع34، سبتمبر 1976، ص45.

[4] - إحسان حقي، مصدر سابق، ص144.

إن السند القانوني -إن صح أن يطلق عليه هذا التعبير- يعد في حد ذاته سندا، يحمل في نفسه كل معاني الجبروت والعنصرية[1]، لأنه يهدف أساسا إلى القضاء على الصحافة العربية الوطنية على حد تعبير الشيخ أبو اليقظان في العريضة التي رفعها إلى لجنة البعث البرلمانية سنة 1937م فيذكر: "إن كل الإجراءات التي تتخذها السلطات ضد الصحافة العربية، إنما تعتمد إجراءاتها على القانون الذي يعتبر اللغة العربية التي هي لغة ستة ملايين جزائري كلغة أجنبية في البلاد، ولوزير الداخلية أو لكل من يخلفه في الجزائر الحق في تعطيل ما ينشر بها إداريا دون اللجوء إلى المحاكمة أمام القضاء".[2]

فقد بات واضحا منذ البداية الموقف الشاذ الذي ستتخذه السلطة من الصحافة العربية الوطنية، مادامت تملك المبرر القانوني الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية لوزير الداخلية أو لنائبه، الحق في مصادرتها متى رأى وجوب ذلك، ويتضح لنا من هذا القانون سوء نوايا المشروع الاستعماري الذي ترك هذه الثغرة ليستند إليها القضاة كلما قصدوا إلى كبت جريدة وطنية.

وتأكيدا لما سبق ذكره، يمكن القول بأن أهم الوسائل القمعية التي استخدمت ضد الصحافة الوطنية سواء أعربية كانت أو فرنسية فيما بعد ح.ع.2 تتلخص فيما يلي:[3]

- الحجز الإداري بدعوى الإخلال بالأمن العام.
- المتابعة القضائية بدعوى نشر معلومات خاطئة.
- المتابعة القضائية بتهمة القذف والشتم للسلطة الحاكمة.

ولكن كان الحجز والمصادرة الأسلوبان المتبعان في أغلب الأحيان، وأحيانا يكون الحجز قبل المتابعة القضائية.

ولن نذهب بعيدا بحثا عن الأسباب، فإن المسيو ميرانت نفسه هو الذي سيشرح لنا الأسباب التي جعلت الحكومة الفرنسية تنظر إلى هذه الجرائد العربية بهذه النظرة، وتخاف منها هذا التخوف الكبير: "نحن الذين نحب الصحافة العربية، ونؤمن بدورها التمديني نأسف كثيرا لرؤيتنا كثيرا من هذه الجرائد تنحرف عن رسالتها

---

[1] - تطبيقا لسياسة السيطرة والدمج، دعا البرلمان الفرنسي إلى إقرار قانون حرية الصحافة، ذلك القانون الذي صدر في 29 جويلية 1881 والذي تنص المادة الخامسة منه على أن: "تصادر كل جريدة أو نشرة أو دورية يمكن أن تكون موزعة على الجمهور بدون رخصة أو كفالة مادية مسبقة، ونصت المادة التاسعة والستون منه على أن يكون نافذ المفعول في الجزائر أيضا". ينظر:
Claude COLLOT, le régime Juridique, Op.cit, p348

[2] - جريدة الأمة، ع 120، 4ماي 1937، نقلا عن محمد حمدان، مرجع سابق، ص72.

[3] - والأمثلة عن ذلك كثيرة منها حجز العدد الأول من جريدة الجزائر الحرة الصادر بتاريخ 18 أوت 1949م، ولم ينظر في هذه القضية إلا في 10 ديسمبر 1958. ينظر: محمد حمدان، نفسه، ص-ص 71-73.

الحقيقية، باستغلالها كرم ضيافتنا لنشر كتابات مثيرة ليس لها من نتيجة غير وضع الصحافة العربية كلها موضع الشك والريبة، لأنها تحرك في القلوب الأحقاد بين الأجناس والأديان، وتثير بين المسلمين والأوربيين كرها ونفورا متبادلا، فيجب على الجرائد العربية أن تبعد عن هذه المظاهر الخطرة فإنها تكسبها منظرا قبيحا ينّم عن العواطف والنوايا السيئة".[1]

هذا على المستوى الوطني، أما على المستوى الدولي فقد تميزت مرحلة ما بعد انهزام قوات المحور بتقدم القوى الديمقراطية في العالم، ونمو المعسكر الاشتراكي، وفي العالم العربي تراجعت القوى الاستعمارية الرجعية التي أضعفتها الحرب وتصاعد المد الشيوعي، وتزايد الكفاح في المستعمرات، وصدور ميثاق الأمم المتحدة في جويلية 1945م، وهذا ما يعزز المطلب الشعبي أو الجماهيري الرامي إلى تأكيد مطلب حق الشعوب في تقرير مصيرها، والمطالبة باحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية لجميع الشعوب دون تمييز عرقي أو ديني، خاصة في ظل وجود استعمار فرنسي عمل على تجهيل الشعب الجزائري وطمس معالم هويته، فأعطت إفرازات الحرب العالمية الثانية دفعا قويا للقوى الفاعلة في الجزائر وخارجها.

يلخص الأستاذ بوزوزو رسالة الصحافة في مثل هذه الظروف برسالة النبوة، معتبرا هذا الجهاد الصحفي من أسمى الأعمال، وهو أمر ناتج عن الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري، وتعطشه لمثل هذه المنابع الصافية، معتبرا أن رسالة الصحافة تكمن في الدعوة إلى الخير، وخدمة السلم والمدنية، فيقول: "في مثل هذه الظروف تشبه رسالة الصحافة برسالة النبوة، تنير الطريق وترشد للحق، وتخرج العقول والضمائر من الظلمات الحالكة والغواية المهلكة، دون اعتبار لشيء غير القيام برسالة سامية".[2]

3-أهدافها:

أما عن الأهداف التي دفعت محمود بوزوزو إلى إنشاء الجريدة، فقد جُمِعت في مقال موسع نشر في العدد الأول منها بعنوان "المنار وأهدافه"، مما جاء فيه نذكر: "وكانت في النفس أمنية قديمة ترمي إلى خدمة الرأي العام الجزائري في نطاق واسع، ولكن حالت دون تحقيقها حوائل صرفت الهمة إلى خدمة الأمة في ميدان خاص...وكانت هذه الأمنية تدور حول إصدار مجلة تشمل جميع ميادين الحياة...ومازالت الأمنية تلوح في الأفق حتى يسر الله تحقيقها، وها هي اليوم تبرز في ثوب جريدة ريثما تتيسر الأسباب للمجلة المرجوة".[3]

[1] -محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها أعلامها**، ج1، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص59.
[2]- **المنار**، س2، ع20، 27مارس 1953.
[3] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

وفيما يتعلق بالأهداف السياسية للجريدة، فإنها تسعى إلى تحقيق مبدأ حق الشعوب في تولي شؤونها بنفسها؛ إذ ترى أن الاستقلال حق طبيعي للأمم، كما تؤكد على أن الاستقلال الحقيقي يكمن في "تمتع الأمة بالحق التام في تقرير مصيرها، وذلك بسلامتها من كل قيد شرقي كان أو غربي، شمالي أو جنوبي فحملت على الاستعمار حملة صادقة بعيدة عن كل بغض عنصري أو حقد ديني أو انتقام شخصي".[1]

فكان أول شيء نبهت المنار إليه هو طبيعة العلاقة بين الجزائر وفرنسا؛ إذ اعتبرتها أصل الداء وعلة العلل، وحل المشكل الجزائري حسبها لن يتحقق إلا بمراجعة العلاقة بين البلدين، الأمر الذي تم استنتاجه من خلال ما ورد في افتتاحيات كثير من أعدادها، منها ما سيأتي ذكره: "إن القضية قضية علاقة بين أمتين مختلفتين ثقافة؛ أمة غربية لها قيم خاصة، وأمة شرقية ذات قيم يجمعها الإسلام، ولا يمكن تمازج الثقافتين لأن العلاقة بين الأمتين قائمة على الظلم والطغيان، لا على التعاون وحسن الجوار، ولا دواء إلا في مراجعة هذه العلاقة، وتجديد بنائها على أساس الاحترام والتعاون".[2]

أما القسم المتعلق بالتاريخ الوطني[3]، فقد حرصت عبر كامل أعدادها على الدعوة إلى توحيد السياسة والعمل في القطر الجزائري، والطابع الغالب على هذه المقالات المتعلقة بتاريخ الجزائر يتعلق بالأوضاع السياسية للجزائر، منتقدة بحدة ذلك الانقسام الحاصل بين الأحزاب الوطنية والهيئات الدينية، إذ تتبعت بحرص وثبات تطور الحركة الوطنية الجزائرية ونضال قادتها خلال الفترة الممتدة من 1951م إلى أشهر قليلة قبل اندلاع الثورة، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية عامة أن يتجاهل ذلك الكم المعرفي الذي توفرت عليه، لقيمته العلمية والفكرية.

وإيمانا منها بالروابط القوية والأواصر المتينة التي تجمع بين شعوب المغرب العربي، دعت إلى الوحدة القومية بين سائر الأقطار العربية، فوضحت أنها تعتز بأن تدرج ضمن خطتها السياسية توحيد النضال المغاربي المشترك، لذا أظهرت عناية فائقة بتطورات الأحداث السياسية في كل من تونس والمغرب، إذ صادفت فترة صدورها مرحلة حرجة وحاسمة في تاريخ الكفاح التحرري في القطرين الشقيقين.

---

[1] - **المنار**، س1، ع 19، 28 مارس1952.

[2] - **المنار**، س2، ع20، 27 مارس 1952.

[3] - للاستزادة أكثر حول القضايا التي طرقتها المنار، يرجى العودة إلى التحليل الذي نشرته الأستاذة فاطمة الزهراء قشي في دراستها حول الصحافة العربية والموسومة ب:

La Presse Algérienne de langue arabe 1946-1954 Enjeux politiques et Jeux de plumes, Bahaeddine Edition, Algérie, 2009, p172-173.

وعليه، أشارت إلى توجهها السياسي هذا منذ افتتاحية العدد الأول الذي جاء فيه: "المنار يؤكد استنادا على الحقائق الجغرافية، التاريخية، والجنسية أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب الذي هو جزء طبيعي من العالم العربي والإسلامي، ولذا يجاوز الوطنية الإقليمية إلى الوطنية العربية والإسلامية العامة، ولذا يدعوا إلى توحيد السياسة المغربية توحيدا متينا في الأهداف والوسائل".[1]

وبالتالي دعت سائر الحركات التحريرية المغاربية إلى توحيد كفاحها ونبذ النزعة الانفرادية، التي ستؤدي حتما إلى تجزئة القضية المشتركة؛ تجزئة تعد اعترافا مباشرا بالحدود التي أقامها الاستعمار، وطعنة في صميم الوحدة الطبيعية التي تربط هذه الأقطار؛ "فالحقائق الجنسية والتاريخية والتقاليد القومية التي تلحق الجزائر بالعالم العربي والإسلامي لا بالعالم اللاتيني التي تنتمي إليه الأمة الفرنسية"[2]، لأن مطالب المغرب كلها تحوم حول محور واحد وهو الاستقلال التام، وهو ما يستوجب توحيد السياسة والعمل في كل قطر مغربي.

وفي هذا التوجه، إشارة إلى أن وجهتها الطبيعية هي الشرق العربي والإسلامي، "مبطلة دعوى الاستعمار الرامية بالشيوعية كل حركة تحررية"[3]، مؤكدة أن روح المقاومة في الشعب الجزائري وفي كل الشعوب العربية والإسلامية متجذرة، بل وموجودة منذ البدايات الأولى لأي احتلال أو تواجد أجنبي، أي قبل ظهور الشيوعية والفاشستية وكل الأحزاب الحالية.

إيمانا منها بهذا المبدأ حرصت على متابعة تطورات القضية التونسية، ورصدت كل الأخبار عن أحداثها وتطوراتها، ويتجلى الاهتمام أكثر من خلال تخصيصها ركن ثابت يبرز في كل عدد مستجدات النضال الشعبي والكفاح السياسي والنقابي بالشقيقة تونس بإمضاء الكاتب محمد المتيجي الذي بلغ عدد مقالاته حول القضية التونسية تسعة وثلاثون (39) مقالا؛ إذ كان حجم المقال في غالب الأحيان كما ذكر الباحث محمد ناصر؛ "يغطي نصف الجريدة تقريبا بمعدل صفحتين من كل عدد".[4]

وبداية من العدد الأول أظهرت المنار اهتمامها بالقضية المراكشية في مقال بعنوان: "سير العالم السياسي" تناول في جزء منه ظروف المغرب الأقصى، كما نشرت المنار حلقات متتالية عن تطورات القضية المغربية، ونضال ملكها محمد الخامس، إذ بلغ عدد المواضيع المخصصة للقضية المغربية سبعة وخمسون مقالا (57) مقالا.

---

[1] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[2] – **المنار**، س 1، ع 5، 15 جوان 1951.

[3]- **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

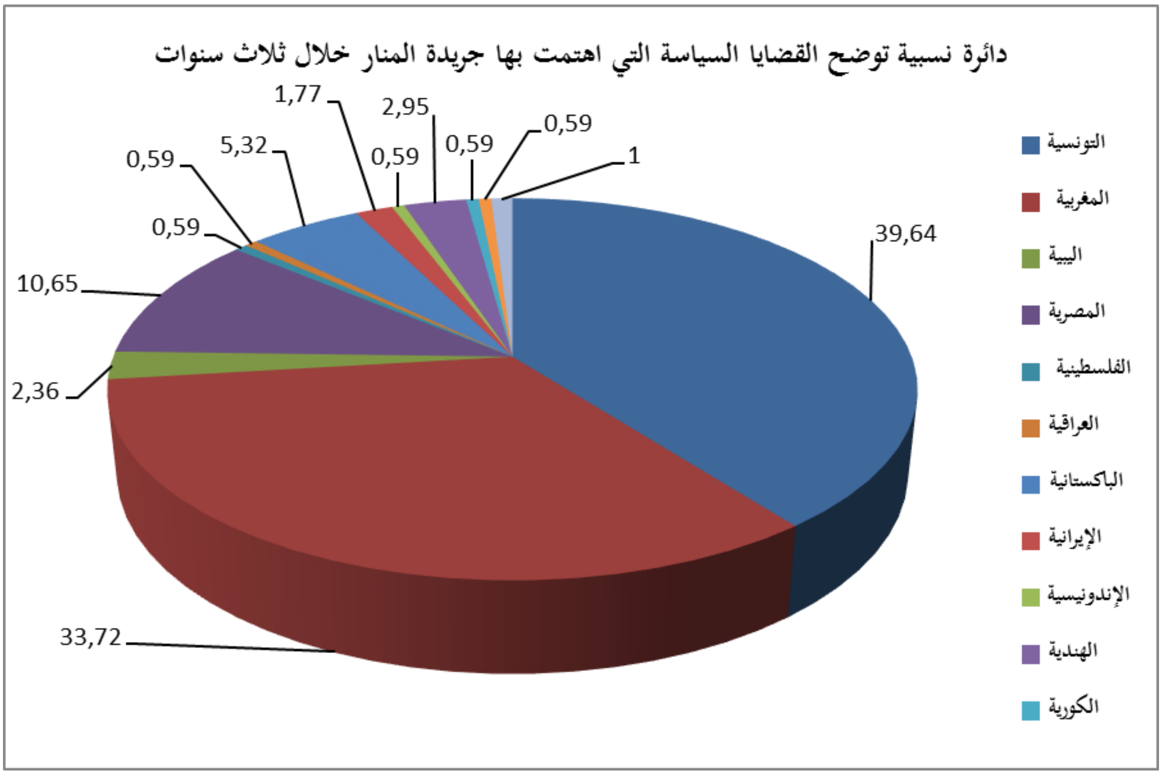
[4] – محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص400.

وبنفس الاهتمام نظرت المنار إلى أقطار أخرى سواء من الوطن العربي الإسلامي أو غيرها من دول العالم المستضعفة التي تئن من جور الاستعمار، فكتبت عن التطورات السياسية التي شهدتها مصر بعد ثورة الضباط الأحرار، وعن دولة الباكستان، واستقلال الهند والباكستان، ثورة إيران، أزمة كوريا وغيرها.

ولنتمكن من استيعاب أهدافها السياسية بشكل موسع، قمنا برصد اهتمامات الجريدة من خلال إحصاء شامل للقضايا السياسية التي تناولتها مع تكرار صدورها طيلة ثلاث سنوات من عمر الجريدة، وهو ما نعكف على توضيحه في الجدول التالي:

القضية	تكرارها	النسبة المئوية
التونسية	67	39.64
المغربية	57	33.72
الليبية	04	02.36
المصرية	18	10.65
الفلسطينية	01	0.59
العراقية	01	0.59
الباكستانية	09	05.32
الإيرانية	03	1.77
الإندونيسية	01	0.59
الهندية	05	02.95
الكورية	01	0.59
الكينية	01	0.59
البريطانية	01	0.59
المجموع	169	%100

الجدول رقم 03: يوضح تكرار القضايا السياسية التي اهتمت بها جريدة المنار طيلة فترة صدورها.



بناء على النسب الموضحة في الجدول أعلاه، تتبين لنا أكثر أهداف الجريدة، خاصة تركيزها على القضايا السياسية، فلم تقتصر حملة محمود بوزوزو على محاربة الاستعمار في الجزائر فقط، بل شملت سائر الأقطار الإسلامية كالمغرب الأقصى، تونس، مصر، وإيران، وغير الإسلامية كالهند الصينية، كوريا، وغيرها من دول العالم، ومن الطبيعي أن تحمله الفظائع الاستعمارية إلى طلب إلغاء الاستعمار من العالم كله، ومن الطبيعي أن يبتهج بتحرر الشعوب من ربقة الاستعمار.

وهو ما أشارت إليه المنار سابقا في شعارها من أنها جريدة تعنى بالسياسة بالدرجة الأولى، وبالنضال المغاربي المشترك خصوصا، وبهذا تميزت المنار عن باقي الجرائد والمجلات الأخرى المعاصرة لها، والتي حصرت أهدافها في القضايا الدينية بالدرجة الأولى، فعلى الرغم من توجهها الوطني الحر واهتماما بالقضية الجزائرية، طرقت مواضيع سياسية متنوعة ومتعددة تخص الأقطار المغاربية وغيرها من الأقطار المناهضة للسياسة الاستعمارية، والمطالبة بحق الشعوب في تقرير مصيرها، ولا هدف لها من ذلك الاهتمام غير تعميم الفائدة، ونشر الأفكار التحررية بين الأفراد والجماعات مهما كان انتماؤهم، وذلك في الأساس راجع إلى طبيعة تفكير المشرفين على تحريرها، ومستوى الوعي العام والحس المدني لديهم.

وفي الميدان الثقافي عملت المنار في سبيل إحياء التراث الفكري المغربي، واستثارة كنوز الثقافة المغربية، والدعوة إلى ثقافة عصرية متشربة بالروح التقدمية، وذلك بنقل كل صالح من الشرق والغرب في القديم والحديث

فليس كل القديم باليا فاسدا، وليس كل الحديث رائقا صالحا، ودعت إلى الابتكار حتى يكون للأمة الجزائرية إنتاج فكري جدير بالتقدير والاعتبار.

وتبعا لذلك، خدمت الأهداف الثقافية قدر الإمكان، فكشفت الغطاء عن أثر الاستعمار في الإنتاج الثقافي في الجزائر؛ إذ تصفحنا بها كتابات رصينة تنم عن فهم الواقع الجزائري تناولت بالدراسة والتحليل العلاقة القائمة بين الإنتاج الفكري وأنظمة الحكم، كما نشرت مقالات ضافية عالجت واقع التعليم في الجزائر؛ ظروفه ومؤهلاته، والمشاكل التي يعاني منها في ظل حكومة استعمارية تعمل على تجهيل كل فئاته، داعية إلى ضرورة الاهتمام أكثر بفئة الشباب وإعطائها العناية الخاصة، لأنها تعتبرهم الركيزة الأساس للنهوض بالمجتمع الجزائري.

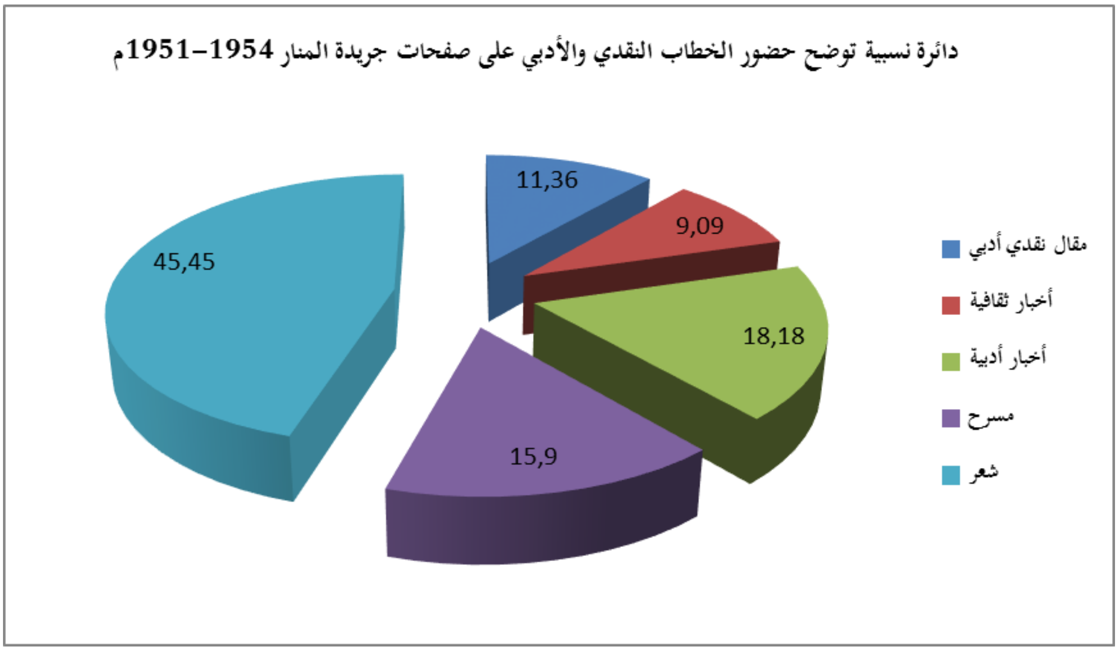
كما اهتمت بشكل واسع بنشر ما تنتجه قرائح الكتاب والأدباء والشعراء في مختلف المواضيع؛ إذ فتحت أعداها لاستقبال الإنتاج الأدبي الهادف، وظهر على صفحاتها إنتاج غزير متنوع خاصة المقالات الأدبية النقدية، كما نجد بها دراسات مستفيضة عن المسرح الجزائري وتطوره خلال القرن العشرين، ونقد أو تقريظ للمؤلفات الجديدة التي صدرت آنئذ مثل: كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، وجغرافية القطر الجزائري لأحمد توفيق المدني، وفي مجال الشعر نشرت جملة من القصائد لشعراء جزائريين كبارا أو ناشئين[1]، فنجد منهم محمد العيد آل خليفة، الشيخ قدور الحلوى، عمر البسكري، علي صادق نساخ، أحمد بوعدو، أبا القاسم خمار، ومحمود بوزوزو الذي كان يكتب الشعر أيضا، وأغلب القصائد تصنف في اتجاه الشعر النضالي الوطني.

ونجد على صفحاتها أيضا مقالات مطولة تعالج واقع الأدب الجزائري في تلك الفترة، ناهيك عن تتبعها لجل الأخبار الأدبية والثقافية التي كانت رائجة آنذاك في الحياة العامة وعلى مستوى المشهد الأدبي داخل الجزائر وخارجها، وجل هذه الأشكال الأدبية لا يستغني عنها دارسو الأدب الجزائري في تتبعهم لتطوراته، والجدول التالي يوضح لنا تكرار كل نوع من الأجناس الثقافية والأدبية الرائجة على صفحاتها:

نوع الخطاب	تكراره	النسبة%
مقال نقدي أدبي	10	11.36
أخبار ثقافية	08	09.09
أخبار أدبية	16	18.18
مسرح	14	15.90
شعر	40	45.45
المجموع	88	%100

جدول رقم04: يوضح حضور الخطاب النقدي والأدبي على صفحات جريدة المنار 1951–1954م

[1] – محمد ناصر، الصحف العربية، مصدر سابق، ص 398-399.



من خلال الشكل الموضح أعلاه، نتمكن من استنباط الخطاب الأدبي والنقدي ومدى حضوره على صفحات المنار، فالقارئ يجد أن الجزائر لم تكن في منأى عن تلك الحركات الأدبية التجديدية الإبداعية التي لامست الأدب العربي المعاصر في جل البلدان العربية، رغم ما كان يفرضه المستعمر الفرنسي من قهر وظلم، وقوانين جائرة تعيق حركة التقدم، وضرب عناصر هويتها ومؤسساتها الثقافية.

وعليه فإن بروز أنواع أدبية جديدة في جل الصحف الجزائرية الصادرة مطلع القرن العشرين يوحي بذلك التأثر بالجرائد والصحف المشرقية؛ إذ تعتبر المنار من ضمن الجرائد الجزائرية التي نشأت بين طياتها هذه الأجناس الأدبية الحديثة، وما كثافة المادة الثقافية والأدبية المنشورة على صفحاتها إلا دليل على ذلك، ولعل المقالات النقدية السياسية، والنصوص الأدبية الإبداعية التي عالجت واقع المسرح والأدب الجزائري آنذاك من أبرز الأجناس الأدبية التي احتفت بها جريدة المنار وساهمت في نشرها بشكل واسع، غير أن ما تجدر الإشارة إليه إغفال هيئة تحرير الجريدة نشر بعض الأجناس الأدبية التي كانت رائجة آنذاك ومعروفة في الأدب العربي، من بينها فن الرواية، والقصة.

فمنذ صدور الأعداد الأولى منها ظهر اهتمامها بالمواضيع الثقافية، الفكرية والأدبية، وهو ما يظهر جليا في الأهداف التي سطرتها في عددها الأول، وبرز أكثر من خلال المقالات المطولة المنشورة على صفحاتها بقلم صاحب الجريدة محمود بوزوزو نفسه؛ فنشر دراسة مطولة بعنوان "الإنتاج الفكري ونظام الحكم" عبر ثلاثة أعداد

متتالية من السنة الأولى[1]، إذ انصبت جهوده على معالجة العديد من القضايا الفكرية والأدبية، مما يظهر بوضوح الأهمية الكبيرة التي يوليها للأدب والفكر، كما تدل في الوقت ذاته على عمق ثقافة الأستاذ بوزوزو.

وفي الميدان الديني عملت المنار على سبيل نشر التعاليم الإسلامية الخالصة، والدعوة إلى الإصلاح الديني ومحاربة البدع والضلالات المنتشرة في المجتمع الجزائري، وبيان الإسلام على وجهه الصحيح نقيا من كل ما ألصق به إفكاً وزورا أو نسب إليه جهلا وغرورا؛ معتبرة الإسلام "قوة روحية تبعث على النشاط والعمل والإنتاج، فهو عامل من عوامل السمو الروحي والتقدم المادي وعامل من عوامل التوازن النفسي، وحسن المعاملة، واحترام الكرامة الإنسانية والتعاون على البر والتقوى، ويعترف بحقوق العقل وبحقوق القلب فيوفق بين الفكر والعاطفة".[2]

كما نشرت آراء دينية كان لها أكبر الأثر عند القراء في بيان ما تحتاجه الشعوب الإسلامية المجاهدة في سبيل تحررها من توجيهات دينية إلهية يتحتم العمل بها على كل مسلم غيور من أجل تحرير وطنه، وهو ما أكده مديرها عند مرور سنة على إنشائها بقوله: "كل ما كتبته المنار في شتى المواضيع يصبغ في الواقع بصبغة ثقافية، ويحمل روح التعاليم الإسلامية، الأمر الذي جعل الجريدة "توجيهية" أكثر منها إخبارية".[3]

اهتمت المنار بكل هذه الميادين المذكورة، وبطريقة موضوعية مع احترامها لحرية الفكر التي تعتبرها من الحقوق المقدسة للناس كافة، وجدناها فتحت منبرا حرا لنشر النقد النزيه سواء الموجه إليها أو إلى غيرها من الأشخاص أو الأحزاب أو الهيئات، كما دعت إلى توحيد الأهداف ووسائل النضال من أجل جزائر حرة مستقلة شعارها في ذلك "غاية شريفة ووسائل شريفة ".

بناء على الأهداف السالفة الذكر، ذكر الأستاذ محمود بوزوزو بأنها جريدة ثورية؛ إذ شاركت في الكفاح الثوري، ولكنها ليست ثورية بالمعنى العام للثورة، كما يفهم من سياق الكلمة، ولكنها ثورية بالمعنى الذي يروم إلى بعث القيم والمبادئ السامية، واعتبار ذلك ثورة في حد ذاتها، فيقول: "إن كل عمل يرمي إلى إحياء القيم الخالدة فهو ثورة، والمنار تدعو إلى إحياء هذه القيم الخالدة اعتقادا بأن فيها نجاة الإنسان وتخفيفا لآلامه".[4]

---

[1] – نُشر الجزء الأول من مقال الإنتاج الفكري ونظام الحكم بتاريخ 20 مارس 1951، أما الجزأين الباقيين فقد نشرا في العددين الثاني والثالث من السنة الأولى على التوالي.

[2] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس1951.

[3] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[4] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

شرح الأستاذ محمود بوزوزو بالتفصيل كل لفظة من الألفاظ التي تألف منها شعار المنار، والمدلولات الفكرية التي تضمنها الشعار عامة، والدور الذي يجب أن تؤديه كل كلمة، حيث رسمت على الشكل التالي: [1]

- المنار جريدة سياسية: وللسياسة رسالة وهي السير بالمجتمع إلى إقامة أسمى نظامٍ يكفل لجميع أفراده ذكورا وإناثا، الأمن والهناء، وحفظ الكرامة ونمو المواهب بحرية تامة والعمل في ظل الطمأنينة.
- المنار جريدة ثقافية: وللثقافة رسالة وهي السير بالفكر البشري إلى إدراك حقائق الأشياء والأحياء واستغلالها لفائدة الإنسان.
- المنار جريدة دينية: وللدين رسالة وهي السير بالبشرية إلى تحقيق معاني الرحمة والحب وتسخير الحقائق الأرضية للحقائق السماوية.
- المنار جريدة حرة: للحرية معنى كَثُرَ مدّعيه وقل واعية، وهو عدم التقيد بإرادة أحد، وعدم الخضوع لجبروت أحد، والسير بالاختيار المطلق مع الوقوف عند حدود حرية الغير.

4-خطها الافتتاحي:

كان الخط العام لجريدة المنار وطنيًّا، عربيًّا، إسلاميًّا، ثوريًّا، يطالب بحق تقرير مصير الشعب الجزائري والاستقلال التام للجزائر، وهو نفس الفكر التحرري الذي ناضل من أجله رواد الحركة الوطنية طيلة أزيد من قرن من الزمن، وهذا الموضوع الرئيسي تقريبا الذي يتصدر أغلب الصفحات لأعدادها كاملة، كما نجد افتتاحياتها مدبجة بمقالات سياسية تنادي بالوحدة الوطنية والمغاربية، وتدعو لاستقلال كل الشعوب المناضلة في سبيل العيش في حرية وكرامة.

يطالب بوزوزو وكل القائمين على المنار من خلال الافتتاحيات بالاستقلال الحقيقي، والديمقراطية الحقة لجميع الشعوب والأجناس، وهو ما يدل ضمنيا على وجود استقلال وهمي، وديمقراطية خيالية، فمحمود بوزوزو يرى أن الاستقلال الحقيقي "هو تمتع الأمة بالحق العام في تقرير مصيرها وذلك بسلامتها من كل قيد شرقيا كان أو غربيا شماليا أو جنوبيا". ويرى أن الديمقراطية الحقة هي تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات بين سائر أفراد الأمة، واحترام الحريات الأساسية، والقيم الروحية، وإفساح المجال لنمو المواهب الفردية، وتقدير الكفاءات من غير فرض طبقة على طبقة".[2]

---

[1] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952

[2] - نفسه.

صرحت المنار بأنها جريدة تحارب التعصب والعنصرية، وأن أسمى مبادئها تكمن في نبذ التعصب القائل "من ليس معي فهو ضدي"، الذي يقتل روح الإبداع والتجديد، تحرص على الاعتراف لكل ذي فضل بفضله عبر التاريخ الوطني، وتتحاشى إثارة الخلافات والفتن بين أبناء الوطن، وتسعى من خلال أهدافها المسطرة إلى جمع الكلمة في سبيل التحرر، والمساهمة في نشر الوعي الوطني وإحياء الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها وأهمها الدين الإسلامي.[1]

ثانيا: دراسة بيبليوغرافية لجريدة المنار

باعتبار أن التحليل أو المسح عملية ملازمة لمثل هذه الدراسات، فسنعمل على القيام بدراسة بيبليوغرافية لهذه العينة "جريدة المنار"، والتي تقوم أساسا على ضرورة تفصيل وتفكيك عناصرها، للتعرف على أبرز سمات هذه العناصر وخصائصها العامة، ومن ثَم يتم الوصول إلى فهم طبيعة العلاقة بينها.

1-التركيب الشكلي والإخراج:

نجد في ديباجتها؛ أي صدر الصفحة الأولى من كل عدد البيانات الخاصة بالجريدة، أو بالأحرى بطاقة تعريفية مفصلة عنها، فرأس كل صفحة أولى من كل عدد مدبج بإطار مقسم إلى ثلاثة أجزاء، يحتوي الجزء الأوسط منه على عنوان الجريدة، أما القسمين الأيمن والأيسر فيشتملان على المعلومات التقنية الخاصة بالجريدة، والتي سنفصل فيها كما سيأتي:

1-1-العنوان:

كتب العنوان بخط غليظ، بارز وواضح، أما طريقة كتابته فقد عرفت تغيرا، ومع بداية العدد الثالث (03) الصادر بتاريخ 04 ماي 1951م ظهر عنوانها بخط جديد وهو "الخط الفارسي" الذي يشبه إلى حد بعيد العنوان الذي كتبت به جريدة "المنار المصرية"[2] لصاحبها محمد رشيد رضا، وهو ما يوحي بذلك التواصل بين حركتي النهضة والإصلاح في المشرق ونظيرتها في المغرب، حيث برز بين حرفي النون والألف رمزا لمنارة تنبعث منها أشعة مع التضليل، وفي هذا إيحاء إلى الأهداف التنويرية التي تسعى المنار إلى تحقيقها، فتقدمت بشكرها الجزيل إلى

---

[1] - **المنار**، س1، ع1، 29مارس1951.

[2] - المنار المصرية، جريدة أسبوعية أنشأها محمد رشيد رضا سنة 1897م، حولها في عامها الثاني إلى مجلة شهرية، صدر منها 35 مجلدا، عرفت باتجاهها الإصلاحي الديني، اشترك في تحريرها كل من؛ شكيب أرسلان، ومصطفى صادق الرافعي وغيرهما. للمزيد حول الموضوع يرجى الإطلاع على: شفيق غربال، **الموسوعة العربية الميسرة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1995، ص1209. لهذا السبب يحرص الكثير من الباحثين المهتمين بالعلاقات الثقافية والفكرية بين الجزائر ودول المشرق الإسلامي على ربط الحركة الإصلاحية في الجزائر مع نظيرتها في المشرق.

الخطاط الجزائري البارع الأخ السعدي حكّار على إهدائه عنوان الجريدة الذي يصدر به المنار بداية من ذلك العدد.[1]

ننتقل الآن إلى التفصيل في المعلومات الإدارية الواردة في الشريط العلوي، فإلى جانب العنوان الذي كان يتوسط أعلى الصفحة غالبا، نجد المعلومات الإدارية أو التقنية الخاصة بالجريدة؛ إذ تظهر في الركن العلوي إلى اليمين البيانات التالية:

- المدير المسؤول: محمود بوزوزو.
- العنوان البريدي: صندوق بريد رقم 3 الجزائر بورس.
- الحساب الجاري: 76-14.[2]
- قيمة الاشتراكات: اشتراك المنار عن السنة (25 عددا) 500 فرنك، اشتراك التأييد 1000فرنك.
- رقم الهاتف: 316.74.[3]

أما الإطار العلوي إلى اليسار فنجد فيه نفس المعلومات الموجودة على اليمين ولكن باللغة الفرنسية، إضافة إلى العدد، السنة، تاريخ الصدور بالهجري والميلادي، ثمن العدد، كما أن رقم الصفحة نجده في الغالب الأعم أعلاها.[4]

يجب التنبيه إلى وجود استثناءات، منها ورود أبيات شعرية اقتبستها المنار من جريدة "شعلة الحرية" الطرابلسية، وهي مقطوعة شعرية من ثمانية أبيات تحث على الوحدة القومية، نقتبس منها الأبيات التالية:

وِحْدَةُ الشَّعْبِ قُوَّةٌ لَنْ تُجَارَى ... وَلَهَا الكُلُ خَاضِعُونَ أُسَـــارَى
قُوَةٌ رَامَ نَزْعُهَا شَرَّ قَـــــوْمٍ ... زَاعِمِينَ بِأَنَّنَا لَنْ نُغَـــــــارَا
إِنَّنَا أُمَّةً تَرَى الموْتَ عِـــزاً ... إِنْ رَأَتْ حَقَهَا يُهَانُ احْتِقَارًا[5]

---

[1] – **المنار**، س1، ع3، 4ماي 1951.

[2] – ظهر رقم الحساب الجاري (ccp) لأول مرة في الصفحة 05 من العدد 03 الصادر بتاريخ 04 ماي 1951.

[3] – أدرج القائمون على الجريدة رقم هاتفي خاص بتلقي الاتصالات، بداية من العدد التاسع عشر من السنة الثانية، الصادر بتاريخ 14 مارس 1953.

[4] – رصدت من أعداد الجريدة كاملة.

[5] – **المنار**، س1، ع08، 31أوت 1951.

1-2-التسمية والشعار:

كانت رغبة المناضل محمود بوزوزو في إصدار جريدة شاملة تكون مصدر غذاء ونهضة فكرية للأمة الجزائرية، مبديا أمله في أن تحذو الجزائر حذو القطرين الشقيقين، وتسعى قدما من أجل إصدار أكبر قدر من الصحف، فيقول في ذلك: "إنه لمحزن أن لا يكون للشعب الجزائري العربي المسلم من الجرائد والمجلات ما لشقيقتيه الشعبين التونسي والمراكشي".[1]

فأنشأ جريدة سماها "المنار"،[2] تفاؤلا ورجاء أن تكون في إنارتها لطريق الهدى والفلاح، وتبديدها لظلمات الباطل، كمنار الشرق التي كان يصدرها المرحوم الشيخ رشيد رضا[3]، تلميذ الإمام المصلح محمد عبده أواخر القرن التاسع عشر.

وهكذا كان الصحفيون الجزائريون يعترفون دائما بفضل الصحافة العربية الشرقية عليهم، سواء في ذلك ما أمدتهم به من غذاء فكري، أو ما أفادتهم به من أخبار الوطنين العربي والإسلامي، وما طبعت به أساليبهم من بيان رفيع ولغة راقية.[4] كما نجد زعيم الحركة الإصلاحية في العشرينات الشيخ عبد الحميد بن باديس يعترف بما لصاحب المنار من فضل لا على الجزائريين وحدهم بل على المسلمين قاطبة حيث قال:"إن الحركة الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية، بيانا ودفاعا كلها من آثار صاحب المنار".[5]

الأمر الذي تثبته آراء المعاصرين، مؤكدين أن زعماء الإصلاح والنهضة في الجزائر مطلع القرن العشرين أمثال الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ محمد بن مصطفى المجاوي وغيرهما يرجون من الشيخ رشيد رضا "أن لا

---

[1] - **المنار**، س1، ع4، 21ماي 1951.

[2] - ما تجدر الإشارة إليه أن هذه الجريدة عرفت عند كثير من الدارسين ب "جريدة المنار الجزائرية" نسبة إلى البلد الذي نشأت فيه، تمييزا لها عن "المنار المصرية" لمحمد رشيد رضا، فعلى الرغم من الفارق الزمني بينهما، والاختلاف في التوجه الفكري، بيد أن فكر الباحثين غالبا ما يتجه عند ذكر المنار مباشرة إلى المنار المصرية، خاصة وأن الدراسات حول المنار الجزائرية قليلة.

[3] - من مواليد سنة 1865م بقرية القلمون في لبنان، أين تلقى تعليمه الأول، تتلمذ على يد الشيخ حسين الجسر(ت.1909م) في المدرسة الوطنية في طرابلس الشام، طالع مبكرا بعض أعداد العروة الوثقى، مما أثر في فكره وأراد أن يسلك طريق جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، سافر إلى القاهرة عام 1897 وفاتح محمد عبده على ضرورة إعداد مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع على أن يكون اسمها المنار، فوافق الأستاذ الإمام على المقترح وأجاز الاسم، ومنذ نشأتها عملت على نشر رسالة تجديدية إصلاحية، مستمدة شرعيتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، مع اهتمامها بالتربية والتعليم ونشر المبادئ السلفية العامة، توفي في القاهرة في 1935م، ينظر: عمر رياض، علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر 1898-1935، **مجلة المواقف**، العدد 7، ديسمبر 2012، منشورات جامعة معسكر، الرشاد للطباعة والنشر، ص82، له مجموعة مؤلفات منها: الخلاف، الوحي المحمدي، مجلة المنار الإصلاحية، للمزيد انظر خير الدين الزركلي، **معجم الأعلام**، ج4، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ص226.

[4] - محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، مرجع سابق، ص59.

[5] - **الشهاب**، ج9، مجلد 11، ديسمبر 1935، ص 510.

تتدخل مجلة المنار في الشؤون السياسية، وأن لا تتعرض لفظائع فرنسا في المغرب والشام لكي لا تقطعها عنهم، فإنها غذاؤهم الوحيد، وأنسهم الفريد، وعدتهم الكبرى".[1]

وحقق الله رجاء الشيخ بوزوزو، فكانت المنار "منارة" هادية، وشعلة تبعث الحرارة في النفوس وإن لم يطل عمرها.[2] ويقول محمود بوزوزو أنه قد سماها "المنار" تفاؤلا ورجاء أن يؤتيها الله نورا من لدنه تنقشع به الظلمات الحالكة التي تخيم على أمتنا في جميع الميادين، وسيرسل المنار أشعته تطارد الظلام أينما حل، وتنير السبل للسارين أنى كانت وجهتهم السياسة أو الثقافة أوالدين أو الحرية.[3]

وعليه، اتخذت الجريدة شعار النور من القرآن الكريم من خلال افتتاحها بجزأين من آيتين في سورة النور وهما: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[4]، كما أتحفها الشاعر محمد العيد آل خليفة ببيتين شعريين صارا شعارا لها ابتدأ من العدد 10 إلى غاية صدور آخر عدد منها، هما كالتالي:

طُوبَنَا لِلْمَطَالِبِ كُلِ بَحرٍ طَمَى، وَبَدَتْ مَعَالِمُهَا الكِبَارُ

فَحَيَّتْنَا الشَّوَاطِئُ مِنْ بَعِيدٍ وَأَوْمَأَ بِالشُّعَاعِ لَهَا المنَــــارُ[5]

الملاحظ أن هناك أعداد من جريدة المنار صدرت خالية من نص الآية القرآنية الكريمة، وكذلك من البيتين الشعريين، كما نلاحظ غياب أو إغفال ذكر التاريخ الميلادي والهجري وباقي المعلومات الإدارية في الصفحة الأولى، وذكرها موزعة على باقي الصفحات إما في زاوية صغيرة أسفل الصفحة، أو بخط رقيق جدا في إطار أعلى الصفحة.[6]

وهذا راجع حسب ما نرى إلى غزارة المادة الفكرية التي ستنشرها المنار في ذلك العدد، والحيز المكاني غير الكافي، خاصة عند تزامن العدد مع مناسبات معينة، أو عند طرحه للآراء الموسعة للمشاركين في الاستفتاء مما اضطرها إلى الاستغناء عن هذه المعلومات، وربما سقطت سهوا في بعض الأحيان، غير أن هذا الاحتمال مستبعد جدا.

---

[1] – محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ص 28-29.

[2] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص222.

[3] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس1951.

[4] – سورة النور، الآية رقم 35، والآية رقم 40.

[5] – **المنار**، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

[6] – لاحظ مثلا العدد رقم 05 الذي صدر في صفحتين فقط، مما دفع بصاحب الجريدة إلى الاستغناء عن تخصيص إطار كبير في صدر الصفحة الأولى من العدد للمعلومات الإدارية، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

أوضحت المنار أن الوحدة أمر إلهي، وأعلنت مرارا تمسكها بقضية الوحدة الوطنية بين الأحزاب الجزائرية، وللتأكيد على ذلك وبالموازاة مع طرحها لاستفتاء هام حول قضية الاتحاد في الجزائر أرفقت ديباجة أحد أعدادها[1] بالآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {102} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.[2]

أنشدها الشاعر علي صادق نساخ بقصيدة شعرية جاء في مطلعها:

سَطَعَ النُّــورُ عَلَى هَذِى الدِيَّارْ مُنْذُ شَعَّتْ فَوقَهَا شَمْسُ المنَارْ

يَتَجَـــلّى كَهِــلَالٍ لَامِــعٍ مُشْرِقٍ بَادِي السَّنَا تَمَ المـدَارْ

قَدْ مَضَى عَامَيْنِ مِنْ عُمْرٍ مَضَى كُلُهُ جِـدٌ جَـــدِيرٌ بِاعْتِبَارْ

كُلُهُ نُصْحٌ وَرُشْــدٌ وَهُــدًى وكِفَــاحٌ كُــلُهُ نُــورٌ وَنَـارْ

من خلال هذه القصيدة نلاحظ إشادة الشاعر علي صادق نسّاخ بجريدة المنار؛ إذ شكلت منبرا حرا لفئات متنوعة من الشعب الجزائري، يتبادلون فيها الأفكار والآراء والحلول التي تخدم الأمة الجزائرية، فكانت مجالا للتخفيف من القمع الاستعماري المتواصل الذي سعى لخنق الحريات، وسدّت فراغا كبيرا في مجال الصحافة وحرية الرأي والتعبير في وقت اشتدت فيه الحاجة إلى مجالات رحبة كهذه تكون منبرا للتعبير عن طموحات الشعب الجزائري.

جعلت المنار شعارها[3] أنها جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة، نصف شهرية مؤقتا، أي أنها ستصدر كل 15 يوما، ومع تحسن ظروفها ستصدر يوميا بحول الله، وعليه أوضح مديرها محمود بوزوزو أنه كانت لديه رغبة في إصدار مجلة تشمل جميع ميادين الحياة بحيث "يجد فيها العالم ما يزيده إيمانا بالحقائق العلمية، والسياسي ما ينبه حاسته السياسية، والأديب ما يذكي قريحته، والشاعر ما يلهم عبقريته، والفنان ما يشجعه، والتلميذ ما يزيده شغفا بالدرس والمرأة ما يقوي شعورها بمسؤوليتها، والمتدين ما ينعش روحانيته، والشاب ما يزيد همته".[4]

[1] – وهو العدد الثامن عشرا من السنة الثانية الصادر بتاريخ 27 فيفري 1953.

[2] – سورة آل عمران: الآية رقم 102، 103.

[3] – ورد هذا الشعار أسفل عنوانها بخط أقل سمكا في صدر كل عدد، كما برز هذا الشعار أيضا على صفحة الغلاف الخارجي للمجلد الذي جمعت فيه كل أعداد المنار.

[4] – **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

من خلال هذه العبارات نستطيع فهم التوجه الفكري لجريدة المنار، من حيث أنها موجهة لكل الفئات والشرائح المكونة للمجتمع الجزائري -للعالم والسياسي، للأديب والفنان، للمرأة والرجل، للصغير والكبير-بغض النظر عن انتماءاتهم وميولاتهم دون إقصاء لأي فرد مهما كان جنسه، أو مستوى ثقافته.

1-3-السعر وعدد الصفحات:

انطلقت المنار بأربع (04) صفحات[1] لكل عدد وبقيت على هذا المنوال، مع وجود استثناءات:

- العدد الثالث (03) من السنة الأولى الصادر بتاريخ 04 ماي1951م، صدر في ست (06) صفحات كاملة.
- العدد الثامن عشر (18) من السنة الثانية الصادر بتاريخ 27 فيفري 1953م، صدر كذلك في ست (06) صفحات كاملة.
- العدد السابع والأربعون (47) الصادر بتاريخ 26 أوت 1953م الذي صدر في صفحتين فقط لظروف سيتم شرحها لاحقا، وبقيت المنار تصدر بهذا الحجم (صفحتين فقط) طيلة الأعداد 48، 49، 50، أما العدد الواحد والخمسون وهو العدد الأخير فقد صدر في أربع صفحات، وبصورة عامة فإن عدد صفحات الجريدة -منذ صدورها إلى أن توقفت-بلغ المائتين واثنان (202) صفحة.

وفيما يخص سعر الجريدة، فقد عرف بعض التغيرات بين الارتفاع والانخفاض تماشيا مع عدد الصفحات، ربما للظروف المادية الحرجة التي كانت تمر بها الجريدة؛ إذ كان سعر الجريدة عشرون فرنكا (20 فرنك) منذ صدور أول عدد إلى غاية العدد السابع الصادر بتاريخ 05 أوت 1951م، وخلال هذه الفترة كانت المنار تصدر في أربع صفحات، مع العلم أنه صدر العدد الثالث بتاريخ 04 ماي1951م في ست صفحات كاملة، لكن إدارة المنار لم تشترط أي زيادة في السعر وهذا دليل على استقرارها ماديا.

بداية من العدد الثامن (08) من السنة الأولى الصادر بتاريخ 31 أوت 1951م ارتفع السعر إلى خمسة وعشرون فرنكا (25 فرنك)؛ إذ كانت المنار تصدر بأربعة أعمدة في الصفحة الواحدة من العدد الأول إلى العدد السابع، وبداية من العدد الثامن بدأت تصدر بخمسة أعمدة في الصفحة الواحدة، فنبهت المنار إلى هذا التغيير والزيادة مقدمة اعتذارها لقرائها؛ فاتساع حجم الجريدة، كلفها زيادة في الورق، وزيادة في تكاليف الطبع، "خمسة أعمدة في كل صفحة"، فارتفع ثمن الجريدة.[2]

---

[1] - بلغ حجم الصفحة:24 /32سم.

[2] - **المنار**، س1، ع9، 15 أكتوبر 1951.

واستمر سعر الجريدة 25 فرنكا من عددها الثامن من السنة الأولى إلى العدد الأخير، مع وجود استثناءين هما:

- العدد الثامن عشر (18) الصادر بتاريخ 27 فيفري 1953م؛ إذ ذكرت المنار في أعلى الصفحة أن هذا العدد قد صدر في ست صفحات(06) فطلبت ثلاثون فرنكا (30 فرنك) مقابل العدد الواحد بدلا من 25 فرنك.
- الأعداد رقم ثمانية وأربعون(48)، تسعة وأربعون(49)، خمسون(50)، انخفض سعرها إلى عشرون فرنكا(20) لأنها صدرت في صفحتين فقط.

1-4-الاشتراك في المنار:

الاشتراك السنوي بجريدة المنار يقدر بخمسمائة فرنك (500 فرنك) مقابل 25 عددا أي عن سنة كاملة، بقي ثابتا من العدد الأول إلى العدد الثاني عشر حيث ارتفع إلى ستمائة فرنك (600 فرنك)، أما اشتراك التأييد أو أنصار المنار فبقي ثابتا ويقدر بألف فرنك (1000فرنك).

ونظرا للظروف المادية الصعبة التي واجهت الجريدة، كانت في كل مرة توجه نداءات متكررة تارة إلى قرائها تحثهم على الاشتراك[1] فيها لكي ينتظم صدورها ويتسع حجمها أو حتى تصدر أسبوعيا أو يوميا إذا تيسر ذلك، أما نداءاتها إلى الباعة فقد طالبتهم بتسديد حقوق الأعداد التي تم بيعها، وموافاتها بالأعداد الفواضل التي لم تباع.[2]

ويتبين من هذا السرد أن إدارة الجريدة حاولت قدر المستطاع المحافظة على استقرار أسعار الاشتراكات، وسعر النسخة طيلة فترة صدورها على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشتها، وهذا بخلاف ما يحدث الآن من ارتفاع مستمر لأسعار اشتراكات الدوريات والمجلات. كما أشارت المنار إلى متعهديها أن الرسائل والمقالات ترسل إلى عنوان: *Bouzouzou mahmoud,B,P, Alger Bourse*[3]

أما محصول البيع والاشتراكات فترسل إلى عنوان: *Bouzouzou Mahmoud, ccp 14, 76 Alger*

[1] – وردت عبارة اشتركوا في المنار الجريدة القومية الحرة في عدة أعداد منها العدد السادس الصادر بتاريخ 30 جويلية 1951.

[2] – **المنار**، س1، ع4، 21 ماي 1951.

[3] – ينظر مثلا العدد السابع من السنة الثانية الصادر بتاريخ 19 جويلية 1952.

1-5-تواتر الصدور والانقطاع:

تعد المنار من الجرائد التي حاولت المحافظة على استمرارية صدورها في ذلك الوقت، فبالرغم من الظروف الصعبة التي تسببت فيها السياسة الفرنسية، والتي ألقت بظلالها وتداعياتها على كل شيء بما في ذلك، الصحف والمجلات، إلا أن المنار شقت طريقها مواصلة مسيرتها لأكثر من ثلاث سنوات، ولم تحتجب عن الصدور إلا في مناسبات قليلة وهو أمر طبيعي عانت منه جميع الصحف في الوطن العربي في تلك الفترة.

فالدارس المتتبع لمجموع أعدادها الصادرة من 1951 إلى 1954م يجد أنها شهدت نوعًا من التذبذب والانقطاع في الصدور؛ إذ تعطلت عن الصدور لعدة أسباب؛ العطلة السنوية لعمال المطبعة، وتعطل المطبعة في بعض الأحيان، وبسبب الأزمات المادية التي كانت تمر بها في الغالب.

وعليه، كانت المنار تحتجب أثناء العطلة السنوية للمطبعة خلال شهر سبتمبر من كل سنة، وهذا ما رصدناه من خلال تتبعنا لتواتر صدور أعدادها طيلة ثلاث سنوات:

السنة الأولى: صدر العدد الثامن بتاريخ 31 أوت1951م، بينما صدر العدد التاسع بتاريخ 15أكتوبر1951م.[1]

السنة الثانية: صدر العدد التاسع بتاريخ 15أوت 1952م، ولم يتم إصدار العدد العاشر إلا بتاريخ 24 أكتوبر 1952م.

السنة الثالثة: احتجبت المنار عن الصدور لمدة تزيد عن الشهرين ونصف؛ إذ صدر العدد الثامن بتاريخ 06 أوت 1953، بينما تأخر العدد التاسع إلى تاريخ 06 نوفمبر 1953؛ إذ احتجبت المنار مدة جاوزت الشهرين احتجابا حيّر القراء في حين أصبح تعلقهم بها في ازدياد مطرد، وهو أمر لم تنفرد به الجزائر فقط، بل هو من الظواهر التي تحدث لأسباب سياسية ومادية كثيرة، وكما يذكر صاحب الجريدة: "وليس من الغريب أن تصيب المنار أزمة، بل من الغريب أن تسلم منها فتكون بدعا في الصحف البارزة في هذه الظروف".[2]

كما ورد تنبيه آخر من إدارة المنار تعتذر فيه لقرائها عن تخلف العدد رقم50[3] عن الصدور في أوانه، بسبب تعطل آلة الطباعة بإدخال إصلاحات عليها فاضطرت إلى تغيير تاريخه، بل وظهر في صفحتين فقط.

[1] – ورد في العدد التاسع الصادر بتاريخ 15 أكتوبر1951 اعتذار عن تخلف صدور هذا العدد عن موعده المعتاد، لأن المصففين بالمطبعة كانوا في عطلتهم السنوية.

[2] – **المنار**، س3، ع48، 06 نوفمبر 1953.

[3] – الحساب هنا باعتبار المجموع، وهو العدد 50 الصادر بتاريخ 11ديسمبر 1953.

2-الكتاب والأدباء والشعراء:

من مفاخر جريدة المنار أنه كتب على صفحاتها كتاب لامعون؛ نخبة من الكتاب والأدباء، وكوكبة من الشعراء، يمثلون عمالقة الأدب الجزائري الحديث، فهم الذين وضعوا لبناته وأرسوا دعائمه وكان لهم دور في النهضة الفكرية والأدبية التي ظهرت في الجزائر فيما بعد، فمنهم من كان يذيِّل عمله باسمه صراحة، ومنهم من يرمز إليه بحرف أو حرفين، وآخر يرمز لاسمه بلقب أو كنية، ومما تجدر ملاحظته أن معظم هؤلاء الكتاب كانوا من داخل الجزائر.

كما لاحظنا أنه لم يكن لجريدة المنار كتاب أو مراسلون صحفيون دائمون ومتخصصون في مواضيع معينة، بل كانت مفتوحة أمام كل من رأى في نفسه القدرة على الكتابة أن يكتب ويساهم، مع وجود استثناء واحد وهو محمد محفوظي الذي تخصص في تتبع تطورات القضية التونسية، كما أن مقالات عديدة كانت تحرر دون إمضاء أو بأسماء مستعارة. ولم تقتصر على كتابات هؤلاء، بل اجتهدت في النقل عن مجلات أخرى خاصة المصرية منها مثل: الأهرام، المصري، الدعوة، جريدة منبر الشرق، والجرائد المغربية خاصة جريدة العلم المراكشية، والأمة التطوانية، وجريدة الشعلة الطرابلسية، والرسالة التونسية، رسالة الباكستان، مجلة مرديكا الإندونيسية وغيرها، ملتزمة الدقة والتحري في النقل.

ومجمل القول أن المنار عرفت بكتاباتها الجادة الثرية في مختلف مجالات الثقافة الإنسانية التي حددتها لنفسها بداية من عددها الأول، ووقف إلى جانب رئيس تحريرها محمود بوزوزو، كتاب لامعون تعددت مشاربهم، وتنوعت آراءهم مما زاد الجريدة ثراء وقيمة فكرية نذكر أبرزهم على وجه الخصوص الكاتب محمد محفوظي الذي رابط بها مرابطة دائمة، عبد الحميد مهري، محمد قنانش، محمد الصالح الصديق، أحمد رضا حوحو، مولود قاسم، الطاهر سمغوني، قاسم الجزائري، الحارث بن ثريد، علي بن حالة، مولود الطياب.

وذلك لأن المنار سطرت سياسة تتمثل في مطالبة الشعب الجزائري بالكتابة على صفحاتها[1]، منادية بضرورة إحياء تراثهم الإسلامي، فنجدها وجهت دعوة للجميع وذكّرت بأنها مفتوحة ومتاحة لكل من أدلى بدلوه أو قلمه في أي مجال، حيث وضعت صفحاتها بين أيدي الجميع، مبينة أهدافها بوضوح، مشيرة أنها على استعداد دائم لمساعدة الكتاب والمفكرين على أداء أمانتهم الشريفة، وخدمة أمتهم بأقلامهم، بعيدة عن كل احتكار، بل

[1] - ذكرت المنار بأن كل مراسلات القراء، ومشاركاتهم، وانتقاداتهم تتشرف بها وتزيدها بهاء، واسترسلت في حث قرائها على ضرورة المساهمة في إحياء التراث الفكري الجزائري العربي، رصدت من خلال تتبعنا لأعداد الجريدة.

ويسرها أن تراهم قائمين بواجبهم كاملا غير منقوص، بإنشاء صحف ومجلات ترفع من شأن العرب الجزائريين، وتبرهن على أن الجزائر جديرة بأن تعتمد عليها العروبة والإسلام في الميدان الفكري على الأقل.[1]

3-الأسماء المستعارة:

اضطر كثير من الكتاب الصحفيين إلى التستر وراء ألقاب مستعارة، نتيجة الإجراءات القمعية والتعسفية المتخذة من طرف السلطات الفرنسية، تراوحت بين؛ الغرامة، والنفي، والملاحقة، والاستجوابات البوليسية اليومية تقريبا، لهذا لا نكاد نعرف صحفيا جزائريا واحدا من هؤلاء في العشرينات أو الثلاثينات وإلى غاية الخمسينات لم يلجأ إلى اتخاذ لقب أدبي مستعار؛ "بل يلجأ بعض أصحاب هذه الصحف أحيانا إلى التقية متظاهرين بإسناد إدارة جرائدهم إلى أشخاص قد لا يلتفت الاستعمار إليهم؛ لاعتبارات سياسية، أو أنهم يتمتعون بحصانة الجنسية الفرنسية".[2]

نتيجة لهذه الوضعية، كان صاحب المنار مرغما بحكم ظروف الوسط الجزائري وعلاقته بصحافة البلاد على نشر مقالات بأسماء مستعارة، ولا تقتصر هذه الظاهرة على الصحافة الجزائرية فقط، وإنما كانت كذلك من سمات الممارسة الصحفية في العالم العربي آنذاك، وتأكيدا على ما وقع من تعسف على الصحافة في الجزائر خاصة وفي الوطن العربي عامة، يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة: "لقد كان بجريدة المؤيد مكاتبون في شتى أنحاء العالم...إلى مكاتبين آخرين في كل من مراكش وتونس والجزائر، وكان هؤلاء يخافون على أنفسهم بطش الحكومة الفرنسية، فلم يعلنوا عن أسمائهم".[3]

وبالتالي فإن مجرد التصريح أو الإمضاء بالاسم الحقيقي غدا جريمة سياسية على حد تعبير أحد الصحفيين، لذا فإن الكثير من المقالات التي نشرت في جريدة المنار لم تكن موقعة بالاسم الصريح لكاتبها، بل تنوعت الألقاب، فمنها ما كان يرمز إليه بالأحرف، ومنها من أشار لاسمه بأسماء مستعارة لا تكاد تخلو من الطرافة أو الغرابة في بعض الأحيان، وهذه بعض النماذج منها:

1. الكتاب الذين يستخدمون الأسماء دون ألقاب مثل: عبد الله، إبراهيم، محمود، فوزي.
2. الكتاب الذين يوقعون مقالاتهم بذكر كنيتهم مثل: أبو الأمين، ابن عطية، ابن عمار، العربي، ابن البشير.

---

[1] - **المنار**، س1، ع4، 21ماي 1951.

[2] - محمد حمدان وآخرون، مرجع سابق، ص82.

[3] - ساحل عبد الحميد، **عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، 1906-1927 دراسة تحليلية**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار 2013، ص 43.

3. الكتاب الذين يستخدمون الصفات؛ منها ما يدل على العلم والأدب مثل: قارئ، المطالع، كاتب، مراسلكم، مصحح، باحث، كشاف، مثقف، وبعضها يرمز إلى النقد مثل: الناقد، ملاحظ، مشاهد، وبعضها الآخر صفات تهكمية مثل: المقنع، حاضر، صديق.

4. الكتاب الذين يستخدمون الحروف مثل: ق، ج، ب...الخ، أو الأسماء مع حروف مثل: أحمد.خ، أو الحروف مع أسماء بلدانهم وقبائلهم مثل: ب.ص(فاس)، ع.ب (المغرب الأقصى)، (ق.ج) القاهرة.

5. خامسا: الكتاب الذين يستخدمون ألقابا تدل على الأماكن، أو البلدان، أو القبائل التي ينتمون إليها مثل: فوزي البليدي، تونسي، الفتى الجزائري، الشاب الظريف التلمساني، عمر الجزائري، محمد المتيجي.[1]

هذه بعض النماذج للأسماء المستعارة التي حفلت بها صفحات جريدة المنار، ولا شك أن مسألة عدم التصريح بالأسماء الحقيقية تعتبر إشكالا علميا للباحثين ذوي التوجهات المنهجية المختلفة في محاولتهم لفهم وتحليل ذلك الإنتاج الثقافي والفكري، وذلك في محاولة نسب المقالات لأصحابها الحقيقيين.[2]

ولابد هنا من الإشارة إلى بعض الأسماء التي تم التحقق من أسمائها المستعارة، من خلال مقارنة كتاباتها، اهتماماتها وتوجهاتها الفكرية، منها محمد المتيجي وهو محمد محفوظي، أبو الأمين هو محمد قنانش، أما عبد الله، المطالع، وقارئ، فيرجح الباحث محمد ناصر أنها إمضاءات لصاحب الجريدة نفسه.[3]

4-دور الصور والرسومات في إثراء محتوياتها:

اهتم القائمون على جريدة المنار برصد الصور بصورة عامة؛ سواء صور الأشخاص أو الأماكن أو بعض الرسومات وغيرها، ويرجّح هذا القول ظهور الصور في أربعة وثلاثين (34) عددا من مجموع أعداد الجريدة البالغة واحد وخمسون (51) عددا؛ أي بنسبة تزيد عن 66%، إذ بلغ تعداد الصور المنشورة على صفحات المنار المائة وتسع صور (109).

وأول صورة ظهرت كانت في صدر الصفحة الأولى من العدد الثاني، وهي صورة للملك المغربي "محمد بن يوسف" بعنوان: "محمد بن يوسف ملك المغرب أعانه الله"، والصورة الثانية ظهرت أسفل الصفحة الأولى من العدد السادس الصادر بتاريخ 30 جويلية 1951م وتبين أعضاء اللجنة الإنشائية لتأسيس ج.ج.د.ح.إ والمتكونة

[1] – رصدناها من تتبعنا للأسماء المستعارة في مجلد المنار كاملا.

[2] – ساحل عبد الحميد، مرجع نفسه، ص42-43.

[3] – محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 399.

من السادة: أحمد مزغنة، مصطفى فروخي، محمد خير الدين، الشيخ العربي التبسي، أحمد محمودي، بول كاباليرو، أحمد فرانسيس، والأستاذ قدور ساطور.

أما العدد الذي احتوى أكبر قدر من الصور فهو العدد السابع من السنة الأولى الصادر بتاريخ 15 أوت 1951م، بتعداد ثمانية (08) صور كاملة؛ صورتين في الصفحة الأولى، ثم ظهرت الصور الأخرى في الصفحات التالية (3، 4)، كانت هذه الصور لكبار الشخصيات المشاركة في تأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية من أعلى منابرهم يقدمون خطاباتهم ويشرحون برنامج عمل ج.ج.د.ح.إ.

وبعدها توالى ظهور الصور على صفحات جريدة المنار لكبار الشخصيات الوطنية والعربية، إذ نشرت صورة لزعماء الحركات التحررية الاستقلالية ببلاد المغرب في إطار زيارتهم للشرق،[1] راجين من الدول العربية والإسلامية الديمقراطية الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة أن ترفع قضيتهم للنقاش أمامها، أما الأشخاص الذين ظهروا في الصورة فهم: الدكتور منصور فهمي باشا، الزعيم مصالي الحاج، الشيخ عبد اللطيف دراز مدير الأزهر والمعاهد الدينية، والمفتي الأكبر أمين الحسيني، وسعادة فؤاد أباظة باشا رئيس الجمعية الملكية للفلاحة.

وفيما يتعلق بصور المواقع والأماكن فإنها لم تظهر بكثرة في الجريدة، ماعدا في موضعين فقط، أما الأول فعمدت المنار إثر تلقيها لدراسة عن دولة الباكستان نشرت على صفحاتها في العدد السابع عشر الصادر بتاريخ 29 فيفري 1952م، قام بها الأستاذ مراد كيوان أحد المهتمين بالشؤون الإسلامية، وممثل الجمعية الأحمدية بلاهور في الجزائر إلى نشر خريطة توضح الموقع الجغرافي لدولة الباكستان وحدودها الإقليمية، مع تحديد عاصمتها، وبعض مدن الهند، ناهيك عن علمها الوطني الأخضر اللون الذي حرصت على إظهاره أعلى يمين الخريطة.

أما صورة المكان الثاني فتُمثل صورة للمسجد العظيم الذي شيّده المسلمون في حي بلكور بالجزائر العاصمة، ظهرت الصورة في أسفل الصفحة الثانية من العدد الثامن والأربعون (48)،[2] ونشر مثل هذه الصور دليل على اهتمام الجريدة بالأمور الدينية، ومباركتها للأعمال الخيرية، وتقديم شكرها لرجال الوطن المخلصين المشرفين على مثل هذه المشاريع الجليلة.

إن نشر المقالات مرفقة بالصور يؤدي إلى تغيير في الرأي عند القراء أهم بكثير مما إذا نشرت المقالات دون صور، أو مفرقة عن الصور، فالمقال والصور والرسوم إذا كانوا سوية "يلعبون دورا بالغا في تغيير الرأي العام،

[1] – ينظر العدد العاشر الصادر بتاريخ 22 أكتوبر 1951.

[2] – العدد 48 من السنة الثالثة الصادر بتاريخ 06 نوفمبر 1953.

والتأثير فيه أهم بكثير مما إذا كان الرسم مقدما عن المقال".[1] لهذا عمدت هيئة تحرير المنار على إدراج الصور وتوظيفها مع المقال بغية تحقيق أهدافها.

5-أركانها:

الافتتاحية: كما يستشف من اسم الباب فإن الافتتاحية تكون في صدر الصفحة الأولى من كل عدد، وترتكز على شرح وتفسير وتحليل الأحداث الهامة، والقضايا الشائكة على الساحة الوطنية والمغاربية وحتى الدولية، لذا "تعد النافذة التي يطل من خلالها القارئ على سياسة الجريدة وتوجهها، والأهداف التي تناضل من أجلها."[2]

والمقال الافتتاحي هو أول ما يطالعه القارئ، تولى تحريره في معظم الأعداد تقريبا مدير الجريدة ورئيس تحريرها الأستاذ محمود بوزوزو؛ يغطي هذا الباب الأخبار الداخلية المتعلقة بتطورات الأحداث والمستجدات على الساحة الوطنية، إلى جانب تغطية بعض المناسبات والأحداث الوطنية كذكرى أحداث الثامن ماي، وذكرى استسلام الأمير عبد القادر وغيرها، مع معالجة بعض القضايا كالتعليم ومؤسساته بالجزائر.

ففي افتتاحية العدد الأول منها مثلا، وضح محمود بوزوزو في مقال موسع الخطوط العريضة للجريدة، وأهدافها التي تبلورت بشكل واضح في الأعداد الموالية، وفي السنة الأخيرة استحوذت أفكار الوحدة الوطنية بين الأحزاب الجزائرية على مساحة الافتتاحية، وأحيانا على الجريدة بأكملها.

-معرض الصحافة: برز هذا الركن بعناوين مختلفة نذكر منها: معرض الصحافة العالمية، معرض الصحافة المغربية، الحوادث التونسية في الصحافة العالمية، إذ دأب على عرض مقتطفات من بعض الصحف العربية والأجنبية، مع التنويه لما يكتبه المفكرون والأدباء والمصلحون وقادة الأحزاب السياسية خاصة في العالم العربي، أما فيما يخص مصادر هذه المقتطفات فكانت مقتبسة من أهم الصحف الإصلاحية الكبرى أشهرها: الرسالة(تونس)، الأمة التطوانية(المغرب)، الدعوة المصرية، العلم المراكشية، لواء الإسلام، جريدة منبر الشرق، الأهرام المصرية، ومقتطفات من بعض الصحف الأخرى غير العربية مثل: لاسويس (جنيف)، لوبسير فاتور (فرنسا).

-في المحيط الدولي: يغطي الحوادث والأخبار المهمة في مختلف المجالات مع التركيز أكثر على المستجدات السياسية والاقتصادية على وجه الخصوص، مركزا على أحدث الأخبار العالمية وتطوراتها، وتشمل تغطيته لكل دول العالم شرقا وغربا.

---

[1] - رولان كايرون، **الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص462.

[2] - عواطف عبد الرحمان، **الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 73.

-في الأسرة الصحافية: وهو من الأبواب الرئيسية في الجريدة، ورد بأسماء مختلفة؛ في عالم التأليف، مكتبة المنار، بريد المنار، يطلع من خلاله قراء المنار على أهم الإصدارات الفكرية في الجزائر وخارجها، سواء ما تعلق بأهم الصحف الصادرة حديثا أو التنبيه إلى توقف بعضها الآخر عن الصدور، كما اهتم أيضا برصد جديد الكتب والتأليف مع إعطاء تصور شامل لمحتوياتها، سعرها، تواريخ نشرها.

-الإعلانات: ما ميز المنار عن غيرها من الصحف والجرائد المعاصرة لها، قلة الإعلانات بها؛ إذ كانت تصل أحيانا في تلك الجرائد إلى خمسين بالمائة من المساحة المطبوعة، غير أن المنار خالفت هذا المنهج، وحرصت على نشر الأهم والأنفع؛ إذ خصصت إعلاناتها لنشر قوائم بعض الطلبة الناجحين، وفي مرات أخرى الإعلان عن بعض الوفيات بعناوين مختلفة؛ عزاء، إلى دار البقاء، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن ذلك نشرها لخبر وفاة العالم الأديب فرحات بن الدراجي[1] بعد مرض طويل، مشيدة بأهم خصاله، ذاكرة أنه قضى معظم حياته في خدمة العلم ونشر اللغة العربية، وبث الفكرة الإصلاحية في سلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عين كاتبا فيها مدة من الزمن، مشيرة إلى مكان دفنه مقدمة أصدق التعازي لعائلته وأصدقائه راجية للجميع الصبر الجميل. كما نشر الأستاذ محمد الصالح الصديق مقالا موسعا نشره في حلقتين عند وفاة الأديب التونسي المرحوم الأستاذ محمد بوشربية، معددا مناقبه، متناولا بالتفصيل: مولده، نشأته العلمية، حياته الأدبية، حياته الاجتماعية، آثاره.[2]

إن الأبواب السالفة الذكر هي الأبواب الرئيسية في الجريدة، وهي الأكثر ثباتا وانتظاما في معظم الأعداد، كما احتلت في مجموعها المساحة الأكبر من صفحات الجريدة كاملة، غير أن ما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأبواب غالبا ما كان يمسها الحذف أو الزيادة أو التغيير، فإلى جانبها ظهرت أبواب أخرى أقل انتظاما، وبعضها ظهر في أعداد قليلة، وبعضها الآخر كان يظهر ثم يختفي مثل: كلمة وجيزة، المنبر الحر وغيرهما. كما خصصت المنار ركن صغير ثابت تقريبا في كل عدد حمل عناوين مختلفة: تنبيه، اعتذار، شكر، استدراك، إلى متعهدينا الأفاضل، إلى الباعة، إلى القراء، إصلاح خطأ، من ذلك ما سيأتي ذكره:

---

[1] – ينظر العدد الرابع من السنة الأولى الصادر بتاريخ 21 ماي1951.

[2] – المنار، س2، ع9، 15 أوت 1952.

–استدراك: سعت المنار لاستدراك العديد من الأخطاء[1]، أحيانا تكون بتقديم أو تأخير بعض المعطيات عن غيرها؛ إذ أشارت مثلا إلى الخطأ الذي وقع في الرمز البريدي لصاحب الجريدة،[2] وإغفال ذكر مصدر بعض المقالات،[3] وأحيانا بإسقاط المطبعة لبعض الكلمات،[4] كما أشارت إلى الخطأ الوارد في أرقام المدارس والمعلمين حسب الإحصاء المذكور في التقرير الأدبي ل: ج.ع.م.ج.[5]

–اعتذار: واظب القائمين على جريدة المنار على تقديم اعتذارات لقرائهم ومتعهديهم في عدة مناسبات، خاصة عند تخلف المنار عن الصدور،[6] أو عند ارتفاع ثمن الجريدة،[7] كما اعتذرت لقرائها على إثر وصول الجريدة في كثير من الجهات متأخرة عن أوانها، مرجعة هذا إلى إدارة البريد وحدها، حيث تفاقم المشكل، وطالبت المسؤولين بضرورة معالجة الموضوع لأنه سبب خللا واسعا في السير الحسن للجريدة وتوزيعها.[8]

6–أشكال الكتابة فيها وأسلوبها:

إن الدارس لجريدة المنار يرى أنها مثلت بحق المستوى الذي آلت إليه الصحافة الجزائرية، حيث شهدت تطورا ملحوظا خاصة إذا أخذنا في الحسبان تأثرها بالصحافة المشرقية والمصرية على وجه الخصوص شكلا ومضمونا، إذ ظهر على صفحاتها إنتاج غزير متنوع، موظفة عدة أجناس وأساليب صحفية؛ الافتتاحية، المقال بأنواعه؛ ذي الطابع التحليلي، ذي الطابع الوصفي، ذي الطابع النقدي، الخبر، التحقيق، التعليق، والإعلان.

والهدف من وراء ذلك التنوع والتعدد في أشكال كتابتها إضفاء طابع الشمولية على محتوياتها، سعيا من القائمين عليها للوقوف عند رغبات جميع القراء، وإرضاء أذواق كل المهتمين بها، وبالقضية الجزائرية مهما اختلفت

---

[1] – من ذلك ما وقع من خطأ في الآية القرآنية الكريمة من سورة النور في عددها الأول، والتي زيد فيها لفظ "من عباده"، والخطأ الوارد فيما يتعلق بإمضاءين في الصفحة الثالثة من العدد44 وذلك بوضع كل من حراث بن جدو وقدور بن داود مكان الآخر، حيث قدمت اعتذارها إلى صاحبي الإمضاءين وإلى القراء. ينظر: المنار، س3، ع45، 10 جويلية 1953.

[2] – نوّهت إلى خطئها في عنوان صاحبها بأسفل الصفحة الثانية من العدد السادس من السنة الأولى، فالأصح هو: 76-14 وليس 67-14، وطلبت من كل الذين أرسلوا الأموال إلى هذا الرقم الخاطئ أن يطالبوا إدارة البريد بإحالتها إلى الرقم 76-14.

[3] – الأحزاب السياسية في باكستان، فمصدره رسالة الباكستان، ومقال آخر حول نهضة المرأة الإندونيسية فمصدره مجلة مرديكا الإندونيسية، فاعتذرت المنار عن صدور مثل هذه الأخطاء، ووعدت قراءها بتلافيها مستقبلا. المنار، س2، ع6، 4 جويلية 1952.

[4] – ينظر مثلا العدد 17 من السنة الأولى الصادر بتاريخ 29 فيفري 1952 أشارت المنار للخطأ الواقع في خطاب الزعيم مصالي الحاج بالسطر الثامن في العمود الخامس من الصفحة الرابعة من العدد السادس عشر الصادر بتاريخ 15 فيفري 1952.

[5] –كتبت المنار أن عدد المدارس هو 123 والصواب 125 مدرسة، وعدد المعلمين 175 والصواب 275، المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

[6] – الأمثلة عن ذلك كثيرة؛ س1، ع4، 04 ماي 1951، وأيضا ما ورد في العدد السادس من السنة الأولى الصادر بتاريخ 30 جويلية 1951، والعدد الثامن عشر الصادر في 27 فيفري 1952.

[7] – ينظر العدد التاسع من السنة الأولى الصادر بتاريخ 15 أكتوبر 1951.

[8] – المنار، س2، ع4، 23 ماي 1952.

توجهاتهم وتنوعت مشاربهم، معتمدة على الطرح العلمي الموضوعي متوخية في ذلك الابتعاد عن الميولات الذاتية والأهواء الشخصية، الأمر الذي أكده مديرها بقوله:"يعمل المنار في جميع الميادين المذكورة بالطريقة الموضوعية، وذلك بعرض المسائل عرضا مجردا من كل غرض وهوى، وفتح أبحاث ودراسات، وبسط المشكلات المتعلقة بكل ميدان بسطا واضحا والبحث عن الحلول المعقولة بحثا واسعا".[1]

كما حرصت جريدة المنار على إقناع الشعب بسمو رسالتها، متبعة في ذلك أسلوبا سهلا لا تعقيد فيه ولا تأنق ببعده عن الفهم، وهذا يهدف بطبيعة الحال إلى تسهيل استيعاب المعاني دون إيجاز مخل ولا إطناب ممل، متوخية الصراحة التامة مع تكرار بعض الحقائق لإقرارها في الأذهان، فجاءت المنار في متناول كل قارئ وكانت المواضيع المطروقة مما يهم أغلب القراء، هذا ولم تأت بشيء جديد وليست بدعة في الصحف؛ إذا يعتبر رئيس تحريرها أنه "لم يأت بالشيء الجديد، وأنها ليست بدعا في الصحف، إن هي إلا ثمرة من ثمار الجهود التي بذلها السابقون في سبيل القضايا العادلة."[2]

عالجت منذ صدورها العديد من المواضيع السياسية والدينية والثقافية وغيرها، واتبعت في ذلك سياسة التوازن بين الجوانب المختلفة والقضايا التي عالجتها؛ إذ عمل صاحبها على تحليل المواضيع الذي يكتبها وينشرها بأسلوب علمي سليم، لتوجيه فكر القراء والمتابعين توجيها إسلاميا صائبا، منتقدة السياسة الاستعمارية بلهجة حادة دون مجاملة أو تملق، مطالبة بمراجعة العلاقة بين الأمة الجزائرية وفرنسا، وبنائها على مبدأ حق الشعوب في تولي شؤونها بنفسها، وعن أسلوبها ذكر الباحث محمد ناصر أنها "تميزت بأسلوبها الصريح الذي لا يعرف لينا ولا اعتدالا، ولا يختفي وراء رمز أو تلميح"[3]، الأمر الذي وضحه رئيس تحريرها بقوله: "وعليه حرصت المنار على أن تجعل كل ما تطرقه من المواضيع في متناول القارئ المتوسط، تعميما للفائدة، مؤثرة الصراحة على طريقة ما بين السطور، فكان الإقبال على الجريدة بحمد الله فوق المتوقع حتى صارت الرسائل والبرقيات تنهال على صاحب الجريدة من كل مكان بطلب زيادة الكمية المرسلة".[4]

---

[1] - **المنار**، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[2] - **المنار**، س2، ع20، 27 مارس 1953.

[3] - محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص393.

[4] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

ثالثا: موقف الإدارة الاستعمارية منها وعوامل انقطاعها عن الصدور:

1- موقف الإدارة الاستعمارية منها:

1-1-المضايقات والاعتداءات المتكررة على صاحب الجريدة:

لضرب الاتجاه الوطني الذي أصبح قويا في هذه المرحلة راحت السلطات الاستعمارية تستعمل أسلوبا من القهر والمتابعة الشديدين،[1] وبما أن النصوص القانونية ليس فيها ما يخول لها ذلك، لجأت إلى اختلاق معاذير لضرب أو مصادرة الصحف الوطنية، "وإذا كانت المتابعة بين 47-52 مقنّعة وخفية، فإنها أصبحت بداية من سنة 1952م علنيّة قهرية".[2]

وعليه، فإن تشبث المنار بمبادئها، لفت إليها انتباه السلطات الفرنسية التي قطعت موارد الحياة عنها، ولذا فإنها رغم إنسانيتها وبعدها عن العنصرية وعن كل الأغراض الدعائية، لم تسلم من أيادي الاستعمار، الأمر الذي وضحه مديرها بقوله: "ورغم ما تتسم به المنار من روح إنسانية بعيدة عن كل عنصرية، وعن كل أغراض عدائية ودعائية، وعن كل تهويل وترويع، فإنها لم تسلم من العدوان الاستعماري".[3]

إن هذه الإجراءات التعسفية كثيرا ما كانت تتجاوز حدود مصادرة الجريدة أو توقيفها إلى صاحب الجريدة نفسه، فتصيبه بالغرامة والسجن، والتهديد بالنفي، والملاحقة والاستجوابات البوليسية، وفي هذا السياق استدعت إدارة شرطة الاستعلامات بدار عامل العمالة بالجزائر العاصمة صاحب الجريدة السيد محمود بوزوزو، فتراخى في تلبية النداء، الذي لا يخوله القانون الفرنسي إلا لقاضي البحث. ولكن عناصر الشرطة تعدت حدود ميدانها، وصممت على عدوانها، فكان شرطيان موظفان بمدينة البليدة يترددان إلى منزله هناك كل مساء ويقلقانه وقت الفطور في شهر رمضان المعظم، ناهيك عن استغلال فرصة غيابه عن المنزل لإزعاج أهله، وأخيرا أعلمه أحدهما عن سبب الاستدعاء وهو البحث عن محرر في جريدة "الجزائر الحرة" فصرفه المدير برد مقنع.[4]

لكن إدارة الشرطة لم تقتنع بذلك فلجأت إلى الشدة، وهكذا سيق مدير المنار مكرها من منزله بالبليدة إلى مركز إدارة الشرطة بدار عامل العمالة بالجزائر،[5] وذلك في صباح يوم الجمعة من شهر رمضان المعظم-إهانة

---

[1] – نظرا للمتابعة الشديدة للصحف الوطنية الجزائرية كانت السلطات الفرنسية تحت إشراف ومراقبة الفيدرالية الوطنية للصحافة الفرنسية تقوم بإحداث بطاقات خاصة بكل الصحف الناشطة وبأصحابها أيضا، وكمثال على ذلك ينظر الملحق رقم 18 الذي يحمل صورة توضح بطاقة تعريفية لمدير جريدة المنار تتوفر على صورة له ومعلوماته الشخصية مع بيانات عن الجريدة التي يديرها.

[2] -محمد حمدان، مرجع سابق، ص 73.

[3] – **المنار**، س2، ع20، 27 مارس 1953.

[4] – **المنار**، س2، ع5، 20 جوان 1952.

[5] – ينظر الملحق رقم 18.

لشعائر الإسلام-، وهناك استنطقه الكوميسار توران ثم فور سيولي، وسبب الاستدعاء كما ذكر هو البحث عن أحد المحررين في جريدة الجزائر الحرة، نعم يُبْحث مدير المنار عن محرر في الجزائر الحرة، فما كان جواب المدير طبعا إلى أن أحال السائل على مدير جريدة الجزائر الحرة الذي هو المسؤول الوحيد عن محرري صحيفته.

ولا شك أن مثل هذه التصرفات تطبيق عملي لمضمون قوانين الحكومة الفرنسية؛ إذ ذكر بوزوزو أن مثل هذا التصرف الجائر لا يُرى إلا في الجزائر، أين تحل شرطة الاستعلامات محل قضاة البحث، لأن خرق القوانين لمضايقة العرب سائغ، فإلى متى والمسلم الجزائري هدف لهذه الاستفزازات والتحرشات والتحديات البوليسية؟

الأمر الذي أدى به إلى استنكار مثل هذه التصرفات من دولة تدعي الديمقراطية، يوضح أكثر في ذلك فيقول: "إننا نسجل هذا العدوان كارهين لأننا كنا نظن حين صرفنا عنا الشرطة بأدب بأنها أوتيت من الذكاء ما يمسكها عن إلزامنا بتسجيل عدوان جديد منها...ونحن نريد أن نسخر قلمنا في الإشادة بعهد جديد ينسينا هذه النظم البالية المنافية للعقل والشرع والمدنية، ولكن تجري رياح الظلم بما لا تشتهيه روح العدل، فإن هذا العدوان يدل على أن الإدارة الاستعمارية تريد بجريدة المنار سوءا".[1] مستدلا بالآية القرآنية الكريمة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[2]

1-2-الاعتداءات على الباعة والقراء:

إن تعسف الإدارة الاستعمارية لم يمس مدير المنار فقط، بل تجاوز ذلك، إذ وصل إلى الاعتداء على باعتها، سواء داخل الجزائر أو خارجها في الأقطار التي كانت تصل إليها؛ ففي الجزائر نال باعتها كثير من المظالم في كثير من الجهات نخص بالذكر منها مدينة طولقة؛ إذ بلغ جنون الطغيان بالحاكم الاستعماري إلى أن اعتدى على بائع المنار هناك، اعتداء يترفع عنه أقل الناس شعورا بالكرامة، ونذكر كذلك مدينة واد سوف حيث وصل جنون السلطة إلى ارتكاب ما لا يوصف من المظالم على بائع المنار هناك.[3]

وفي مدينة بسكرة بالجنوب الجزائري كان أحد الشبان واسمه مزيو محمد، يبيع جريدة المنار في الشوارع، وبينما هو قائم بعمله إذ هاجمته الشرطة وحملته إلى مكتبها، وانتزعت منه الكمية التي كان يحملها من نسخ المنار، وبحثته بحثا دقيقا، ثم أطلقت صراحه، وأمسكت عندها النسخ المنتزعة منه، والتي بلغ عددها تسعة وثلاثون (39) نسخة كاملة.[4]

---

[1] - **المنار**، س2، ع 5، 20 جوان 1952.

[2] - سورة التوبة، الآية رقم 32.

[3] - **المنار**، س2، ع20، 27 مارس 1953.

[4] - **المنار**، س1، ع8، 31 أوت 1951.

ولم تسلم المنار بعدها من السهام الاستعمارية، والعراقيل الدائمة؛ إذ جاءتها الشكايات من عدة مدن بالقطر الجزائري؛ بسكرة، الميلية، البيض، حمام بوحجر، وهران وغيرها تستنكر اعتداء الشرطة على الباعة، وهو أمر طبيعي وغير مستغرب من طرف أعداء النور، خاصة إذا ما تمت مقارنته بالظروف سالفة الذكر، وموقف الساسة الفرنسيين من حرية الرأي والتعبير في الجزائر.[1]

تأكيدا لما سبق، قامت الحكومة الفرنسية بأعمال القمع والمصادرة للحيلولة بين الجريدة ومشتركيها ومراسليها في أقطار كثيرة، فحرصت على قطع المواصلات مع البلدان التي كان للمنار مشتركون فيها، وحاربتها مع منعها من دخول الشقيقتين تونس والمغرب.

ونظرا لاهتمام المنار بقضية المغرب الأقصى، جاءتها الرسائل من متعهديها هناك تخبر بمنع بيعها، كما منعتها من دخول مدينة فاس، وقد ورد تنبيه إلى ذلك في المنار؛ إذ أرجعت كمية كبيرة من نسخ العدد الخامس من صحيفة المنار الصادر بتاريخ 20 جوان 1951م، كان طلبها أحد المتعهدين بمدينة فاس فأرسلت إليه بطريق البريد، لتفاجأ إدارة المنار بإعادة الملفات كما هي، وكتب عليها بالفرنسية "*Interdit*" "ممنوعة".[2] وكذا الحال في العديد من المدن المغربية، فكثيرا ما أعيدت المنار من مكاتب البريد مكتوب عليها ممنوع.

وفي عددها الموالي، جاء الرد من بائعها في فاس، إذ ذكر أن مدينة فاس قد أغلقت أبوابها دون المنار، فأشارت الجريدة إلى هذا التعدي على حرية الرأي والتعبير حتى خارج القطر الجزائري؛ إذ جاءها جواب من متعهد لها بمدينة الرباط يقول: "أما بعد، فالرجاء منكم أن توقفوا إرسال الجريدة إليّ، وذلك حيث وقع منعها بالمرة وعلى يد السلطة".[3] وهكذا في الوقت الذي استبشر فيه إخواننا المغاربة بزوال الرقابة على النشاط الصحفي، ها نحن نتفاجأ بنوع آخر من دوس حرية الصحافة.

2-عوامل انقطاعها عن الصدور:

قبل التطرق إلى أسباب احتجاب الجريدة عن الصدور ودوافعه، توجب علينا طرح السؤال التالي: هل نجحت المنار في تحقيق رسالتها وبلوغ أهدافها والتمسك بمبادئها طيلة فترة صدورها؟

الإجابة عن ذلك تكون بطبيعة الحال نعم، ويتضح ذلك من خلال ما ذكرناه وما لاحظناه على المسيرة النضالية لهذه الجريدة، وأثره في نهضة الشعب الجزائري، إذ نجحت نجاحا تاما فسدّت بذلك فراغا في الحياة الفكرية

[1] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[2] - **المنار**، س1، ع 6، 30 جويلية 1951.

[3] - **المنار**، س1، ع 7، 15 أوت 1951.

والسياسية، ينتظرها كل القراء المؤمنين بمبادئها؛ إذ زاد الإقبال عليها والتلهف على قراءتها، يقول عن ذلك صاحبها: "فكان الإقبال على الجريدة بحمد الله فوق المتوقع، حتى صارت الرسائل والبرقيات تنهال علينا من كل مكان بطلب زيادة الكمية المرسلة".[1]

وعليه، يلاحظ عن المنار أنها استطاعت أن تحقق رسالتها منذ نشأتها إلى أشهر قليلة قبل اندلاع الثورة التحريرية بثبات منقطع النظير، فكونت لها أسرة من الكتاب والمراسلين ناهيك عن القراء داخل القطر الجزائري وخارجه، وحدت بينهم مبادئها الراقية، وعليه أكد الأستاذ بوزوزو ثباتها على مبادئها التي أنشأت من أجلها فيقول: "وقد ثبتت المنار على مبدأ توحيد السياسة والعمل القومي في الأقطار المغربية الثلاثة، كما ثبتت على خدمة بقية الأهداف السياسية التي منها المطالبة بتطبيق مبدأ حق تقرير المصير وإقامة المبادئ الديمقراطية، فحملت على الاستعمار حملة صادقة في دائرة الخطة التي رسمتها، فكانت هذه الحملة بعيدة عن كل بغض عنصري أو حقد ديني أو انتقام شخصي".[2]

وفي افتتاحية العدد الأول من السنة الثانية، نشرت مقالا مطولا شرحت فيه الظروف التي تناضل فيها، مؤكدة قناعة القائمين عليها بسمو أهدافها، إذ ظلت ثابتة على خطتها في سبيل تحقيق الأهداف التي اقتنعت بصحتها، وبذلت كل ما في وسعها لتكون في كل سنة أحسن من سابقتها؛ "إذ اعتنت عناية خاصة بالاتحاد القومي وبالمساهمة في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، عناية مسخرة في خدمة المصلحة العامة للأمة الجزائرية، والعالم الإسلامي دون عداء لأي جنس أو دين".[3]

طرق محمود بوزوزو جميع المواضيع بكل حرية من دون قيد أو تعصب، ودعا الشباب إلى العمل الجدي المثمر، وحث الكتاب على الإنتاج الفكري الحر، وشجع على إنشاء الصحف خدمة للحق، وحرّض العمال على الدفاع عن حقوقهم المهضومة، والتكتل بإنشاء جامعة النقابات المغربية إلى جانب جبهة سياسية مغربية، كما اهتم بالتربية والتعليم والجانب الثقافي عموما اهتماما خاصا.[4]

ندرك مكانة جريدة المنار من بين الصحف الجزائرية فهي تعد من أهم الصحف الوطنية اهتماما بتوجيه الشعب الجزائري في فترة تشابكت فيها الظروف وتسارعت الأحداث، ومن أبرزها توجها إلى جبهة النضال السياسي، في الوقت الذي كانت فيه الصحف المعاصرة لها تتجه إلى الميدان الديني والثقافي، لذا فالمنار تعد من

---

[1] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.
[2] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.
[3] - **المنار**، س2، ع1، 11أفريل 1952.
[4] - **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

الصحف الوطنية التي رفعت لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي بكل حرارة واندفاع[1]، مطالبة بالحرية والاستقلال دون تلجلج أو خوف، ورفعت الشعار الداعي إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها.[2]

وتأكيدا لما سبق ذكره فإن جريدة المنار أخذت تجابه الواقع المفروض عليها، خاصة القوانين الإدارية الخانقة، والظروف المادية القاسية التي لا تسمح في غالب الأحيان بالدوام والاستمرار، ومع ذلك فقد أدت رسالتها كاملة، وحملت راية الكفاح في المجالات التي حددتها لنفسها، فكانت كما قال عنها الأستاذ عبد الرحمن شيبان في تقديمه لمجلد مجلة الشهاب: "المنار...مجلة راقية تؤرخ للحركة الفكرية والاجتماعية الجزائرية في مرحلة من أهم مراحلها التاريخية، وكانت بالرغم من حجمها المتواضع، غزيرة المادة، عديدة الأبواب".[3]

ولعله من المفيد أن نؤكد هذا، حيث بذل الأستاذ محمود بوزوزو كل ما في وسعه من جهد وطاقة لتكون جريدته كما أرادها، وكما خطط لها وقنن، مما جعل من عرفها وواكب قراءتها في تلك السنوات، يدرك أن المناضل محمود بوزوزو ممن "يقولون ويفعلون"، كما أنه يدرك المكانة التي تبوأتها هذه الجريدة بين الجرائد في القلوب والنفوس.[4]

والسؤال الذي يطرح نفسه في الأخير لماذا توقفت جريدة المنار عن الصدور رغم توجهاتها الفكرية المتعددة، ومستواها الفني الرفيع؟

إن ظاهرة الانقطاع والاختفاء للصحف الجزائرية مردها إلى ذلك الواقع السياسي الذي فرضه المستعمر، مما جعل هذه الصحافة تعيش في صراع دائم في سبيل الحياة، تواجه حاكما جائرا يهددها بخنق الأنفاس كلما حلا له أن يفعل ذلك، وشعبا أغلبيته أمي لا يمد لها يد المساعدة الأدبية بل المادية، وعقبات فنية وإدارية صعبة تبدأ من رخصة الامتياز التي لا يحصل عليها عادة إلا بعد طول تذلل واستجداء، وتنتهي بندرة وسائل الطباعة العربية وانعدام طرق التوزيع والنشر، ولكن أعتا ما واجه هذه الصحافة هم الحكام المستعمرون الذين كانوا يتحايلون على النصوص القانونية وخلق تعلات المصادرة في أفضل الحالات، ويضربون بها عرض الحائط علنا في أغلب الحالات أيضا.[5]

---

[1] – ينظر مثلا افتتاحية العدد رقم 12 الصادر في 21ديسمبر1951، والعدد رقم 04 الصادر بتاريخ 21 ماي 1951.

[2] – محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 389.

[3] – **مجلة الشهاب**، المجلد السادس عشر، المقدمات والفهارس العامة، ط1، بيروت، 2001، ص 7.

[4] – محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، مصدر سابق، ص-ص222-223. وقد بلغت عدد مقالات محمود بوزوزو المذيلة باسمه صراحة في جريدة المنار ستون(60) مقالا.

[5] – محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص31.

إضافة إلى ذلك، مخلفات الحرب العالمية الثانية وما انجر عنها من ارتفاع متزايد لأسعار الورق، وارتفاع نفقات الطباعة، وإذا أضفنا إلى هذا صعوبة الحصول على الورق أدرك القارئ مدى عسر الظروف التي كان يجري فيها هذا الكفاح، ومع ذلك يقول محمود بوزوزو في شأن ظروف صدورها: "سلام على تلك الأيام وجزا الله كل من أحسن ظنا، وأحسن عونا، ورجا خيرا، وسامح كل من كان بخلاف ذلك".[1]

وفعلا هذا ما يبين أن المنار أخذت طيلة فترة صدورها تشق طريقها بصعوبة وتسير إلى تحقيق أهدافها مثقلة بالعراقيل، ولعل صاحب الجريدة قد وقف على هذه الحقائق بقوله: "إن الإيمان برسالة الصحافة المقدسة هو مصدر الدوام والاستمرار ومواصلة السعي في غمار المشاق المادية والمعنوية التي لا يعلمها إلا الله، والتي اقتضت سنة الحياة أن تحيط بالدعوة إلى الحق، وتلازمها ملازمة الظل منذ أن ارتفع صوت الحق على وجه الأرض، ولكن كل ما لاقيناه كان في سبيل الحق، ولن يصدنا عن الاستمرار في أداء رسالتنا أي شيء ما دمنا مقتنعين بخدمة الصالح العام في دائرة العدل".[2]

إن المتاعب المالية لجريدة المنار بدأت تظهر منذ السنة الأولى من صدورها، وهي السبب الرئيس في انقطاعها وتوقفها عن الصدور، وهو ما يؤكده محمود بوزوزو بقوله: "وبعد فلو كان احتجاب المنار ضربة استعمارية لهان الخطب؛ إذ من عادة الاستعمار أن يضايق حرية التعبير، ولأقمنا الدنيا وأقعدناها وبرهنا له أننا نصمد لضرباته...أما أن تحتجب المنار بتفريط من قرائها ومشتركيها ومقدري مهمتها خصوصا في وقت الكفاح، وهي تخدم القضية القومية بنزاهة وإخلاص، فذلك ما لا يمكن تصوره والصمت عنه إلا إذا ماتت الضمائر ولم يبق للفكر الحر مناصر وهذا ما لا نتصوره".[3]

والسبب في ذلك راجع إلى نقص الاشتراكات على ما نعتقد؛ فالمشتركين لا تطيب أنفسهم بإرسال قيمة الاشتراك على قلّتها، إذ ظل صاحب المنار يؤدي رسالته بكل تحد وإصرار، مستنجدا وطالبا المساندة والمؤازرة من أجل بقاء جريدته على قيد الحياة، وليس هناك أفضل مما قاله عنها صاحبها في تلك السنة: "من المؤسف أن يضطر المجاهدون في سبيل القضايا العادلة إلى الاستقراض لمواصلة الجهود".[4]

[1] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف 25 فيفري 1982م.
[2] – **المنار**، س2، ع20، 27 مارس 1953.
[3] – **المنار**، س3، ع48، 06 نوفمبر 1953.
[4] – **المنار**، س1، ع14، 08 ديسمبر 1951.

صرّح رئيس تحريرها منذ البداية أنها ستصدر نصف شهرية مؤقتا فقط ريثما تتهيأ الظروف ويجد من القراء والمشتركين الدعم في سبيل إصدارها، لكنه وبمرور سنة عن تأسيسها صرّح أنها لم تبلغ ما سطرته من أهداف في زيادة الأعداد، يقول في هذا الشأن: "بهذا العدد تنتهي السنة الأولى لجريدة المنار حسب تاريخ نشأتها، ولم يبلغ ما صدر من أعدادها المجموع الموعود به، لأسباب لا تخفى عن كل من مارس الصحافة في هذا القطر ومعظم هذه الأسباب مادية وفنية".[1]

فانصراف المشتركين عن دعم المنار وتخاذلهم في أداء واجبهم، تسبب في تذبذب صدور الجريدة، وانقطاعها تماما فيما بعد، فوجهت المنار نداءاتها في أكثر من مرة إلى قرائها الكرماء بدعوتهم فيها إلى إرسال اشتراكات للمنار، داعية كل فرد أن يحرص على حمل أصحابه على الاشتراك مقابل تعهد إدارة المنار بصدورها أسبوعيا واتساع حجمها وصدورها بانتظام.[2]

والظاهر أن هذا النداء لم يلق آذانا صاغية في ظل تسارع الأحداث، ومع أن محمود بوزوزو وجّه نداءات عديدة يستغيث فيها المشتركين بدفع ما عليهم من التزامات لتغطية نفقات الطبع، والنشر والتوزيع فالظاهر أنه لم يستجب له إلا القليل.

كما وجهت المنار نداءها إلى الباعة المتخلفين عن أداء ما بذمتهم أن يبادروا إلى أدائه بمجرد اتصالهم بهذا العدد، وهو العدد السادس من السنة الأولى الصادر بتاريخ 30 جويلية 1951م، وتكررت تنويهات المنار للباعة إلى ضرورة تسديد ما بذمتهم عبر عدة أعداد، وفي العدد السابع الصادر بتاريخ 15 أوت 1951م ذكرت المنار بأنها ستقطع الجريدة عن كل بائع استباح أموالها.

ونظرا لتفاقم مشكل الديون وعدم تسديد الباعة مستحقات الجريدة، اضطرت إدارة المنار إلى البت في الأمر، وقطع الجريدة عن كل بائع استباح أموالها، وأعلنت إلى قرائها الذين لم يصلهم هذا العدد الثامن الصادر بتاريخ 31 أوت 1951م ولم يجدوه عند بائعهم المعتاد إرشادها إلى بائع أمين.

وبحلول السنة الثانية، طالبت مشتركيها بتسديد اشتراكاتهم للسنة الثانية، وطالبت المتخلفين عن أداء اشتراك السنة الأولى القيام بواجبهم وأداء ما بذمتهم.[3]

---

[1] – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

[2] – **المنار**، س1، ع4، 21 ماي 1951.

[3] – بداية من العدد السادس من السنة الثانية الصادر بتاريخ 4 جويلية 1952م، أشارت إدارة المنار أنه من المستحسن أن ترسل الاشتراكات إلى الحساب الجاري بالعنوان التالي: Bouzouzou Mahmoud. Ccp14.76 Alger

كما تقدمت المنار بالشكر لجميع المشتركين على ثقتهم وإعانتهم، شاكرة الباعة الأمناء والكتاب الذين تفضلوا بمقالات لها أثر كبير في تنوير الأفكار، والشعراء الذين كان لشعرهم أحسن وقع في نفوس القراء، كما شكرت صحافة القطرين لاسيما جريدة "الصباح" و"الإرادة" و"النهضة" التونسية و"العلم" المراكشية على تضامنها معه.[1]

وبدخول المنار سنتها الثالثة بداية من العدد الأربعين، أشارت أنها ستدخل هذه السنة غير أن الظروف والخطة لا تزال على الحال المذكورة، مذكرة قراءها أنها تخدم القضية الجزائرية باعتبارها قضية إنسانية عادلة، وتريد أن تكون لسانا صادقا لأمة تجاهد في سبيل الحق، داعية إياهم إلى ضرورة أداء واجبهم اتجاهها، يقول محمود بوزوزو في ذلك: "واجبها نحو الأمة تنوير الرأي العام، وإنعاش الضمير، وتغذية الفكر، والدفاع عن الحق، وواجب الأمة نحو المنار إمدادها ماديا وأدبيا بما يساعدها على أداء رسالتها".[2]

أقر مديرها في العدد الثامن والأربعين من السنة الثالثة الصادر بتاريخ 06 نوفمبر 1953م أنه لم يعد في طاقته الاستمرار في إصدارها، فصدور المنار في هذا الحجم الصغير –صفحتين فقط–بعد ذلك الاحتجاب الطويل الذي تجاوز الشهرين، من أوضح الأدلة على سوء حالتها المادية، فتساءل قائلا: ما المانع أن نواجه عشر صحف استعمارية بعشر صحف تحريرية بل بصحيفة واحدة يومية بل بصحف أسبوعية منظمة قوية؟[3]

ومن ما ورد ذكره في إحدى الدراسات حول تاريخ الصحافة أن جريدة المنار توقفت عن الصدور لعجزها المالي، ولخلاف بين مدير التحرير والحزب في الموضوعات التي تعالجها الجريدة[4]، وهو ما يعني اختلاف التوجهات الفكرية والقناعات بين مديرها وبين غيره من المناضلين المنتمين لحزب ح.إ.ح.د، وهو اختلاف ناشئ –على ما نعتقد–عن طرح محمود بوزوزو لقضية الوحدة الوطنية على صفحات جريدته، من خلال استطلاع للرأي العام الجزائري حول إمكانيات ووسائل الاتحاد في الجزائر، الأمر الذي أثار حفيظة بعض المناضلين في الحزب المذكور، مما أدى بهم إلى قطع دعمهم عن الجريدة.

ويلخص رئيسها محمود بوزوزو عوامل انقطاعها عن الصدور، ذاكرا أنه عُرِضَ عليه أن يتركها وينشئ جريدة غيرها "متحزبة" تقوم مقامها، وذلك "لأن المنار ذات نزعة إسلامية قوية"، فآثر البقاء على ما هو عليه،

1 – **المنار**، س1، ع19، 28 مارس 1952.

2 – **المنار**، س3، ع40، 10 أفريل 1953.

3 – **المنار**، س3، ع48، 06 نوفمبر 1953.

4 – محمد حمدان وآخرون، مرجع سابق، ص82.

يقول في ذلك: "آثرت البقاء على ما هي عليه، فانقطع المدد، وخف الحجم، وتوارث الجريدة وعلى صاحبها ديون للمطبعة...ثم انفجرت الثورة فكان السجن والتعذيب والإبعاد".[1]

وتضاف إلى الصعوبات التي كانت تواجهها الصحافة العربية في الجزائر من جانب السلطات الاستعمارية صعوبات أخرى ذاتية نابعة عن ضعف هذه الصحافة وقصورها من ناحية مستوى الطباعة، فالمعروف أن كل من الصحافة الجزائرية الناطقة بالعربية والناطقة بالفرنسية لم تكن تملك الإمكانيات المادية الكافية ولا التسهيلات الإدارية التي تمكنها من مواجهة الدور الذي تقوم به الصحافة الفرنسية في الجزائر.

الأمر الذي أكده مديرها ورئيس تحريرها بقوله: "ولا يفوتنا أن نذكر ما لاقيناه من المتاعب في الطباعة، وهو أمر لا يعلمه إلا الله وأصحاب المطبعة، إذ لم تكن في هذه المطبعة آلات حديثة، إنما هي حروف منفصلة يركب الطابع الكلمات بوضع حرف إلى جانب حرف حتى يملأ السطر وفي ذلك من البطء ما فيه، فإذا ركب خمسة سطور أو ستة رفعها بأصابع يديه ليضعها على لوحة الطباعة، وأحيانا تسقط من بين أصابعه فتتفكك، ويعيد تركيبها من جديد، الأمر الذي لا يخفى على القارئ الكريم ما فيه من الإبطاء في طبع الجريدة ووصولها إلى القراء".[2]

ومع أنه كان يتحمل الخسائر إلا أنه مع ذلك استمر في إصدار جريدته التي منعت من الوصول إلى قرائها في المغرب الأقصى، حتى أن وكلاءها المعتمدين في الجزائر قد جرّوا إلى مكاتب الشرطة ونبّهوا أن المنار محظور بيعها وتداولها.

---

[1] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

[2] – محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف في 25 فبراير 1982م.

خلاصة:

من خلال ما تمت معالجته في ثنايا هذا الفصل، يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

- تعتبر المنار مصدرا تاريخيا هاما لكثير من القضايا والأحداث لتي عاشتها الأمة العربية والإسلامية والعالم برمته خلال فترة صدورها.
- تميزت بالأسلوب الصريح والجرأة في الطرح ومعالجة القضايا.
- اتسمت بالتنوع في تناول القضايا، سياسة، ثقافة، دين، فكر، أدب، اقتصاد، مجتمع، وهو ما يوحي بالثقافة الواسعة لمديرها ورئيس تحريرها محمود بوزوزو، وكل الكتاب الذين ساهموا في إثرائها، حرصا على ضرورة معالجة كل القضايا التي تشغل فكر الأمة الجزائرية.
- كانت المنار مقسمة إلى أعمدة متناسقة متكاملة، حتى تتمكن من تغطية شاملة لكل الأخبار والأحداث، مع توازن وتبويب محكم لكل أركانها.
- اعتمدت على طريقة فنية جميلة في الإخراج، حيث يكون عنوان الجريدة دائما مكتوب في الأعلى بخط واضح وبارز، وعلى الجانبين باقي المعلومات الإدارية.
- أظهرت عناية خاصة بالعناوين التي كانت تعبر بصدق عن محتوى المقال، كما كانت تكتب بخط غليظ أكبر من حجم حروف كتابة المقال.
- لم تكن كباقي الجرائد المعاصرة لها التي تذكر عناوين المقالات والأخبار التي ستتناولها في الصفحة الأولى من كل عدد.
- تبدأ بنشر الأخبار وتطرق المواضيع الأكثر تأثيرا وأهمية في ذلك الوقت، ثم تنتقل إلى ما هو أقل تأثيرا من اليمين إلى اليسار ومن الأعلى إلى الأسفل.
- تنوع موادها الصحفية وقلة الإعلانات على صفحاتها مقارنة بصحف أخرى.
- الدقة في الطبع وقلة الأخطاء المطبعية بل وندرتها خاصة بالنظر إلى ظروف الطبع آنذاك، مع التنبيه للهفوات والأخطاء التي قد تحدث وعرض التصحيحات الخاصة بها.
- ساهمت كغيرها من الجرائد الوطنية في نشر الوعي الوطني، والفكر التحرري، فلم تسلم من مضايقات السلطات الفرنسية، حيث بادرت لوضع العراقيل في وجه مدير الجريدة، وكل الباعة والقراء على حد سواء.

- لها اهتمام خاص بالصور، حيث دأبت على نشر الصور بالموازاة مع الأخبار والمقالات وذلك لتدعيم موادها، وغالبا ما تكون تلك الصور مناسبة ومطابقة لمحتوى المقال، لإضفاء نوع من الإثارة، وللفت انتباه الرأي العام.
- رغم الضغوطات الفرنسية المتكررة على صاحب الجريدة، وعلى الباعة والقراء على حد سواء، إلا أن العامل الأكبر في تعطلها، وبالتالي توقفها عن الصدور يكمن في العجز المادي ونقص موارد الدعم والتمويل، مما أدى إلى تفاقم مشكلة الديون التي تراكمت على مديرها.

الفصل الخامس

قضايا سياسية في جريدة المنار 1951-1954م

أولا: محاربة الاستعمار والمطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير

ثانيا: الوحدة الوطنية

1-تجربة الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها

2-استفتاء حول إمكانية الاتحاد في الجزائر

ثالثا: الوحدة المغاربية والعربية

تمهيد:

سنقوم في هذا الفصل بمعالجة المضامين السياسية لجريدة المنار انطلاقا من الجرد الذي قمنا به للقضايا التي طرحتها على صفحاتها، وما رصدناه من جداول إحصائية، وما عبرت عنه من مواقف في شتى الميادين، مستنيرين بما حددته لنفسها من أهداف والواردة في افتتاحية عددها الأول حيث وضحت دورها كمنبر للرأي الوطني، عملت من خلاله على تقريب وتوضيح الرؤيا للشعب الجزائري على المستوى الداخلي والخارجي من أجل التنديد بالسياسة الاستعمارية وفضحها.

حيث تعتبر جريدة المنار من أهم الجرائد التي خدمت الحركة الوطنية الجزائرية ونضال قادتها، كما أتاحت الفرصة لكل من كانت لديه رغبة وقدرة في التعبير عن رفضه للسياسة الاستعمارية الجائرة، مؤكدة في الوقت ذاته على الهوية الوطنية الجزائرية والانتماء العربي الإسلامي، وبهذا تكون قدر دافعت عن الوحدة الوطنية والمغاربية عموما، في محاولة لاستحضار الصلات الحضارية، والروحية، والتاريخية التي تربط الجزائر بمحيطها الجغرافي وإطارها العربي والإسلامي. هذا ما نحاول الكشف عنه في جملة القضايا السياسية التي اهتمت بها المنار، وجعلتها مادة دسمة لعديد من مقالاتها وافتتاحياتها على وجه الخصوص.

أولا: محاربة الاستعمار والمطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير

من خلال البرنامج المسطر من طرف جريدة المنار خاصة ما شرحته في عددها الأول، رأينا أن أهدافها تتضمن تطبيق مبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها"، مستندة في ذلك على المواثيق الدولية من جهة، وعلى الاعترافات الضمنية من الحكومة الفرنسية بخصائص الأمة الجزائرية ومقوّماتها من جهة أخرى؛ إذ تؤكد أن"الوضع الجغرافي الذي جعل الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب، وهو مفصول عن التراب الفرنسي، باعتراض البحر الأبيض بينهما كاعتراض بحر مانش بين فرنسا وإنجلترا، واعتقاد الجزائريين أنهم أمة لا يربطها بالأمة الفرنسية إلا ما يربط المستضعف بالمستبد والظالم بالمظلوم"[1]، مستدلة في ذلك بالتناقضات الفرنسية، التي استغلتها لصالحها، فأهليّة الجزائريين لتولّي شؤونهم بأنفسهم، إضافة إلى وضع دستور خاص بالجزائر، وإنشاء مجلس جزائريّ، وإشراك الجزائر في البرلمان الفرنسيّ، وتسوية الشعب الجزائري بالشعب الفرنسي في ذلك، كلّ هذا اعتراف بالشخصية الجزائرية من جهة، وبنضوج الشعب الجزائريّ سياسيا من جهة أخرى.

وعليه، ترى أن الاستقلال من الضروريات الطبيعية الحيوية للأفراد والشعوب، ولهذا يعد من الحقوق المقدسة التي يتفق العقلاء على اعتبارها، وما استبشارها باستقلال الأمم المستعبدة إلا إفصاح عن تلك النزعة الطبيعية التي في النفوس: "ألا إن السبيل الطبيعي هو الاعتراف بما هو حق طبيعي، وأن أقدس الحقوق الطبيعية للإنسان هو الاستقلال، وهو الذي تنزع إليه جميع الشعوب، لأن الاستقلال يكفل للمواهب الفطرية نموّها، وللقوى الطبيعية إنتاجها، وللشخصية وجودها، عكس الاستعباد الذي يعطل المواهب، ويضعف القوى، ويقضي على الشخصية"[2] معتبرة بكل ثبات وقناعة أن الشعب المستعبد لا يحي في صميم الحياة، بل يحي على هامشها.

من أجل ذلك نجد محمود بوزوزو من خلال كتاباته في المنار متمسك بنظرته الثابتة في حكمه على الاستعمار بأنه مصيبة؛ إذ يرى أن الاستعمار حتى وإن اختلفت صوره وأشكاله من بلد لآخر، باختلاف طبائع أهله واختلاف مصالحهم، فهو مصدر الشقاء للإنسانية جمعاء، لهذا انتقد الاستعمار الفرنسي انتقادا لاذعا، وكال له جميع الأوصاف التي تعبر عن التوحش والظلم والقهر والعنصرية، فوصفه بكونه رسول الشيطان وجرثومة الفساد في الأرض، إذا ماتت زال الفساد وزال الشر، لأن الاستعمار في معجم التاريخ هو الشر، ومن فضائل التاريخ أنه يسمي الأشياء بأسمائها ليصحح أغلاط الإنسان...فإذا سمى التاريخ الاستعمار شرا فذاك اسمه الصحيح".[3]

[1] – المنار، س1، ع 12، 21 ديسمبر 1951.

[2] – البصائر، السلسلة 2، ع20، 19 جانفي 1948.

[3] – البصائر، س1، السلسلة 2، ع16، 22ديسمبر 1947.

من أجل ذلك، راح يؤكد عبر صفحات المنار في كل مناسبة أن الشعب الجزائري متمسك بمبدأ الحرية، وأن التسوية الوحيدة للخلاف الجزائري الفرنسي تكون بإزالة المحنة الاستعمارية أصلا؛ إذ يرى أن المشكلة الحقيقية التي هي مصدر جميع المشاكل تكمن في "مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها؛ أما قضايا استقلالية الدين، ونظام التربية والتعليم، ورسمية اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية وغيرها، لا تعد إلا جزئيات لا تحل إلا بحل المشكلة الرئيسية"، لهذا نراه يتساءل عند ذكر فصل الدين الإسلامي عن الحكومة، متى يفصل الحكم الاستعماري عن الجزائر؟[1]

إذ أشار صاحب المقال أن الشعب الجزائري يريد الحياة، ويريدها كاملة خالية من الشروط المذلة والقيود المهينة، يريد حياة شريفة كما تقتضيه الكرامة الإنسانية، ويعتبر حصر مطالب الجزائريين في المتطلبات المادية فقط إهانة لهم، معتبرا أن أصلا الداء لا يكمن في الجوع والحق في التعليم وغيرها ولكن في الحكم، فهو يريد أن يدير شؤونه بنفسه، يقول في ذلك: "إن تطبيق مبدأ حق تقرير المصير أمر ضروري في الجزائر، وفي غيرها من أقطار المغرب وبلاد الدنيا".[2]

معتبرا أن هذا المبدأ –حق الشعوب في تقرير مصيرها–صادقت عليه الدولة الفرنسية مع سائر الدول؛ من خلال ما تم الاتفاق عليه في وثيقة الأطلنطي، وثيقة الأمم المتّحدة، ووثيقة حقوق الإنسان، وتطبيق هذا المبدأ يقتضي إذن مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية، وبنائها على أساس التعاون المثمر في دائرة احترام الذاتية والسيادة، محتجا باتفاق أمم العالم حتى الاستعمارية منها على نفس الدعوة.[3]

وتماشيا مع تما ذكره، دعت المنار إلى محاربة الاستعمار أين ما كان، وحيث ما حل، وذلك لاعتبارات عديدة، يمكن حصرها في ما يلي:

- إن العلاقات بين الأمم والشعوب يجب أن تقام على التعاون في دائرة الاحترام المتبادل.
- يجب اعتبار أن تطبيق المبادئ السامية، ومراعاة العهود والمواثيق الدولية، عامل من عوامل التقدم الخلقي والتوجيه السياسيّ السديد البعيد عن الماكيافيلية التي دلّت التجربة على ضررها بالبشرية.
- تطبيق هذا المبدأ يؤدي إلى تحقيق الحرية والعدالة، اللتين انجرّ عن فقديهما شرّ كبير، وفي إقامتهما خطوة هامة في طريق تحقيق السلم وازدهار المدنية؛ ولا ازدهار للمدنية إلاّ في جوّ الحريّة واحترام الكرامة الإنسانية.

---

[1] – المنار، س1، ع 12، 21ديسمبر 1951.
[2] – المنار، س1، ع13، 04 جانفي 1952.
[3] – المنار، س1، ع19، 28 مارس 1952.

- الاعتقاد بأن الوضع الاستعماري منافٍ لمبادئ السلم والمدنية، فإنه من أكبر العوامل في اختلال التوازن بين الأمم، وخلق التنافس في سبيل التوسع والاستغلال، فالوضع الاستعماري أكبر خطر على السلم والمدنية.
- إن أسباب المشاكل المتعدّدة، ترجع كلّها إلى فساد العلاقة بين الأمّتين من أساسها، وتلك هي الأزمة المزمنة في هذا الوطن، وما دامت هذه العلاقة لم تراجع على الوجه الذي يضمن احترام الشخصية والكيان والسيادة، فإنه لا يمكن أن تنقطع المشاكل وأن تزول الأزمة. [1]

وفي مقال معنون بـ: "القمع لا يفل إرادة الحديد"[2] أشار الكاتب إلى أن السياسة الفرنسية لازالت تعتمد على القمع والمؤامرات، غير مبالية بما يسفر عن ذلك من نتائج معاكسة؛ إذ لم تزد هذه التصرفات شعوب تلك الأقطار إلا تمسكا بمطالبها، وثباتا في سبيل تحقيق مطامحها، فالقمع متزايد والأحكام الجائرة تصدر كل يوم لتضايق حرية التعبير، والرصاص يستعمل في المظاهرات السلمية، وغيرها من الاعتداءات الجائرة اعتقادا منها أن القمع يمهد الطريق إلى الهدوء، وفي هذا يقول كاتب المقال: "ومهما يكن فإن القمع لم يزد الشعب الجزائري إلا صلابة وثباتا في سبيل الحق، وهو يقابلها بمقاومة مستمرة، تعبر عن إرادة التحرر والتي لم تثنه عنها أي مؤامرة استعمارية إجرامية".

انتقل بعدها الكاتب إلى محاولة تفسير مقصود الاستعمار من القمع والتنكيل، فإن كان الهدف منه أن يقضي على الروح التحررية فقد أخطأ في التقدير؛ إذ لا تزيد نتيجته عن تمكين الحقد في القلوب، وإزالة الحجاب عن أعين محسني الظن بالنيات الفرنسية، وإقامة الحجة على السياسة الاستعمارية الجائرة، ونتيجة لذلك يرى أن الفتنة الاستعمارية محنة عابرة طال أجلها أم قصر، مؤكدا أن نهايتها تتجسد فعلا في توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح، وبذلك فقط يمكن مراجعة العلاقة بين الأمة الفرنسية والأمة الجزائرية، فتتحول من علاقة الظالم بالمظلوم إلى علاقة الجار بالجار، قوامها حسن الجوار والتعاون المثمر.[3]

ومن زاوية أخرى، يذهب إلى تفسير سبب هذا القمع والإجرام؛ إذ يعترف أن السياسة الاستعمارية الفرنسية الجائرة لن تتغير بتغير الظروف، ولا البلدان، معربا عن فهم الجزائريين لكُنْه السياسة الاستعمارية، أهدافها الخفية، وروحها الصليبية، ولذلك يجب الأخذ بالحسبان أنها لم ولن تتغير أو تحيد عن ظلهما وجورها، فيقول في هذا الشأن: "لقد آمنت الأمة الجزائرية بأن كل شيء في هذا الوجود قابل للتطور، إلا السياسة الفرنسية بهذه

[1] - المنار، س1، ع12، 21 ديسمبر 1951.
[2] - المنار، س2، ع4، 23 ماي 1952.
[3] - المنار، س2، ع8، 01 أوت 1952.

البلاد فلا يمكنها أن تتحول قيد أنملة عن التقاليد الاستعمارية العتيقة، وكذا الساسة الفرنسيون، ومن بيدهم مقدرات بلادنا، لا نراهم يريدون سبق الحوادث ومجاراة تطورات الأحوال، ما داموا لم يحاولوا التحرر من فكرة التفوق العنصري واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان".[1]

وعلى إثر زيارة وزير الداخلية الفرنسي إلى الجزائر أواخر سنة 1953م، علّق محمود بوزوزو على هذه الزيارة بمقالة سياسية قوية المبنى عميقة المعنى، أكد فيه أن الجزائر لا تربطها بفرنسا إلا ما يربط الظالم بالمظلوم، مشيرا إلى الخصائص التي تتسم بها الأمة الجزائرية، والتي تفصلها جذريا عن بلد اسمه فرنسا، حيث يقول في الموضوع: "ولاشك أن الوزير الزائر لاحظ عند هذا الشعب لغة غير لغته، وتاريخا غير تاريخه، ودينا غير دينه، وتقاليد غير تقاليده، وثقافة عريقة الصلة بالمدنية الإنسانية، هذا واقع إن كان يجهله الوزير من قبل، فإنه علمه في جولته علم اليقين، كما علم أن مسألة ثلاث مقاطعات فرنسية في الجزائر حديث خرافة، وأن الاتحاد الفرنسي أسطورة عند أمّة لا يربطها بفرنسا إلا الإذلال والاستغلال، ولا شك أن هذه الحقائق الملموسة ستحمل الوزير على مراجعة اعتقاده فيما يخص وضعية الجزائر".[2]

وعلاوة على ذلك فإنه بمناسبة إحياء الذكرى السابعة لتأسيس منظمة هيئة الأمم المتحدة، جاء نداء المنار من أجل رفع القضية الجزائرية إلى الميدان العالمي، والمطالبة بفتح الملف الجزائري للمناقشة في هيئة الأمم المتحدة، مشيرة أن ذلك لن يتحقق إلا بعد تحقيق الوحدة الداخلية بين الأحزاب الوطنية، وتنظيم الكفاح الداخلي، وبذلك فقط يمكن للقضية الجزائرية أن تحقق ما حققته القضيتين التونسية والمراكشية، وهو ما يمثل ضربة قوية للسياسة الفرنسية التي تعمد إلى التعتيم، وإغفال الحديث عن الجزائر كلما تعرضت لمشاكل المغرب العربي.

ويطلب المناضل عبد الحميد مهري من الأحزاب والهيئات الناشطة أن تخرج من عزلتها وتحقق مطلب الجماهير الشعبية الجزائرية، ولن يتحقق ذلك إلا إذا قدرت الأحزاب واجبها، وتنازلت عن الاعتبارات الحزبية الضيقة، فوصول القضيتين التونسية والمراكشية إلى أروقة الأمم المتحدة، بسبب اتحادهم حول برنامج واضح يعبر عن مطامح الشعبين ورغبتهما في التحرر والاستقلال.[3]

وفي الوقت ذاته، طالب الأستاذ محمود بوزوزو بضرورة عرض قضايا الأقطار الثلاثة؛ الجزائر، تونس، المغرب دفعة واحدة في أروقة هيئة الأمم المتحدة، لأنها في الواقع فعلا قضية واحدة، وهي في حقيقة الأمر قضية أمم عربية إسلامية تريد من الدولة الفرنسية المتسلطة عليها بالإذلال والاستغلال أن تراجع علاقتها بها، فتتحول

[1] – المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.
[2] – المنار، س3، ع11، 11 ديسمبر 1953.
[3] – المنار، س2، ع10، 24 أكتوبر 1952.

علاقة الظالم بالمظلوم إلى حسن الجوار والتعاون، بصرف النظر عن السياسة الاستعمارية الفرنسية المتبعة في كل قطر.[1] مؤكدا أن "كل برنامج سياسي لا يراعي هذه الحقائق كلها، ويبتعد عن الواقع لا يزيد الأزمة إلا شدة".[2]

وتماشيا مع ما تم ذكره، تمسكت المنار بدعوتها الثابتة إلى العمل من أجل إزالة كل الاعتداءات التي يشهدها العالم الإسلامي، مؤكدة أن خير وسيلة لبناء السلم المنشود هو بناء العلاقات بين الأفراد والأمم على التعاون في سبيل رفع الكرامة الإنسانية، معربة عن رغبتها الشديدة في التحرر من الاستعمار الفرنسي الجاثم على صدور أبناء الجزائر، معلنة نقمتها عليه، مطالبة بالاستقلال والتحرر بلهجة حادة دون تلجلج أو خوف، يتجلى هذا أكثر في قول رئيس تحريرها محمود بوزوزو:"يجب أن نهمس في آذان أولي الأمر الفرنسيين قائلين: إن قافلة التحرير سائرة إلى الأمام بخطى متئدة وثابتة، ولن يضرها المتغالون في التمسك بسياسة النعامة، وسوف تظفر الأمة الجزائرية بحريتها الكاملة؛ بما فيها حرية الدين والتعليم وتقرير المصير"[3]، وحجته الدامغة في ذلك أن الاستعمار الفرنسي عندما حل بهذه الأرض وجد شعبا معتزا بقوميته، يحمل نحو وطنه نفس العواطف التي يحملها أي شعب آخر نحو وطنه، ويحمل نحو مقوماته نفس الاعتزاز الذي تحمله أي أمة نحو مقومات وطنها.

ثانيا: الوحدة الوطنية

راهن محمود بوزوزو في سبيل تحقيق أهدافه التي رسمها في العدد الأول من جريدة المنار على خطتين؛ المراهنة على الجبهة الداخلية وهدفه الأسمى هو توحيد الجهود بين القوى الوطنية في الجزائر أحزاب سياسية، هيئات دينية، منظمات وأشخاص، بدعوة كل الأحزاب إلى الاتحاد في سبيل الغاية المشتركة، أما خطة المراهنة على الجبهة الخارجية فتقوم على توحيد بلدان المغرب العربي، والتصدي للمخططات الفرنسية بالكشف والتشهير بأساليب القمع والإرهاب التي يسلطها الاستعمار الغاشم ضد الشعب الجزائري الأعزل في المدن والقرى والأرياف داخل الجزائر أو خارجها وفي فرنسا ذاتها.[4]

من خلال اطلاعنا على كل مقالات المنار، ومقارنتها بنظيراتها من الصحف الصادرة في نفس الفترة، وجدنا أن تلك الجرائد والمجلات ركزت جهودها في مواجهة العدوان الفرنسي على المجالين الثقافي والديني، وعلى العكس من ذلك فإن المنار توجهت إلى الميدان السياسي، حيث لم نجد أي صحيفة جزائرية أخرى أولت قضية الاتحاد هذه الأهمية التي أولتها المنار لها، وهذا ما يؤكده أحد الكتاب بقوله: "لا نعرف من بين الجرائد الوطنية من

[1] - المنار، س2، ع6، 04 جويلية 1952.
[2] - المنار، س1، ع4، 21 ماي 1951.
[3] - المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.
[4] - محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 390.

وقف موقفها المشرف ذاك، فكل صحيفة كانت لها نزعتها الخاصة حزبية، أو مذهبية، أو إقليمية، أو منفعيّة، لكن المنار استطاعت أن تتجاوز هذه الاعتبارات داعية بإخلاص في كل أعدادها إلى الوحدة الوطنية".[1]

1-تجربة الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

عرفت المنار بعملها على توحيد مختلف التيارات والتوجهات وصولا إلى الوحدة الشاملة، فكتب رئيس تحريرها في مقدمته التي وضعها لجمع أعداد جريدته المنار في مجلد واحد: "أما فيما يخص القضية الجزائرية، فكانت العناية متجهة إلى المساهمة الحثيثة والسعي في توحيد الصفوف، كما هو مشاهد في عدد من المقالات، وكما يشهد به الاستفتاء العام الذي أثار اهتماما كبيرا في الأوساط المختلفة وتطلعا إلى الوحدة المنشودة وأملا في تحقيقها".[2] انطلاقا من هذه الدعوة كانت جهود المنار موجهة لتوحيد العمل بين الأحزاب الوطنية، فرحبت بتأسيس الجبهة الجزائرية، بل وكانت الناطق شبه الرسمي لها.

1-1-ظروف تأسيسها:

كانت مشكلة الانتخابات مطروحة قبل سنة 1951م؛ إذ رفض الاتحاد الديمقراطي المشاركة فيها بسبب التزوير[3]، وحدث نفس الشيء مع حركة الانتصار التي صرحت عشية انتخابات مارس 1949م على عدم المشاركة في الانتخابات المحلية التي ستجرى في 20 و27 مارس 1949م، لأنها لا تعبر في نظرها عن الإرادة الشعبية، عكس الحزب الشيوعي الجزائري الذي كان في كل مناسبة انتخابية يقحم قوائمه للمشاركة فيها.

كما عرفت سنة 1951م إجراء عمليتين انتخابيتين قبيل تأسيس الجبهة، الأولى المتعلقة بتجديد نصف أعضاء المجلس الجزائري، وتمت ما بين 4 و11 فيفري1951م إذ امتنعت ح.إ.ح.د عن المشاركة فيها، بينما شارك إ.د.ب.ج و.ح.ش.ج والأحرار الذين تحصلوا على الأغلبية المطلقة، أما الثانية فكانت الانتخابات التشريعية الفرنسية يوم 17 جوان 1951م التي أجريت لاختيار أعضاء الجمعية الوطنية-البرلمان-.

[1] - محمد ناصر، مرجع نفسه، ص 390.

[2] - محمود بوزوزو، مقدمة جريدة المنار، جنيف 25 فيفري 1982م.

[3] - تحت ضغط المستوطنين الأوربيين تم عزل الوالي العام الاشتراكي إيف شاتينو(Yves Chataigneau) من منصبه، ذلك لأنه سعى إلى إجراء انتخابات نزيهة مما سبب له نقمة المعمرين، فعزل من منصبه يوم 11 فيفري 1948 بسبب فوز حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الانتخابات التي جرت يوم 19 نوفمبر1947، وقد خلفه الاشتراكي مثله مارسيل إدموند نايجلان في11فيفري1948م، واستمر إلى غاية1951م، وقد استهدف الحركة الوطنية مستعملا كل ما لديه من وسائل قانونية وغير قانونية لتحطيمها والقضاء عليها لكنه عزز بذلك من حيث لا يدري الحركة الأكثر جذرية في تاريخ الجزائر وهي "التزوير الانتخابي". ينظر: أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 -1962، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2008، ص 271. حسينة حماميد، المستوطنون الأوربيون والثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص 47.

استعملت الإدارة الاستعمارية مهارة فائقة لم يسبق لها مثيل في تزوير الانتخابات، وتحويل أصوات الناخبين إلى عملائها كالعادة، وإبعاد مرشحي ح.إ.ح.د و إ.د.ب.ج و الحزب الشيوعي الجزائري، ولم يتركوا لهم مقعدا واحدا من أدنى الجزائر إلى أقصاها، الأمر الذي أدى إلى فقدان الثقة نهائيا من الإدارة الفرنسية العنصرية المتغطرسة.[1] ويظهر أن نتائج هذه الانتخابات كانت سببا في قرار قادة الحركة الوطنية في التفكير في مخرج للرد على تلك الاستفزازات والمهازل الانتخابية، فكان الاتحاد في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها.

بدأت أولى الاتصالات بين أعضاء تشكيلات الحركة الوطنية منذ شهر ديسمبر 1950م قصد خلق جبهة موحدة للمشاركة في الانتخابات التشريعية التي ستجرى يوم 17 جوان 1951م، توجت الاتصالات والمشاورات العديدة بين مختلف التشكيلات بعقد سلسلة من الاجتماعات الممهدة للإعلان الرسمي عن ميلاد ج.ج.د.ح.إ، عقدت هذه الاجتماعات أيام 22، 23، 24 جويلية 1951م، وأسفرت عن تشكيل لجنة إنشائية لتأسيس الجبهة.

وكان أول اجتماع عقدته هذه اللجنة الإنشائية يوم 25 جويلية 1951م، أصدرت بلاغا مشتركا باسم الهيئات المشاركة بالإضافة إلى شخصيات مستقلة، وقد أشارت إلى ذلك جريدة المنار في مقال موسع من أهم ما جاء فيه نذكر: "إنها لبشرى تشرح الصدر، وتنعش الآمال، وتقوى التفاؤل بمستقبل هذا الوطن، بشرى تشحذ العزائم وتذكي الهمم...وهذه البشرى هي تكوين لجنة إنشائية لتأسيس ج.ج.د.ح.إ، خطوة عظيمة نرجو أن يتبعها توحيد البرامج السياسية في برنامج عمل واحد".[2]

انتهى هذا الاجتماع بصياغة بيان موقع من قبل الحاضرين[3]، استنكروا فيه الظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر وتعسف الإدارة الاستعمارية، وأساليب الضغط والتزوير الانتخابي خاصة اتجاه ناخبي القسم الثاني أي الخاص بالجزائريين الأهالي، والتي اعتبروها خرقا للقانون بما في ذلك الانتخابات التشريعية التي جرت في17جوان1951م، وقررت الحركات والشخصيات المذكورة عقد اجتماع عام لتأسيس ج.ج.د.ح.إ، فوجهت نداءها إلى جميع الجزائريين المهتمين بتحقيق الاتحاد لكي يضاعفوا نشاطهم ويتمكنوا من إحباط القمع وفرض احترام الحرية والكرامة الإنسانية.[4]

---

[1] – إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 15.

[2] – المنار، س1، ع 6، 30 يوليو1951.

[3] – حضر الاجتماع كل من: أحمد مزغنة ومصطفى فروخي عن حركة الانتصار، الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء، أحمد فرانسيس وقدور ساطور عن الاتحاد الديمقراطي، وبول كاباليرو وأحمد محمودي عن الحزب الشيوعي.

[4] – المنار، س1، ع 6، 30 جويلية 1951.

أهم ما تمخض عن الاجتماع تكوين لجنة برئاسة الشيخ العربي التبسي كلفت بمهمة العمل على تشكيل "جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها"، والتي تعمل بدورها على تحقيق الأهداف التالية:

1. إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951م والتي كانت نتيجتها في الواقع تعيين الإدارة أشخاصا لم يكلفهم الشعب الجزائري بتمثيله وينكر عليهم الحق في التحدث باسمه.
2. احترام حرية الانتخاب في القسم الثاني.
3. احترام الحريات الأساسية: حرية الضمير، والفكر، والصحافة، والاجتماع.
4. محاربة القمع بجميع أنواعه، لتحرير المعتقلين السياسيين ولإبطال التدابير الاستثنائية الواقعة على مصالي الحاج.
5. إنهاء تدخل الإدارة في شؤون الديانة الإسلامية.[1]

ونظرا للظروف الحرجة التي كان يعيشها المناضلون من خلال اختلاف الأحزاب وتعدد البرامج، وبالمقابل حاجة الشعب الجزائري لمثل هذه المبادرات، جعلت من الأحزاب الوطنية والهيئات المشاركة تحصر أهدافها وبرنامجها العملي في التنديد بالإجراءات القمعية الخاصة بالتزوير الانتخابي خاصة ما حدث في 17جوان1951م، والمطالبة باحترام الحريات العامة؛ التعبير، الفكر، الصحافة، الاجتماع، وحرية الانتخابات، ومحاربة القمع بجميع أشكاله، مع طرح المسألة الدينية من خلال المطالبة بإنهاء سيادة الإدارة الفرنسية عن التصرف في شؤون الدين الإسلامي، هذا المطلب الذي ناضلت من أجل تحقيقه مختلف الأحزاب والهيئات منذ سنوات.

وبالرغم من تباين آراء وميولات وأهداف تيارات الحركة الوطنية إلا أن رد فعلهم كان سريعاً من خلال التضامن والقيام بعمل مشترك يضمن نزاهة الانتخابات ويحمي الحريات.[2]

يهدف هذا التجمع أساسا إلى إلغاء المهزلة الانتخابية على الطريقة النايجلانية المتميزة بالقمع السياسي، والضغط على السكان في مناطق عديدة من الوطن، وحسب جريدة المنار فإن الجبهة تأسست لدرء المظالم، ولتشكل قاعدة لاستقلال البلاد، وعلى هذا النحو عبر عن مقاصدها الوالي العام روجي ليونار (*Roger leonard*) عندما كتب إلى الرئيس الفرنسي فانسان أوريول (*Vincent Auriol*) قائلا: "أنها من أهم الحركات

[1] – البصائر، السلسلة 2، س4، ع 166، 6 أوت 1951.

[2] – عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 325، وعمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830–1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 372.

التي لم أر من قبل مثلها، ذلك أن غالبية السكان من ورائها، وهي بمثابة الجمهورية الجزائرية التي ستحقق استقلال الجزائر".[1]

وتم اختيار يوم الخامس أوت 1951م للإعلان الرسمي عن ميلادها، والتصريح بهياكلها، إذ أُعلن عن ذلك في اجتماع عقد بقاعة سينما دنيا زاد بالجزائر العاصمة بحضور 700 مسؤول[2]، ترأسه الشيخ العربي التبسي، وحضره جمع غفير من الجزائريين وبعض الجزائريات يمثلون كافة أنحاء الوطن، وينتمون إلى مختلف التيارات الفكرية والسياسية.

توالت خطب وتدخلات ممثلي الوفود والتنظيمات الأربعة في الاجتماع التأسيسي المنعقد يوم 05 أوت 1951م للتعريف بالجبهة الجزائرية، شرح ظروف إنشائها وأهدافها، فتعاقب على المنصة كل أحمد بومنجل نائب الأمين العام للاتحاد الديمقراطي، والعربي بوهالي الكاتب العام للحزب الشيوعي،[3] وأحمد مزغنة رئيس ح.إ.ح.د الذي قرأ رسالة مصالي الحاج على الحاضرين، ووضح الشيخ العربي التبسي بصفته رئيسا للجنة الإنشائية لتأسيس الجبهة شارحا أهدافها قائلا: "فهذه جبهة لا تسأل أحدا إن كان مسلما أو مسيحيا أو يهوديا، إنما تسأله هل هو مناضل في سبيل الحق، مكافح في سبيل الحرية، فغايتنا أن ننشد جزائر حرة يتمتع بخيراتها سائر أبنائها سواسية لا فرق بين جنسهم ومعتقدهم".[4]

1-2-هياكلها:

عكف المجتمعون على وضع نظام داخلي للجبهة، وهو عبارة عن الهيئات والهياكل التي تتشكل منها على المستويين المركزي والقاعدي،[5] فشرعت الجبهة في العمل بتنصيب هيكلٍ إداريٍ راعت فيه مبدأ التساوي في التمثيل بين التشكيلات السياسية الأربع المنتمية إليها، وكذا الشخصيات الوطنية المستقلة على النحو التالي:

1. المكتب الدائم (الأمانة الدائمة): يتكون من عشرة أعضاء[6] بمعدل عضوين عن كل تنظيم، بالإضافة

---

[1] - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة، الجزائر، 2004، ص309.

[2] - Mahfoud Kaddache, Histoire du nationalisme Algérien, question nationale et politique Algérienne (1919-1951) , T2 ,2éme édition, ENAL, Alger,1993,p 872.

[3] - محمد تقية، الثورة الجزائرية، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2010، ص 134.

[4] - المنار، س1، ع 7، 15 أوت 1951.

[5] - مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة، الجزائر، 2003، ص 153.

[6] - هم السادة التالية أسماؤهم: الشيخ العربي التبسي، الشيخ محمد خير الدين، السيد أحمد مزغنة، عبد الرحمان كيوان، الأستاذ أحمد بومنجل، الأستاذ قدور ساطور، الأستاذ أحمد توفيق المدني، الأستاذ مندوز (غيابيا)، السيد بول كاباليرو، السيد كوش يونس. ينظر: المنار، س1، ع7، 15 أوت 1951.

إلى عضوين اثنين عن الشخصيات المستقلة، وهؤلاء الأعضاء أجبروا على الإقامة بالعاصمة، وقد حددت مهام المكتب الدائم في:

- يطبع ويوزع على اللجان والهيئات وأتباع الأحزاب والحركات والشخصيات قائمة من اللوائح الاحتجاجية للإمضاء، وذلك لتثبيت الأهداف التي ترمي إليها الجبهة الجزائرية.
- إعداد مذكرة عن أهداف الجبهة الجزائرية في أقرب وقت ممكن لتوجيه إلى المنظمات الدولية.
- توجيه وفد الجبهة حالا إلى فرنسا، ومن مهامه ما يلي:
  - عقد ندوات صحفية.
  - الاتصال بالأحزاب السياسية والشخصيات، والمنظمات الديمقراطية والفروع البرلمانية، وأن يحمل السلطة المركزية بباريس على إعادة الحريات العامة إلى نصابها.
  - تنظيم اجتماعات عامة.
  - هذا الاتفاق لا يمس بأي حال استقلال ونشاط كل حركة في ميدانها الخاص خارج الجبهة.[1]

2. المجلس الإداري (اللجنة التنفيذية أو التحضيرية): وقعت المصادقة بالإجماع على تعين ثلاثين عضوا[2] كهيأة مديرة للجبهة، ستة أعضاء عن كل حركة أو تنظيم، وشخصيات مستقلة من العملات الثلاث (الجزائر العاصمة، قسنطينة، وهران)، ووضع المجلس التأسيسي على عاتقها عبء إنجاز الأعمال وتحقيق البرنامج.[3]

وقد حددت صلاحيات هذه اللجنة في المهام التالية:

- تحتفظ بحقها في عدم تحمل مسؤولية أي عمل يعمل باسم الجبهة من طرف أي كان من المشاركين فيها إذا لم يحظ سلفا بموافقة المكتب الدائم للجبهة.
- اللجان الفرعية وأعضاؤها ليسوا مسؤولين على أي عمل يهم الجبهة إلا أمام اللجنة الإدارية للجبهة.

---

[1] – المنار، س1، ع7، 15 أوت 1951.

[2] – يتكون المجلس الإداري من الهيأة التالية: عن العلماء: الشيخ العربي التبسي، الشيخ محمد خير الدين، الشيخ أحمد بوشمال، السيد جمال سفينجة، السيد سبع محمد، السيد حدود الطاهر (غيابيا). عن ح.إ.ح.د: السيد أحمد مزغنة، السيد عمر محبوب، الأستاذ كيوان، السيد صالح معيزة، السيد سويح الهواري، السيد المستيرى. إ.د.ب.ج: الأستاذ أحمد بومنجل، الأستاذ قدور ساطور، الأستاذ حاج سعيد الشريف، الدكتور أحمد فرنسيس، السيد مزيان محمد، الأستاذ عبد الحميد بن سالم. أما الحزب الشيوعي فيمثله السيد بول كاباليرو، السيد أحمد محمودي، السيد كوش يونس، السيد أحمد بن خلاف، الدكتور كامي لاريبر، السيد عبد الحميد بوالضياف. عن الشخصيات المستقلة: الجنرال توبيز، الأستاذ دوميرق، الأستاذ توفيق المدني الأستاذ، أندري مندوز (غيابيا)، الأستاذ العربي رولة (غيابيا)، الأستاذ محمد الابلق.

[3] – البصائر، السلسلة 2، س4، ع 167، 13 أوت 1951.

- مجموع هذه الفروع يعقد اجتماعات عامة في القطر الجزائري يوجهون أثناءها تصريحا موحدا للسلطات.
- يشرع في حملة صحفية مباشرة بعد الاجتماع العام المنعقد في 5 أوت 1951م.[1]

والملاحِظ للهياكل التي تبنتها الجبهة، والصلاحيات التي منحت لها، وكيفية التسيير بين الهيئات المديرة واللجان المحلية، يترجم مركزية جد متوسعة، ولا تترك أي مبادرة للقاعدة، مقيدة ببرنامج وأهداف الجبهة، ويمكن فهمها كذلك بانعدام الثقة المتبادلة بين الأحزاب، وتخوف الجمعية والاتحاد الديمقراطي من أن تستعمل الجبهة من قبل الحزب الشيوعي لأغراض أخرى ومن قبل حركة الانتصار، التي كانت تأمل في توسيع أهداف الجبهة للنضال من أجل الاستقلال.[2]

عبّر مصالي الحاج عن موقفه من تأسيس ج.ج.د.ح.إ في رسالة موجهة لها، معربا عن شدة سروره لرؤية هذا الاتحاد الوطني بين الحركات الوطنية والشخصيات المستقلة، معتبرا ذلك عملاً إيجابياً نافذاً سيؤتي خير ثمار، مؤكدا أن الهدف المشترك الذي اتفقت عليه الأحزاب المختلفة ما هو إلا برنامج قليل، واتحاد محدود لا يستجيب للوضع الراهن، ولكي تحصل على القبول التام لدى الجماهير الجزائرية أشار مصالي إلى وجوب توسيع أهدافها وبرنامج عملها، من مجرد الوحدة المعلنة إلى الاستقلال والسيادة القومية للجزائر.[3]

1-3-نشاطها:

ركزت الجبهة نشاطها داخل الوطن وهو ما يندرج ضمن أهدافها المعلنة سابقا، ودوافع تأسيسها، غير أن نشاطها لم يقتصر على التراب الوطني، بل تجاوزه إلى الخارج لتتبنى قضايا الأشقاء في تونس والمغرب.

صرح المكتب الدائم للجبهة عن نشاطها وأعمالها والذي نشرته جريدة المنار، إذ التزمت الجبهة بهذا البلاغ وبدأت نشاطاتها الحقيقية يومي الثاني عشر والثالث عشر من شهر أوت1951م، وذلك على مستوى التنظيم والهيكلة بتكوين اللجان الولائية، والتي تنحصر مهمتها في تقديم تقارير إلى اللجنة الإدارية للجبهة.[4]

ومن أهم النشاطات التي حرصت المنار على متابعتها، إرسال وفد إلى ناحية آريس من أجل التحقيق والتحري في أعمال العنف والقمع الإرهابي المرتكب ضد سكان قرى المنطقة، بسبب معارضتهم لعمليات التزوير

---

[1] – محمد يوسفي، الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص 154.

[2] – مومن العمري، مرجع سابق، ص 155.

[3] – المنار، س1، ع 7، 15 أوت1951.

[4] – مومن العمري، مرجع سابق، ص166.

التي قامت بها الإدارة الاستعمارية بمناسبة انتخابات 17 جوان 1951م، وذلك من أجل جمع الوثائق والشواهد وعرضها على المكتب الدائم للجبهة.

حيث أشارت جريدة المنار إلى ذلك في إحدى مقالاتها جاء فيه: "إن الجبهة الجزائرية بمجرد تشكيلها، فاجأتها حوادث الأوراس التي صدر التنبيه على خطورتها، فعينت الجبهة وفدا منها متوجها حينا إلى تلك الأماكن لإجراء التحقيق".[1] وقد وصف المقال طبيعة السياسة الاستعمارية المنتهجة في منطقة آريس، وقدم شرحا مفصلا عن تلك الأحداث.

وتؤكد جريدة البصائر تولي الجبهة الجزائرية زمام المبادرة وقيامها بتحقيقات واسعة، من ذلك ما ذكرته في عددها المائة وثمان وستون الصادر بتاريخ 03 سبتمبر 1951م:"صادف تشكيل الجبهة الجزائرية وقوع قلاقل إدارية مؤلمة ببلاد الأوراس، فكان أول واجب قام به المكتب الدائم للجبهة هو تشكيل لجنة بحث، وبعث بها إلى بلاد الأوراس، فتولت البحث العميق عن أسباب الحوادث، وكيفية وقوعها، والجرائم البوليسية التي حدثت، كما استمعت إلى الشهود، ثم حررت تقريرها المستفيض بما رأت وما علمت للمكتب الدائم".[2]

وفي نفس الإطار، تم توجيه نداء من الجبهة إلى محكمة الجزائر العاصمة احتجاجا عن المعتقلين الجزائريين الذين اعتقلوا ظلما وعدوانا، ومما جاء فيه ما يلي: "حيث أنه في 27 نوفمبر 1951م أُحيل 56 من الجزائريين على محكمة البليدة...اعتقلوا ظلما وعدوانا بتهمة واهية ملفقة، هي مؤامرة على أمن الدولة، وحيث أنهم حبسوا دون مبرر شرعي ونكل بهم شر تنكيل، ولهذا كله فإن لجنة العاصمة للجبهة تؤكد تضامنها التام مع 56 جزائري المحاكمين بالبليدة، وتطالب بإطلاق سراحهم".[3]

لقد أصدرت الجبهة الجزائرية عدة نداءات للتنديد بهذه الاعتقالات الملفقة وغير الشرعية، وبما تعرض له المعتقلون من تعذيب وتنكيل بأبشع وسائل التعذيب وأشدها وقعا، وبذلك طالبت الجبهة الجزائرية الإفراج عن المعتقلين ووجهت الدعوة لكل الجزائريين للتضامن معها.

كما أرسلت الجبهة برقية احتجاج على إضراب الجوع في سجن الأصنام إلى لجنة حقوق الإنسان الدولية، تطلب منهم النظر في قضية 16 مسجونا سياسيا بالأصنام قاموا منذ 24 يوما بإضراب الجوع احتجاجا على نظام عديم الإنسانية المفروض عليهم، وتطالب بتحسين ظروفهم المعنوية والمادية.[4]

[1] – المنار، س1، ع 8، 31 أوت 1951.

[2] – البصائر، س4، السلسلة 2، ع 168، 3 سبتمبر 1951.

[3]– المنار، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.

[4] – المنار، س1، ع 12، 8 ديسمبر 1951.

ومن جهة أخرى، دافعت الجبهة عن حرية الصحافة والتعبير، واحتجت ضد حجز جريدة الجزائر الحرة، وأصدرت بيان جاء فيه: "إجابة لدعوة الجبهة الجزائرية...إن الجزائريين المجتمعين بالملعب البلدي في حسين داي يوم الأحد 19 أوت 1951م يرفعون احتجاجا ضد مصادرة الجزائر الحرة...ويعلنون عزمهم على القيام بالعمل في سبيل فرض احترام حرية صدور الجزائر الحرة، وحرية الصحافة الجزائرية".[1]

كما قامت الجبهة بمحاربة تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي، وذلك بالمطالبة بفصل الدين عن الحكومة، وهذا ما دعا إليه الأستاذ العربي التبسي في الخطاب الذي ألقاه في الملعب البلدي بالعاصمة بتاريخ 19 أوت 1951م جاء فيه: "مضى قرن وبعض قرن والحكومة معتدية على الديمقراطية في شخص الديانة الإسلامية، ساخرة بأصولها عابثة بمقدساتها، مستخفة بأصولها وفروعها، إذ أن الحكومة الاستعمارية تستخف بكل شيء يتصل بالمسلمين في دينهم أو دنياهم".[2]

ومما دعت إليه الجبهة الجزائرية هو مطالبة الشعب الجزائري بمقاطعة الانتخابات العمالية التي كانت ستجرى يومي7 و14 أكتوبر1951م. وبهذا الصدد أصدر المكتب الدائم للجبهة بيانا جاء فيه أن المكتب الدائم للجبهة الجزائرية بعد أن درس مشكلة الانتخابات العمالية التي ستجرى في 7 و14 أكتوبر1951م، وبعد أن استمع إلى وجهات النظر للأحزاب السياسية والشخصيات المتكونة منها الجبهة، وبعد أن سجل موقف الأحزاب والشخصيات المستقلة، أكد أنهم قرروا المقاطعة.[3]

ونظرا للحالة التعسفية التي يعيشها الإخوة التونسيون والمغاربة، والإجراءات المفروضة على تحركاتهم وكل أنشطتهم، وما يعانونه من اعتقالات وقمع نتيجة السياسة الاستعمارية الجائرة، فإن الجبهة الجزائرية تجاوز نشاطها حدود التراب الوطني، وذلك بالتضامن مع الأشقاء، وتبني قضاياهم والدفاع عنها.

وبهذا الشأن أصدرت الأمانة الدائمة للجبهة بيانا تضامنيا جاء فيه: "إن الأمانة الدائمة للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، بعد ما علمت بنبأ الحوادث الدامية التي جرت في تونس، ترفع بكل استنكار احتجاجها ضد الاستفزازات البوليسية التي سلطت على الشعب التونسي الشقيق، هذه الاعتقالات التي وقعت إثر رفض الحكومة الفرنسية للمطالب التونسية، تتجلى في اعتداء صارخ لا يسع كل ضمير شريف إلا

---

[1] – المنار، س1، ع 8، 31 أوت 1951.

[2] – المنار، س1، ع 8، 31 أوت 1951.

[3] – المنار، س1، ع 5، 9 أكتوبر1951.

استنكاره...إن الأمانة الدائمة تؤكد تضامن الشعب الجزائري مع شقيقه الشعب التونسي الذي يكافح لنيل رغباته القومية العادلة".[1]

وفي نفس الإطار أرسلت الجبهة برقية تنديد إلى المجلس الوطني الفرنسي، ومجلس وزراء الخارجية تحتج على الأحداث الدامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية مطلع 1952م، حيث اعتقلت عدد كبير من الزعماء السياسيين على رأسهم الحبيب بورقيبة جاء فيه: "إن الجبهة الجزائرية التي هي الترجمان الصادق للشعب الجزائري الغاضب على اعتداء الاستعمار الفرنسي، الذي قابل العمل السلمي للشعب التونسي الشقيق بنصب حالة حرب في البلاد التونسية؛ فتعددت حالات القتلى، والجرحى، والاعتقالات الجماعية...تطالب بتحرير الوطنين والزعماء التونسيين المعتقلين، وتؤكد من جديد تضامنها التام مع الشعب التونسي، وتطالب باحترام رغباته الوطنية".[2]

استطاعت الحركة الوطنية أن توّظف الجبهة الجزائرية إلى أبعد الحدود، وتمكنت من تسخير هياكلها لتحسيس الجماهير الشعبية بمعاناة المناضلين في الجزائر وتونس و المغرب، وبذلك تمكن زعماء أحزاب المغرب العربي من تأسيس جبهة موحدة في باريس، وتم التصريح على ذلك في مقال جاء فيه: "فأجتمع ممثلو الأحزاب الوطنية المغربية؛ حزب الدستور الجديد، ح.إ.ح.د، إ.د.ب.ج، حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، حزب الوحدة والاستقلال، وحزب الإصلاح الوطني، وذلك لدرس الحالة في تونس والجزائر ومراكش على ضوء الأحداث الداخلية والخارجية...وأكدوا وحدة أهدافهم الوطنية. وقد قررت الأحزاب الوطنية المغاربية مجابهة الحالة الجديدة في المغرب العربي، وتكتل القوى الاستعمارية، وتنسيق أعمالهم وإحداث جبهة الاتحاد والعمل المغاربية".[3]

أعقب تأسيس ج.ج.د.ح.إ موجة أفراح، وانتشرت أصداء التعبير عن الرضا بالمولود الجديد من الأعضاء المشاركة فيه وحتى الشعب الجزائري، الذي كان ينتظر مثل هذه المبادرات بفارغ الصبر متفائلا به، لأنه كان يرى فيه العامل الأكبر من أجل القضاء على الانشقاق والاختلاف بين أعضاء الحركة الوطنية، فرأى في الجبهة مخرجًا وفجرًا جديدا من ظلم سياسة المستعمر.

نقرأ في جريدة البصائر مقالا جاء فيه: "لقد توحدت صفوفنا، ها هي تلك الأمنية العزيزة التي كنا نطلبها تتحقق...هذه الجبهة التي ستقود الشعب عن علم وبصيرة إلى نيل حقوقه"،[4] ويختم الكاتب مقاله بدعوة الشباب إلى تأييد هذه الجبهة المباركة، ودفعها قدما لتحقيق أهدافها المنشودة.

[1] – المنار، س2، ع15 ،19جانفي 1952.

[2] – المنار، س1، ع 15، 15 فيفري 1951.

[3] – المنار، س 1، ع16، 18 فيفري 1952.

[4] – البصائر، السلسلة 2، س4، ع 171، 24 سبتمبر 1951.

كما ظهرت مقالات أخرى بعناوين مختلفة تهلل وترحب بميلاد الجبهة الجزائرية، وكانت جريدة المنار تنشر كل ما يتعلق بها من أحداث وكذا خطابات أعضائها ونشاطاتها، وكل تطوراتها، كما كتبت عن هذا المولود الجديد مقالات عديدة كانت فيها متفائلة ومشجعة لهذه المبادرة النادرة من نوعها، فنشرت مقالا افتتاحيًّا بعنوان "مرحبا بالفجر الصادق" وفي مقال أخر بعنوان "بارقة أمل...خطوة كبيرة في سبيل تحقي الاتحاد القومي"، "يوم مشهود في تاريخ النضال التحريري"، "الجبهة الجزائرية حجة على أن الاستعمار عدو الديمقراطية أين أنصار الديمقراطية " وغيرها من المقالات.

إذا كان بزوغ هذا المولود الجديد قد أدخل الفرحة والسرور إلى قلوب جميع الجزائريين مستبشرين به خيرا، باعتباره خطوة هامة في طريق الكفاح الجزائري، ومتمنين له النجاح وتحقيق أهدافه التي تأسس من أجلها. إلا أن تأسيس هذه الجبهة الجزائرية أثار سخط الإدارة الاستعمارية وجن جنون صحفها فقوبل بالانتقاد والتهجم والرفض من طرف المستعمر الغاشم، الذي سخر كل وسائل الإعلام التي يوجهها المعمرون وتصريحات المسؤولين الأوربيين من أجل حل الجبهة الجزائرية، وهذا رغم أن مطالبها ما هي إلا تنديدا بالإجراءات التعسفية التي يسلطها الاستعمار على حرية الشعب الجزائري.[1]

1-4-مصيرها:

إن الاتحاد الذي تمثل في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية لم يدم إلا أقل من سنة واحدة، وبالنسبة لإدارة الاحتلال فقد تجاهلت الجبهة ومطالبها، فلم تلب منها أي مطلب، أما مؤسسوها فقد اتفقوا على مقاطعة الانتخابات المحلية التي نظمتها الإدارة الفرنسية في 07 و14 أكتوبر1951م، لكن الحزب الشيوعي الجزائري خرق هذا الاتفاق وأعلن صراحة عن مشاركته فيها، وبذلك تسرب اليأس والشلل إلى أعضائها المؤسسين لها.[2]

رغم ما تميزت به الجبهة الجزائرية عن باقي المحاولات الوحدوية؛ استطاعت أن تجمع بين كل الأحزاب السياسية الناشطة في الجزائر آنذاك ناهيك عن الشخصيات المستقلة ولأول مرة منذ 122سنة من الاستعمار، إلا أن هذه الميزة لم تشفع لها ولم تساعدها على التعمير لمدة طويلة، حيث انسحب أعضاء الاتحاد الديمقراطي من الجبهة في ماي 1952م، واعتبر هذا نهاية لعملها، رغم سعي الحزب الشيوعي وحركة الانتصار لإحيائها كل حسب آرائه وتوجهاته.

---

[1] – إدريس خضير، مرجع سابق، ص 16 -17.

[2] – بشير كاشة الفرحي، صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2010، ص140.

رغم كل الجهود التي بذلها المشاركون في تأسيس هذه الجبهة، إلا أنه ربما كانت هناك ظروف وأسباب أقوى من تلك الجهود والتضحيات، فتفككت الجبهة الجزائرية بعد أقل من سنة فقط من تأسيسها، وبالضبط تسعة أشهر، لكن يبقى التساؤل المطروح: ما هي الأسباب الكامنة وراء ذلك؟

لقد أسست الجبهة على مجرد أرضية مطالب ضيقة، وجُهِزت ببنيات خفيفة لا تقف أمام حرية العمل لكل هيئة، وبرغم هذه التحفظات فإنها لم تقدر على مقاومة اختلاف الآراء بين الأجهزة، وبقيت شيئا فشيئا تسير نحو التلاشي ولكن بدون انفجار ظاهر، وبدون رفض تام حتى للمبدأ الأصلي من طرف المشاركين.[1]

وتؤكد جريدة المنار على أن سبب فشل الجبهة يتمثل في عدم قدرتها على تجاوز الخلافات بين أعضائها، ومما ورد في إحدى مقالاتها نذكر ما يلي: "الذي يستحق الإشادة هو وصول الأحزاب التحريرية إلى التفاهم والتقارب، وإن كان ذلك على أساس التعاون في المتفق عليه إلى زوال المختلف فيه شيئا فشيئا...ولعل السبب الرئيسي في ضعف الجبهة عدم وصولها إلى إزالة المختلف فيه، فإن أعضاءها تمسكوا بحريتهم التامة وحافظوا على برامجهم الخاصة".[2]

بناء على ما سبق حاول محمود بوزوزو أن يجد جوابا مقنعا للتساؤل المطروح سابقا–لماذا لم تبلغ الجبهة أهدافها؟ – وقد كان رأيه بأن الجبهة الجزائرية لم يتحقق منها هدف واحد، والسبب في ذلك يعود حسب اعتقاده إلى أحد الأمرين: إما ضعف الثقة في الجبهة الجزائرية وإما السعي في تقويتها، ولكنه يرجح الرأي الثاني أحسن لمن يريد الإيجاب لا السلب، ولمن يعتقد أن الحياة كفاح متواصل لا يؤتي ثماره عاجلا، ولذا دعا إلى ضرورة البحث عن أسباب ضعفها وعن وسائل تقويتها.[3]

وعليه يمكن القول أن الأسباب التي ساهمت في انهيارها هي نفسها التي أدت إلى فشل المحاولات السابقة، والتي عادة إما تكون ناتجة عن مواقف الإدارة الاستعمارية الرافضة لأي محاولة يمكن أن تتعرض لمستقبل فرنسا في الجزائر، أو ناتجة عن توجهات وأهداف الأحزاب الوطنية فيما بينها، والتي كانت ذات مطالب ومناهج متعارضة في غالب الأحيان، فلم تتجاوب مع طموحات الجماهير الجزائرية التي كانت تواقة للوحدة والحرية.

ومهما تباينت الآراء حول الأسباب التي أدت إلى فشل تجربة الجبهة الجزائرية، فالأكيد أنها كانت حلقة من حلقات الوعي الوطني، الذي قاد كفاح الجزائريين إلى الاستقلال والحرية، كما كانت محاولة أعطت نفسا جديدا للحركة الوطنية مرحليا، لتحقق بعضا من مطالبها وتكتسب مزيدا من الخبرة والتجربة السياسية تؤهلها

[1] – عبد الرحمن العقون، مصدر سابق، ص212.
[2] – المنار، س2، ع9، 15 أوت 1952.
[3] – المنار، س2، ع9، 15 أوت 1952.

لتجارب أعظم نفع وفائدة، فكانت هذه المحاولة الوحدوية بالفعل كما قال المؤرخ أحمد توفيق المدني: "من الأهداف العظيمة التي مهدت لفكرة جبهة التحرير الوطني فيما بعد".[1]

كما أن ج.ج.د.ح.إ رغم طبيعتها السياسية السلمية-جبهة دفاعية لا هجومية-، إلا أنها امتصت جزءا من ذلك الغضب لدى الشعب الجزائري، واعتبرت من أبرز ما شهدته الحركة الوطنية الجزائرية خلال القرن العشرين، خاصة بالنظر إلى الظروف الداخلية التي كانت تمر بها الجزائر آنذاك. ويمكن أن نعتبر أن الاستفتاء الذي طرحته جريدة المنار على صفحاتها في محاولة منها لبعث آمال جديدة للوحدة، ومشاركة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في تأسيس جبهة اتحاد وعمل الأحزاب الوطنية المغاربية بباريس يوم 02 فيفري 1952م مخرجا من الأزمة، واستمرارية لمحاولات الوحدة والعمل المشترك.

2-استفتاء حول إمكانية الاتحاد في الجزائر:

بادرت جريدة المنار إلى طرح قضية هامة جدا طالما شغلت بال المجتمع الجزائري بكل فئاته، بل وتعتبر من أهم المسائل الحيوية التي حلم بتحقيقها منذ زمن طويل، ألا وهي "الاتحاد"، هذا الأخير الذي لم يتحقق رغم الاتفاق العام على ضرورته ووجوبه، وعليه نظمت جريدة المنار استفتاء حول الموضوع، ممثلا في ثلاثة أسئلة ألقتها الجريدة على الرأي العام الجزائري.

إذ رأى القائمون على المنار، وعلى رأسهم رئيس تحريرها محمود بوزوزو بأن الخطأ الذي وقعت فيه الحركة الوطنية الجزائرية، والذي تمثلت نهايته في الفشل الذريع الذي عرفته ج.ج.د.ح.إ يجب التفكير في تعويضه بما هو أعظم فائدة، مؤكدا على أنه وإن لم تنجح المحاولات الماضية فلا داعي لليأس مستندا على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[2] ولا مانع من محاولة جديدة بطريقة جديدة.

هذا الاستفتاء الذي حل لتعويض المحاولات الوحدوية السابقة؛ يعتبر الأول من نوعه في تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، وهو منهج جديد لفهم المشاكل وبسطها، والبحث عن حلولها جديرة بالاعتبار لما فيها من إزالة اللبس والغموض، ورغبة صادقة من المنار للتعرف على آراء الجزائريين في هذا الأمر العظيم الذي ستقدم عليه العناصر الفاعلة آنذاك.

وموضوع الوحدة كما لا يخفى على أحد من صميم اهتمامات محمود بوزوزو، ومن أبرز القضايا التي ناضل من أجلها سنوات عديدة، وتجسدت أكثر على إثر طرحه لهذا الاستفتاء، إذ وعد قراءه بالسعي في توحيد

[1] - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص401.

[2] - سورة يوسف، الآية رقم 87.

الكلمة، داعيا إلى ذلك مرارا بعبارات متنوعة لا تكاد تخلو من الدعوة إلى توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح، راجيا من كل المفكرين المخلصين أن يشاركوا بآرائهم في هذا الموضوع الحيوي، مؤكدا أنه ما عمّم السؤال إلا لأن المشكلة لا تهم طائفة أو فردا بل تهم جميع الجزائريين، لذا كان هذا الاستفتاء كما قال: "موجها إلى كل جزائري حي الضمير، حر التفكير، قادر على التعبير".[1]

وأول ظهور لموضوع "الاستفتاء في قضية الاتحاد" على صفحات المنار، كان في مقال للأستاذ محمود بوزوزو بعنوان "هذا الاستفتاء"، نُشِر في الصفحة الأولى من العدد 17 الصادر بتاريخ 23 جمادى الأولى عام 1372 هـ الموافق لـ: 6 فيفري 1953م،[2] ذاكرا أن الهدف منه هو السعي إلى طرح المشاكل وبسطها على القراء، والبحث عن حلول لها، مشيرا أن هذا الاقتراح هو أفضل حل، وهو الطريقة المناسبة لحل المشاكل، كما أنه يمثل أول تجربة لسبر الآراء في تاريخ الصحافة العربية الجزائرية، مذكرا بمحاولتين قام بهما الشعب الجزائري، وقد نجحتا ولكن نجاحهما لم يدم طويلا، وهما تجربة "أحباب البيان والحرية" وتجربة "الجبهة الجزائرية"، هذه المحاولة الأخيرة التي تلاشت بسرعة هي التي كانت السبب المباشر في اقتراح هذا الاستفتاء.

وقد وردت في الصفحة الأولى التي طرح فيها هذا الاستفتاء الآية القرآنية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {102} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.[3]

ومما لا يدع مجالا للشك، أن درجة الاهتمام التي أولتها الجريدة لمسألة الوحدة الوطنية، هو استمرارها في نشر مقالات ضافية حول الموضوع إلى أواخر سنة 1953م، فقامت بنشر كل الآراء التي وصلتها دون إقصاء لأي فكرة أو شخص مهما كان رأيه في الأعداد التالية: 17، 18، 19، 20، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47؛ إذ لم تتخلف عن مناقشة القضية طيلة 12 عددا متتالي، وخصصت صفحات أعدادها كاملة للإجابة عن الأسئلة التي رأت أنها ستمكن من معرفة السبل إلى توحيد جهود الجزائريين.

ورغبة من محمود بوزوزو في الوصول إلى إبراز كتلة متراصة قوية، تسعى قدما إلى غاية معينة، حرص أن تقوم على أسس علمية متينة، لا على أهواء متناقضة، يقتنع بفاعليتها كل الجزائريين، يقول في هذا الشأن: "نريد اتحادا لا يترك واحدا من أبناء الجزائر حائرا في معنى الكفاح، أو متشككا في النجاح، أو متخوفا من العواقب، أو

---

[1] – المنار، س 2، ع17، 6 فيفري1953.

[2] – كما حدد تاريخ 31 جويلية 1953كآخر أجل لاستلام الأجوبة من المشاركين. المنار، س3، ع43، 05 جوان 1953.

[3] – سورة آل عمران: الآية رقم 102، 103.

منزويا دون أن يشعر بوخز الضمير، نريد اتحادا يجعل الجميع مقتنعين بمصير مشترك، رابطين المصير الفردي بالمصير الجماعي".[1]

بناء على ذلك، حدد أسئلة الاستفتاء التي طرحها على قراء المنار على النحو التالي:

- هل تعتقدون أن الاتحاد ممكن في الجزائر؟
- على أي أساس؟
- ما هي وسائل تحقيقه؟

وقد استبشر قراء المنار سواء داخل الوطن أو خارجه بهذا الاستفتاء خيرا، ذلك أن هذه القضية هامة، ومستقبل الشعب الجزائري يتوقف على تحقيقها، ومرهون بنجاحها، كما نجد أنه قد وُجِه إلى كل فرد له ذرة غيرة على هذا الوطن، الأمر الذي أكده بوزوزو بقوله: "ولذا كان هذا الاستفتاء موجها إلى كل جزائري حي الضمير، حر التفكير قادر على التعبير، وعلى كل ذي رأي أن يدلي برأيه، دون اعتقاد أن رأيه صواب يؤخذ، وأن رأي غيره خطأ ينبذ".[2]

وعليه، استقطب الاستفتاء شخصيات من فئات وتيارات مختلفة سياسية وإصلاحية وغيرها؛ ممن تفضلوا بالمشاركة في هذا الاستفتاء والإجابة على الأسئلة، بلغ عددهم واحد وثمانون (81) فردا جزائريا بين سياسيين، معلمين، أساتذة، أدباء، شعراء، وطلبة جامعيين ممن درسوا في الجزائر أو في بعض البلدان العربية مثل القاهرة وسورية، وحتى في فرنسا.[3]

وردت إجابات المشاركين في هذا الاستفتاء بكثير من التعليق والتحليل، إذا حاولوا الإدلاء بكل ما يمكن أن ينفع في تسوية القضية الجزائرية، والتصدي للسياسة الاستعمارية، فظهرت كل إجابة مرفقة بصورة شمسية للكاتب المشارك، مع ذكر الاسم، اللقب، والوظيفة، أما الأستاذ الأديب أحمد رضا حوحو فقد نُشِر رأيه مرفقا بصورة كاريكاتورية لملامح وجهه.[4]

---

[1] - المنار، س2، ع 18، 27 فيفري 1953.

[2] - المنار، س 2، ع17، 6 فيفري 1953.

[3] - للاستزادة أكثر يرجى الإطلاع على الملحق المنجز من طرفنا المخصص للشخصيات المشاركة في الاستفتاء كلٌ حسب العدد الذي نُشر به، ولفهم توجهاتهم وانتماءاتهم السياسية بشكل واضح يستحسن الاطلاع على الدراسة التي نشرها الدكتور عبد القادر قوبع الذي فصل أكثر في الموضوع، والموسومة ب: استفتاء جريدة المنار الجزائرية 1953 حول إمكانية الوحدة السياسية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، جامعة زيان عاشور الجلفة، ع8، سبتمبر 2020، ص 205.

[4] - La Pensée politique Algérienne, Les actes Du Colloque 1830- 1962, 25 -26 Septembre 2005,2010, p127.

ما يلاحظ أن هذا الاستفتاء نجح أدبيا وفكريا، واستجاب الكتاب أغلبهم لدعوة محمود بوزوزو عبر صفحات المنار؛ إذ قامت حملة هامة فكرية نهضوية تدعو إلى الوحدة، مهدت لها إدارة المنار بمكاتبة من تتوسم فيهم المقدرة برسائل تطلب فيها الإجابة عن الأسئلة سابقة الذكر[1]، واستجابة لدعوة المنار صدر العدد رقم 17 يحمل عشر(10) أجوبة كاملة عن هذا الاستفتاء، وسنحاول عرض ومناقشة آراء بعض المشاركين فيه.

أجمع المشاركون في هذا الاستفتاء على إجابة واحدة للسؤال الأول، وهي أن الاتحاد ممكن بل وضروري جدا في الجزائر، خاصة في الوضع الراهن الذي تعيش فيه الأحزاب نوعا من التفرق، ليس تفرقا في الأهداف لكن تفرقا في الوسائل والبرامج، إذ أرجعت العديد من الآراء التي حللت أسباب فشل المحاولات الوحدوية السابقة بداية من تجربة المؤتمر الإسلامي، وإلى الجبهة الجزائرية إلى عدم توحيد برامج العمل، وطغيان المصالح الشخصية لكل فرد على حساب المصلحة العامة للوطن، ناهيك عن الصراعات الحزبية، وعدم القدرة على اتخاذ موقف ثابت من الانتخابات، كلها عوامل اتفقت الآراء على أن التغلب عليها لا يكون إلا بالوحدة.

أما السؤال الثاني وهو على أي أساس تقوم الوحدة؟ فقد اختلفت الآراء حوله، أما الاختلاف فكان حول الشكل الذي سيعتمد في الاتحاد حزبي أم شعبي، لكن الأغلبية أكدوا على أن الاتحاد يجب أن ينظم على أساس شعبي في مؤتمر عام، ولا يجب أن ينظم على أساس حزبي ذلك أن الجرح الذي تركته تجربة الجبهة الجزائرية التي علق عليها الشعب آمالا عظيمة لم يلتئم بعد، وذلك الفشل يجب أن يكون درسا للمجيبين على هذه الأسئلة.[2]

كان الشيخ العربي التبسي هو أول المشاركين المجيبين على هذا "الاستفتاء"، ويتمثل رأيه في أن الاتحاد في الجزائر ضروري خاصة في هذا الوقت، بل اعتبره المخرج الوحيد للقضية الجزائرية، مشيرا أن بقاء الأحزاب على حالها هو ما يتسبب في طول عمر الاستعمار، والاتحاد حسبه يجب أن يكون شعبيًّا لا حزبيًّا؛ أي أنه يجب أن يبنى على وحدة الشعب لا اتفاق الأحزاب، ويكون على أساس إلغاء الأجناس والألوان واللغات[3]، بمعنى الدعوة

[1] – عبد الرحمان ابن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947 –1954)، ج3، ط2، منشورات السائحي، الجزائر 2007، ص404.

[2] – المنار، س3، ع 43، 5 جوان 1953.

[3] – وعلى خلاف ذلك أشار أحد المشاركين في هذا الاستفتاء وهو البشير صالح كاشة إلى رفض الاتحاد مع العناصر الأوربية والشيوعيين على وجه الخصوص وحتى اليهود، يقول في ذلك: "إذا كنا نريد أن نعمل حقا وبإخلاص لأجل شعبنا الكريم، فيجب أن لا نقبل بحال من الأحوال أن يدخل معنا في اتحادنا غير العرب المسلمين". المنار، س3، ع47، 07 أوت 1953.

إلى تأسيس إتحاد دون مراعاة للجنس أو اللغة أو الدين، وأن قضية التفاضل الجنسي لا وجود لها في الجزائر، كما أكد على ضرورة الدعوة إلى مؤتمر عام تعلن فيه وحدة شعبية تعمل في سبيل تحقيق الاتحاد.[1]

وهذا ما ذهب إليه أحمد توفيق المدني حيث رأى بأن الاتحاد الوطني واجب ومحتم ولا مفر منه، فهذه حقيقة ملموسة ومن العبث الخوض فيها، مشيرا أن كلمة اتحاد أصبحت متداولة في أوساط الشعب الجزائري، وبين كل فئاته، وإن ما يستوجب البحث هو طريقة إنجاز هذا الاتحاد، والذي يعتقد بأن كل اتحاد مؤسس على الحزبية مآله الفشل، والاتحاد يجب أن يقوم على أساس قومي بحت، وعلى قاعدة نسيان الحزبية.

أما الشيخ الطيب العقبي فقد كانت إجابته مختصرة، لكنها مفيدة جدا، حيث رأى أن الأمة الجزائرية المعتدى عليها هي الوحيدة المعنية بأمر الاستفتاء، مما يوجب تحقيقه في تكتل شعبي، وهذا الاتحاد الوطني يجب أن تكون مبادئه مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف الذي وحد الأمة في الماضي وهو الذي يوحدها اليوم وغدا، لأن هذا الدين ينبذ التفرق وينهى عن الاختلاف.[2]

وفي ما يخص المحامي عبد القادر وقواق فقد ذكر بأن الاتحاد صار غاية كل فرد من أفراد الأمة، وإرادة الأمة من إرادة الله، معتبرا أن الاتحاد يجب أن يبنى على المبادئ أولا، ويجب توحيد المطالب لأن المطالب التي تكون كلها جزئيات لا تجدي نفعا، وذكر أن مميزات الوحدة موجودة في الأمة الجزائرية؛ التاريخ المشترك، اللغة، الدين، مصلحة الوطن العليا، ووسيلة تحقيقه هي الدعوة إلى مؤتمر شعبي تمثل فيه جميع الهيئات والشخصيات الجزائرية المخلصة، وتتفق على المبدأ والوسائل العلمية لتحقيقه.

أما الأستاذ العربي رولا فبين الغاية المنشودة من هذا الاتحاد، حيث قال بأنه يجب القضاء على حب الرياسة، والتعصب الطائفي، لبناء قاعدة قومية للبلاد بأكملها، وأن هذا الاتحاد يرمي إلى لمطالبة بالرقي والتطور، ويبنى من طرف الناشطين على الساحة الوطنية.

وقد اقترح البعض على المنار أن تختار شخصيات وطنية مخلصة لوضع برنامج شامل للاتحاد، وتحديد موعد لعقد مؤتمر شعبي عام، يتم فيه التصويت على برنامج سياسي، من ذلك ما ذهب إليه الأستاذ الأديب أحمد رضا حوحو إذ أكد بأن الاتحاد ضروري ضرورة الماء في الحياة، ذاكرا التجربة السابقة المتمثلة في الجبهة الجزائرية التي عبّرت عن رغبة الجزائريين في الاتحاد، وأن الهدف منه هو خدمة الأمة والوصول بها إلى غايتها، وأن كل الأسس

[1] - المنار، س2، ع17، 6 فيفري 1953.

[2] - المنار، س2، ع 17، 06 فيفري 1953.

صالحة لبناء هذا الاتحاد وإنما أصلحها هو أبسطها، معتبرا هذا الاستفتاء فاتحة مباركة على الشعب الجزائري، داعيا إلى وجوب عقد اجتماع شعبي تقرر فيه الأمة مصالحها.[1]

وعلى العكس من ذلك، فبالنظر إلى رأي السيد العربي بوهالي ممثل الحزب الشيوعي، نجد أنه يقّر بإمكانية الاتحاد في الجزائر، ولكن هذا الاتحاد يجب أن يكون على أساس حزبي، ويؤكد تعلقه بتجربة ج.ج.د.ح.إ على الرغم من النقائص التي عانت منها، ولكن نلاحظ أن السيد العربي بوهالي نسي أو تناسى أن حزبه الشيوعي هو الذي وقف ضد رأي الجماعة، وقرر المشاركة في الانتخابات المقررة ليومي 14 و17 أكتوبر1951م، عكس الأحزاب الأخرى التي رأت بأنه يجب على جميع الأحزاب أن تقاطع هذه الانتخابات، فبخرقه لهذه المقاطعة الانتخابية وجه ضربة قاسية للجبهة الجزائرية، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها، وها هو ذا يحاول إعادة الكرة بدعوته إلى اتحاد حزبي.[2]

كما أشاد الأستاذ محمد قنانش أيضا بفضل هذا الاستفتاء، واعتبره فتحا جديدا في عالم الصحافة الجزائرية لأنه عالج موضوع هام جدا يرغب في تحقيقه كل الجزائريين وهو الاتحاد، غير أنه من الواجب استبدال مصطلح "الاتحاد" بمصطلح آخر يكون أكثر دلالة وهو: "النهضة"؛ ذلك أن الشعب الجزائري في حاجة إلى نهضة فكرية تحدث انقلاباً جذرياً داخل المجتمع، ولا تقتصر على الجانب السياسي فقط، بل تتعداه إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وإن لم يكن الاتحاد بهذا الشكل سيكون مآله الفشل.

أما عن وسائل تحقيق هذه "النهضة" فقد أكد أولا على وجوب تعميم هذا الاستفتاء لجمع أكبر عدد ممكن من الآراء، وإنشاء لجنة مصغرة من خيرة المفكرين لدراستها وتلخيصها في تقرير، ثم يتم إنشاء لجنة موسعة تضم مابين الخمسين (50) والمائة (100) عضو لمناقشة ذلك التقرير والمصادقة عليه، وأخيرا عقد مؤتمر عام يكون فاتحة النهضة.[3]

وقد وردت أيضا مشاركة المناضل عبد الرحمن بن العقون، وقد ذكر بأنه تلقى الدعوة عبر الهاتف من طرف القائمين على جريدة المنار للمشاركة في هذا الاستفتاء[4]، أما رأيه في قضية الاتحاد فإنه لا يختلف عن آراء كافة المناضلين، حيث رأى أن عدم الاتحاد في الجزائر في هذه المراحل الخطيرة من الكفاح يعتبر جريمة لا تغتفر، وكل من لا يعمل في سبيل الاتحاد– سواء شخصية أو هيئة– يجب أن تسلط عليه أنواع الخزي والإبعاد، داعيا إلى

[1] – المنار، س2، ع 17، 06 فيفري 1953.
[2] – المنار، س2، ع 19، 14 مارس1953.
[3] – المنار، س2، ع19، 14 مارس 1953.
[4] – عبد الرحمن بن العقون، مذكراتي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص114.

مؤتمر شعبي يحضره كل الأحزاب والهيئات وبعض الشخصيات الحرة، ومن خلاله يتم تخطيط برنامج للعمل يكون أول اعتراف بالإرادة الشعبية.[1]

ومن خلال رأي الآنسة قديرة بن دالي -وهي معلمة بمدرسة البليدة-والآنسة زهية كرواز نلاحظ مساهمة المرأة الجزائرية في الإدلاء برأيها في صحيفة وطنية وباللغة العربية في قضية هامة، وهذا يعد خطوة هامة في سبيل الكفاح حيث تمكنتا من التعبير عن آرائهما وباللغة العربية رغم المضايقات الفرنسية، وقد أكدتا أن الاتحاد في الجزائر سيتحقق عاجلا أم آجلا، وإنما ذلك يتطلب تضافر كل الوطنيين في الجزائر.[2]

وعلى عكس الآراء السابقة نجد أن فضيلة الشيخ إبراهيم بيوض قد استبعد إمكانية الاتحاد في الجزائر، وقال بأنه بيننا وبينه مراحل شاسعة، لذا يجب على الجزائريين تشخيص الداء أولا وعندها يسهل الدواء، مشيرا أن الجزائر تعاني من علل داخلية تقف في سبيل تحقيق اتحاد شعبي، كما اقترح على المناضل محمود بوزوزو إضافة سؤال آخر إلى هذا الاستفتاء وهو: ما هي العلل والأسباب التي جعلت الاتحاد في الجزائر عسيرا بعيد المنال؟[3]

هذه مجمل الآراء التي استقيناها من خلال ما ورد في المنار، والتي كان لها صدى كبير داخل الوطن وخارجه، حيث كتب مراسل المنار من بلاد القبائل عن مدى لهفة سكان منطقة القبائل كغيرهم من سكان سائر الوطن، لسماع أخبار وتطورات هذا الحدث الهام، لهذا اضطر هؤلاء السكان إلى التمسك بذلك الشخص الذي يجيد اللغة العربية ليقرأ لهم ما جادت به قرائح الكتاب كل نصف شهر، ويترجم لهم باللغة المحلية تلك الأخبار، وبعد أن يعرض عليهم آراء المشاركين، يطلبون منه شرح معانيها وإبداء رأيه فيها لمعرفة من المصيب من المخطئ للوصول إلى رأي يخدم للصالح العام.[4]

أما في ما يخص صدى الاستفتاء في الخارج، فقد كتب مراسل المنار من القاهرة عن الفرحة الكبيرة بهذه المبادرة الطيبة، وطلب من الجزائريين الإسراع لعقد مؤتمر وطني عاجل، يحضره صفوة الشباب لتحقيق الاتحاد المنشود الذي أجمع قادة الجزائر على ضرورته، ونفس الشيء حدث في فرنسا؛ إذ أثارت فكرة الاستفتاء حول إمكانية الاتحاد حماسا بالغا في نفوس المثقفين، واستبشر خيرا كل من هو مؤمن بالحق.[5]

---

[1] - المنار، س2، ع 20 ،27 مارس1953.
[2] - المنار، س 3، ع 40، 10 أفريل 1953، المنار، س3، ع 41، 24 أفريل 1953.
[3] - المنار، س2، ع 18، 27 فيفري 1953.
[4] - المنار، س3، ع48، 06 نوفمبر 1953.
[5] - المنار، س3، ع 40، 10 أفريل1953.

أما عن نتائج الاستفتاء فكان من المقرر أن تجرى دراسة للمشاركات والمساهمات الواردة على الجريدة في هذا الموضوع، ويتم بعدها في مرحلة ثانية دراسة تلك الأفكار ومناقشتها، واستخلاص الأنسب والأصلح منها للشعب الجزائري، الأمر الذي شرحه منظم هذا الاستفتاء الأستاذ محمود بوزوزو بقوله: "وبعد ذلك يأتي دور السعي في التحقيق، وهو المرحلة الثانية بعد جمع الآراء والنظريات في الموضوع". غير أن توقف الجريدة في العدد 51 الصادر بتاريخ الفاتح جانفي 1954م أوقف المشروع.

ولا مناص من القول أن هذه المحاولة الوحدوية التي بادرت جريدة المنار إلى طرحها، تعد ابتكاراً جديداً في الصحافة العربية، ذلك لأنه على حد قول أحد المعاصرين أن هذا الاستفتاء "شق الطريق للصحافة العربية في ميدان الاستفتاء، واستطلا ع آراء القراء، وإثارة الفكر الوطني نحو مشكلة هي أهم ما يشغل بال المخلصين للقضية الجزائرية في الظرف الحاضر".[1]

وبما لا يدع مجالا للشك، فإنه قدم خدمة كبيرة للحركة الثورية الجزائرية، وهذا بشهادة أغلب المناضلين، من ذلك ما ذكره المرحوم عبد الحميد مهري الذي أكد أن أولئك الذين كانوا يحضرون للثورة تشجعوا بصفة غير مباشرة بهذا الاستفتاء، ويقول أيضا أنه عندما نعود إلى الآراء التي طُرحت أثناء هذا الاستفتاء، نلمح بوضوح بعض الخطوط التي كيفت النظرة إلى قضية الاتحاد، وساعدت على تقبل الصيغة التي برزت فيها جبهة التحرير الوطني.[2]

ثالثا: الوحدة المغاربية والعربية

اهتمت الجريدة بالكثير من القضايا التحررية، غير أن أبرز الموضوعات التي أولت لها عناية خاصة هي فكرة "الوحدة المغاربية" والدعوة إلى ضرورة اتحاد الشعوب المغاربية،[3] أوردت هذا الرأي في افتتاحية عددها الأول، ودعت فيه إلى توحيد الكفاح المغاربي توحيدا متينا في الأهداف والوسائل، والجريدة في دعوتها هذه انطلقت من فكرة كون شعوب المغرب العربي الثلاثة (الجزائر، تونس والمغرب) ترزخ تحت نير استعمار واحد، وهو الاستعمار الفرنسي الذي كان ممثلوه في الدول الثلاثة يعقدون الاجتماعات بهدف توحيد السياسة التي يعاملون بها شعوب هذه الدول.

---

[1] – عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، مصدر سابق، ص ص405-406.

[2] – عبد الحميد مهري في حوار له مع جريدة الشعب الجزائرية، العدد الصادر بتاريخ الفاتح نوفمبر 1990م، نقلا عن: إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2013، ص190.

[3] –كانت الجريدة تستعمل في تناولها لهذه الفكرة مصطلح المغربية بدلا من المغاربية، حيث توحي بالفعل أن هذه الشعوب هي شعبا واحدا وإنما بالفعل تشكل منطقة واحدة لذا كانت تتحاشى استعمال المصطلح بصيغة الجمع، والجريدة هنا تقصد شعوب المغرب العربي الثلاثة الجزائر، تونس، والمغرب الأقصى. ينظر: إبراهيم لونيسي، نفسه، ص194.

إذن فتوحيد المغرب العربي والدعوة إلى ذلك كان من بين الأهداف الأساسية التي سطرتها الجريدة للعمل من أجل تحقيقها، وهذا ليس في الميدان السياسي فقط، بل في الميدان الثقافي كذلك، حيث أعلنت الجريدة أنها ستسخر صفحاتها من أجل إحياء التراث الفكري المغاربي وإثراء كنوز الثقافة المغاربية.

ترى المنار أن هذه القضية –الوحدة المغاربية–يجب أن تتحقق على أرض الواقع، وليس في برامج العمل فقط، لأنها القضية التي تمسك بها، وناضل من أجلها أغلب رواد الحركات التحررية في الأقطار المغاربية الثلاث، معتبرين أن أزهى عصور التاريخ التي جعلت من بلداننا وطنا راقيا واسع الأطراف، ينشر السلم والعدل والحضارة في كل الأنحاء، هي عصور الوحدة المغربية زمن المرابطين والموحدين، ولهذا تأمل الشعوب العربية المغاربية –وفي طليعتها الشعب الجزائري–في عودة تلك العهود في شكل يتناسب وظروف العصر الحالي.

يرى محمود بوزوزو أن الشعوب الإسلامية الأخرى كالمغرب العربي المسلم قد تيقظت، ولكن مازالت مترددة في الأخذ بالوسائل الناجعة لبلوغ مرادها، وأهم هاته الوسائل حسب ما يرى الاتحاد والنظام، لأن اليقظة وحدها لا تكفي لنيل المراد، مشيرا أن الاستعمار يعتبر المغرب كله مستعمرة واحدة، اختلفت طرق احتلاله ولم تختلف أهدافه ونياته، داعيا بشدة إلى ضرورة توحيد الكفاح لاعتبارات عدة نجملها في ما يلي:

- أن الأوضاع الاستعمارية المفروضة على سائر بلاد المغرب تهدف إلى غاية واحدة، وتعتبر قضية المغرب قضية واحدة، ولئن ظهر بينهم شيء من الفرق، فهو نتيجة أساليب ترمي إلى القضاء على أقطارنا واحدا واحدا.
- إن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها يشمل جميع الشعوب دون تمييز؛ فمصيبة الشعوب المستعمرة واحدة، وغايتها واحدة، وكفاحها واحد، وعلى هذا المبدأ تشكل مؤتمر الشعوب ضد الاستعمار، وفيه ممثلو الحركات التحريرية الاستقلالية لبلاد المغرب، إذ أكدوا أنه لا فرق بين الأقطار المغاربية في حقها في تقرير مصيرها.
- أن لجنة تحرير المغرب العربي التي تكونت في القاهرة من ممثلي الحركات التحررية الاستقلالية للأقطار الثلاثة، تعتبر قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد، وتؤكد أن الحق في الحرية والاستقلال واحد للأقطار المغربية دون تمييز ولا تفضيل. [1]

كما أشار المناضل محمود بوزوزو في نهاية المقال إلى أن كل تفاوض على غير هذا المحور يعد تراجعا وتقهقرا، فعلى الحركات التحريرية أن تتضامن وتثبت على المبدأ المقرر، ومن المعلوم أن الطريقة العملية لتحقيق

[1] – المنار، س1، ع 13، 04 جانفي 1952.

النجاح تستوجب توحيد السياسة والعمل على هذا الأساس في كل قطر مغربي، مشيرا في الختام إلى رد فعل الشعب التونسي أمام هذا الموقف، حيث بدأ بإضراب عام نال إجماع الأمة التونسية، ونجح نجاحا باهرا، والشيء الأهم هو إجماع الأمة التونسية على مقاومة الموقف الاستعماري الجديد[1]، فالدرس المستخلص من التجربة التونسية هو أن سياسة المفاوضات في نطاق الوضع الاستعماري غير مجدية، وإخفاق هذه التجربة في تونس يبين سداد الخطة التي خطتها لجنة تحرير المغرب العربي: "الاستقلال التام قبل كل مفاوضة".

الأمر الذي اتجه الزعيم علال الفاسي إلى إثباته من خلال جهوده وكتاباته الثرية حول الوحدة المغاربية، نقتبس منها ما ذكره في كتابه الموسوم ب: دفاعا عن وحدة البلاد، فيقول: "إن الروابط الطبيعية تفرض علينا ذلك، فالشعب الذي يعيش في كل من المغرب والجزائر وتونس شعب واحد، متكون من سلالات واحدة، واللغة التي نتحدث بها في جميع شؤوننا الدينية والدنيوية والعائلية واحدة، وهي لغة الضاد، وحتى اللهجات التي تحتفظ بها بعض القبائل على اختلافها تنتمي إلى فصيلة واحدة مع العربية، أما الدين فهو دين الأغلبية الساحقة التي ارتضت الإسلام ودافعت عنه، والاتصال الجغرافي الذي يربط بين هذه الأقاليم شيء ملموس يجعلها متكاملة في ترابها وفي ثرواتها الأرضية والجوفية والمائية والجوفية، فأي بلد من بلدان العالم تتحقق له هذه العناصر ليصبح قطرا متحدا، يقف متربصا للأحداث الذي يتسبب فيها الاستعمار؟".[2]

أبدت جريدة المنار اهتماما بالغا بقضية الوحدة المغاربية، ودعت إلى ضرورة توحيد كفاحها ضد الاستعمار، وذلك من خلال المراسلين والنقل من الجرائد، حيث تجلى ذلك في العديد من الكتابات الضافية التي واظبت على نشرها عبر أعدادها طيلة ثلاث سنوات، بل بلغ الأمر أن خصصت أعدادا كاملة لمعالجة القضايا المغاربية، وفي أحيان أخرى أسندت بعض القضايا لمراسلين دائمين حرصا منها على تتبع تطورات النضال السياسي في كل قطر.

فقد كانت تدعوا إلى توحيد السياسة والعمل القومي في الأقطار المغاربية الثلاثة بل اعتبرت ذلك من أهدافها الأساسية، حيث تمسك صاحب الجريدة بذلك المبدأ، ودعا سائر الهيئات إلى العمل على تحقيقه، مذكرا بذلك كلما سنحت له الفرصة، وهو ما تجلى في قوله في افتتاحية العدد التاسع عشر من السنة الأولى[3]:"وأهم الأهداف السياسية للمنار الدعوة إلى توحيد السياسة والعمل في القطر الجزائري، ونفس التوحيد في سائر الأقطار المغربية، فدعونا إلى ذلك مرارا مبينين موجبات التوحيد بكل وضوح، وقد تحقق هذا التوحيد عندنا في دائرة

[1] -المنار، س1، ع 13، 04 جانفي 1952.

[2] - علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، سلسلة الجهاد الأكبر رقم 7، مطبعة الرسالة، المغرب، 1959، ص 225-226.

[3] - الصادر بتاريخ 28 مارس 1952م.

محدودة، بإنشاء ج.ج.د.ح.إ، تلك الجبهة التي رحبنا بها، باعتبارها خطوة إلى التوحيد الذي ندعو إليه، ونرجو أن يتجاوز هذا التوحيد الحدود الإقليمية إلى الوحدة الإسلامية، وقد ثبتت المنار على هذا المبدأ".

ويقول في مقام آخر: "ولذا دعونا ولازلنا ندعو إلى إنشاء جبهة جزائرية تحريرية، كما ندعو إلى تكوين جبهة مغربية متينة، تخدم الأقطار المغربية الثلاثة باعتبارها قضية واحدة".[1] كما أعلن الكاتب حسرته من غياب الاتحاد بين كل الأحزاب المغاربية الناشطة آنذاك، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن في كل دولة من دول المغرب العربي الثلاثة؛ الجزائر، تونس، المغرب جبهة وطنية موحدة تجمع شمل جل أحزابها، قاصدا بذلك الجبهة القومية التي ظهرت إلى الوجود في المغرب الأقصى في أفريل 1951م[2]، وفي الجزائر ج.ج.د.ح.إ، والأمر ذاته بالنسبة للشقيقة تونس والتي كانت أحزابها قد اجتمعت حول ما يعرف بميثاق ليلة القدر منذ شهر أوت 1946م.

وعليه، كانت المنار وفية كل الوفاء لاتجاهها المغاربي الوحدوي الذي أثبتته في افتتاحية عددها الأول، حيث نجدها تعود لتؤكد تمسكها بهذه الأهداف في مقال افتتاحي لعدد آخر من أعدادها[3] موقع بقلم صاحب الجريدة الأستاذ محمود بوزوزو بعنوان "قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد"، إذ يرى أن المغرب العربي كلاًّ لا يتجزأ، وانطلاقا من هذا كانت دعوة الجريدة إلى ضرورة توحيد السياسة في العمل في جبهة واحدة تهدف إلى غاية واحدة بوسائل متعددة، وهذا يستدعي من الصحيفة اهتماما بسائر أقطار المغرب دون تمييز باعتبار قضيتها قضية واحدة، كما يستوجب الإلحاح لدى الحركات التحررية المغربية في توحيد كفاحها، ونبذ النزعة الانفرادية التي تؤدي إلى تجزئة القضية المشتركة، تجزئة تعد اعترافا بالحدود التي أقامها الاستعمار، وطعنا في صميم الوحدة الطبيعية التي تربط هذه الأقطار واعتبار قضية المغرب قضية واحدة إنكارا للأوضاع الاستعمارية.

يرى محمود بوزوزو أن الظروف التي تسود البلاد المغربية مليئة بالمآسي، ومصدر هذه المآسي اصطدام إرادة التحرر القومي بإرادة الاستعباد الاستعماري، غير أن وحدة الإرادة لا تغني عن وحدة العمل للتعجيل بتحقيقها، وأن هذا التحرر مرهون بمساعي الشعوب المغاربية، مؤكدا أن الظروف الحالية تستوجب الإسراع بتوحيد الكفاح المغربي الذي هو في الإمكان بصفة غنية عن البيان، وحسب ما ذهب إليه فإن تحقيقه يتوقف على توفير الشروط الآتية عند الحركات التحريرية المغربية:

1. الإيمان بوحدة القضية المغربية وعدالتها.
2. الثقة المتبادلة المترتبة على ثبوت الإخلاص عند قادة الحركات التحريرية.

[1] – المنار، س2، ع 6، 04 جويلية 1952.
[2] – المنار، س1، ع2، 20 أفريل 1951.
[3] – المنار، س1، ع 13، 04 جانفي 1952.

3. عدم اعتبار أي قانون غير المواثيق الدولية الناصة على حق الشعوب في تقرير مصيرها، لأن القوانين الاستعمارية إنما شرعت لفائدة الاستعمار وهي مناقضة لهذه القوانين.[1]

مؤكدا أن تمام الانسجام في الناحية النظرية ينتج حتما الانسجام في الميدان العملي، وبذلك فقط يتحقق توحيد الكفاح في سبيل الغاية المنشودة.

مشيرا أن اتحاد الشمال الإفريقي أعظم وسيلة وأقوى سلاح يجب الاعتماد عليه في الوصول إلى غايتنا، والقضاء على الاستعمار، بشرط أن يكون هذا الاتحاد والعمل بجد وإخلاص لتحرير المغرب العربي من جميع الأوضاع الاستعمارية، وإيصاله إلى السيادة التامة، داعيا بشدة إلى الثبات أمام سياسة الترغيب والترهيب اللتين لا يبخل بهما الاستعمار على هذه الحركات التحريرية. داعيا إلى التمسك بالمبادئ التي تعهدت الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال إفريقيا بالالتزام بها، وهي كالتالي:

1. متابعة الكفاح ومضاعفته في سبيل تحرير إفريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار، والوصول بأقطارها إلى نظام دولي ديمقراطي يمنح لها سيادتها التامة.
2. تنسيق العمل لتحقيق هذه الأهداف داخل إفريقيا الشمالية وفي الميدان الفرنسي والدولي.
3. البحث دوريا في حالة الشمال الإفريقي على ضوء الحوادث في الداخل والخارج.
4. تقرر تأليف لجنة "اتحاد وعمل الشمال الإفريقي" وإنشاء كل هيئة أخرى لازمة لتنفيذ الميثاق.[2]

الأمر الذي اتجه الزعيم علال الفاسي إلى إثباته بقوله: "أصبحت مطالب أقطار المغرب كلها تحوم حول محور واحد وهو الاستقلال التام قبل كل مفاوضة؛ فلا إصلاحات، ولا مراحل، ولا تفاوض، في نطاق الوضع الاستعماري."[3]

كما رحبت المنار، بل وابتهجت بتنسيق الأعمال بين ممثلي الأحزاب الوطنية المغاربية: حزب الدستور الجديد، والحزب الدستوري، ح.إ.ح.د، إ.د.ب.ج، وحزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال، وحزب الوحدة والاستقلال، وحزب الإصلاح الوطني، التي اجتمعت لدرس الحالة في تونس والجزائر ومراكش على ضوء الأحداث الداخلية والخارجية، ولمجابهة الحالة الجديدة في المغرب العربي وتكتل القوات الاستعمارية إحداث جبهة

[1] - المنار، س1، ع16، 15 فيفري 1952.
[2] - المنار، س1، ع19، 28 مارس 1952.
[3] - المنار، س1، ع 13، 04 جانفي 1952.

عرفت ب: جبهة الاتحاد والعمل المغربية، فكتبت المنار عن هذا الحدث الهام، وباركت هذه الجبهة من أول يوم تأسست فيه.[1]

وفي الذكرى الأولى لتأسيس جبهة الاتحاد والعمل المغربية، كتب محمود بوزوزو متأسفا على جمودها، متسائلا عن الأسباب الكامنة وراء ذلك، مبديا حصرته من انعدام أي اجتماع ثاني لأعضائها، وبقاء تلك البنود مجرد حبر على ورق، مؤكدا أنه ولئن لم تتحرك هذه الجبهة في إطارها المغاربي أو خارجه، ولم تحقق أحلام شعوبها، إلا أن الفكرة لا تزال تتحرك في رؤوسهم، ومعانيها تسري في عروقهم، وأملها يهتز في قلوبهم، وما تخصيص المنار لمقال في الذكرى الأولى لتأسيسها إلا إشادة بها، وتذكيرا بأن الفكرة لا تزال حية في النفوس، لأن الحياة عقيدة وعمل.[2]

واعتبارا لذلك الاهتمام من المنار بالوحدة المغاربية سنحاول تتبع ما كتبته عن تطورات القضيتين المغربية والتونسية، بداية من قضية المغرب الأقصى وموقف الملك محمد الخامس[3] منها ومن السلطات الاستعمارية، وبحكم الترتيب الكرونولوجي للأحداث والمواضيع سننطلق من مقال صدر بعنوان "المشكلة المراكشية: تاريخها، تطورها، كيف حلها، عادت فيه المنار إلى شرح الظروف التاريخية التي فرضت خلالها معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب، معتبرة أن إيحاءات سيطرة أوربا على المغرب برزت خلال القرن 19م والتي تجلت آثارها في انهزامه في معركة ايسلي 1844م، وقصف مدينتي طنجة وأصيلا في ذات التاريخ، وما تلاها من تدخلات دبلوماسية منحت امتيازات أوربية سياسية واقتصادية واسعة للأوربيين بالمغرب، مشيرة إلى مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري ودخوله إلى التراب المغربي مستنجدا بالسلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، وحيثيات استسلامه وأسره من طرف الفرنسيين في 23 ديسمبر 1847م.

اتجهت الجريدة بعدها إلى الحديث عن اشتداد التنافس الإمبريالي بين الدول الاستعمارية؛ فرنسا، إنجلترا، ألمانيا، وإسبانيا مطلع القرن 20م حول المغرب مبينة أن فرنسا كانت أكثر الدول حماسة للسيطرة على المغرب، فكثفت جهودها بداية من عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906م[4]، وانتهاء بتطبيق سياسة الإرضاء والتعويض؛

[1] – المنار، س1، ع16، 15 فيفري 1952.

[2] – المنار، س2، ع17، 6 فيفري 1953.

[3] – على الرغم من أن السلطان المغربي سيدي محمد بن يوسف لم يلقب رسميا بمحمد الخامس إلا بعد تاريخ 02 مارس 1956م، غير أن استعمال هذا اللقب الأخير قد ورد في أغلب الدراسات المغربية التي تناولت تاريخ الكفاح المغربي ضد الاستعمار دون أي اعتبار للتاريخ المذكور ربما سعيا في الإيجاز. ينظر: سطيفان برنار، تاريخ الصراع الفرنسي المغربي 1943-1956م، ترجمة حسان المعروفي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص52.

[4] – كانت معاهدة الجزيرة الخضراء تضمن استقلال المغرب، لكن بعد انهزام ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، تغيرت الأوضاع واختل التوازن، مما سمح لفرنسا وإسبانيا بإعادة النظر في المعاهدة ومباشرة الاحتلال الإقليمي.

فتنازلت فرنسا عن ليبيا لصالح إيطاليا، أما مصر فقد تركتها لبريطانيا، وعن امتيازاتها في الكونغو فقد تنازلت عنها لصالح ألمانيا، مقابل أن تتخلى هذه الدول عن المغرب وتطلق العنان لفرنسا بأن تفرض عليها معاهدة الحماية.

وصفت المنار نظام الحماية بالغطاء الشرعي الذي ابتكرته الدول الاستعمارية الأوربية للسيطرة على المستعمرات، ومخادعة الرأي العام العالمي بشرعية أعمالها، معتبرة أن معاهدة الحماية الموقعة بتاريخ 30 مارس 1912م فرضت على الشعب المغربي بالقوة، ملتمسة الأعذار للسلطان المولى عبد الحفيظ التي أكدت أنه وقّعها تحت الضغط والإكراه، معتبرة أن فرنسا بسياستها الاستعمارية خرقت مضامين المعاهدة بل وحولتها إلى حكم مباشر، وحجتها في ذلك حالة الفوضى والاضطراب التي وجدت عليه البلاد المغربية، إذ أشارت المنار أن هذا مجرد افتراء مستشهدة بمقال لليوطي جاء فيه: "أما في مراكش (المغرب) فقد وجدنا سلطنة منظمة، عززتها الأسرة المالكة ولم تؤثر فيها الثورات المتوالية، ووجدنا إلى جانب تلك الهيئة الحاكمة، مدينة عريقة سامية".[1]

متحدثة في الوقت ذاته عن مختلف الأساليب التي اتبعتها الحركة الوطنية في التصدي للسياسة الاستعمارية بين الحربين، وموقف السلطان من الحركة الوطنية الذي نعتته بالنزيه، ومعارضته للإصلاحات الفرنسية التي اعتبرها أكذوبة، متحدثة عن وضعية القضية المغربية في المحافل الدولية ملخصة حلها فيما يلي: "إن حل المشكلة المراكشية لا ولن يكون عن طريق الإمعان في التنكيل بالوطنيين، والإمعان في زجرهم، كما ولن يكون بفرض الإصلاحات عن طريق القوة المسلحة والضغط على الملك، وإنما يكون بالاعتراف للشعب المراكشي بحقه في تقرير المصير، ويجعل فرنسا تقتنع بإلغاء معاهدة الحماية، والعدول عن سياستها الاستعمارية التي عض عليها الدهر، وحكمت عليها إرادة الأمة المراكشية بالزوال طال الأمد أو قصر"، مختزلة الخلاصة التي كانت تبحث عنها في مقالها في عبارة مفادها أن عهد الحماية الفرنسية عهد استغلال وعبودية، وأن أثره كان وخيما على حياة الأمة المراكشية[2] في عددها الأول كتب محمد العربي المتيجي مقالا تحدث فيه عن كفاح الملك محمد الخامس، الذي قال عنه أنه ضيّق الخناق على غلاة الاستعمار، وأن ملكه المحبوب سيدي محمد بن يوسف قد أعلن أكثر من مرة عن رغبة شعبه في الحرية وإرادته في إلغاء معاهدة الحماية، وقد تجلى ذلك في خطابه التاريخي الذي ألقاه بمدينة طنجة سنة 1947م، ثم في تصريحاته أثناء زيارته لباريس.

اعتبر صاحب المقال أن موقف الملك مشرفا لأنه "عاهد الله والتاريخ بأن يبقى دوما وفيا لشعبه الكريم"، وأشار الكاتب إلى كون المقيم العام الفرنسي قد لجأ إلى سياسة التعسف بأمره لجيوش المرتزقة بمحاصرة القصر

[1] – المنار، س2، ع01، 11 أفريل 1952.
[2] – المنار، ع1، س2، 11 أفريل 1952.

الملكي لإكراه الملك على الخضوع للاستعمار، مشيرا إلى سياسة التهديد بالخلع والإبعاد التي وقعت في الوقت الذي نزلت فيه القوات الأمريكية بأرض المغرب[1] دون استشارة الملك أو التفاوض معه، وأن ذلك يتنافى تماما مع ما جاء في الميثاق الأطلسي، مبينا أن سياسة فرنسا اتجاه الملك أثارت استياء العالم الإسلامي، وكل الأمم التي تسعى إلى تحقيق الحرية والاستقلال.[2]

وفي ذات العدد مقال حمل عنوان: "وثائق تغني عن التعليق في قضية المغرب الأقصى الشقيق" مرفقا بصورة الملك محمد بن يوسف وعليها الإهداء بالخط إلى السيد محمود عزمي، وعلى الصورة توقيع الملك مع عبارة "ملك المغرب أعانه الله"، إذ نقلت المنار عن الأهرام أسئلة محمود عزمي[3] عن توقيع الملك على بروتوكول 25 فبراير 1951م، وأجوبة الملك عليها بخطيهما معا. وقد أكد الملك في رسالته أن توقيعه على البروتوكول كان تحت ضغط وتهديد الإقامة العامة، وأنه وقّع حقنا للدماء، موضحا أن سبب الأزمة ليس هو ما أذيع حول رفض السلطان لبعض التشريعات القانونية المفروضة عليه، وإنما السبب هو ما طلبه المقيم العام من استنكار السلطان للأساليب الكفاحية لحزب الاستقلال.[4]

غير أن ما يثير الانتباه ويبعث إلى التساؤل: كيف سُمح للدكتور محمود عزمي أن يصل إلى المغرب وأن يقابل الملك، ويحصل منه على تلك الرسالة؟

لذلك حادثة معروفة في الكتابات المغربية التي أرخت للحركة الوطنية المغربية هي "أسطورة قنبلة فاس"؛ فعلى إثر اشتداد الأزمة المغربية نشرت صحيفة المصري القاهرية خبرا مثيرا على عرض الصفحة الأولى قالت فيه: أن الطائرات الفرنسية ضربت مدينة فاس بالقنابل، وهدمت مساجدها لترغمها على الاستسلام، وهو خبر لا أساس له من الصحة، ولكن رغم ذلك، فقد نقلته عنها عديد من الصحف العربية والأجنبية، مثيرا لدرجة كبيرة

---

[1] - C.A.M, Historique de L'armée de L'Armistice du 08 novembre 1942 a janvier 1943, dossier Protectorat, Boite n°: S 99.

[2] - المنار، س1، ع1، 29 مارس 1951.

[3] - نشر الدكتور محمد عزمي استجوابه لجلالة الملك في عدد الأهرام المؤرخ يوم 12 مارس 1951م، وكان قد وصل إلى المغرب يوم 15 مارس ليقوم باستطلاع صحفي إثر الخبر الذي نشر في القاهرة من قنبلة مدينة فاس، وكان محمود عزمي أثناء إقامته في المغرب على صلة وثيقة بأعضاء حزب الاستقلال، وبخاصة الرئيس علال الفاسي في طنجة والحاج أحمد بلا فريج الأمين العام للحزب في الرباط، وكان على أحر من الجمر ليحصل على جواب محمد الخامس، غير أنه لم يبد تخوفه من أن ينتزع منه تصريح الملك الخطي بالقوة، وتحسبا لتفادي حصول ذلك أخذ طريقه عائدا إلى بلاده في نفس الساعة التي تلقى فيها جواب الملك. ينظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، ج2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1987، ص 512.

[4] - المنار، س1، ع 2، 20 أفريل 1951.

اهتمام الرأي العام العالمي، ولم تنفع على إثرها بلاغات الحكومة الفرنسية في تكذيب الخبر بعد أن فعل فعله في التأثير على الرأي العام.

ولما كانت الحكومة الفرنسية تثق دائما في صحف معينة وفي مقدمتها صحيفة الأهرام، التي كانت لها أثناء النفوذ الفرنسي والإنجليزي في مصر صلات مع فرنسا، وكانت تؤيد سياستها على العموم، والسفارة الفرنسية في القاهرة تثق في شخصيات مصرية معينة تلقت تعليمها في فرنسا كالدكتور طه حسين، والدكتور محمود عزمي والأستاذ توفيق الحكيم وغيرهم ممن أظهروا في كثير من المناسبات تعاطفا مع فرنسا، ولهذا فحينما قدم الجنرال جوان إلى المغرب، ولاحظ الحملة التي يشنها مكتب المغرب العربي في القاهرة ضد السياسة الفرنسية، فكر في أن يستدعي بعض الصحفيين لربط الصلات معهم عساهم يؤثرون على الرأي العام، غير أن الأمور سارت عكس ما خطط لها الجنرال جوان.[1]

وكرد فعل على اضطراب العلاقات المغربية الفرنسية، وفي إطار توحيد الجهود، وتنسيق العمل بين الأحزاب الوطنية، وتكثيف عمل زعماء الحركة الوطنية المغربية، خاصة في ظل الاهتمام المتزايد بالقضية المغربية، جاءت افتتاحية عددها الثاني بقلم رئيس التحرير وعنوانها "جبهة قومية واحدة في المغرب الأقصى"،[2] وهي عن توحيد الأحزاب السياسية المغربية الأربعة: حزب الاستقلال بقيادة الزعيم علال الفاسي، حزب الشورى والاستقلال برئاسة محمد بن الحسن الوزاني، حزب الإصلاح[3] بزعامة عبد الخالق الطريس، وحزب الوحدة المغربية تحت إشراف محمد المكي الناصري، حيث وقع قادتها بمدينة طنجة يوم 9 أفريل 1951م على ميثاق وطني قومي من ثماني نقاط واضحة الأهداف لتحقيق استقلال المغرب وهي:[4]

- تلتزم الأحزاب الوطنية الموقعة على الميثاق بالكفاح في سبيل الاستقلال الكامل للمغرب ولا يقبل أي حزب انخراط المغرب في الوحدة الفرنسية، مع ضرورة تحديد علاقات المغرب بفرنسا بواسطة معاهدة جديدة.
- لا يمكن السعي نحو غاية قبل إعلان الاستقلال.

[1] - عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص 515.

[2] - من نشاطاتها أنها كانت تساند العمل في الداخل وتبعث بمذكرات تأييد إلى جلالة الملك، وتستنكر مخطط الإصلاحات التي تعرضها الإقامة العامة، وتؤكد رفضها لأي برنامج إلى إشراك الفرنسيين في السيادة المغربية. وكان مما أعلنته الجبهة الدعوة إلى مقاطعة انتخابات المؤسسات لأنها لا تضمن للمواطنين حرية الاختيار مادامت تشكل في ظل الحماية المفروضة. ينظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص534.

[3] - لفهم توجهات هذا الحزب أكثر، ظروف نشأته، برنامجه، ونظرته لاستقلال المغرب يرجى الاطلاع على: حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني والاستقلال، س5، ع5، مجلة كلية الآداب بتطوان، 1991، ص 115 وما بعدها.

[4] - المنار، س1، ع 2، 20 أفريل 1951.

- لا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال.
- لا مفاوضة مع السلطة الفرنسية بشأن مسائل ثانوية في نطاق النظام الحالي.
- كل عمل من شأنه تعزيز أعمال الإقامة العامة المخالفة لمنهاج جلالة السلطان يعتبر مخالفا لنصوص الميثاق.
- تعاون المغرب مع الجامعة العربية في نطاق نشاطها قبل وبعد الاستقلال يعتبر واجبا وطنيا.
- يلتزم الموقعون على الميثاق بعدم الاتحاد مع الشيوعيين المغاربة في أي عمل من الأعمال.
- تعيين الأحزاب المشاركة في الميثاق لجنة اتصال وتشاور وكل حزب يحتفظ لنفسه بحرية العمل في نطاق التزامات الميثاق.

وفي مقال بعنوان: "مذكرة الجبهة القومية المراكشية إلى ملك المغرب الأقصى" تحدث عن استغلال الأحزاب المشكلة للجبهة المغربية حلول الذكرى الثامنة لمطالبة المغاربة بالاستقلال، حيث رفعت مذكرة إلى السلطان المغربي تحمل جملة من المطالب السياسية، نقتطف منها ما يلي: "إن جبهة الأحزاب الوطنية المغربية تؤكد من جديد مطالبتها بإلغاء عقد الحماية وإعلان الاستقلال، ليتأتى تأسيس حكومة مغربية صالحة لإدخال إصلاحات ديمقراطية صحيحة في البلاد، وإجراء مفاوضات مع الجمهورية الفرنسية، والاتفاق معها على وسائل استلام مقاليد البلاد، وبناء العلائق بين المغرب وفرنسا على أسس جديدة، قائمة على الصداقة والاحترام المتبادل في نطاق مبادئ هيئة الأمم المتحدة".[1]

وفي نفس العدد نشرت المنار في ثلاث حلقات متتالية[2] رسالة مطولة بعث بها الزعيم علال الفاسي إلى جريدة المصري، احتوت في مجملها على انتقادات لاذعة للسياسة الاستعمارية الفرنسية وأعوانها؛ إذ استجوب محمود عزمي الزعيم علال الفاسي، وأخبره بأن الجنرال جوان قال له: "أن أساليب حزب الاستقلال سبب الأزمة المغربية". فابتسم علال الفاسي وقال: "بل إن أساليب الجنرال جوان هي السبب الحقيقي للأزمة، وأن الأزمة بدأت من يوم تعيينه مقيما عاما سنة 1947م ومجيئه إلى المغرب متحفزا".[3]

[1] - المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

[2] - المنار، س1، ع2، 20 أفريل 1951.
- المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.
- المنار، س1، ع04، 21 ماي 1951.

[3] - نُشِرَت الرسالة في جريدة السعادة المغربية بتاريخ 30 مارس 1951م، أما نص التصريح الأصلي فقد نشرته جريدة الأهرام في 28 مارس 1951م. ينظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص 514.

وتتمحور الخطوط العريضة للرسالة على عدة أمور منها:

- رحلة السلطان إلى فرنسا سنة 1950م.
- قضية الباشا الكلاوي وتهجمه على السلطان.[1]
- الشيوعية وحزب الاستقلال.
- التطاول على العرش.
- اضطهاد حزب الاستقلال.

إذ أكد الزعيم علال الفاسي في رسالته أن السلطان قدّم أثناء وصوله إلى باريس مذكرة أولى إلى الرئيس الفرنسي فانسان أوريول في 03 أكتوبر 1950م، تضمنت تأسيس العلاقات المغربية الفرنسية على أسس جديدة، كما تعرض فيها إلى ما تعانيه بلاده من كبت وتضييق داعيا إلى اقتراح الحكومة الفرنسية بإدخال إصلاحات جزئية، مشيرا أن الملك رد بمذكرة ثانية في الفاتح نوفمبر 1950م، أوضح فيها رأيه بغاية الصراحة من الوجود الفرنسي بالمغرب، مطالبا بإلغاء هذا الوضع وبناء علاقات على اتفاق يضمن للمغرب كامل سيادته، ولخص علال الفاسي أحداث 1951م واستفزاز الجنرال جوان[2] وأعوانه للسلطان[3] ووضعه أمام خياران: إما التبرأ من حزب الاستقلال، وحل الديوان الملكي، وإقصاء بعض كبار الوزراء والموظفين بالقصر وغيره، وتعيين قواه ممن سبق للقصر أن رفض تعيينهم وتوقيع الظهائر التي كان السلطان يعارض فيها، أو التنازل على العرش، فوجد السلطان نفسه مجبرا على التوقيع على بروتوكول اتفاق ليلة الأحد 26 فبراير 1951م،[4] ويحتوي على ثلاث نقاط:

- صدور بلاغ من القصر وتصريح لدولة الصدر الأعظم في التنديد بحزب الاستقلال.

---

[1] – إن التعبئة العامة ضد الملك محمد الخامس تولاها التهامي الكلاوي باشا مراكش، والشريف عبد الحي الكتاني، وكبار المعمرين الذين يقودهم أوكوتوربي والدكتور إيرو، والوزير المنتدب بلسون، ومدير الداخلية فالات، وبونيفاس، وهذا الفريق كان يدعمه دعما رسميا من باريس الماريشال جوان، ويدعمه بطريقة سرية الرأسمال الفرنسي الكبير وبصفة خاصة بنك باريس والأراضي المنخفضة، كما ترك الوزير الأول حرية التصرف ل:"جورج بيدو". ينظر: جان وولف، ملحمة عبد الخالق الطريس حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب، ترجمة محمد الشريف، ط1، منشورات جمعية تطوان، المغرب، 2003، ص 249.

[2] – جاء الجنرال جوان إلى المغرب بتاريخ 14 ماي 1947م وهو يحمل سلطات مطلقة قد تصل إلى حد تهديد العرش، ويحمل مع ذلك تجربة قام بها في تونس أثناء الحرب يوم أبعد المنصف باي عن عرشه ونفاه بعد ذلك إلى مدينة "بو" بفرنسا إلى أن توفي. ينظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص 477.

[3] – كان أمام الجنرال جوان مهمة أساسية تتمثل في جعل الملك محمد الخامس يوقع على مجموعة من الظهائر، بدعوى تحديث النظام ودمقرطته، إلا أنها كانت في الواقع تقصد إلى إبطال معاهدة فاس، وتعويض نظام الحماية بنظام السيدة المشتركة التي تخول مقتضياته للفرنسيين حقوقا سياسية أعلى ممن الحقوق التي يتمتع بها المغاربة، ويجعلهم تبعا لذلك متحكمين في زمام الأمور. ينظر: جان وولف، ملحمة عبد الخالق الطريس، مصدر سابق، ص 244.

[4] – المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.

- إدخال تغييرات على الحكومة المغربية(المخزن) بتعيين قواد جدد.
- دراسة مشاريع الإصلاحات التي كانت موقوفة لعدم حصول الاتفاق بين القصر والإقامة العامة في شأنها.[1]

انتقلت الرسالة إلى عرض الاحتياطات التي وضعتها السلطات الاستعمارية والإجراءات التي اتخذتها في حال رفض السلطان التوقيع على الاتفاق، منها:

- خلع جلالته، وقد هيأ الجنرال طائرته الخاصة لترحيل السلطان وعائلته الملكية إلى مكان مجهول.
- إلقاء القبض على زعماء حزب الاستقلال ومسيريه في جميع الجهات.
- إعلان حالة الطوارئ بالمدن لمنع حدوث أي اضطراب أو رد فعل من طرف المغاربة، وفي آن واحد تقع بيعة سلطان جديد وقع عليه الاختيار من قبل.

وعرجت الرسالة إلى ذكر المرشحين لاعتلاء العرش وحصرتهم في المقربين من عائلة السلطان، وهم: مولاي عرفة بن مولاي المأمون عم السلطان وخليفته السابق بفاس، مولاي إدريس شقيق السلطان، مولاي يونس نجل المولى عبد الحفيظ.[2]

وقد والت المنار الكتابة عن تطورات القضية المغربية، فنشرت مقالا بقلم مراسلها (م.ب) من المغرب الأقصى عن "عنصرية الاستعمار"، أما الموضوع المعالج فهو حوادث الدار البيضاء وتادلة،[3] تلك الأحداث التي أثارتها السلطات الفرنسية كرد فعل على المظاهرات التي قامت في مختلف جبال الأطلس تضامنا مع الملك محمد الخامس، بها ثم مقالا آخر حمل عنوان "فظائع في المغرب الأقصى" بقلم الحاج عمر عبد الجليل، ممثلة في نص الاحتجاج حول القمع الاستعماري في قرية آيت سعيد بدائرة بني ملال[4] وهو ما تسبب بعدها في منع المنار من دخول المغرب الأقصى.

كما تحدثت المنار في مقام آخر عن العزلة التي أصبح يعيشها المغرب وعن الحدثين البارزين عندئذ، وهما:

- قضية الأطلس: وهي أحداث انتقال الجنود الفرنسيين إلى الجبال وعيثهم فيها فسادا.

---

[1] - المنار، س1، ع04، 21 ماي 1951.

[2] - المنار، س1، ع04، 21 ماي 1951.

[3] - احتجاجا على حادث الاعتداء على قبيلة آيت سعيد وتطويقها بالجيش الفرنسي، بعث حزب الاستقلال برقية شديدة اللهجة إلى الإقامة العامة أمضاها المرحوم الحاج عمر عبد الجليل. وماكادت تصل البرقية حتى استدعي لمقابلة الجنرال "بوايي دولاتور" نائب المقيم العام، وبعد استفسار وتحقيق أرسله إلى السجن، ثم حوكم أمام محكمة الباشا محاكمة صورية، وصدر الحكم عليه بالسجن ستة أشهر بتهمة إرسال برقية احتجاج. ينظر: عبد الكريم غلاب، مصدر سابق، ص517.

[4] - المنار، س1، ع5، 15 جوان 1951.

- ظهير الانتخابات البلدية: وتعني منح الكولون حق الانتخابات مما فسره الوطنيون والملك بأنه مشاركة في السيادة.

وقد ذكرت المراسلة أن السلطات الاستعمارية قد منعت الجماهير من التوجه إلى الرباط لإعلان الولاء للملك يوم عيد الفطر، ولكن عندما رجعت إلى مناطقها قابلتها السلطات الفرنسية بالاعتقالات.[1]

وفي مقال بقلم محمد المصائفي تحدث فيه عن الأزمة بين المغرب وفرنسا، وأن السلطان محمد بن يوسف حاول أن يسلك سبيل اللين والتفاهم مع جمهورية فرنسا الرابعة، غير أنه أيقن أن محاولته هاته بدون فائدة، لأن اقتراحاته جوبهت بالرفض، بل إن الاستعمار تمادى في الجواب إذ هدد الملك بالعزل وتعيين غيره ملكا على العرش. كما أشار الكاتب إلى أن الملك أخرج قضية بلاده إلى دائرة أوسع، قاصدا بذلك تبني جامعة الدول العربية القضية المغربية، وعرضها على هيئة الأمم المتحدة.[2]

وتعود فكرة تدويل القضية المغربية إلى الاتصالات التي أجراها حزب الاستقلال ببعض الوفود العربية التي شاركت في مؤتمر سان فرانسيسكو لتأسيس الأمم المتحدة سنة 1944م، والتي قدم خلالها الحزب مذكرة حول القضية، وبعد ذلك بعث السيد أحمد بلا فريج مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة في 15 سبتمبر 1947م يسترعي فيها اهتمام هاته المنظمة بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب، بعدها تأتي تحركات علال الفاسي في القاهرة لإقناع اللجنة السياسة للجامعة العربية بتبني القضية المغربية أمام الأمم المتحدة، وعليه قررت الجامعة العربية في اجتماعاتها في 17 مارس 1951م تقديم القضية المغربية إلى الأمم المتحدة، ولعل أهم خطوة قام بها علال الفاسي في هذا المجال هي رحلته إلى مختلف الدول العربية والأسيوية زائرا معظم دول آسيا وأوروبا وأمريكا، والتي كان لها دور في دفع القضية المغربية نحو الأمم المتحدة.[3]

وفي عدد موالي نشرت المنار صورة الملك ونص خطابه، بحذافيره، وكان عنوان المقال "خطاب العرش المغربي"، فلم تكتف الجريدة بنشر نصه كاملا كوثيقة بل عمدت إلى تسطير أبرز عناوينه حتى تلفت نظر قرائها إلى محتواه، من ذلك: والله لو وضعوا الشمس، آلينا على أنفسنا أن نعيد للبلاد وحدتها، الإسلام جعل من هذه البلاد أمة ودولة.[4]

---

[1] - المنار، س1، ع8، 31 أوت 1951.

[2] - المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

[3]- للاستزادة أكثر حول الموضوع يرجى الاطلاع على: أسيم القرقري، علال الفاسي استراتيجية مقاومة الاستعمار، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص 106-107.

[4] - المنار، س1، ع 12، 21 ديسمبر 1951.

وبداية من سنة 1952م حظيت القضية المغربية باهتمام متزايد، فنشرت مقالة قارنت فيها المنار بين يوم الشهداء بالمغرب سنة 1944م ويوم الثامن ماي 1945م بالجزائر، كما خصصت حيزا لا بأس به للمذكرة التي قدمتها الجبهة القومية المراكشية إلى ملك المغرب الأقصى في 09 جانفي 1952م، وهي المذكرة التي انتهت بالمطالبة بإلغاء نظام الحماية وإعلان الاستقلال.[1]

وفي سياق حديثها عن قمع الحريات العامة، والتعدي على حرية الرأي والتعبير، وانتهاك حرمات الدين الإسلامي، ذكرت المنار نقلا عن جريدة العلم المراكشية أن بعض خطباء الجمعة في القطر الشقيق ممن جعلوا استقلال ليبيا موضوع خطبهم يوم الجمعة؛ إذ باركوا هذا الاستقلال، ودعوا الله أن يثبت أقدامهم في النضال حتى يتحقق استقلال المغرب، وعليه استدعوا من طرف المحكمة الباشوية بالرباط، وهم خطباء ثلاثة مساجد: أحمد بن الغازي خطيب المسجد الأعظم، والحاج الصديق الشدادي خطيب مسجد القصبة العتيق، ومحمد بن عبد الله خطيب مسجد الناصرية، وأبلغهم المندوب الفرنسي أن لديه أمرا من الإقامة العامة بإبقائهم في المحكمة، إذ استنكرت الجريدة مثل هذه السلوكيات التي تتنافى مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان، مطالبة السلطات الاستعمارية الفرنسية بالكف عن اضطهاد الناس من أجل دينهم.[2]

وواصلت الجريدة في عدد جديد تتبع أخبار عن اضطهاد الاستعمار لرجال الدين المباركين لاستقلال الشعب الليبي الشقيق، مؤكدة أن الإدارة الاستعمارية راحت تكيد لهم وتخلق التهم لإدانتهم، مستشهدة في هذا الصدد ببعض الحالات، من ذلك الإقدام على الحكم على الشيخ عبد الواحد بن عبد الله سنة ونصف سجنا بدعوى أنه تعرض في خطابه الديني إلى السياسة، وأنه ذكر اسم "جون دارك"، متسائلة بانفعال شديد: أيأبى المستعمرون علينا حتى الاستشهاد من التاريخ؟ وما أقدمت السلطات الفرنسية على مثل هذه التصرفات إلا لكبت حرية الرأي والتعبير، وحرمان الشعب من المطالبة بحقه في تقرير مصيره.[3]

وفي مقال آخر[4] تطرقت المنار إلى المذكرة الجديدة التي أرسلها السلطان إلى الحكومة الفرنسية مطالبا من خلالها السلطات الاستعمارية بتغيير بنود معاهدة الحماية، وتأسيس حكومة من الأكفاء للتفاوض مع المسؤولين

---

[1] – المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

[2] – المنار، س1، ع13، 4 جانفي 1952.

[3] – المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

[4] – في مقال جاء بعنوان: سلطان المغرب يطالب بإنشاء حكومة من الأكفاء بقلم عبد الله مراسلها من المغرب الأقصى نشر في العدد التاسع عشر الصادر بتاريخ 28 مارس 1952. ولأن الحكومة الفرنسية لم تستجب لمطالب الملك في المذكرة، نشرت المنار مقالا آخر بتاريخ 4 جوان 1952م حمل عنوان: ماذا وراء سياسة المماطلة في مراكش؛ إذ أظهر صاحب المقال تعجبه من هذه المماطلة على الرغم من أسلوب اللين والاعتدال الطاغيين على المذكرة.

الفرنسيين بعد منح الشعب المغربي حق التمتع بالحريات الديمقراطية الأساسية.

وقد احتفت المنار في سنتها الأخيرة بالقضية المغربية، ونشرت مقالات ضافية حول الملك المغربي وعلاقته بالسلطة الفرنسية والحركة الوطنية المغربية، ففي مقال بعنوان "عدوان سافر في مراكش" أرفقته بصورة الملك، تحدث فيه الكاتب عن الاعتداءات على زعماء الحركة الوطنية المغربية وزجهم في السجن، وفي مقال آخر عنوانه "جلالة سلطان مراكش يتحدث عن أماني شعبه" تطرق الكاتب الطاهر حميدات إلى التصريحات التي أدلى بها الملك محمد الخامس إلى جريدة لوفيقارو الفرنسية، والتي طالب فيها بإجراء تعديلات على بنود معاهدة الحماية، وإشراك الشعب المغربي في تسيير شؤون البلاد، إذ وصفت المنار السلطان محمد الخامس بأنه: "يغار على واجبه كراعي أمة تريد أن تأخذا مكانها تحت الشمس".[1]

وبنفس الاهتمام تابعت المنار تطورات القضية التونسية؛ حيث أشارت إلى أن توقيع معاهدة الباردو[2] أعطى الحق للجيوش الفرنسية باحتلال التراب التونسي ريثما تستقر الأوضاع داخليا وخارجيا، غير أنه بعد أن استتب الأمر للفرنسيين فرضوا معاهدة ثانية عرفت بمعاهدة المرسى بتاريخ 08 جوان 1883م،[3] فقدت تونس على إثرها سيادتها، وسمحت للفرنسيين بالسيطرة على شؤون البلاد، فأخضعت تونس على إثرها سياسيا وإداريا، وانتقلت السلطة الفعلية إلى أيدي الفرنسيين.

تحدثت المنار عن النضال السياسي التونسي مشيرة أن هذه المرحلة سبقتها فترة طويلة من المقاومات المسلحة،[4] عبر من خلالها الشعب التونسي عن رفضه التام للاستعمار، وتصاعدت الأصوات المنادية بضرورة إدخال إصلاحات في شتى المجالات، تكفل حقوق الشعب التونسي وتحقق مطالبه، فتقدم الأمين باي بطلب إلى المقيم العام مونص[5] بتاريخ 27 جويلية 1949م.

وبدخول شهر جويلية 1950م، اعترفت الحكومة الفرنسية على لسان وزير خارجيتها روبير شومان بحق التونسيين في حكم بلادهم، وعلى هذا الأساس قامت وزارة محمد شنيق بالتفاوض مع الفرنسيين ساعية إلى نقل

---

[1] – المنار، س2، ع18، 27 فيفري 1953.

[2] – الباردو: سميت كذلك نسبة إلى مدينة الباردو الواقعة على مقربة من العاصمة التونسية، تم توقيعها بتاريخ 12 ماي 1881م.

[3] – للاطلاع أكثر على بنود الاتفاقية وشروطها يرجى تصفح مقال الأستاذ شاوش حباسي المنشور بمجلة الدراسات التاريخية والمعنون ب: فرض الحماية على تونس، ورد الفعل التونسي 1881-1883م، ع8، س 1994، ص99 وما بعدها.

[4] – المنار، س2، ع3، 09 ماي 1952.

[5] – جون مونص: تولى الإقامة العامة في تونس بداية من الثالث مارس 1947م، واستمر في هذا المنصب إلى غاية جوان 1950م.

السلطة الداخلية إلى أيدي التونسيين،[1] وبالفعل تأسست الوزارة التونسية بتاريخ 17 أوت 1950م إذ تكونت من ستة وزراء تونسيين، وستة آخرين من الفرنسيين، كما شارك فيها الحزب الحر الدستوري الجديد بوزير واحد.[2]

واعتبرت جريدة المنار أن المواقف المتناقضة ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية لا تنتج إلا ضررا على مستقبل الأوضاع في البلدان المغاربية، وعليه نشرت نص البيان الذي نشره محمد بن عبد الكريم الخطابي يوم 12 جويلية 1951م يعالج تطور الأحوال السياسية بالقطر التونسي بعنوان "بيان من سمو الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي حول الوضعية الحاضرة في تونس" أما الدافع وراء هذا البيان هو مشاركة الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد في الوزارة الاستعمارية القائمة (الوزارة التفاوضية) التي تألفت يوم 17 أوت سنة 1950م، وقبوله التفاوض مع الفرنسيين بقصد إدخال بعض الإصلاحات على الأوضاع السياسية في البلاد. إذا انتقد الزعيم الخطابي بشكل حاد قرار الحزب واعتبره منافيا للمبادئ الاستقلالية للأحزاب المغاربية، كما أنه لا يتماشى مع الميثاق الذي أمضته الأحزاب التونسية لعام 1946م، ولا حتى مع ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، مستنكرا هذه المشاركة، معلنا معارضته الشديدة داعيا قادة الحزب إلى التراجع عن القرار وسحب ممثلهم من الوزارة.

كما أثارت مشاركة الحزب الحر الدستوري الجديد في الوزارة التفاوضية نقمة لجنة تحرير المغرب العربي،[3] التي أصدرت بيانا موقع من قبل رئيسها الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي مستنكرا بشدة هذه المشاركة، يقول في ذلك: "نعلن استنكارنا لمشاركة الحزب الدستوري الجديد في هذه التجربة، ونعتبرها إخلالا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي...كما نعلن معارضتنا الشديدة لما أسفرت عنه هذه التجربة، لمنافاتها للأماني الوطنية، ومساسها بجوهر السيادة التونسية...وندعو الحزب إلى سحب ممثله فورا من الوزارة، والعودة إلى ميدان الكفاح الصحيح على أساس المبادئ الاستقلالية التي أقرتها اللجنة...ونؤكد أن لجنة تحرير المغرب العربي التي تنضوي تحت لوائها جميع الأحزاب الاستقلالية المغربية، لا تتحمل أي مسؤولية في السياسة التي ينتهجها هذا الحزب، مادامت تخالف مبادئ ميثاقها".[4]

---

[1] – المنار، س2، ع4، 23 ماي 1952.

[2] – المنار، س1، ع6، 30 جويلية 1951. وللاستزادة أكثر وفهم توجهات الحزب الحر الدستوري الجدي بقيادة الحبيب بورقيبة يرجى الاطلاع على: محمد المصافي، الحركات التحررية المغاربية أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942–1956)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2017، ص77–78.

[3] – تشكلت بتاريخ 09 ديسمبر 1947م من قبل الأحزاب الوطنية بالأقطار المغاربية الثلاث؛ الجزائر، تونس، المغرب الأقصى.

[4] – المنار، س1، ع6، 30 جويلية 1951.

وعليه، كان لجريدة المنار أيضا موقف مناهض لهذه المشاركة، إذ أعلن صاحب الجريدة محمود بوزوزو معارضته الشديدة لهذا التصرف، مؤكدا أن ما تعرض له الحزب الدستوري الجديد بانفصاله عن الكفاح المشترك تتعرض له القاصية من الغنم، وعن نتائج هذه المشاركة، والدروس المستخلصة من التجربة التونسية يقول: "فالدرس المستخلص من التجربة التونسية هو أن سياسة المفاوضات غير مجدية في نطاق الوضع الاستعماري، فإخفاق هذه السياسة في تونس بيَّن سداد الخطة التي تنتهجها لجنة تحرير المغرب العربي التي تعتبر قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد."[1]

وتماشيا مع نفس الأهداف، خصصت جل العدد الخامس عشر للقضية التونسية،[2] إذ عالجت الوضعية التي آلت إليها سياسة الإصلاحات والمفاوضات بين الطرفين، مؤكدة أن الحكومة الفرنسية مصرة على التمسك بتواجدها في التراب التونسي، إذ بقيت وعودها حبرا على ورق، مما أدى بالشعب التونسي إلى الاقتناع بفشل سياسة الإصلاحات الفرنسية، وإعلان نيتهم في تغيير أساليب الكفاح، فأعلن الحزب الدستوري الحر الجديد في مؤتمره المنعقد بتاريخ الثامن عشر جانفي 1952م أنه لا يمكن حدوث التعاون المثمر بين البلدين التونسي والفرنسي في الميادين الثقافية والاقتصادية إلا بنهاية عهد الحماية واستقلال البلاد التونسية، وذلك بإبرام معاهدة تفاهم وتحالف بين البلدين، وأن استقلال البلاد لا يجب أن يتم بإصلاحات مجزأة .

وتوالى اهتمام جريدة المنار بتطورات النضال التونسي خاصة بعد اقتناع التونسيين بعدم جدوى المفاوضات، وتزايد العمل الفدائي، واشتداد القمع الفرنسي من خلال السجن والاعتقال، وفي ظل غياب القادة الوطنيين برز الاتحاد العام التونسي للشغل الذي عمل على تعبئة العمال وحشدهم لمناصرة قضيتهم، فكانت الاضطرابات العمالية التي شملت معظم أنحاء البلاد التونسية، وقامت على إثرها مظاهرات دامية أيام 23 و24 و25 جانفي 1952م[3]، فكان النهب والاغتيال والإرهاب الجماعي والاعتداء على النساء والأطفال والتنكيل بهم هي الوسائل التي اختارها المقيم العام الجديد[4] لكبح رغبات التونسيين حينها.

---

[1] – المنار، س1، ع6، 30 جويلية 1951. وللإطلاع على تطورات الحركة الوطنية التونسية خاصة خلال فترة الخمسينات يرجى مراجعة:
Laszlo Nagy, Le mouvement national tunisien et l'environnement international 1950-1951, Actes du 4eme Colloque International sur la Tunisie, tenu les 13,14, et 15 décembre 1991, textes réunis et publie par L'U.E.R, Tunis, 1993, p 101-109.

[2] – الصادر بتاريخ 01 فيفري 1952.

[3] – المنار، س1، ع16، 15 فيفري 1952.

[4] – دي هوتكلوك: عين مقيما عاما في تونس بداية من الثالث عشر جانفي 1952م، وأنهيت مهامه بتاريخ الثالث سبتمبر 1953م.

ولعله من المفيد أن نؤكد أنه من أبرز الأحداث التونسية التي أولت لها الجريدة اهتماما بالغا، وأفردت لها حيزا هاما من صفحاتها، حادثة اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد من قبل التنظيم المعروف آنذاك بـ: "اليد الحمراء"،[1] حيث كتبت الجريدة مباشرة بعد عملية الاغتيال التي تمت في 05 ديسمبر 1952م مقالة[2] تنعي فيه الزعيم المغتال للشعب الجزائري، حملت عنوان: "جريمة فظيعة لا تغتفر"، وفيها حاول صاحب المقال أن يرثي الزعيم فرحات حشاد معتبرا أن العملية جريمة لا تذكر أمامها سوى الجرائم النازية. [3]

كما أعطى المقال ذاته للقارئ نظرة عامة عن شخصية هذا الزعيم الذي لعب دورا بارزا في العمل النقابي حيث يقول: "جمع شتات العمال التونسيين، وولى وجهه شطر توجيههم وإرشادهم خلال السنين الطوال، ليدافعوا عن مصالحهم الطبيعية، إنه فرحات حشاد الذي استطاع بفضل عزيمته وجهاده أن يحقق تجمع الجماهير التونسية لمناهضة جور الحماية الفرنسية القائمة على التمييز بينهم وبين المعمرين"[4]، ويقول صاحب المقال أن فرحات حشاد جعل من ضعف العمال قوة، ومن اتحادهم سيفا بتارا لينقذهم من الظلم والاستبداد الاستعماري.

---

[1] – عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على تقوية أجهزة استخباراتها، ومنظماتها الإجرامية، من ذلك ما عرف بتنظيم "اليد الحمراء" الذي يعد في الواقع فرعاً من المكتب الثاني الفرنسي، وهذه المنظمة تنفق عليها السلطات الفرنسية أموال طائلة مثل بقية المنظمات الإجرامية الأخرى، وتتشكل من عناصر وعملاء مهامهم تصفية العناصر الوطنية، ومتابعة موارد الثروة البشرية والمادية، والقضاء على العناصر المثقفة، تتسم سياستها بالعنف والعنصرية؛ إذ لا تتردد في تنفيذ سياسة الاختطاف والاعتقالات، وكانت هذه المنظمة التي تعدّ فرعا من الاستخبارات الفرنسية يلاحق الوطنيين أين ما كانوا. ينظر: حفظ الله بوبكر، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية (1954– 1962) طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص-ص 270-301.

[2] – المنار، س2، ع 12، 12 ديسمبر 1952.

[3] – غير أنه ما يستوجب التنبيه إليه أن أول إشارة إلى مسؤولية تنظيم اليد الحمراء في اغتيال فرحات حشاد تعود إلى سنة 1960م عندما نشر روائي سويسري هاوٍ اختص في النصوص "البورنوغرافية"، كان يعرف باسم بيار جنيف (Pierre Genève) رواية تحمل اسم اليد الحمراء، والذي يبدوا أنه اعتمد بشكل كبير على شهادة أحد مؤسسي هذا التنظيم المقيمين في سويسرا، حيث أورد تفاصيل واضحة في هذا الرواية عن دور اليد الحمراء في عملية اغتيال الزعيم فرحات حشاد. ينظر: عادل بن يوسف، حول اغتيال الزعيم فرحات حشاد وكتاب اليد الحمراء لأنطون مليرو، **مجلة روافد**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، ع15، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2010، ص131.

[4] – المنار، س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.

وحسب ما أشارت إليه كل الدراسات التي تناولت فكر الرجل وجهوده النهضوية لترقية العمال التونسيين، أن جهوده لم تختزل في التنظيم والتأطير داخل الاتحاد التونسي للشغل، بل تعداه إلى نشر الروح الوطنية الصحيحة في نفوس العمال، وتعليمهم أسس الحياة الاجتماعية المتحررة من كل استعباد استعماريا كان، أو إقطاعيا، أو برجوازيا،[1] لذلك فإن الوعي الكامل بالمبادئ الوطنية قد حطم جميع المحاولات التي قامت بها النقابات الأجنبية والاستعمارية للتغلغل في صفوف العمال التونسيين واستغلالهم لغير الأهداف الوطنية.[2]

إذ استغل صاحب المقال الفرصة ليحدث القراء عن وجه فرنسا الحقيقي[3] الذي يتصف بالبشاعة، والذي كانت تحاول إخفاءه عن الرأي العام العالمي، وكذلك ليوجه دعوته إلى جميع شعوب المغرب العربي بضرورة توحيد جهودهم، للقضاء على هذا الاستعمار البغيض الذي أذّلهم وسلب حريتهم: "ومن هنا فإن للتونسيين وللجزائريين وللمراكشيين واجبا مقدسا، هو أن يجمعوا شملهم وينظموا صفوفهم ويوحدوا جهودهم، ليأمنوا مكر الماكرين، وغدر المتآمرين، وشر المجرمين، وإلا سيظلون عرضة للهلاك تعبث بهم الأيادي الآثمة".[4]

وفي العدد ذاته نجد مقالا آخر بقلم المناضل عبد الحميد مهري بعنوان: "فرحات حشاد المناضل" يقول فيه أنه كان رجلا متواضعا لكن ذو شخصية قوية، "وكانت هذه الشخصية القوية تندثر بدثار من الخلق المتين، والبساطة في المظهر والحديث، والاتزان في الأعمال والأقوال، وضبط النفس في الشدة واليسر".

ولقد أشار صاحب المقال إلى بعض آراء فرحات حشاد في العمل النقابي، إذ أنه كان يرى أن واجب الطبقة العاملة في بلاد متخلفة هو أن نكون في طليعة الكفاح التحريري قبل كل شيء، ويرى كذلك أنه من الخطأ الفادح أن ينزوي العمال في نقاباتهم، ويعكفوا على شؤونهم الخاصة، ويهملوا بذلك أهم قضية وهي تحقيق استقلال تونس وكل البلدان المغاربية.

---

[1] – نظرا للنشاطات المكثفة للمناضل فرحات حشاد، حرصت السلطات الاستعمارية الفرنسية على متابعة تحركاته نظرا لخطورة أفكاره، وتأثيرها في أوساط الطبقة العاملة التونسية، وللاستزادة أكثر وفهم الموضوع بشكل معمق يرجى الاطلاع على التقارير السرية لأجهزة الاستعلامات الفرنسية، والتي بلغت أكثر من ثمانية تقارير في ظرف لا يزيد عن ثلاثة أشهر، والتي نشرها الباحث التونسي عبد المجيد بلهادي في كتابه الموسوم ب: فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية 1945-1952 من خلال مجموعة نادرة من الوثائق، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2013، ص-ص 89- 98.

[2] – الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط1، 1976، ص219.

[3] – ما تجدر الإشارة إليه حادثة اغتيال الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل السيد حشاد، وقعت في ظروف كانت الاستعدادات قائمة لعرض قضية تونس على الأمم المتحدة، دون أي اعتبار للرأي العام الدولي، وأصدرت القيادة العليا الفرنسية بعده أمرا بحظر التجول في تونس وضواحيها تفاديا لثورة المواطنين انتقاما لمصرع زعيمهم. ينظر: حمد الله مصطفى حسن، أصداء المقاومة المسلحة التونسية ضد الاحتلال الفرنسي في الصحافة المصرية 1945-1957، أعمال الندوة الدولية السابعة حول: المقاومة المسلحة في تونس في القرنين 19 و20 المنعقدة في نوفمبر 1993، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس، 1995، ص 114، نقلا عن الأهرام المصرية، ع 24129، 6 ديسمبر 1952.

[4] – المنار، س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.

ومما يذكر عنه على وجه الخصوص أنه كان شديد الاهتمام بتطورات الكفاح ضد الاستعمار في كل من الجزائر والمغرب، كثير التواصل مع أشقائه، كان يؤكد كلما أتيحت له الفرصة عن رغبته في تأسيس جامعة نقابية كخطوة أولية لفتح الطريق أمام توحيد الجهود وتكوين جبهة سياسية بين الأحزاب والهيئات المغربية.[1]

ومما يدل على جهوده الوحدوية وتأثير أفكاره وتوجهاته على نفوس الجزائريين والمراكشيين، تلك الإضرابات والحركات الاحتجاجية التي شهدتها هاته البلدان عقب اغتياله، كما تكونت لجنة للتحقيق في الحادث، لكنها لم تسفر على أي نتائج، الأمر الذي يظهر أن هناك أيدي استعمارية في القضية، هذا وقد نشرت جريدة لوبسير فاتور الباريسية مقالا فيه معلومات هامة كانت مجهولة عن تفاصيل هذه الحادثة، وعلى الرغم من أن أصابع الاتهام كانت موجهة إلى منظمة اليد الحمراء، فإن السلطات الفرنسية عملت على تجاوز الموضوع ولم تلق القبض على أعضائها.[2]

وبمناسبة حلول ذكرى اغتيال المناضل النقابي فرحات حشاد في 05 ديسمبر 1953م، استغل التونسيون هاته الفرصة لإظهار استنكارهم للنظام الاستعماري القائم، وإعلان رفضهم التام للسياسة الفرنسية الجائرة،[3] معبرين عن إرادتهم في مواصلة النضال، حاملين مشعل الحرية والاستقلال، إذا شكلت حادثة الاغتيال منعرجا هاما في تاريخ الكفاح الوطني التونسي، الذي سيعمل على رفع لواء الجهاد، والعمل المسلح من أجل تحقيق الاستقلال.

وبصفة عامة فإن المشرفين على هذه الجريدة اتخذوا من فكرة الدعوة إلى توحيد شعوب المغرب العربي كموضوع أساسي للعديد من المقالات الافتتاحية في الكثير من أعدادها، وإما يتخذون حدثا من الأحداث الكثيرة التي كانت تخص شعبا من الشعوب المغاربية موضوعا لمقالات أخرى عديدة، كما أنها كانت تتبع مختلف الأحداث التي كانت تدور في الدول المغاربية، حدثا بعد حدث، سواء كان صغيرا أو كبيرا، فلا يكاد يخلو أي عدد من أعدادها من ذكر أحداث المغرب الأقصى أو تونس، معلنة تأييدها المطلق للمطالب التي ناضل من أجلها الشعبين المغربي والتونسي عقودا من الزمن.

[1] – المنار، س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.
[2] – المنار، س2، ع16، 23 جانفي 1953.
[3] – المنار، س3، ع51، 01 جانفي 1954.

ولقد تجاوزت المنار الوحدة الوطنية والإقليمية، لتحاول تحقيق الوحدة القومية العربية والإسلامية[1]، معتقدة أن نضال بلدان المغرب العربي جزء لا يتجزأ من نضال الأمة الإسلامية ضد الاستعمار، مؤكدة أن دواعي الاتحاد متوفرة بين كل الأحزاب في كل قطر؛ فالدين، واللغة، والعادات، والارتباط التاريخي كلها مقومات توحي بذلك الترابط الوثيق بين سائر الشعوب العربية والإسلامية، معتبرة أن حركات التضامن بين كل أقطار الوطن العربي كفيلة بتحريره من الهيمنة الاستعمارية، مشيرة إلى أن كل الظروف التي يعاني منها حاليا كل قطر عربي، ما هي–بالدرجة الأولى– إلا نتاج التفرقة والتجزئة القطرية التي فرضها النظام الاستعماري في الأقطار العربية مشرقا ومغربا.

وتماشيا مع ما سبق ذكره، سجلت المنار عدة مواقف للتضامن مع القضايا العربية، إيمانا منها بأن الجزائر متمسكة بإطارها العربي، فدافعت عن القضايا العربية دفاعا مستميتا، من خلال نشر مقالات عديدة حول القضايا العربية، معتبرة أن الروابط المختلفة بين الجزائر وسائر البلدان العربية والإسلامية يفرض عليها هذا الاهتمام، مؤكدة أن الشعب الجزائري على استعداد دائم للوقوف إلى أشقائه العرب، ومناصرة قضاياهم، مندDا بالسيطرة الإمبريالية، معلنة أن الكفاح الجزائري العربي يتقاطع في هدف واحد وهو تحقيق الاستقلال التام.

وعلى هذا الأساس وجهت اهتمامها لتطورات القضية المصرية، فأعلنت استياءها من قرار الملك فاروق، الذي قام بإقالة وزارة النحاس باشا سنة 1952م، وعين بدلا عنها حافظ عفيفي باشا، وعمر باشا، معتبرة هذا القرار نقطة التحول في السياسة الخارجية المصرية.[2]

وفي هذا الإطار، وجهت المنار انتقادات واسعة للسياسة البريطانية المعتمدة على القوة، تقول في هذا الشأن: "إن بريطانيا مصرة على البقاء في منطقة السويس، معتمدة في ذلك على كثرة جيوشها، أما مصر فمصرة على التحرير معتمدة في ذلك على الله، وعلى بذل دماء أبنائها، والشعب المصري سائر لا محالة إلى النجاح إذا ظل متمسكا بالصبر والكفاح".[3]

[1] – في مقال جاء بعنوان:"في سبيل وحدة إسلامية"، تحدثت المنار التطورات السياسية في سوريا، مقدمة دعمها ل: الشيشكلي على إثر انتخابه لرئاسة الجمهورية، كونه حارب الفساد، ورسم طريق الحرية والعزة والكرامة لأمته. المنار، س2، ع14، 26 ديسمبر 1952.

[2] – المنار، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[3] – المنار، س1، ع13، 04 جانفي 1952.

وبخصوص قناة السويس، كتب محمود بوزوزو في شهر أكتوبر سنة 1951م، مقالا حول مشكلة قناة السويس بعنوان: بريطانيا ومصر[1] شرح فيه السياسة البريطانية بعد ح.ع.2 والتي نعتها بالعقلانية، خاصة عند اعترافها باستقلال كثير من مستعمراتها؛ باكستان، برمانيا، تأييد ليبيا في حقها في الاستقلال.

وعليه كان من المنتظر أن تسلك بريطانيا السياسة نفسها في قضية قناة السويس، وعلى العكس من ذلك سلكت منحى آخر، فيقول في هذا الشأن: "وها هي قضية قناة السويس بدورها تختبر من جديد حكمة بريطانيا الدبلوماسية وتدبيرها السياسي، فإن المعهود في السياسة البريطانية هو البعد عن الطيش، والحمق وعن ارتجال الحلول، وعدم التأثر بعاطفة عنصرية أو دينية تزيغ بها الأبصار والبصائر، وكان يُتَوقع من بريطانيا أن تستمر في سلوكها السياسي الجديد الذي شرعت فيه بعد الحرب العالمية الثانية، فحفظ لها صداقة الهند وباكستان وبرمانيا، وخفف كثيرا من الأحقاد، وإن أثار سخط الاستعمار الفرنسي".

كما كتبت عن تضامن الجزائريين مع الشعب المصري من خلال حديثها عن مساندة أبناء الجزائر الموجودين في مصر لإخوانهم المصريين من أجل تحقيق أهدافهم وتحقيق النصر، إذ شارك الطلبة الجزائريون في مظاهرات 14 نوفمبر 1951م، رافعين عدة شعارات، ولافتات أخرى مكتوب عليها أن الجزائر تتضامن مع مصر في جهادها، تلك المظاهرات التي رفع فيها العلم الجزائري إلى جانب العلم المصري.[2]

فعلقت المنار على هذا التضامن بقولها: "سار أبناء الجزائر صامتين خاشعين، ممثلين ما فيهم من وطنية خالصة، وعروبة متينة، وإيمان عميق بالله والوطن العزيز".[3]

ونتيجة لهذا الاهتمام الذي بدر من المنار بقضايا التحرر في المشرق العربي، تفطنت الإدارة الفرنسية، وسعت جاهدة لبتر سبل التضامن، وما رفض الحكومة الفرنسية التأشير على جواز سفر مدير معهد فاروق للدراسات العربية بالجزائر إلا إثبات قاطع للموقف الفرنسي المناهض لمثل هذه المبادرات، لهذا برزت المساعي التي بذلها المكتب الدائم للجبهة الجزائرية من أجل مطالبة الحكومة الفرنسية بالعدول عن قرارها.

وفي ما يخص هذه السياسة الفرنسية فناجمة عن التخوف الفرنسي من انتقال الأفكار التحررية العربية المشرقية إلى الجزائر، ومن ثم تأثيرها على المخططات الفرنسية، وبالتالي سعت إلى قطع الصلات، وفصل الشعب الجزائري عن بقية الشعوب العربية.

---

[1] - المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.
[2] - المنار، س1، ع11، 08 ديسمبر 1951.
[3] - نفسه.

وبالإضافة إلى الإشارات السابقة عن المواقف الاستعمارية، نشرت المنار مقال جاء بعنوان: "الدبلوماسيون الفرنسيون يغضبون من مناصرة الجامعة العربية للمغرب"[1]، إذ أن الدبلوماسيين الفرنسيين في مؤتمرهم الذي انعقد في بيروت سنة 1951م وبحضور مجموعة من سفراء ووزراء فرنسا، شنوا حملة واسعة ضد الجامعة العربية التي اعتبروها رابطة لتكتل الشعوب العربية ضد سياسة فرنسا، فوصفت المنار الموقف بالمنحرف عن القيم الإنسانية العليا والمنافي للمبادئ الديمقراطية: "فبدلا أن تراجع فرنسا سياستها البالية التي لا يقبلها عقل عاقل، وتبني علاقاتها مع الشعوب باحترام الكرامة الإنسانية، والاعتراف بحقهم في الحرية والاستقلال، فنجد أنها تحرص على التمسك بعلاقة حكم عليها الدهر بالإعدام".[2]

وشكلت الثورة المصرية في 23 جويلية 1952م حدثا أثار اهتمام المنار، معلنة مساندتها لإرادة الشعب المصري في التحرر، فنشرت مقالا من إمضاء الحارث حمل عنوان: الانقلاب المصري...فجر ينبثق[3] قائلة: "هو فجر لا محالة...ولا نظنه إلا فجرا صادقا...وهكذا ستكون حركة الجيش فجرا صادقا يطلع على الشعب المصري بل على الشعوب الإسلامية والعربية بعهد جديد". مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[4] أما عن أسباب الثورة، فأرجعتها المنار إلى العوامل التالية:

- حل البرلمان وفرض حالة الحصار على البلاد.
- قطع المفاوضات بين مصر وبريطانيا، وإلغاء المعاهدة المصرية البريطانية.
- الهزيمة في رد العدوان على فلسطين سنة 1948م، وإعلان الجيش المصري نقمته على بعض القادة العسكريين.

[1] - المنار، س1، ع 04، 21 ماي 1951.
[2]- المنار، س1، ع 04، 21 ماي 1951.
[3] - المنار، س2، ع09، 15 أوت 1952.
[4] - سورة الحج، الآية رقم 40.

هاته مجمل العوامل التي تضافرت فيما بينها وأدت إلى غضب الجيش المصري، وتحرك الضباط الأحرار، وتوافق رغباتهم مع طموحات الشعب المصري، مما أدى إلى حدوث الثورة المصرية ودفع بالملك فاروق إلى التنازل عن العرش[1]، وعليه اعتبرت جريدة المنار أن إعلان الجمهورية المصرية مكسبا هاما للثورة من أجل مواجهة الاستعمار الإنجليزي وتواجده في قناة السويس.[2]

وإذا كانت جريدة المنار أولت عنايتها بالقضايا التحررية في البلدان المغاربية خاصة القضيتين التونسية والمغربية، كما تقدم ذكره، ناهيك عن مساندتها للمشاريع الاستقلالية في سائر البلدان العربية، فإننا نجد أنها خرجت في بعض المناسبات عن هذا الحيز المكاني[3]، وهذا لا يعني أبدا تحولها عن توجهها الفكري، أو خروجها عن خطها التحرري المغاربي، أو رغبة منها في البحث عن قراء جدد، أو مراسلين وكتاب جدد تثري بمساهماتهم صفحاتها[4] بقدر ما يعتبر رغبة من القائمين عليها بإثراء موادها، وإعطاء مساحة لبعض الأحداث الهامة والمستجدة على الساحة العالمية، والتي تدخل في إطار الأهداف التي حددتها لنفسها في عددها الأول.

[1] – المنار، س2، ع 08، 01 أوت 1952.

[2] – المنار، س3، ع 45، 10 جويلية 1953.

[3] – من ذلك معالجتها للمواضيع التالية:

- الأحزاب السياسية في الباكستان: س2، ع5، 20 جوان 1952.
- نهضة المرأة الأندونيسية: س2، ع5، 20 جوان 1952.
- المشكلة الكورية: تاريخها، تطورها، كيف حلها: س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.
- استقلال الهند والباكستان: س2، ع9، 15 أوت 1952.
- عبرة إيران: س2، ع10، 22 أكتوبر 1951.
- كيف تخلصت الهند من الاستعمار: س2، ع6، 4 جويلية 1952.
- كينيا تتطلع إلى حياة الحرية: س2، ع10، 24 أكتوبر 1952.
- حوادث العراق: س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.

[4] – سفيان لوصيف، عبد الحميد المودن، **الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية–الجزائرية، ج2**، ط1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، 2017، ص 875.

خلاصة:

حملت جريدة المنار مادة خبرية لا بأس بها تتعلق بالقضية الجزائرية وبقضايا أخرى عربية ودولية، فعلى الرغم من قصر عمرها إلا أنها استطاعت بفضل كتابها من بث الوعي الوطني، وإنارة الرأي العام الجزائري من خلال توضيح موقف الإدارة الاستعمارية وفضح دسائسها، كما كشفت الجهات المساندة للإدارة الاستعمارية لتحقيق أغراضها، وهي تقصد بذلك المجلس الجزائري معلنة موقفها المعارض لجلساته وقراراته، وهذا طبعا راجع لتركيبته ومساواة تسع ملايين من المسلمين بمليون من الأوربيين، فبقي قرار الفصل مجرد أوراق محفوظة في أدراج المجلس الجزائري.

وتبعا لذلك ندد محمود بوزوزو بسياسة التفرقة بين الأحزاب الوطنية، داعيا إلى الوحدة الوطنية التي ظل يعتبر غيابها عن البلاد، وعن برامج وأدبيات عمل الأحزاب والهيئات الوطنية مأساة حقيقة لا تقل ضررا عن مأساة الاستعمار في حد ذاته، وهي إشارات على مدى إدراكه ما للوحدة من أهمية بالغة في إنجاح أي مشروع تحرري، ومن ثم فإنه دعا إلى الوحدة واعتبرها رسالته الأولى في سبيل تحقيق الاستقلال والحرية.

كما عكف عبر صفحات المنار على خلق جبهات لتوحيد كلمة الشعوب العربية، حيث ناد بالوحدة المغاربية والعربية في أكثر من موقف، فعمل في سبيل كشف الدسائس الاستعمارية الهادفة إلى خلق تفرقة بين شعوب هذه المنطقة، وذلك بهدف إضعافها، وبالتالي سهولة السيطرة عليها، نافيا وجود فرق بين نظام الحماية والاستعمار، مشيرا أن الملوك المنصبة في البلاد المحمية سوى رموز لا نفوذ لها، وفي حقيقة الأمر يعتبر أن فرنسا هي المتصرفة الفعلية والحاكمة المطلقة في هذه البلاد، وإن اختلفت طرق احتلالها فقد توحدت أهدافها.

وعليه حفلت المنار بمختلف المواضيع الخاصة بالقضايا التونسية والمغربية خمسينات القرن العشرين، ناهيك عن قضايا مصر وليبيا وغيرهما من الشعوب التي تئن من وطأة الاستعمار، ورغم التفاوت الواضح في درجات اهتمامها بالقضايا العربية، ولكن رغم هذا أكدت على المصير الواحد، وتعد هذه النصوص مجرد عينة قدمناها كمثال على مساندة الشعب الجزائري للشعوب العربية، لكي نتمكن من إدراك مكانة المنار في تاريخ الصحافة الجزائرية، فهي تعد من أهم صحفها الوطنية اهتماما بتوجيه الشعب في وقت اشتبكت فيه المسالك، وتضاربت الآراء، فهي تعد رافعة لواء الجهد ضد الاستعمار الفرنسي، وإرهاصا قويا من إرهاصات الثورة التحريرية.

الفصل السادس

قضايا ثقافية فكرية ودينية في جريدة المنار 1951-1954م

أولا: التربية والتعليم في الجزائر

ثانيا: الخطاب النقدي والأدبي

1-النقد الأدبي

2-الأخبار الثقافية

3-الأخبار الأدبية

4- المسرح

5- الشعر

ثالثا: الدين في الجزائر

1-مكانة الدين في الحياة البشرية

2-الاحتفاء بالمناسبات الدينية

3-المطالبة بفصل الدين عن الدولة

رابعا: السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه الدين الإسلامي في الجزائر

1-جهود الكنيسة الفرنسية لتنصير الجزائريين

2-الاستيلاء على الأوقاف

تمهيد:

بعد نضالها السياسي ودفاعها عن القضايا السياسية في الجزائر وبعض الأقطار العربية، سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى المواضيع الثقافية الفكرية والدينية التي طرحتها جريدة المنار على صفحاتها، إذ أولت لها عناية بالغة، فاهتمت بمعالجة قضايا التربية والتعليم، كما عملت على إحياء التراث الثقافي العربي والإسلامي، داعية إلى ثقافة عصرية مشبعة بالروح التقدمية، مع تبني كل ما يتلاءم وحضارتنا وثقافتنا حتى وإن كان مصدره الغرب. وفي الدرجة الثانية عكفت المنار على معالجة بعض القضايا الأدبية التي اهتمت بواقع وتطورات الأدب الجزائري آنذاك، ناهيك عن بعض الأخبار الثقافية والأدبية التي حرصت على تخصيص حيز من صفحاتها لنشرها.

ثم تأتي المواضيع الدينية في الدرجة الثانية، إذ اهتم محمود بوزوزو بنشر التعاليم الإسلامية للتوكيد على أن الجزائر أمة عربية إسلامية، فظهر ذلك الاهتمام من خلال جملة المقالات التي نشرت في جريدة المنار، التي عملت على الحفاظ على تراثنا الروحي ودعوة الشباب للتمسك بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ولم تغفل في الوقت ذاته الحديث عن قضية فصل الدين عن الحكومة، معتبرا أنها قضية تمس مؤسسة دينية، ولها مكانة خاصة في الحفاظ على تماسك الشعب الجزائري وتلاحمه، ولم يغفل الحديث عن مؤسسة الأوقاف داعيا لإبقائها مستقلة عن تسير الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

أولا: التربية والتعليم في الجزائر

اهتمت جريدة المنار خلال سنواتها الثلاث بوضعية التعليم في الجزائر خلال القرن العشرين، مؤكدة أن مسايرة تيار التقدم لا يتحقق إلا بتنوير الفكر والعقل البشريين، ويبقى سلاح العلم الأداة الفعالة لبلوغ ذلك، لذا عكفت على نشر مقالات تحليلية ضافية ورصينة عالجت فيها تفاصيل عن مقومات التربية والتعليم؛ الأهداف والوسائل، واجبات المربين، الطرق التربوية السليمة في التعامل مع الأطفال وغيرها.

كما تحدثت عن محاربة الاستعمار الفرنسي للتعليم، ورجاله، ومؤسساته، ومنع المثقفين من نشر التعليم العربي الحر، وفرض اللغة الفرنسية على الأهالي، معتبرا اللغة العربية لغة أجنبية، كما لم تُغفل الحديث عن تعرض المدارس والكتاتيب لملاحقات الشرطة الفرنسية، من خلال فرض الغرامات، السجن، الاعتقال، وغيرها من الإجراءات الإدارية التعسفية التي تهدف إلى إبقاء أكبر عدد من الجزائريين في جهل تام.

وفي إطار اهتماماتها بقضايا التربية، تطرقت إلى اضطهاد التعليم العربي الحر، والسياسة الفرنسية المتبعة ضد المعلمين والطلبة وسعيها لمحاربة الجهود المبذولة لمحاربة الجهل والأمية المتفشيين، بداية من مقال موسوم بـ: "نظام التربية في الجزائر" نشرته في ثلاث حلقات مطولة، ومقالات أخرى[1] أعلنت فيها دعمها وتضامنها مع الطلبة في القطرين الشقيقين تونس والمغرب.

أما الطلاب فقد أولتهم عناية خاصة، ولاسيما أولئك الطلاب المغتربين الذين كانوا يزاولون دراساتهم في تونس أو المشرق العربي، فكانت تنشر قوائم الناجحين منهم وتحتضن إنتاجهم توجيها وتشجيعا[2]، كما ألزمت نفسها بنشر قوائم الطلبة الناجحين في مختلف الشهادات[3]، مقدمة لهم أخلص تهانيها، راجية لهم النجاح والتوفيق في ميادين العمل.

كما نقلت لنا صورة مشرقة عن الاحتفال الذي أقيم بمدينة قسنطينة بمناسبة افتتاح دار طلبة معهد ابن باديس[4] التي تم تشييدها وتأثيثها على أحدث طراز بفضل مساعي جمعية العلماء، ذلك الاحتفال العام الذي

[1] – جاء عنوان المقال ب:"الطلبة المسلمون يضطهدون"، فعلى إثر الاحتجاجات التي قام بها الطلبة المسلمون بتونس ومراكش استنكارا للحوادث الدامية التي روع بها الاستعمار شعبي القطرين، أقدمت عناصر الشرطة الفرنسية على اعتقال عدد كبير من الطلبة والطالبات وإخراجهم من مساكنهم المختلفة وحشدهم في مخافر الشرطة وتعذيبهم أشد أنواع التعذيب، ينظر العدد التاسع عشر بتاريخ 28 مارس 1952.

[2] – محمد ناصر، الصحف العربية، مرجع سابق، ص 398.

[3] – من ذلك ما ورد في عددها التاسع الصادر بتاريخ 15 أوت 1952م إذ نشرت في صفحتها الرابعة القائمة الاسمية للطلبة الناجحين في شهادة التحصيل بالجامعة الزيتونية، كما قامت بنشر البلاغ الذي وصلها من الأستاذ التونسي محمد الشاذلي النيفر بعنوان: "بلاغ إدارة المدارس الزيتونية" أعلنت فيه للطلبة الجزائريين الراغبين في التسجيل في سكنات المدارس الزيتونية أن يقدموا طلباتهم مرفقة بكامل المعلومات الخاصة بهم مع تحديد الآجال النهائية لذلك.

[4] – المنار، س 3، ع 49، 20 نوفمبر 1953.

حضره الشيخ علي النيفر مدير المعهد الزيتوني والأستاذ الشاذلي النيفر من شيوخ الزيتونة، إضافة إلى حديثها عن تفاصيل الاجتماع العام لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بقاعة الأفراح بالجزائر بتاريخ 09 ديسمبر 1951م.[1]

الأمر الذي يفسر لنا اهتمام أمم المعمورة اهتماما عظيما بقضية التعليم والتربية الوطنية؛ إذ أنها تدرك أنه لا يتم سير ركب الحضارة الإنسانية، ولا يتم للوعي القومي تغلغله في الأوساط واستكمال نضجه إلا إذا أعدت لشبابها العدة اللازمة للتطور، ولا فرق في ذلك بين الأمم الحرة أو المستعمَرة، بما في ذلك الجزائر في محاولة لتحميل الاستعمار الفرنسي مسؤولية ما يعيشه المجتمع الجزائري من تخلف وركود، وهو ما وضحته المنار في إحدى مقالاتها، نورد منه ما يلي: "والشعب الجزائري من بين أكثر شعوب الأرض خدمة في ترقية الفكر البشري، لم تقعد به الأيام في مختلف العصور عن تقديم المشاركة الفعالة في ميدان الإنتاجات العامة؛ سواء منها الفكرية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو العسكرية، وما تأخر عن المساهمة في رقي الإنسانية إلا بعدما أصيب به من استعمار عطل حركته وأعاقه عن العمل، وإن لم يستطع أن يفقده الحياة، وعجز عن إخماد الوطنية فيه".[2]

وفي مقال خُصِص لمناقشة نظام التربية في الجزائر؛ وضحت أن قضية التربية هي قضية المدنية، فرسالة التربية تتلخص في وقاية الإنسان، وتحريره من الأوهام والضلالات التي تعرقل سيره في طريق التقدم، والأخذ بيده إلى سلوك تتجلى فيه القيم الإنسانية العليا؛ "فالتربية بالمعنى العام ترمي إلى تنمية المواهب الفطرية والاستعدادات العقلية والروحية والفنية والبدنية للأطفال، وتوجيهها إلى ما يعود بالخير والصلاح على الفرد والمجتمع، فهي تعنى بالإنسان عناية شاملة محيطة كي تعده للاستفادة من حياته، لاستغلال الكون الذي قدر له أن يعيش فيه، إذ أن سلوكات الإنسان في جميع الميادين يستدل على المستوى الذي بلغته الحضارة".[3]

ومن أهم المرامي والأغراض التي سطرتها أن جعلت نقطة البداية في أي عمل تربوي العناية بالروح؛ بغرس العقيدة الإسلامية الصافية، وتثبيت مبادئ الإيمان من خلال تعليم المفاهيم الصالحة، مركزة على دور الدين في التوجيه التربوي؛ "معتبرة إياه من أهم العوامل التي لا يمكن أن يستهان بها في التوجيه التربوي، لا سيما وأنه لا يزال مسيطرا على النفوس، ولا يزال يستعمل في نشر الأمن والسلم".[4]

[1] - المنار، س1، ع12، 21 ديسمبر 1951.
[2] - المنار، س1، ع13، 04 جانفي 1952.
[3] - المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.
[4] - المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

إن هذا الفهم لغائية التربية الذي ربطته بالجانب الروحي، إنّما يعكس في الحقيقة المرجعية الدينية والعقائدية لمديرها ورئيس تحريرها المصلح محمود بوزوزو كمفكر إسلامي، عكف على إجبارية تحقيق الذات الإسلامية للأمة الجزائرية العربية الإسلامية، وهو ما يتماشى مع السياق التاريخي العام آنذاك، والوضعية الاستعمارية التي يعيشها الشعب الجزائري.

كما أشادت بمكانة العلم والتعليم في حياة الأمم والشعوب كركيزة تنمي العقول، وتنير الدروب، وتسهل السبل نحو مجتمع متقدم لديه القدرة على مواكبة ركب الحضارة الإنسانية، مع التأكيد على ثنائية لا مفر منها وهي ضرورة ملازمة التربية للتعليم في سير العلمية التعليمية؛ "ولا سبيل إلى تأثير هذه التربية تأثيرا قويا في نفس الطفل إلا إذا قرنت بالتعليم، ومادامت معه حتى يجتاز المرحلة الأولى من حياته ويشب عن طوقه، أما إن فارقته فإنه لا تؤمن عليه سوء الأخلاق، ولذا ينبغي أن نعير للتربية اهتماما في تعليمنا لأبنائنا حتى تسعد بهم البلاد".[1]

ثم انتقلت إلى الحديث عن موضوع أكثر أهمية، مشيرة أن العمل الإصلاحي التربوي الهادف للقضاء على المفاسد الأخلاقية، وتحميل الناشئة على درء المنكرات وكل العادات القبيحة، يستند بالدرجة الأولى على أخلاق المربي؛ لأن الحديث عن الأطفال الصغار هو حديث عن إصلاح المستقبل، لأن صبي اليوم هو رجل المستقبل لذا يجب أن يُعَوَّد على الفضائل حتى لا ينحرف عن طريق المعالي، وهو ما يبرز فيما يلي: "إنه يصعب إصلاح المجتمع إذا ما أهملنا تربية أحداثنا لأنهم مجتمع المستقبل، ولأن الإنسان يصعب عليه إصلاح نفسه إذا ما نشأ على العوائد القبيحة، إن الصبي وعاء يمتلأ بما فيه إن طاهر فطاهر وإن قذرا فقذر، ومما يؤثر على التلميذ الصبي أخلاق معلمه فإن أخلاق المعلم ينبغي جدا أن تكون حسنة وإلا فسد تلاميذه ورمى بهم في هوة الرذائل."[2]

وتماشيا مع الأهداف التي سطرتها، أولت "الشباب" عناية خاصة، إذ أن ثاني مقال صدر في أول عدد منها بعد المقال الأول المخصص لأهدافها، كان مقالا موسعا بعنوان "رجال الغد" الذين تعلق عليهم الجزائر آمالها؛ فتابعت نشاطات ك.إ.ج، ونشرت أخبار كشافيها، إنجازاتهم، وتقارير عن رحلاتهم خارج الجزائر أو داخلها، شجعت مواهب الكتاب والشعراء، اهتمت بالطلبة وغيرها.

تبعا لذلك، حرصت على نشر مقالات ضافية حول الموضوع، أشارت في مجملها أن الأمم في بناء مجدها تعتمد على سواعد أبنائها وبناتها، داعية المربين والمربيات إلى إعداد الشباب إعدادا سليما من أجل دفعهم إلى معايشة حقائق العصر، والأخذ بأسباب التقدم والتطور، تقول في مدحهم وتشجيعهم على شق الدروب: "فإن

[1] – المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.

[2] – المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.

الشباب ظل من الأبدية، ونفحة من الخلود تقوي الثقة بالنفس، وتهون عليها احتمال الصعاب، وتذليل ما يتصدى طريقها من العقاب، فتندفع إلى ركوب الأخطار، واقتحام المجاهل، إذ في الشباب لا يحد الطموح ولا تنتهي الرغائب".[1]

ولا يمكن حسبما ترى أن يؤتي هذا الإعداد ثماره، إلا إذا سلمت نفوس البنين والبنات من عوامل الهدم الفتاكة التي تجر الوبال حيثما حلت واستحكمت، وأهم هذه العوامل التي حذرت منها: الاستهتار، الجمود، الجحود.

أما أولها فيُقصَد بها ميل الشباب إلى حياة اللغو واللهو وإضاعة الوقت فيما لا فائدة منه، وإيثار الراحة ولو كان فيها ذل على العمل الذي فيه عز، وثانيها يعني الاستقرار على حالة واحدة، وعدم الرغبة في مسايرة الرقي الذي يطرأ على الأحوال السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الروحية، أما ثالثها فهو الجحود، وهو نقيض الإيمان؛ الذي يقوم على إنكار الحقائق الخالدة، وإنكار الحق الساطع؛ "فالاستهتار والجمود، والجحود، هي معاول هدم الأمم، فإذا التفتنا إلى التاريخ، رأينا أن الأمم التي ضعفت من بعد قوة إنما فقدت مكانتها عندما سرت في نفوس شبابها هذه العوامل فصرفتها عن المعالي".[2]

مؤكدة أن الظروف الراهنة وتطورات العصر تدفع الشباب إلى ضرورة مجاراة تيار التمدن؛ داعية إلى اكتساب ثقافة عصرية مشبعة بالروح التقدمية، أما التمدن الحقيقي حسب ما يراه المسؤول الأول عنها محمود بوزوزو فلا يكمن في التقليد الكلي لمظاهر الحضارة الأوربية، وإنّما يعني "نقل كل صالح من الشرق والغرب في القديم والحديث فليس كل قديم باليا فاسدا، وليس كل حديث رائقا صالحا"،[3] مؤكدا أن الثقافة الحقيقية تعتبر عامل من عوامل التفاهم والتقارب والتسالم؛ إذ أنها تسمو بالفكر البشري إلى الاعتبارات الإنسانية العليا.

وفي سياق اهتمامها بالواقع الثقافي في الجزائر، تطرقت إلى موضوع الإنتاج الفكري ونظام الحكم، حيث يرى صاحب المقال الأستاذ بوزوزو أن العلاقة بين الإنتاج الفكري ونظام الحكم وثيقة؛ فالإنتاج الفكري حسبه يترعرع في النظام الذي يمده بأسباب النمو والازدهار، ويضعف في ظل النظام الجائر، مبينا أن النوع الثاني هو الواقع الذي تعيشه الجزائر، ذلك النظام الاستعماري الذي لا يكتفي بعرقلة التطور الفكري، بل يتعدى ذلك إلى القضاء على المدنيات، يقول في ذلك: "إذا تسلط الاستعمار على شعوب ذات مدنية يقضي على لغتها، ويدفن

[1] – المنار، س 1، ع13، 04 جانفي 1952.
[2] – المنار س1، ع1، 29 مارس 1951.
[3] – المنار، س1، ع1، 29 مارس 1951.

تراثها الفكري، ويسعى في قطع الصلة بينها وبين ماضيها المجيد، والحيلولة بينها وبين المستقبل"[1]، مؤكدا أن الفرد إذا توفرت له الظروف، وتيقظ ضميره، فإنه يصرف همه إلى موضوع أكثر أهمية من ذلك؛ أما إذا بقي رهن القبضة الاستعمارية، فتجده لا يفكر إلا في إيجاد حلول للتحرر من الاستعمار الجاثم على صدره، وبالتالي يعدل عن الإنتاج الفكري، أما في حالة ما إذا أنتج شيئا، فإن إنتاجه يكون في دائرة محدودة، ولا يزيد عن مواضيع تدور أساسا حول تمجيد الحرية والاستقلال، وذم العبودية والاستعمار، مستدلا في ذلك بكتاب شعراء الجزائر إذ لا يجد القارئ في الجزأين إلا شعرا يتغنى بالحرية، ويستنهض الهمم إلى طلب المعالي ويحث على الأخذ بأسباب التقدم.

ولمعرفة مدى اهتمام نظام الحكم بالإنتاج الفكري في العصر الحديث، حدد صاحب المقال بعض الضوابط، التي من خلالها يتم الحكم على أي نظام معين إن كان يقوم بواجباته لتلبية الحاجات الفكرية لأمته أم لا، نجملها في ما يلي:

- النظر في جداول ميزانية الحكومة، والبحث عن الحصة المخصصة لمصلحة التربية والتعليم، مع ضرورة دراسة هاته الميزانية مقارنة مع الظروف التي تعيشها الأمة.
- النظر إلى ما تسمح به قوانين ذلك النظام من الحرية في التفكير والتعبير والنشر، مع تشكيل الهيآت والمنظمات الثقافية المستقلة عن الإدارة؛ بما في ذلك التعليم الحر، والجمعيات الثقافية والمؤسسات التمثيلية والفنية، والحركات التهذيبية للأطفال والشبان والكهول، وجمعيات التأليف وغيرها مما له علاقة بالحياة الفكرية، ومدها بالمساعدة المالية، أو على الأقل الكف عن عرقلة سيرها في طريق التقدم.
- احترام النشاط الفكري في الميدان السياسي؛ كحرية الصحافة، حرية الخطابة، حرية الاجتماعات، وحرية التجول في أنحاء البلاد، وترك اتصال قادة الأحزاب بالشعب، حرية الانتخاب، وحرية النقاش بين الشعب ونوابه، وحرية المحاسبة بين الشعب ونوابه، وبين النواب والحكومة، وحرية الدعاية والنشر، المستقلة عن الإدارة.[2]
- احترام حرية التفكير، والتعبير، وخاصة حرية النقد النزيه وقبوله، ولو كان موجها إلى نظام الحكم نفسه.[3]

ومما لا ينبغي التغافل عنه أن كاتب المقال كان عميقا في تحليله للموضوع، إذ أشار إلى أنه إذا كانت مسؤولية نظام الحكم عن ضعف الإنتاج الفكري عظيمة، فإن التبعة لا تلقى على عاتقه وحده، بل يقاسمه فيها أرباب الفكر الذين يتقاعدون عن إعلان حقوق الفكر، وعن المطالبة باحترامها، لعدة أسباب؛ عدم الشجاعة

[1] – المنار، س1، ع1، 29 مارس 1951.
[2] – المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.
[3] – المنار، س1، ع1، 29 مارس 1951.

الأدبية فيهم، أو لطمع مادي، أو لمسايرة الأحوال الجارية فرارا من التهديدات والعقوبات، الضعف المعنوي، وكذلك إذا سرى داء التخاذل بين أهل الفكر بأن رضخ معظمهم إلى الظلم وتركوا إخوانهم يقاسون المظالم، وأعظم خطرا من داء التخاذل داء التحاسد؛ فإنه يدفع إلى الكيد وغمط الحق وإلى أكثر من ذلك، مستشهدا بما حدث لابن سينا في الشرق، ولسان الدين ابن الخطيب في الغرب من مكائد الحساد، فقد تبلغ بهؤلاء القسوة إلى إحراق تآليف محسودهم، وتمني هلاكه، والسعي في إعدامه.[1]

وعليه، وجهت المنار دعوتها إلى الكتاب والأدباء تذكيرا لهم بواجبهم نحوه، متمنية أن تراهم قائمين بهذا الواجب كاملا غير منقوص، بإنشاء صحف ومجلات ترفع من شأن العرب الجزائريين، على غرار أشقائنا في مختلف الأقطار العربية، هذا بصرف النظر عن الجالية الأوربية في الجزائر التي لها عشرات الجرائد بين يومية وأسبوعية باللسان الفرنسي، تقول في ذلك: "إنه لمحزن أن لا يكون للشعب الجزائري العربي المسلم من الجرائد والمجلات ما لشقيقيه الشعبين التونسي والمراكشي، وأن يسعى الأدباء والمفكرون في القطرين الشقيقين في أداء واجبهم نحو العروبة والإسلام في عدة ميادين، فيقوموا بواجبهم نحو العربية والإسلام، وتكون الجزائر وهي قلب المغرب قليلة الخفقان في هذا الميدان"[2]، مبدية أسفها على وجود مثل هذه الظروف، مشيرة أن قلة الإنتاج هاته هي من دفعت أشقائنا المصريين وغيرهم إلى القول بأن الجزائريين لا يعرفون العربية وإلا فأين إنتاجهم؟ وإن كانت حجتهم أن الاستعمار خانق للفكر، فلماذا لا يكتبون في مجلات شرقية؟

لذا، يجب على الكتاب الجزائريين على الأقل محاولة الكتابة في مجلات شرقية مثل: الكتاب، الرسالة، الثقافة والأديب وغيرها، فيعرفون العالم الإسلامي بالجزائر، ويكتبون في تاريخ الفكر الجزائري، أو في النقد لكتابات الشرق أو الغرب، ويكتبون في السياسة والاجتماع، فيعرف الناس أن هناك بلدا اسمه الجزائر، ولا تزال فيه العربية ولا يزال فيه الإسلام.[3]

كما أكدت المنار أنه ينبغي أن لا يبقى الشعب مكتوف الأيدي، ولعله من المفيد أن تؤكد أنه ليس بعذر أن نقول أن الاستعمار خانق لحرية الفكر والتعبير، فطبيعة النظام الاستعماري باتت معروفة، ولا ينتظر منه عكس ذلك؛ فالتاريخ الإنساني يثبت أن أهم الآثار الفكرية العالمية ظهرت في الأزمات والشدائد، لذا فإن المآسي الجزائرية كذلك تستحق التخليد والتسجيل.

---

[1] – المنار، س1، ع3، 04 ماي 1951.

[2] – المنار، س1، ع 4، 21 ماي 1951.

[3] – المنار، س2، ع 18، 27 فيفري 1953.

وتعبيرا من الجريدة والقائمين عليها عن ثقتهم في ما تمتلك الجزائر من قامات فكرية، قدمت دعمها لهم، بأن فتحت لهم صفحاتها كمنبر إعلامي لنشر ما تجود بها قرائحهم، فكتبت في ذلك قائلة: "قسما باستعدادكم العظيم لفيكم من القدرة على القيام بالمشاريع العظيمة، والمؤسسات، فأثبتوا وجودكم وارفعوا رؤوسكم، وبرهنوا أن في المخ الجزائري، ما في مخ كل كريم من الإشعاع والإشراق، وافعلوا ذلك تحدثا بنعمة الله وقياما بحقوق الفكر تبرئوا ذمتكم أمام الله أولا وأمام الأمة والتاريخ."[1]

ثانيا: الخطاب النقدي والأدبي

1-النقد الأدبي:

يعتبر النقد الأدبي نتاج للعمل الثقافي وللنهضة والحركة الأدبية في الجزائر خلال القرن 20م؛ إذ شكلت جريدة "المنار" ميدانا خصبا لكثير من المعارك الأدبية والفكرية، وفتحت مجالا واسعا للمساجلات الأدبية بين الأدباء والشعراء لفتق مواهبهم، حيث استجاب عدد من الكتاب لدعواتها السابقة للكتابة والتأليف، فبرز نوع من الجدل والمناظرات التي تدخل في إطار النقد الموضوعي الهادف، المبني على الفهم الصحيح والعميق للموضوعات المطروحة بالإضافة إلى الاستدلال بالحجج والبراهين.

إن بداية هذا النوع من المعارك الكلامية على صفحات المنار كان انطلاقا من تلك المقالات التي أثارها مقال الكاتب عبد الوهاب بن منصور بعنوان: "مالهم لا ينطقون" المنشور في العدد 207 من جريدة البصائر. وتعتبر من أهم القضايا الأدبية النقدية التي ساهمت "المنار" في مناقشتها، إذ بلغ عدد المقالات التي نشرتها المنار حول مقال "مالهم لا ينطقون" الموضوع عشر (10) مقالات، شارك أصحابها في مناقشة أفكاره تارة، وتحليلها ونقدها تارة أخرى، وهي موضحة في الجدول التالي:

عنوان المقال	كاتب المقال	العدد/السنة	تاريخ الصدور
إلى إخواننا الكتاب	هيئة التحرير	01/04	12ماي 1951
أدباؤنا لا يؤمنون برسالة أدبية	عبد الحميد مهري	02/15	09جانفي1953
رسالة الأديب حسن التوجيه	الشاب الظريف التلمساني	02/17	06فيفري1953
ثقوا بأنفسكم يا قوم	مولود قاسم	02/18	28فيفري1953
إلى الذي كفّر الأدباء	علال عثمان	02/18	28 فيفري 1953
قولوا كتابا لا أدباء	محمد بن جلول حمرات	02/18	28 فيفري 1953

[1] – المنار، س1، ع 4، 21 ماي 1951.

شيكسبير في نظر تولستوي	الهاشمي العربي	02/20	27 مارس 1953
متطلبات الأدب والأدباء	محمد المصايفي	03/40	10 أفريل 1953
متطلبات الأدب والأدباء	محمد المصايفي	03/41	24 أفريل 1953

الجدول رقم 05: يوضح القضايا النقدية الأدبية التي نشرتها المنار على صفحاتها

من بين هذه المقالات الثرية والمتنوعة سنحاول التركيز على مقالتين أو ثلاث، والتي لاحظنا أنها وقفت على الأسباب الحقيقة لندرة الكتابة الأدبية في الجزائر خلال تلك الفترة وهي كالتالي:

- **عبد الحميد مهري:"أدباؤنا لا يؤمنون برسالة أدبية"**

أبدى الأستاذ عبد الحميد مهري إعجابه بهذه المناقشة التي تمنى أن تتسع، وتنقلب إلى معركة أدبية كبرى ينتفع بها خلق كثير من الأدباء، والمنشغلين بالأدب من القراء، بل صرّح بأن مثل هذه المناقشات والسجالات القلمية الهادئة التي يعمد لإثارتها بعض الأدباء أحيانا، وتثيرها المصادفات في كثير من الأحيان هي كل ما أصبح الناس يلمسونه من مظاهر الحياة الأدبية في الجزائر، فيقول في هذا الشأن: "إذن فمن الخير كل الخير أن لا نترك هذه الشرارة تنطفئ، دون أن تساهم في القضاء على الجمود الذي يسود الحياة الأدبية".[1]

من أهم القضايا التي عالجها الأستاذ عبد الحميد مهري في مقاله نذكر:

- مظاهر الحياة الأدبية في الجزائر.
- الجمود الذي يسود الحياة الأدبية في الجزائر.
- البطالة الفكرية التي يعاني منها الأدباء، ويشعر بها الأدباء والقراء على حد سواء.
- العلاقة بين القراء والإنتاج الأدبي.
- النهضات الأدبية في العالم لم تكن طريقها مفروشة بالورود، فمثل هذه العراقيل عرفتها النهضات الأدبية في كل بلاد.

عكف الكاتب من خلال الإشكاليات التي عالجها على تشخيص واقع الحركة الأدبية في الجزائر خلال القرن العشرين، يقول في ذلك: "رغم أن هذا الجمود شيء واقع، ليس إلى إنكاره سبيل، نلمسه فيما يُكْتب ويُنْشر بين الناس، ونلمسه فيما يُكتَب ولا يُنْشَر بين الناس، ونلمسه حتى في أفكارنا حين نكتب أو نحاول

[1] – المنار، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

الكتابة، بل إن هذا الجمود أصبح عند الكثيرين من أدبائنا بطالة فكرية، يشقى بها أصحابها، ويشقى بها من ينتظر من أصحابها إنتاجا يسد حاجته الأدبية التي تزيد إلحاحا كلما زادت البطالة الفكرية استفحالا".[1]

يوضح بعد ذلك أخطار هذه البطالة الفكرية على مستقبل الأدب في الجزائر، ويتجه في ذلك إلى تشبيه بطالة الأفكار ببطالة السواعد، وتأثير ذلك على تقدم الأمة، حيث يصبح الأفراد عديمي الأثر في حياة الأمة؛ غير قادرين على استهلاك ما ينتجه غيرهم، ويتسببون في تعطيل الإنتاج أو اضطرابه.

يعود بعد ذلك إلى مناقشة أفكار الأديب عبد الوهاب بن منصور الواردة في مقاله "مالهم لا ينطقون" مؤكدا على أن فكرة عدم إيمان الأدباء الجزائريين برسالتهم الأدبية، هو السبب الرئيسي لركود الإنتاج لديهم، فيقول فيهم ما يلي: "إن الأدباء الجزائريين لا ينطقون لأنهم لا يعرفون بماذا ينطقون، ولا أقصد بهذا أن الأدباء الجزائريين قد أصيبوا جميعا بداء العجز، بل أعتقد أن الأدباء الجزائريين يستطيعون أن يقولوا فيحسنوا القول، ويستطيعون أن ينتجوا فيجيدوا الإنتاج، ولكن هؤلاء الأدباء لا يؤمنون إيمانا عميقا برسالتهم الأدبية، والذين يؤمنون منهم أن عليهم رسالة ما، لم يستطيعوا حتى الآن أن يحددوا هذه الرسالة ويتصوروها تصورا كاملا يطمئنون إليه، ولهذا نراهم لا يكتبون ولا ينتجون ونراهم غير مطمئنين لما يكتبون...إذا حاولوا الكتابة والإنتاج، لأن هذا الإنتاج لا يصدر عن إيمان عميق برسالة الأدب".[2]

يتجه بعدها إلى شرح الأسباب الحقيقية لركود الحياة الأدبية في الجزائر خلال القرن العشرين، مع التأكيد على أنها مجرد صعاب لا أسباب، ويجملها فيما يلي:

- الأوضاع القائمة في الجزائر، لا تعين على الإنتاج، ولا تساعد عليه.
- الظروف المادية ليست متوافرة كلها أو بعضها في الوقت الحاضر.
- وجود القراء مرتبط بوجود الإنتاج الأدبي، ومادام الإنتاج مفقودا، فكيف نتصور وجود القراء، فليس من حق الأدباء أن ينتظروا من القراء إقبالا على إنتاج لا يحمل إليهم غذاء، ويجدون فيه متعة ولا لذة.
- أما السبب الحقيقي لسكوت الأدباء حسب ما ذهب إليه هو أنهم لا يؤمنون إيمانا صادقا برسالتهم الأدبية، ودليله في ذلك هو تشتت الأدباء الجزائريين، وعدم التفافهم في فئة واحدة توحدهم وتدافع عنهم وتضمن لهم حياة أدبية خالصة، فالملاحظ أن السياسة وجدت من يؤمن برسالتها ويدافع عنها، ففرضت نفسها على الناس، ووجد التعليم العربي الحر من يؤمن برسالته ويدافع عنه فتمكن من الاستقرار، أما

[1] - المنار، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

[2] - المنار، س2، ع15، 09 جانفي 1953.

الأدب فلم يجد من يؤمن برسالته ويدافع عنها، أو بالأحرى فقد الأدب هؤلاء الذين يؤمنون برسالته ويدافعون عنها، فوقف في الطريق ينتظر من يأخذ بيده.[1]

- **رسالة الأديب حسن التوجيه: الشاب الظريف التلمساني**

تقدم الكاتب في بداية مقاله بالشكر الجزيل لصديقه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور الذي أثار هذا الموضوع، الذي أخذ يفتق قرائح الأدباء البطالين، ويبعث فيهم روح الدفاع عن أنفسهم، وتبرير سكوتهم، ولقد كان لهذه المقالات التي صدرت حتى الآن حول الموضوع صدى واسع لم يقتصر على المدن فقط، بل تعداه إلى الأرياف، ولم يشغل الشباب فقط بل وصل إلى الشيوخ، إذ فاجأه -كما يقول- أحد الشيوخ يوما عندما كان يطالع جريدة البصائر بسؤاله التالي: هل من جديد حول مقال مالهم لا ينطقون؟

ولقد كان للمقال الثاني للأستاذ أحمد رضا حوحو أثر عميق في نفوس القراء، إذ شرح داءين عضالين من الأمراض الاجتماعية وهما: الارتجال في الأعمال، وعدم تذوق نعمة المطالعة، تلك النعمة التي تتمتع بها الأمم الحية، ثم نشرت المنار الغراء مقالا بعنوان "أدباؤنا لا يؤمنون برسالة أدبية" وبداية منه خرجت المناقشات من دائرتها الضيقة إلى مجال أوسع.[2]

وفي مطلع تحليله للموضوع يتساءل قائلا: هل الأدب للأدب أم لغاية قومية؟

يتجه الكاتب إلى القول أنه إذا كان الأدب للأدب فهذا لا يتيسر إلا للأمم الراقية التي بلغت درجة من الحضارة والتمدن والحرية، أما في أمة كأمتنا تعيش في حاضر تملأه المآسي، وتنتظر مستقبلا مجهولا، فيجب أن يكون الأدب قوة حيوية تتدفق توجيها نحو المثل العليا، وثورة جارفة على مجتمع خامل لا يتحرك، ويستدل في توضيحه لقيمة الأدب بقول الأستاذ محمد سعيد العريان الذي يرى أن: "الأدب بمعناه الرفيع هو الذي يوجه الإنسانية المعاصرة إلى مثلها العليا...ويرسم لها الطريق إلى الحياة الفاضلة التي يجب أن تكون".[3]

ينتقل بعدها إلى تفسير ذلك، فيرى أن كل الأزمات السياسية والهزات التي تعيشها الجزائر يتحمل الأدباء مسؤوليتها، فجل مجهودات الشعب الجزائري للنضال والتحرر محدودة؛ لأن الأدب لم يوجهها توجيها صحيحا، وفكرة الوحدة القومية التي تعتبر أغلى أماني الشعب الجزائري، لم تتحقق ولم تصل الأحزاب السياسية والمنظمات الوطنية إلى الالتزام ببرنامج معين وهدف واحد؛ لأن الأدباء لم يقوموا بواجبهم من هذه الناحية، ولم يجعلوا من الوحدة نشيدا يتغنى به كل فرد جزائري يؤمن بحرية وطنه. يضرب مثالا لذلك بذكر دولة باكستان، أقوى دولة

[1] - المنار، س2، ع15، 09 جانفي 1953.
[2] - المنار، س2، ع17، 06 فيفري 1953.
[3] - نفسه.

إسلامية اليوم التي "لم تكن في أول أمرها إلا فكرة شعرية، جادت بها قريحة الدكتور محمد إقبال، ثم أصبحت عقيدة سياسية اعتنقتها الكتلة الإسلامية ودافعت عنها وأصبحت بعد ذلك معجزة هذا القرن".[1]

- **"ثقوا بأنفسكم يا قوم": مولود قاسم**

وقع اختيارنا على مقال الأستاذ مولود قاسم لأنه طرح في تحليله للموضوع عناصر مختلفة عما سبق، عالجت واقع الأدب الجزائري آنذاك؛ حيث علل هذا الركود الثقافي في الجزائر تعليلا يختلف عما ذهب إليه الأستاذ عبد الحميد مهري، بل عالجه من زاوية أخرى خطيرة جدا تتصل اتصالا وثيقا بمقوماتنا، وشخصيتنا كأمة مستقلة لها تاريخ طويل في الكفاح الوطني.

انتقل إلى بيان موقفه من القراء موجها كلامه وانتقاداته إليهم لا إلى الكتاب والشعراء، فاتهمهم بالمرض لأنهم يقرؤون كل شيء غير جزائري، متلهفين إلى الإنتاج الأجنبي بغض النظر عن مستواه أو أسلوبه، وفي الوقت ذاته يعيب عليهم نفورهم من كل ما هو جزائري، لاعتقادهم أن كل ما يأتيهم من الخارج أي من الشرق أو الغرب مفيد جدا، ويستحق الاهتمام.

وقد فسر ذلك المرض بعدم إيمان الجزائريين قراء وأدباء على حد سواء بعظمة شخصيتهم الوطنية، فيقول في هذا الشأن: "إن المصيبة وأكرر كلمة "المصيبة" ليست في أن القراء لا يقرؤون، بل هي في أنهم مرضى، مرضى بمرض معد شملهم كلهم بدون استثناء، وهذا المرض هو عدم إحساسهم بشخصيتهم وقلة ثقتهم بأنفسهم، بملكاتهم وعبقريتهم الوطنية...فهم يرنون إلى كل ما يأتيهم من الخارج".[2]

إلا أنه لا ينكر أن الجزائريين –على قلتهم– من أكثر الشعوب إقبالا على القراءة والمطالعة، مؤكدا أن مشكل الجزائريين يكمن في إقبالهم على قراءة كل ما يأتيهم من الخارج، لاعتقادهم أن كل ما يأتيهم من الشرق أو الغرب مفيد ويستحق الاهتمام، وكل ما يصنع بأيديهم ناقص وفي الدرجة الثانية، فقال واصفا هذه الحالة: "وإنما مصيبتنا هي في أننا نقرأ أي شيء من الخارج، حتى لو كان "البعكوكة" أو "عشتروت" أو "جحجوح" ولا نقرأ أي شيء يصدر في الجزائر، بل نستهين به، ولو كان مفيدا نافعا، وأنفع من المستورد...ولكنه المرض، إنه مركب النقص والحكم على النفس بالعجز والقصور مقدما".[3]

ثم ينتقل إلى دعوة الجزائريين إلى الإقبال والمشاركة في التراث الإنساني، والمساهمة في الثقافة العالمية، بأدبهم القومي موظفين لغتهم العربية المعبرة عن آلامهم وآمالهم، وبهذا تتحقق العالمية في الأدب يقول: "أكتبوا بالعربية

---

[1] – المنار، س2، ع17، 06 فيفري 1953.

[2] – المنار، س2، ع18، 27 فيفري 1953.

[3] – نفسه.

كما هو واجب، أو حتى بالفرنسية فهو على كل حال تاريخ دام يزيده احمرار كتابته بلغة أجنبية إظهارا للمأساة في أسود صورها، أكتبوا كما كتب أهل الأندلس بالقشتالية...أكتبوا وأطلعوا الناس على ما أنتم عليه".[1]

- **متطلبات الأدب والأدباء: محمد المصايفي**

يشير الكاتب في بداية مقاله إلى كثرة المناقشات في هذه الأيام حول الأدب والأدباء، إما استحسانا أو استهجانا لما ورد في مقال عبد الوهاب بن منصور، وتمنى أن لا يطول أمد هذا الجدال، بل يجب العمل من أجل ازدهار الأدب وتطور الأدباء الجزائريين.

خَلُص الكاتب إلى القول بأنه لا حياة للأدب والأدباء في بلادنا ما لم تتوفر الشروط التالية:

- أن تفتح جرائدنا القومية أعمدتها للأدباء على اختلافهم، وتتخلى بعضها عن ما تتصف به من الاحتكار والإطراء مع نشر كل ما يرد عليها طالما كان مفيدا داعيا إلى حق، وتتنازل عن بعض أعمدتها السياسية لفائدة الأدب الجزائري.
- أن يؤمن الأدباء برسالتهم في الوجود وأن يضحوا في سبيلها إن اقتضى ذلك، بالإضافة إلى ضرورة معرفتهم حقوق الأدب الملقاة على كواهلهم.
- واقعية الأدب، إن شعبنا الآن كثير الآمال بقدر ما هو كثير الآلام، هذه الآمال والآلام تحتاج إلى أدباء صرحاء يُجلونها بأقلامهم ويعطونها حقها من البحث والتمحيص.[2]
- التنقيب عن القديم، يحسن ببعض الأدباء الأكثر إلماما الذين تحوي خزائنهم كتبا قديمة كافية أن يخصصوا بعض جهودهم لإحياء الأدب الجزائري القديم، باعتباره أساسا ضروريا للأدب المنتظر الذي ننشده.
- المرجو من جميع الكتاب الذين يكتبون في القديم ألا تكون كتاباتهم خاملة، وأن يجعلوا كتاباتهم ذات رونق وجمال لفظي حتى يتسنى للقراء متابعتها وحتى تتكون لهم معرفة شبه كافية عن أدبنا القديم.[3]

وفي ختام مقاله تقدم بشكره للكاتب عبد الوهاب بن منصور لما يتفضل به من كتابات على قراء البصائر، وفي الوقت ذاته وجه له ملاحظتين نقديتين: أما الأولى فعاب عليه سطحيته في عرض الأدب القديم، وثانيهما تكمن في أن كامل كتاباته عن الأدب القديم تنقصها أناقة التعبير وجودة اللفظ، مؤكدا اتفاق معظم القراء معه في هذه الملاحظة.

[1] – المنار، س2، ع18، 27 فيفري 1953.
[2] – المنار، س3، ع40، 10 أفريل 1953.
[3] – المنار، س3، ع41، 24 أفريل 1953.

2-الأخبار الثقافية:

رغم ميل المنار واهتمامها أكثر بطرح الأخبار السياسية ومتابعة تطوراتها، وهذا طبعا بحكم الأوضاع الاستعمارية والظروف التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، اهتمت أيضا بنشر الأخبار الأدبية والثقافية، باعتبارهما من ألوان الكتابات الصحفية التي تهدف إلى نشر المعرفة وإثارة الحس الأدبي، إذ سعت النخبة المثقفة في الجزائر إلى مواجهة القمع الثقافي والفكري المسلط عليها بتوظيف مثل هذه الأشكال.

من أهم الأخبار الثقافية التي احتفت المنار بذكرها، وتابعت مجرياتها نذكر:

2-1-تأسيس معهد فاروق:

كانت مجهودات وزارة المعارف المصرية متجهة إلى إنشاء معاهد مصرية في بعض البلدان، فتحقق أحدها في مدريد، ثم توجهت مصر إلى شمال إفريقيا، ودارت المفاوضات حول إنشاء معهد في الجزائر، فاستقر الرأي بين الحكومتين المصرية والفرنسية على قيام المعهد في أرض الجزائر، وأُعلِن ذلك في الصحف المصرية والفرنسية، بعد أن أعلن رسميا في البرلمان.[1]

اعتزمت الحكومة المصرية على تأسيس معهد للدراسات العربية في المغرب، يهتم بدراسة الآثار والمعالم التاريخية بالمغرب العربي، وقد وافقت الحكومة الفرنسية على أن تكون الجزائر العاصمة مقر هذا المعهد، حيث جاء في الأهرام: "إن هذه الجامعة سيكون مركزها بالجزائر العاصمة وأنها ستدعى بمعهد فاروق الأول للدراسات العربية".[2]

بناء على قرار معالي وزير المعارف وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، تم تعيين الدكتور علي النشار المدرس في كلية الآداب بجامعة فاروق وكيلا للمعهد، كما تقرر إيفاد بعثة لتولي مهمة القيام بالأبحاث، لكن وزارة الداخلية الفرنسية بادرت إلى وضع العراقيل أمام مجهودات البعثة العلمية، حيث رفضت التأشير على جواز سفر الدكتور الخشاب، وبهذا رفضت إطلاقا إنشاء معهد مصري في الجزائر. في حين أن الحكومة المصرية قد وافقت على كل المعاهد التي أنشأتها فرنسا، على غرار المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.[3]

وكرد فعل على هذا وسعيا لإزالة الخلاف، قام وزير المعارف الدكتور طه حسين بتوجيه تهديدات للحكومة الفرنسية تقضي بغلق جميع "الليسيات" الفرنسية في مصر، حيث نشرت مجلة "روز اليوسف" المصرية في

[1] - المنار، س1، ع18، 14 مارس 1952.

[2] - المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

[3] - المنار س1، ع11، 8 ديسمبر 1951، ص4. نقلا عن جريدة الأهرام المصرية، العددين الصادرين بتاريخ 20 نوفمبر 1951، و04 ديسمبر 1951.

عددها الصادر بتاريخ 11 ديسمبر 1951م هذا الإنذار وهذا نصه: "تلقت الحكومة الفرنسية إنذارا...جاء فيه أنه ستغلق جميع مدارس الليسية الفرنسية بمصر، إذ لم توافق فرنسا على إنشاء معهد مصري لدراسة الثقافة العربية في الجزائر، وينتظر أن ترضخ الحكومة الفرنسية لهذا التهديد إشفاقا على نفوذها الثقافي في مصر".[1]

وَرَدَ رد فعل وزارة المعارف المصرية صريحا بوقف أعمال التفتيش الأثري الذي تقوم به البعثات الفرنسية بمصر، وإغلاق جميع منشآتها الثقافية هناك، ومنع العلماء الفرنسيين الذين ينقبون عن الآثار في أعالي مصر، وأمر بإغلاق أماكنهم والختم عليها بالشمع الأحمر، مبينا أن لحكومة المصرية تستنكر مثل هذه الأعمال والعراقيل من حكومة فرنسا التي تدعي أنها حاملة مشعل الحرية والحضارة، وأخبر المسؤولين الفرنسيين أنه اضطر إلى هذا العمل القاسي من باب القصاص، والثأر من الحكومة الفرنسية التي لم تستجب لطلبه.[2]

كما روت وكالة الأنباء الأمريكية "يونايتد بريس" بأن الحكومة المصرية قد اتخذت قرارا بالتحديد من النشاط الثقافي الفرنسي في مصر، وقد صرّح معالي السيد محمد رفعت باشا وزير التعليم المصري بأن حكومته قررت إقفال مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة، ومنع الاستمرار في الحفريات الأثرية التي تقوم بها البعثات الفرنسية في مصر.[3]

وفي مقال آخر نقلته عن جريدة المصري، تستغرب الحكومة المصرية من هذا الانقلاب في الرأي، خاصة بعد الاتفاق الذي حدث بين الحكومتين وأقره مجلس الوزراء، ثم تراجع فرنسا عن رأيها لتخوفها من الأمر، ولكن هل وجود نفر من أساتذة مصريين منقطعين إلى البحث والدراسة سيحدث فتنة؟ ويهدد مصير فرنسا في الجزائر؟ والغريب في الأمر أن فرنسا ذاهبة في عنادها بالرغم من ثورة معالي الوزير طه حسين.

وفي الأخير تم التوصل إلى فهم مجريات القضية، فالقضية كما يرويها الفرنسيون المطلعون المقيمون بمصر، أن الذي وقف في وجه تنفيذ الوعد الفرنسي هو وزير المالية في الحكومة الفرنسية روني مايير، فلقد تمت الموافقة على القرار والمصادقة عليه في مجلس الوزراء وهو غائب، فلما عاد وبلغه الأمر رفض الموافقة.[4]

---

[1] - المنار، س1، ع12، 21 ديسمبر 19513

[2] - المنار، س1، ع13، 4 جانفي 1952.

[3] - المنار، س2، ع6، 4 جويلية 1952.

[4] - المنار، س1، ع18، 14 مارس 1952.

2-2-معهد جديد في الباكستان:

إن الهدف من وراء إنشاء هذا المعهد هو تنمية الدراسة العلمية الصحيحة للتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية، وتعتقد الباكستان أن قيام هذا المعهد إنما هو ضرورة ملحة، خاصة وأن عددا كبيرا من الأفراد بل من الجمعيات، قام منذ أن تأسست الباكستان بعدة أعمال تشابه هذه العمل إلى حد كبير، لكنها لم تصل إلى درجة النجاح التي تريدها، وقد وضع مشروع هذا المعهد على نظام يختلف كلية عن أي نظام، فهو يقوم أساسا على وجوب البحث العلمي.

المعروف أن العهد الإسلامي في شبه القارة الهندية كان عهدا زاهرا مليئا بأحلى صور الحضارة والمدنية، وعلى هذا فسيهتم المعهد بدراسة تاريخ هذه الحقبة، ووضع الحقائق عن الملوك والحكام المسلمين الذين تخفى أعمالهم عن كثير من المشتغلين بهذه الأمور. [1]

بالإضافة إلى الأعمال الجليلة التي قام بها المسلمون في تلك الفترة، فإن هناك حلقة غير معروفة، وهي تدور حول اهتمام مسلمي ذاك العهد بالثقافة الهندوكية القديمة ومساهمتهم في أدبها وفي لغتها. وكذلك سيهتم المعهد بالفن الهندي والموسيقى الهندية، ثم بفن النحت الذي اشتهرت به الهند، ومن المعروف أن كل هذه الفنون ترجع في أصولها وجذورها إلى جهود المسلمين وحدهم، بل كان للمسلمين أثر كبير في حركات الإصلاح الهندوكية، ولكن لم تظهر هذه الحقائق قبل اليوم، لأن المسلمين في الهند قبل التقسيم كانوا أقلية إلى جانب الأغلبية، وكانوا مضطهدين.[2]

3-الأخبار الأدبية:

عملت المنار على رصد آخر المستجدات في ميدان الإنتاج الفكري، والمطابع من إصدارات للكتب، أو الجرائد والمجلات سواء في الجزائر أو العالم العربي، راجية لهذه المجلات السداد في السير، داعية الله أن يحفظها من كيد الكائدين، معتبرة إياها انتصارا لصوت الحق، متمنية للكتب أن تلقى الرواج، معلنة عن تواريخ طبعها وصدورها، مع إعطاء ملخص عام عن محتوى كل كتاب.

[1] - المنار، س2، ع7، 19 جويلية 1952.

[2] - المنار، س2، ع7، 19 جويلية 1952.

3-1-حركة التأليف:

3-1-1-فارس العقيدة الأمير عبد القادر الجزائري: محمد الشريف الساحلي

ذكرت المنار أن كتاب الأستاذ محمد الشريف الساحلي "فارس العقيدة" جاء في وقت الشعب أحوج فيه لمعرفة هذا البطل، لأنه قليل من الجزائريين كتبوا عنه، وقليل منهم يعرف الأمير معرفة درس وتمحيص. أشارت إلى أن الكتاب صغير الحجم، يشمل على قسمين: يدرس المؤلف في أولهما الأمير عبد القادر "كمفكر"، ويدرس في ثانيهما الأمير "كرجل"، وفي كلا القسمين لا يحاول المؤلف الترجمة للأمير بالتفصيل، وإنما يتبع أهم المحطات، مع عرض بعض الأحداث بالتمحيص والتحليل التاريخي الدقيق، أما لغته فقد صدر باللغة الفرنسية بأسلوب عذب متسلسل، لا يستطيع القارئ مفارقته إلا حين يفرغ منه، راجية أن يلقى الكتاب من الرواج ما يستحقه، وأن يقيض الله له من ينقله إلى العربية.[1]

3-1-2-تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي

علمت إدارة المنار أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي قد أقبل على طبع كتاب مفصل لتاريخ البلاد الجزائرية، وسعيا منها وراء تشجيع حركة التأليف والنشر في بلدنا الذي كسدت فيه المعرفة والآداب، رأت أنه من واجبها زيارة الشيخ المؤرخ في بيته لاستجوابه، وطرح بعض الأسئلة عليه حول هذا الكتاب.

وقد قدم الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي شروحات مفصلة حول كتابه نجملها فيما يلي:

- الدافع الأولي لكاتبة هذا التاريخ هو غموض هذا التاريخ وتشعبه وتشتته هو الدافع الأول لكتابة هذا التاريخ، كما أنه لحد الآن لم يدرس دراسة واضحة.
- شرع في كتابة هذا التاريخ مع نشوب الحرب العالمية الثانية في ظل انزواء الناس إذاك وانشغالهم بشؤون الحرب.
- اعتماد الكاتب على بعض الوثائق الخطية التي لم تكن معروفة وقتها عند المؤرخين، وقد أدرجها في الباب الخامس بالمصادر والمراجع.
- يمتاز هذا الكتاب بالوضوح والتفصيل والجمع والتنسيق، ويعتقد صاحب الكتاب دون مبالغة ولا تعصب أنه لم يسبقه أحد إلى تدوين تاريخ الجزائر بهذه الطريقة من حيث الوضوح والجمع والتفصيل.

[1] - المنار، س2، ع20، 27 مارس 1953.

- المصادر المعتمدة لإنجازه تختلف باختلاف العصور، قبل الإسلام كان الاعتماد على الكتب الأجنبية بما فيها من لاتينية ويونانية(مترجمة) وفرنسية، أما فيما يخص الفتح الإسلامي فقد اعتمد على المصادر العربية خاصة، وما تلاها من تاريخ فقد اعتمد فيه على مصادر متنوعة عربية وغير عربية.
- الكتاب جدير أن يكون في جزأين، لكن صاحبه آثر أن يكون في مجلد واحد لتعميم الفائدة.

اقتناع المؤلف أن الكتاب سيلقى من الرواج ما يكفي لسد نفقات الطبع لأن الشعب الجزائري بدأ يشعر بمسؤوليته اتجاه تاريخه.[1]

- في هذا التاريخ بالذات جويلية 1953 شرع المؤلف في طبع كتابه، وهو في الوقت الحالي بيد المصففين بالمطبعة العربية بالجزائر العاصمة نهج روفيقو رقم 70.

وفي نهاية هذه المقابلة أبدى المؤرخ رأيه في حركة التأليف والنشر في الجزائر، جازما أنه لا وجود لحركة التأليف والنشر في الجزائر، وأشار في الأخير إلى جملة الكتب التي ألفها منها المطبوع ومنها ما لم يطبع بعد، أما المطبوع: ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب، ورواية المولد وهي رواية مسرحية في مولد سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، كتاب الإستشراق الغربي والثقافة الإسلامية.[2]

3-1-3-مع حمار الحكيم: أحمد رضا حوحو

يعتبر خبر صدور كتاب الأديب أحمد رضا حوحو الذي حمل عنوان "مع حمار الحكيم" من أهم الأخبار الأدبية التي نشرت بجريدة المنار وهذا نصه: تم طبع كتاب مع حمار الحكيم للأستاذ أحمد رضا حوحو، وسنكتب عنه بالتفصيل في فرصة أخرى إن شاء الله.

كما لم تغفل الإشارة إلى سعر الكتاب؛ إذ أعلنت أن ثمن النسخة الواحدة 200 فرنك مع احتساب أجرة البريد، ويخصم للباعة وأصحاب المكتبات 25%، ويطلب الكتاب من المؤلف 5 شارع ابن الفكون قسنطينة[3]، ويتوفر الكتاب لمن يرغب في الاطلاع عليه، ويطلب بالجملة والتفصيل من المكتبة العصرية بالجزائر الكائن مقرها بـ: 3 شارع يوبا -الجزائر.[4]

[1] - المنار، س3، ع45، 10 جويلية 1953.
[2] - المنار، س3، ع45، 10 جويلية 1953.
[3] - المنار، س2، ع20، 27 مارس 1953.
[4] - المنار، س3، ع40، 10 أفريل 1953.

3-1-4-أدباء التحصيل، ومقاصد القرآن: محمد الصالح الصديق

بمناسبة نشر الشيخ محمد الصالح الصديق، بعد تخرجه من الزيتونة كتابا سماه "أدباء التحصيل"، أرسل أمير شعراء الجزائر محمد العيد آل خليفة إلى جريدة المنار قصيدة حملت عنوان: "سر في سبيلك رائدا"، وهي قصيدة من تسعة عشرة بيتا، وقد وافقت المنار على نشر هذه القصيدة تشجيعا له ولأمثاله من الشباب المتعلمين على المضي قدما نحو عالم الكتابة والتأليف لإثراء رصيد الجزائر العلمي، وهذه أبيات منها:

لِمَ لَا تَكُوْنُ لِماَ تَرُومُ مِن المـنَى كُفُؤًا وَأَنتَ الصَّالِحُ الصِدِيقُ

سِرْ فِي سَبِيلِكَ رَائِدًا فَطِنًا فَمَا كَطَرِيقِ رُوَّادِ العُقُولِ طَـرِيقُ[1]

وفي المسعى ذاته نوهت المنار إلى اقتراب موعد صدور كتاب ثاني للأستاذ محمد الصالح الصديق بعنوان: مقاصد القرآن تشجيعا له للمضي قدما نحو عالم التأليف والنشر.[2]

3-1-5-أبو القاسم الشابي حياته وشعره: أبي القاسم كرو:

وصل إلى هيئة تحرير المنار خبر عن صدور كتاب بعنوان "أبو القاسم الشابي حياته وشعره" للأستاذ أبي القاسم كرو، فهو دراسة قيمة عن الشاعر التونسي الشابي نشأته وحياته، مع عرض لطائفة من أشعاره، يطلب هذا الكتاب من المكتبة الجزائرية لصاحبها السيد عمر شريفي الكائن مقرها بنهج لاليسر رقم 39، الجزائر، أما ثمن الكتاب فيقدر بـ 600 فرنك.[3]

3-2-صدور واحتجاب الجرائد والمجلات:

دأبت المنار على متابعة واقع الصحافة، تطوراتها، صدورها، انقطاعها والأسباب الكاملة وراء ذلك؛ إذ كانت في كل مرة يتم فيها إصدار جريدة أو توقيف أخرى تشير إلى ذلك عبر صفحاتها، إذ تتمنى للأقلام المجاهدة حديثة النشأة عمرا طويلا، وسيرا حميدا خدمةً للصحافة العربية، وحرية الرأي والتعبير في العالم العربي، مبدية تضامنها ومساندتها لكل الصحف التي تحارب النزعة الاستعمارية، كما تحيي وتدعم كل الجرائد التي تخاطب الفرنسيين بلهجة قوية حادة، وتشجع الصراحة والشجاعة التي تمتاز بها هاته الجرائد خاصة ما دعت منها إلى الاتحاد وضرورته مثل الجزائر حرة، معلنة في الوقت ذاته استياءها من الاعتداءات المتوالية على حرية الرأي والتعبير داخل الجزائر وخارجها، وهذه بعض النماذج من ذلك:

[1] - المنار، س2، ع02، 25 أفريل 1952.

[2] - المنار، س3، ع50، 11 ديسمبر 1953. وقد ورد ذكر هذا الخبر أيضا في العدد الواحد والخمسين والأخير الصادر بتاريخ 01 جانفي 1954.

[3] - المنار، س3، ع47، 07 أوت 1953.

3-2-1-الجزائر الحرة:

بعد احتجاب طويل تسبب فيه القمع الاستعماري، عادت جريدة "الجزائر الحرة" لسان حال ح.إ.ح.د باللسان الفرنسي إلى القطر الجزائري، صدرت أول أمرها في الجزائر العاصمة فصودر العدد الأول منها وهو تحت الطبع، فهاجرت إلى باريس طلبا للحرية وما صدر منها إلا بعض الأعداد حتى صودرت من جديد، فتشكلت في الجزائر "لجنة الدفاع عن حرية التعبير" استنكارا للاعتداءات المتوالية على مبادئ الديمقراطية والحرية، وهي اليوم تعود إلى وطنها بنفس اللهجة ونفس المبدأ الذي أعلنته.[1]

ولابد من الإشارة إلى الاحتجاج الصارخ الذي رفعته لجنة الدفاع عن حرية التعبير ضد هذا العدوان، ففي العدد 47 من السنة الثالثة نشر خبر في جريدة المنار عن مصادرة "الجزائر الحرة" في باريس بتاريخ 29 جويلية 1953م على الساعة الرابعة صباحا، إذ حاصرت قوات هائلة من الشرطة الفرنسية في باريس المطبعة التي كانت تطبع جريدة الجزائر الحرة وحجزت 6500 نسخة منها، لأن هذا العدد المحجوز كان خاصا بالشهداء الذين سقطوا يوم 14 جويلية في الاحتفال بعيد الحرية، مما أثار استنكارا عظيما لدى الصحافة الديمقراطية في الجزائر.[2]

3-2-2-الشاب المسلم:

أذاعت المنار خبر صدور العدد الأول من جريدة "الشاب المسلم" لسان حال شباب ج.ع.م.ج، صدرت باللغة الفرنسية لربط الصلة بين حاملي الثقافة العربية وحاملي الثقافة الفرنسية من الشبان الجزائريين، وهي تصدر نصف شهرية مؤقتا بالجزائر العاصمة، و"المنار" ترجوا للصحيفة الناشئة سدادا في السير بجانب العاملين في سبيل حفظ التعاليم الإسلامية الخالدة التي هي وحدها مفتاح السعادتين الدنيوية والأخروية.[3]

3-2-3-مجلة القلم الجزائري:

بعد أن لم يجد نداء "المنار" إلى نشر الصحف والمجلات صدى عمليا، ونظرا لضيق نطاق الصحافة عن المقالات الطويلة والدراسات المتنوعة الواسعة، وشكوى الكتاب من عدم وجود المجال الفسيح لنشر إنتاجهم الفكري، عزم أحد الأدباء الجزائريين -لم يُذكَر اسمه- على إصدار مجلة ثقافية شهرية باسم "القلم الجزائري"، والمجلة كما هو معلوم تحتاج إلى هيئة تحرير، وأقل ما تتطلبه عشرون كاتبا، لهذا وجهت دعوة عبر صفحات المنار إلى كل

---

[1] - المنار، س1، ع6، 30 جويلية 1952. وما كادت المنار ترحب بعودة الجزائر الحرة حتى صودرت من جديد بأمر إداري وهي تحت الطبع ينظر العدد السابع بتاريخ 15 أوت 1951.

[2] - المنار، س3، ع47، 7 أوت 1953.

[3] - المنار، س2، ع5، 20 جويلية 1952. في التوجه ذاته أشارت المنار إلى صدور العدد الأول من جريدة صوت الشباب التي يشرف عليها قسم الجوالة التابع للكشافة الإسلامية الجزائرية، وإقدام السلطات الفرنسية على حجز عدة أعداد من جريدة "الحرية" لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري. للتوسع أكثر حول الموضوع يرجى الاطلاع على العدد الأول من السنة الثانية من جريدة المنار الصادر بتاريخ 11 أفريل 1952.

الكتاب الراغبين في الانخراط فيها إلى إرسال تعهد إلى المجلة بالكتابة فيها كل شهر بانتظام، مع بيان المادة المراد الكتابة فيها من إحدى المواد الآتية: أدب، نقد، قصص، شعر، لغة، أدب مقارن، فكاهة، فلسفة، علم النفس، دين وتصوف، مقارنة أديان، تاريخ الجزائر، العالم الإسلامي، الاكتشافات، اقتصاد، فلسفة التشريع.[1]

3-2-4 جرائد عربية:

وفي إطار توجهاتها المغاربية والعربية رحبت جريدة المنار بصدور العدد الأول من جريدة "الاستقلال"، الصادرة بمدينة الرباط في المغرب الأقصى الشقيق، وهي لسان حال حزب الاستقلال المغربي محررة باللسان الفرنسي، وقد جاء في الافتتاحية بيان موقف هذا الحزب لا غموض فيه، والمنار ترحب بهذه الزميلة المجاهدة في سبيل قضية عادلة، وترجوا لها عمرا مديدا وتوفيقا تاما في خدمة الحق.[2]

كما استبشرت خيرا برجوع "المجلة الزيتونية" إلى الصدور من جديد بعد احتجاب طال خمس سنوات تقريبا، كما عادت جريدة "الاستقلال" المراكشية إلى الصدور من جديد بعد احتجابها لمدة قليلة بسبب بعض الإجراءات القانونية، وجريدة "المغرب" اليومية إلى الصدور بعد احتجاب طويل، مبدية غضبها على تعطيل حرية التعبير في القطر الشقيق بعد إقدام السلطات الفرنسية في مراكش على تعطيل "جريدة العلم" لمدة خمسة عشر يوما لأسباب أصبحت لا تخفى على أحد.[3]

عبرت جريدة المنار عن حزنها العميق إثر وصولها خبر احتجاب بعض المجلات الأدبية في مصر عن الصدور، فنشرت مقالا بعنوان "محنة الصحافة الأدبية". إن ورود مثل هذه الأنباء الأدبية يدل على سعة نظرة الجريدة واتساع أفقها ومجاراتها لما تعاني منه الدول العربية الشقيقة من محن، وما تخلل طريق الأدب العربي من صعوبات، فبنشرها لهذا الخبر تقدر دور هذه الجرائد الثلاث "الرسالة، الثقافة، والرواية" في إثراء الحركة الأدبية، وهذا نص الخبر: "احتجبت مجلة "الرسالة" ومجلة "الرواية" ومجلة "الثقافة" التي تصدر كلها بالقاهرة.

وقد أحدث ذلك أسفا عميقا في نفوس القراء الجزائريين الذين هم مدينون بكثير من ثقافتهم إلى هذه المجلات الراقية، التي ذكرت المنار أنها خدمت اللغة العربية وأدبها، وخدمت الذوق العربي، والشعور الفني وأيقظت الوعي القومي، فأصبحت هذه المجلات مجالا فسيحا لجميع أبناء العروبة لبسط قضاياهم القومية ومشاكلهم

[1] - المنار، س2، ع18، 27 فيفري 1953.
[2] - المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.
[3] - المنار، س2، ع1، 11 أفريل 1952.

الثقافية، داعية الشعوب العربية في كل مكان أن يبادروا بما يساعد على إزالة هذه المحنة التي هي مصيبة كبيرة على الأدب العربي، في إشارة منها إلى السعي قدما لإعادة إحياء هذه المجلات.[1]

أسهمت جريدة المنار في نشر بعض الأخبار عما يحدث في بعض الدول العربية من مناقشات لقضايا أدبية متنوعة، فنشبت في مصر في الأيام الأخيرة معركة أدبية بين أنصار القديم والجديد، وكان السبب في هذه المعركة احتجاب مجلتي "الثقافة" و"الرسالة" اللتين لعبتا دور خطير في نهضة الأدب العربي وتطوره، فكتب الدكتور طه حسين مقالا في جريدة "الأهرام" يتأسف على مصير هاتين المجلتين، وكتب العقاد بدوره مقالا آخر ينتصر فيه لعميد الأدب العربي ولزملائه من كتاب المجلتين.[2]

فجاء الرد، وظهرت الحملة الشعواء التي شنها أنصار الجديد، فأخذت المقالات تتساقط على الدكتور طه حسين، وأخذ بعض متعصبي السياسة يدّعون أن الأدب إنما يجب أن يكون للشعب، وأن جميع ما كتبه شيوخ الأدب أمثال: طه حسين، وأحمد حسن الزيات، ومصطفى العقاد، ومحمد حسنين هيكل، وأحمد أمين وغيرهم من هذه الطبقة إنما هو أدب أرستقراطي، لا ينفع الشعب ولا يرجع إليه بالخير. وأخذ هؤلاء المتعصبون يتشفون في احتجاب هاتين المجلتين معللين ذلك بأن مصيرهما إنما هو النتيجة الطبيعية لكل شيء. ولكن نسي هؤلاء مواقف الزيات واتهموه بأنه منمق ألفاظ، ومختار صور لا منسق معاني ومرتب أفكار، واتهموا طه حسين بتأثره بصور البديع عند اليونان، ونسوا أنه محرر الأفكار من ربقة التقليد الأعمى الذي كان فيه الأدب العربي قبله.[3]

يرى الكاتب في النهاية أن المعركة في الحقيقة ليست معركة تتعلق بشكل الأدب، وإنما المشكلة التي نشب حولها الخلاف والجدل في مصر تدور حول تعريف الأدب، وما هي غايته؟ هل هو وسيلة من وسائل التسلية أم هو وسيلة من وسائل الإعلان؟ أم هو غاية لرفع فضائل الإنسان؟ أم هو أداة لتسجيل عواطف البشر؟

كما عكفت المنار على عرض بعض المقتطفات من الصحف أو الكتب، كما نوّهت في كتابات أخرى إلى أهم ما يكتبه المفكرون والأدباء والمصلحون من داخل الجزائر وخارجها وحتى من البلاد العربية، وأغلب هذه المقتطفات من المقالات في أغلبها مقتبسة من أهم وأكبر الصحف الصادرة في البلدان العربية مثل: المنار المصرية لمحمد رشيد رضا، جريدة العلم المراكشية، شعلة الحرية، الطرابلسية لواء الإسلام.

---

[1] – محنة الصحافة الأدبية في مصر، المنار، س2، ع20، 27 مارس 1953. وفي تحليل الكاتب لأسباب توقف صدور هاته المجلات يرى أن احتجاب الثقافة كان لعدم قدرتها على مسايرة التيار الأدبي الحالي وتمسكها بالقديم، أما الثانية وهي الرسالة فقد احتجبت بسبب وقع جحيم الضرائب على كاهلها، وعجزها عن تسديد نفقات الطبع والتوزيع.

[2] – المنار، س3، ع41، 24 أفريل 1953.

[3] – المنار، س3، ع41، 24 أفريل 1953.

4-المسرح:

إيمانا من القائمين على جريدة المنار بأهمية المسرح، ودوره في بث الوعي التحرري بين أفراد المجتمع، اهتمت هيئة تحريرها بفن المسرح، فنشرت مجموعة لا بأس بها من المقالات والأخبار المتنوعة عن العروض المسرحية التي كانت تقدم على خشبات المسارح الجزائرية مطلع الخمسينات؛ إذ بلغ اهتمام المنار بالفن المسرحي أن خصصت لها ركن ثابت بعنوان: "في المسرح الجزائري"، كما بلغ عدد المقالات التي نشرتها حول الموضوع 14 مقالة، غير أن كاتبا هذه المقالات آثرا عدم التصريح باسميهما الحقيقيان؛ فآثر الأول أن تذيّل مقالاته باسم "الناقد"، واختار الثاني اسم "ابن البشير".

والجدول التالي يوضح أهم الكتابات التي نشرتها المنار حول المسرح الجزائري وتطوراته خلال الخمسينات من القرن العشرين:

العنوان	الكاتب	العدد، السنة	تاريخ الصدور، الصفحة
المسرح الجزائري (نظرة في تاريخه)	ابن البشير	ع10، س1	22 أكتوبر1951، 3-4
المسرح الجزائري	ابن البشير	ع11، س1	08 ديسمبر 1951، 4
عائشة القادرة	ابن البشير	ع1، س2	11 أفريل 1952، 2
في المسرح الجزائري رواية ولد الليل	ابن البشير	ع2، س2	25 أفريل 1952، 2
عائشة بوزبايل	ابن البشير	ع3، س2	09 ماي 1952, 2
في المسرح الجزائري	الناقد	ع12، س2	28 نوفمبر 1952، 2
في المسرح الجزائري رواية خالد	الناقد	ع14، س2،	26 ديسمبر 1952، 3
في المسرح: رواية الأغا مزعيش	الناقد	ع15، س2	09 جانفي 1953، 3
بطل قريش	الناقد	ع15، س2	09 جانفي 1953، 3
في المسرح الجزائري رواية الصحراء	محمد الطاهر فضلاء	ع16، س2	23 جانفي 1953، 3
في المسرح الجزائري	الناقد	ع18، س2	27 فيفري 1953، 4
شكسبير في نظر تولستوي	الهاشمي العربي	ع20، س2	27 مارس 1953، 2
في عالم التمثيل الجزائري هواة المسرح	هيئة التحرير	ع51، س3	01 جانفي 1954، 3
جائزة مسرح الشمال الإفريقي	هيئة التحرير	ع51، س3	01 جانفي 1954، 3

الجدول رقم 06 : الكتابات حول فن المسرح الجزائري من خلال جريدة المنار

وبالنظر إلى الموضوعات المطروقة في المسرح الجزائري فإنه يعتبر من صور المقاومة الوطنية تلميحا وتصريحا، فبحكم أن هذا المسرح في مولده وتأسيسه قد تبنى البحث عن الذات الجزائرية واسترجاع الهوية ومقومات الشخصية الوطنية بعد سنوات من التغييب، فإن ذلك جعله مسرحا مرتبطا بالمقاومة الوطنية، بل إحدى وسائلها، وتأسس مواكبا لتطورها، حاملا لرسالتها وصراعها ضد الاستعمار الفرنسي.[1]

أشار الكاتب في أول مقاله أن الحديث عن المسرح الجزائري يتطلب ضرورة العلم والاطلاع على ظروف نشأته وتطوره، ويرى بأن الجزائر عرفت أولى العروض المسرحية بعد زيارة الفنان المسرحي اللبناني جورج أبيض وفرقته إلى الجزائر سنة 1921م،[2] ومشاهدة الجزائريين شيئا جديدا لم يفكر فيه أحد من قبل حيث يقول: "والشيء الذي لا سبيل لنكرانه هو أن مسرحنا كان الثمرة المباشرة للنهضة المسرحية في الشرق، وذلك أن الجزائر لم تنتبه للمسرح إلا بعد زيارة جورج أبيض وفرقته الجزائر".[3]

إذن كانت الإرهاصات المسرحية الجزائرية متأثرة بالمسرح العربي المشرقي، ولم يتأسس انطلاقا من تأثره بالمسرح الفرنسي والذي كان مزدهرا وموجودا بالجزائر قبل هذا التاريخ، إذ استقدم الاستعمار الفرنسي في ظل مشروعه الاستيطاني عدة فرق مسرحية فرنسية، غير أن النخبة الجزائرية تبنت موقف المقاطعة وعدم التأثر بهذه العروض المسرحية.

وانتقل بعدها إلى تقييم عروض جورج أبيض المسرحية التي قال أنها لم تنجح لسببين:

- أن التمثيل جاء باللغة العربية الفصحى، وهي لغة مطموسة مجهولة عند الأغلبية، ويؤكد بأن استخدام اللغة العربية الفصحى في المسرح مشكلة قديمة حتى في المشرق العربي، ولقد عالجتها أقلام العديد من الكتاب في المشرق العربي بالتحليل والبحث، حيث تم التحدث عن اللغة التي يجب أن تستعمل؛ اللغة العربية الفصحى أم الدارجة، منهم الأستاذ ميخائيل نعيمة في كتابه "بلاغة العرب في القرن العشرين"، وأحمد حسن الزيات في كتابه "أصول الأدب".

---

[1] – أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري والثورة التحريرية، دراسة تطبيقية في صور إسهام المسرح الجزائري في ثورة أول نوفمبر1954، دار الساحل، الجزائر، 2013، ص77.

[2] – يذكر الباحث محمد إسطنبولي أن الأمير خالد بحكم تكوينه الإسلامي واطلاعه الواسع على الثقافة الفرنسية، أدرك أهمية فن المسرح في توعية الأمة، فطلب من الممثل المصري جورج أبيض حين التقى به في باريس سنة 1910م أن يبعث له ببعض المسرحيات لتمثيلها في الجزائر. إسطنبولي محمد محبوب، أضواء على تاريخ المسرح في الجزائر، مجلة آمال، س8، ع35، 1976، ص67. نقلا عن: أحسن ثليلاني، مرجع سابق، ص 51.

[3] – المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

إن إشارة الكاتب الجزائري ابن البشير بفطاحل الكتاب، ورموز الأدب في المشرق العربي من أمثال الزيات، وميخائيل نعيمة يوحي بدرجة وعيه، وسعة اطلاعه على التطورات الفكرية والنهضوية في المشرق العربي، وحتى حديثه عن روايات موليير التي ظلت تمثل في المسارح العالمية لحد الآن.

- عمق الموضوع المعالج وعلو أهدافه، فباستثناء بعض الطلبة، لا نجد من الذين شاهدوا مسرحيات جورج أبيض من فهم مغازيها ومراميها ومقاصدها، خاصة بحديثها عن صلاح الدين الأيوبي سنة 1921م، وعن تراث العرب.

تحدث عن المحاولات الأولى لنشأة المسرح الجزائري بعد محاولة جورج أبيض، لكن عدم إدراك الجزائريين لمزايا التمثيل وتذوق لذاته جعلته راكدا، لهذا يشير إلى أن أعمال علالو ودحمون والقسنطيني وباش طارزي ظهرت ساذجة، وبسيطة، تتماشى مع عقلية الفرد الجزائري منها رواية جحا بقوله: "وأخذوا يقدمون للشعب ما يفهمه، باستمدادهم المواضيع من أدبه وحياته اليومية في أسلوب عامي منحط، وكان مما قدمه هؤلاء رواية جحا".[1]

ومن الآفات التي ساعدت على إيقاف تطور المسرح الجزائري هو اعتقاد الشعب في المسرح، أو سوء ظن الشعب بالمسرح حيث يعتبر المسرح من الحرف المنحطة، أما الممثل المسرحي في نظر الشعب الجزائري يكون قد حقق رقما قياسيا في تدني وسقوط الأخلاق، إذ تحدث الكاتب عن رأي والده به حينما اعتلى يوما خشبة المسرح للقيام بدوره فخطفه الأب من على الخشبة، وأشبعه ضربا بسبب تجرئه على هذا الفعل، ونهاه عن الاشتغال بمثل هذه الحرف الساقطة، وما الأب إلا صورة مصغرة عن الرأي العام الساذج.

ثم انتقل الكاتب إلى الحديث عن دور الأخوان سعد الدين بن أبي شنب والدكتور رشيد بن أبي شنب، واصفا مجهودهما لصالح الفن المسرحي بقوله: "ولولاهما لصعب على الناشئ أن يعرف أولية مسرحنا وتطوره".[2] حيث قام الأستاذ سعد الدين بن شنب ببحث عميق، وأخرج من بطون الجرائد والمجلات كل ما كتب عن المسرح العربي منذ فجر النهضة، وبحثه هذا ترجمه المؤرخ التونسي عثمان الكعاك إلى الفرنسية ونشره في مجلته الثريا في أعداد متوالية.

---

[1] - المنار، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.

[2] - المنار، س1، ع11، 08 ديسمبر 1951.

يرى ابن البشير أن الفن المسرحي في الجزائر لم يتطور تطوره اللازم في بداية الخمسينات من القرن العشرين، بل بقي على ما نشأ عليه، وبقي يدور حول "دار المهابل" و "تاج حليمة" وفاطمة المقرونة، والسبب في ذلك يعود:

- السياسة، والسياسة الاستبدادية التي تمنع المؤلف المسرحي من إبداء ما في سريرته من أفكار، وتقف عائقا في وجه إنتاجه الفكري، ومن العوامل التي أوقفت تقدم المسرح وحالت بينه وبين ما يلزمه من رقي ذكر الاستبداد في الإنتاج الفكري.
- مشكلة اللغة؛ إذ تعتبر من الأسباب التي عطلت تطور المسرح الجزائري، حيث تكاد تقضي على الحركة لخطورتها، وإذا عسر استعمال اللغة العربية الفصحى، وجب أن تمثل المسرحيات بلغة قريبة منها كل القرب.

وهذا الحل ذكره الأستاذ يوسف وهبي حين سئل عن ذلك: "إذا عسر استعمال اللغة العربية الفصحى، وجب أن تمثل المسرحيات بلغة قريبة منها كل القرب".

والمسرح الجزائري حسب رأيه ضعيف من جهة التأليف، ولم يظهر فيه لحد الساعة موضوع مبتكر مُثِل في غير الجزائر وأخذ مكانة من بين المسرحيات العالمية، باستثناء رواية بلال للأستاذ الشاعر محمد العيد، ورواية المولد للأستاذ عبد الرحمان الجيلالي، ورواية حنبعل للأستاذ أحمد توفيق المدني، وأن رواية المولد قد مثلت في أهم محطات العالم للإذاعات العربية كإذاعات نيويورك، ومصر، ولندن، وباكستان.[1]

وفي حلقة أخرى عن المسرح الجزائري تحدث ابن البشير عن رواية "عائشة القادرة" المقتبسة من ألف ليلة وليلة من تأليف الشاعر الشعبي التونسي عبد الرزاق كرباكة، وبعد سرد مجرياتها راح الكاتب يوجه الانتقادات لها، والتي رأى أنه في الرواية يجب أن لا تخرج عن مقتضيات العصر الذي تمثله، فإما أن تكون تاريخية، أو أن تكون عصرية فتخضع لموجبات العصر، هذا من حيث المواضيع، كما ناقش الحوار وفنياته، وتوزيع الأدوار، وانتهى إلى الإشادة بهذا التبادل الثقافي والفني، وأنه من الواجب إطلاع الشعب التونسي على تطور الفن المسرحي في الجزائر.[2]

---

[1] – المنار، س1، ع11، 08 ديسمبر 1951.

[2] – المنار، س2، ع1، 11 أفريل 1952. ويعتبر الناقد أن "رواية خالد" من أحسن المسرحيات التي أنتجتها القرائح الجزائرية، فقد كتبت في فترة كان التمثيل فيها يحاول الاستقرار وفرض نفسه على الجمهور الجزائري الذي يصعب إرضاؤه. أما موضوعها فهو وصف للعلائق بين المعمرين الأوربيين في الجزائر والباشاغوات، ومعاملة بعض أولاد هؤلاء الباشاغوات لأولئك المعمرين. المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.

وبرواية "كيد النساء" انتقل المسرح الجزائري من طور الصبا إلى طور الشباب والفتوة، متخلصا في ذلك من حالة التقليد والاقتباس، وارتقى إلى محاولة الخلق والابتكار، حيث عالجت هذا الرواية موضوعا خلق مع حواء لأن كيدها أخرج سيدنا آدم من الجنة، فاستطاع الأستاذ محي الدين أن يجعل هذا الموضوع الشائك يوافق الذوق الجزائري، ويساهم في وصف أخلاق بعض النساء الماكرات الكائدات. ومن مزايا هذه الرواية أيضا أنها أظهرت ممثلين لم يكونوا معروفين في المسرح الجزائري.[1]

ويعتبر الناقد أن "رواية خالد" من أحسن المسرحيات التي أنتجتها القرائح الجزائرية، فقد كتبت في فترة كان التمثيل فيها يحاول الاستقرار وفرض نفسه على الجمهور الجزائري الذي يصعب إرضاؤه، أما موضوعها فهو وصف للعلائق بين المعمرين الأوربيين في الجزائر والباشاغوات، ومعاملة بعض أولاد هؤلاء الباشاغوات لأولئك المعمرين.[2]

وفي عددها الواحد والخمسين الصادر سنة 1953م، ذكرت المنار أنه تكونت فرقة للتمثيل العربي تحمل اسم "فرقة هواة المسرح" في عاصمة الجزائر، يشرف على إدارتها الأستاذ محمد الطاهر فضلاء، ضمت طائفة من الممثلين والفنانين في القطر الجزائري، أخذت على عاتقها السير بالتمثيل العربي إلى هدفه السامي وغايته المنشودة ابتداء من يوم 29 ديسمبر بالجزائر العاصمة، كما قامت بفتح مسابقة لتأليف رواية مسرحية باللغة العربية أو الفرنسية في موضوع تصل بشمال إفريقيا.[3]

تبين هذه المقالات المنشورة بجريدة المنار في أعداد كثيرة على درجة الوعي التي بلغها الجزائريون، وإحاطتهم الواسعة بتطورات الفن المسرحي في المشرق العربي، وسعة الاطلاع على التطورات الفكرية الحاصلة في العالم بأكمله. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبرز لنا مدى اهتمام صاحب الجريدة السيد محمود بوزوزو بالفن المسرحي في الجزائر، وبأهمية وقيمة النصوص أو الأدوار والمقاطع المسرحية في توعية المجتمع الجزائري وربطه بواقعه في محاولة لإيجاد حلول لما تعيشه من مآسي وآلام.

---

[1] - المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.
[2] - المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.
[3] - المنار، س3، ع51، 01 جانفي 1954.

5-الشعر:

يعتبر الشعر من أهم الأجناس الأدبية التي واظبت جريدة المنار على نشرها، فيجد القارئ على صفحاتها قصائد مطولة فاقت الخمسين بيتا أحيانا، وهذا ما يفسر لنا الاهتمام الكبير الذي توليه هيئة تحرير المنار وعلى رأسها مديرها محمود بوزوزو للشعر.

وتبين الإحصائيات التي قمنا بها؛ القصائد والمقطوعات الشعرية المنشورة في جريدة المنار، وهي كالتالي:

عدد القصائد← ثلاثون (30) قصيدة

عدد المقطوعات الشعرية ← عشر (10) مقطوعات

مجموع عدد الأبيات الشعرية ← 926 بيت شعري

المطلع على جل القصائد والمقطوعات الشعرية التي نشرت بجريدة المنار مطلع الخمسينات من القرن العشرين، يجد أن اهتمام أغلب الشعراء كان منصبا نحو نشر الشعر النضالي والوطني؛ إذ ارتكزت جل اهتماماتهم على القضايا الوطنية التحررية، معبرين في كذا مقام عن رغباتهم في تحقيق الوحدة الوطنية والمغربية، الحرية والاستقلال التام، والتمسك بمعالم الهوية الوطنية من خلال التمسك بمبادئ الدين الإسلامي، وتطبيق العدالة الاجتماعية، وهو ما تجسد في بعض المقطوعات الشعرية ذات التوجه الاجتماعي الأخلاقي، وهذا طبعا يعود بالدرجة الأولى إلى صاحب الجريدة الأستاذ محمود بوزوزو الذي كانت له اهتمامات واسعة بالشعر كما ذكرنا آنفا.

فعلى سبيل المثال نجد أن الشعراء محمد العيد آل خليفة، علي صادق نساخ، أحمد بوعدو، أبو بكر مصطفى بن رحمون، عمر بسكري،[1] كانت قصائدهم تعالج قضايا الشعر الإصلاحي، والوحدة الوطنية مثل قصيدة الشاعر محمد العيد آل خليفة "يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم" والتي يدعو فيها كل تيارات الحركة الوطنية إلى الوحدة، والالتفاف حول مصالح الشعب؛ إذ جاءت هذه القصيدة استجابة لنداء المنار التي طرحت استفتاء حول إمكانية الاتحاد في الجزائر.

[1] - جاء ترتيب الشعراء الجزائريين حسب عدد الأبيات الشعرية التي تضمنها مجلد المنار كالتالي: محمد العيد آل خليفة 180 بيتا، علي صادق نساخ 158 بيتا، أحمد بوعدو 127بيتا، أبو بكر مصطفى بن رحمون 56 بيتا، عمر بسكري 56 بيتا.

والدارس لحضور الشعر في جريدة المنار، يلاحظ غياب نشر الشعر العربي[1] على صفحاتها، حيث اقتصر ظهوره على نشر بعض المقطوعات الشعرية المنتقاة من طرف هيئة التحرير، ربما لشدة تأثيرها على النفوس، ووقع كلماتها، ونضالها من أجل نيل الحرية والاستقلال، من ذلك بعض المقطوعات الشعرية لكل من: أحمد شوقي، والمتنبي، والشاعر التونسي أبو القاسم الشابي.

ثالثا: الدين في الجزائر

1-مكانة الدين في الحياة البشرية:

الأمة الجزائرية أمة عربية مسلمة، تسلط عليها الاستعمار الفرنسي بالحديد والنار، وفرض عليها قوانين غير القوانين التي أمرها بها دينها، فكان ذلك أكبر نكبة أصيب بها الإسلام في الجزائر، وعليه كانت المنار على أهبة الاستعداد للدفاع عن الدين الإسلامي ومقدساته، والرد على أولئك الذين يشوهون صورته، ويقيمون الدليل على أنه سبب تأخر وتخلف، من أجل هذا وغيره اهتمت المنار اهتماما بالغا بالجانب الديني، وأولت له عناية خاصة تجلت في مقالات عديدة نشرتها عبر أعدادها الواحد والخمسين.

ففي الميدان الديني؛ عملت المنار في سبيل نشر التعاليم الإسلامية الخالصة وبيان الإسلام على وجهه الصحيح، حاربت الجحود، كما حاربت الجمود؛ إذ أعطت للجانب الروحي أهمية عظمى باعتباره هدفا أقرته منذ البداية؛ الأمر الذي وضحه أحد كتابها مشيرا إلى طغيان المادية على حساب تراجع وتقهقر القيم الروحية التي هي أساس الدين، فيقول في ذلك: "لقد أصبحنا في عصر طغت فيه المادة وأصبحت هي كل شيء في حياتنا، وفقدنا مثلنا وقيمنا المعنوية، فنحن في حاجة شديدة إلى روح قوية، وإلى إيمان متين يسري في عروقنا، فيحي الموتى ويطهر نفوسنا من مركبات النقص، ونزغات الشيطان، والشعور بالضعف والعجز".[2]

وعلاوة على ذلك، فالمنار تؤكد أن الإسلام قوة روحية لا مثيل لها في الوجود، تبعث على النشاط والعمل، على الإنتاج والإبداع، وعليه يعتبر عامل من عوامل السمو الروحي والتقدم المادي، لأنه يعترف بحقوق

[1] – مما يثير الانتباه أيضا أن مجلد المنار قد فتح صفحاته للشعر الأجنبي المترجم، من ذلك نشر قصيدة للأديب الفرنسي فيكتور إيغو، ترجمها إلى العربية الشاعر أحمد بوعدو تتكون من ثلاثة عشرة بيتا، نشرت في العدد الأخير وهو العدد 51 من أعداد المنار حملت عنوان: "محاسن التعليم"، ولعل السبب الرئيس لنشرها هو معالجتها لموضوع هام جدا يمس واقع المجتمع الجزائري ألا وهو "التربية والتعليم"؛ إذ يثني فيها على دور التعليم وأهميته في بناء شخصية الطفل، ويشيد بأهمية الكتاب ودوره كوسيلة ملازمة للعملية التعليمية التعلميّة، وضرورة ملحة لإنارة طريق النجاح. ينظر: محاسن التعليم، فيكتور إيغو، ترجمها إلى العربية أحمد بوعدو، المنار، س3، ع51، 1 جانفي 1954.

[2] – المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.

العقل وحقوق القلب، فيوفق بين الفكر والعاطفة، ويدعوا إعمال العقل، وبناء الحياة على التفكير مع اعتبار القيم الروحية والحقائق المادية في دائرة حسن المعاملة، واحترام الكرامة الإنسانية، والتعاون على البر والتقوى.[1]

وبطبيعة الحال، وكما عودتنا على المنار على الاستشهاد الدائم بالنصوص القرآنية، فقد استشهدت بالآيات الجامعة لهذا المعنى المتجسدة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيك﴾[2]. معتبرة بذلك كمال الدين في شمول الحياة الإنسانية "استجابة لمطالب الروح والجسم".[3]

وعليه، ترى أن كل الدعوات إلى التكتل الإسلامي لا يجب أن تفهم أنها مستوحاة من عصبية دينية عدائية للأديان الأخرى، بل يجب الاعتقاد أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين، وأنه مكمل للأديان الأخرى التي اعترف بها ودعا إليها، وبالتالي فإن هذه الدعوة أساسها القرآن الكريم، لقوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".[4]

فالإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ أي أنزله لكافة البشر كافة لا لفئات خاصة، وأمر بالتبشير به بالحكمة والموعظة الحسنة ودون إكراه، والتاريخ يشهد أن خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام أعلن عالمية الدين، وأنه جاء مكمل للأديان الأخرى، التي اعترف بها ودعا أهلها للدخول تحت لوائه، مؤكدة أن تلك الأديان منحرفة عن أصلها، ولولا ذلك لما عارضت الإسلام، يقول محمود بوزوزو في هذا الشأن: "ونعتقد أن هذه الأديان منحرفة عن أصلها، ولولا ذلك لما عارضت الإسلام".[5]

وبما أن تلك الأديان يرى أهلها أنهم على حق، وبما أن ديننا أوصى على التعاون على البر والتقوى، جاءت دعوة المنار إلى التكتل والتعاون باعتبارهما قيمتين إنسانيتين يجب تسخيرهما في سبيل خدمة البشرية جمعاء؛ تقول في ذلك: "فلا يضيرنا أن يتكتل أهل الأديان الأخرى وأن يتعاون الجميع على ما يعود بالخير على البشرية".[6]

[1] - المنار، س1، ع 01، 29 مارس 1951.
[2] - سورة القصص، الآية رقم 77.
[3] - المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.
[4] - سورة الأنبياء، الآية رقم 107.
[5] - A.N.O.M, S.L. N.A, Mahmoud Bouzouzou, AL-Manar Au Seuil de sa 2éme Année, 93/4257.
[6] - المنار، س2، ع01، 11أفريل 1952.

وعن مكانة الدين ودوره في الحياة البشرية، تشير المنار إلى أن الدين لا يزال محتفظا بقداسته، ولئن قلت مراعاة الفرائض الدينية عمليا، فالشعور الديني لا يزال مكينا في النفوس، يمنعها من انتهاك حرماته ويدفعها إلى مناصرته، وإلى الآن لم تستطع البشرية أن تستغني عن الدين سواء كانت طقوسه موافقة للعقل أم غير موافقة، ولا تزال الشعائر الدينية محاطة بنوع من القداسة حتى عند غير المتدينين، تقول في ذلك: "ولذا نرى الدين محل عناية بعض السياسيين الاستعماريين، يحاربونه إن أحسوا في أهله يقظة وعزة، ويستغلونه إن كان فيه غفلة وذلة، ولا تزال إلى يومنا المعارك حامية في فصل الدين عن الحكومة، ولا يزال للكنيسة أثر كبير في بعض الأحزاب السياسية الحالية في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها، كل هذا يدل على أن مكانة الدين ثابتة لم تتغير، في الحياة البشرية".[1]

وفي نفس الصدد تطرقت إلى اختلاف النظرة في فهم الدين؛ بين من يراه من أسباب التعطل، ومن يراه من عوامل التقدم، فهناك من يرى أن الدين لا يتفق والتقدم الفكري الحديث، إذ يعتبره أنصار هذا الاتجاه صالحا في الأزمنة الماضية، بينما لا يصلح للحياة الحاضرة، والسبب في هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف آثار الدين في الحياة البشرية باختلاف استعماله، فقد عرف التاريخ حروبا نشرت بدعوى نشر الدين أو حفظ الدين، وعرف جرائم واغتيالات وقعت باسم الدين، وأمم تتكتل تحت شعار ديني، كما أنه سجل آثارا حسنة في يقظة الشعوب وتقدمها، نشأت بباعث من الدين ولها فضل كبير على المدنية الإنسانية، وهو دليل على أن الدين في ذاته من عوامل التقدم، وأن ما وقع باسمه من الشرور نتيجة سوء فهمه أو استعماله لأغراض خاصة.[2]

فالمنار لا ترى للشعب الجزائري ولكل الأمة الإسلامية من سبيل للتخلص من نير الاستعمار غير الرجوع إلى القيم الإسلامية الخالدة "وقد عرف العالم الإسلامي عهدا زاهرا، كان فيه منارا مشرقا، يرسل أشعته على البشرية، ولكنه تضاءل لبعده عن التعاليم الإسلامية"، والرجوع إلى هذه القيم الدينية والتمسك بها والدفاع عنها، تعتبره المنار ثورة لا بديل عنها، ولا يعدها رجعية إلا من يعتبر الدعوة إلى إحياء مبادئ 1789م رجعية –في إشارة إلى مبادئ الثورة الفرنسية–، إن هي إلا إحياء قيم خالدة، ومن دعا إلى قيم خالدة في وسط طمست فيه، دعا إلى ثورة متجددة.[3]

تسترسل المنار في اهتمامها بالقضية الدينية، بالحديث عن أهمية الدين ومكانته في تنوير حياة الشعوب؛ معتبرة أن مقتضيات الدين الإسلامي تجعل من العالم الإسلامي كتلة مستقلة عن الكتلتين المتصارعتين، المعسكر الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي، مبينة فضله على المدنية الإنسانية، مشيدة بآثاره الحسنة في يقظة الشعوب

[1] – المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
[2] – المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
[3] – المنار، س3، ع49، 20 ديسمبر 1953.

وتقدمها؛ "فهذه الرابطة الإسلامية في الهند أبرزت للوجود دولة الباكستان، كما أخرجت روحانية غاندي الأعزل دولة الهند من مخالب الاضطهاد، ونرى حزب المسلمين في الملايو يبذل من النشاط في حماس متوقد ما سيبلغ به مبلغ الباكستان والهند في إنقاذ الملايو من الاستعمار البريطاني، لأن الاستعمار لا يدوم في أرض حل بها الإسلام".[1]

وعن دور الدين في تحرير الشعوب، رأت أنه في خضم المعركة القائمة بين المعسكرين الشرقي والغربي، لا مناص للعالم الإسلامي من اتخاذ موقف وسيكون للدين الدور الرئيسي في تحديد هذا الموقف، رغما عن قوة الدافع السياسي الذي يقتضي في هذا المقام ما لا يقتضيه الدين، فالإسلام لا يقتضي الخضوع للظالمين، كما لا يقتضي موالاة الكافرين، تقول في هذا المقام: "أما مقتضيات الدين فإنها تجعل من العالم الإسلامي كتلة مستقلة عن الكتلتين، لأن في التعاليم الإسلامية نظاما مغايرا لنظاميهما، ويطمح إلى السيادة والعالمية لإسعاد البشرية، وبهذه الصفة يعتبر نظاما منافسا خطيرا لنظاميهما، فله من الخصائص ما يمنعه من الذوبان والاندماج في أحدهما."[2]

كما نقلت أخبارا عن جملة من القضايا التي تُعنى بشؤون المسلمين، من ذلك تفاصيل عن مؤتمر مشايخ الإسلام الذي انعقد في كراتشي عاصمة الباكستان، وهو مؤتمر بالغ الخطورة ترقبته الدوائر الدبلوماسية الإنجليزية والأمريكية والروسية باهتمام منقطع النظير، أما المؤتمر فهو مشايخ الإسلام الذي جاء متفرعا عن المؤتمر الإسلامي الذي يرمي إلى توحيد المسلمين جميعا.

حضر هذا المؤتمر واشترك في جلساته عدد ممن يستطيعون أن يسوقوا أكبر تكتل من المسلمين، كما كان من المؤيدين جميع مشائخ الإسلام في وسط آسيا، وكلماتهم بين أتباعهم أقوى من القانون، من الباكستان، إيران، العراق، كما حضره عدد من ممثلو الدول العربية الإسلامية في الباكستان.[3]

كما دعت حكومة الباكستان رؤساء وزارات 12 دولة إسلامية إلى مؤتمر يعقد في كراتشي للتشاور في شؤونها: أفغانستان، إندونيسيا، الأردن، إيران، العراق، سوريا لبنان، المملكة العربية السعودية، اليمن.[4]

واهتماما منها بالدين، لم تغفل المنار الحديث عن جهود رجال رفعوا من شأن هذا الدين الحنيف بعد أن سكتت عنه الأيام أحقابا من الدهر، بعثهم الله ليوقظوا خير أمة من خمولها، ويعيدوا لها الثقة بنفسها.

[1] – المنار، س1، ع 14، 19 جانفي 1952.
[2] – المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
[3] – المنار، س2، ع2، 25 أفريل 1952.
[4] – المنار، س2، ع4، 23 ماي 1952.

أولهم محمد علي جناح الأبر الذي خلق باكستان خلقا بعد أن كان المسلمون في بلاد الهند كالشعرة البيضاء في جلد ثور مختلف الألوان، يتجرعون الهون، وأقام أسس دولة إسلامية عظيمة مبدؤها الإسلام، وغايتها الإسلام، وقد شرح محمد علي جناح رسالته الخالدة في إحدى كلمتاه العظيمة: "ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية، وإنما هو دستور حياة كل مسلم، دستور ينهج عليه في حياته وتصرفاته في جميع النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهو دستور قائم على أسمى مبادئ العزة والنزاهة والعدالة".[1]

أما ثاني المحمدين فهو محمد مصدق الملقب بـ:"رجل العصر"، لأنه يمثل العصر في تطلعه إلى الحرية وكفاحه ضد الاستعمار، مجاهدا بموقف ثابت في خضم التيارات المتباينة مواصلا سيره نحو هدف إيران الوطني ألا وهو الحرية الكاملة والاستقلال التام، وهو القائل: "إن شعوب الشرق قد حطمت أغلالها وهي تنظر بعين الكراهية إلى كل أولئك الذين لا تزال جوانبهم تخفق بأحلام استعمارية".

وثالث الثلاثة محمد صلاح الدين الوزير المؤمن الذي طبع السياسة الخارجية المصرية بطابع الشجاعة، ورسمها بسمة الرجولة، شعاره "مصر للعروبة والإسلام"، الذي يعد من أقوى المحامين إخلاصا لقضية التحرير وتفانيا في الدفاع عن سيادة البلاد، من شباب هذا الجيل المتحفز إلى تحطيم أكبال الاستعمار.[2]

2-الاحتفاء بالمناسبات الدينية:

وما احتفاء المنار بالمناسبات الدينية إلا دليل قاطع على فشل السياسة التنصيرية الفرنسية في الجزائر؛ إذ تؤكد أنه على الرغم من كل المحاولات الاستعمارية لإضعاف الروح الإسلامية فإن الأمة الجزائرية لا تزال متمسكة بدينها محافظة على تقاليدها، يظهر ذلك من خلال احتفالها بجميع أعيادها الدينية، وتتجلى مظاهر الاحتفالات في المساجد، والمدارس الحرة، ومنظمات الشباب الإسلامية، والمنازل التي تشاهد من خلالها الشيوخ والكهول والشبان والأطفال يظهرون بهجتهم بحلول مثل هذه المناسبات؛ إذ تتشرف الأسماع بالمدائح النبوية العطرة، الأناشيد الدينية، الروايات، والمحاضرات في السيرة النبوية الشريفة وبطولات الإسلام وأمجاده، فتلك الروح الدينية كفيلة بتغذية عقيدتهم في المستقبل.

فكانت المنار إذن تستغل المناسبات الدينية لتربط الجزائر بحاضرتها الإسلامية، مؤكدة أن الإسلام هو نور الله المتجلي في السموات والأرض، فكانت تواظب كلما حلت هاته الأعياد الدينية على نشر مقالات بعناوين

[1] - المنار، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

[2] - المنار، س1، ع15، 01 فيفري 1952.

توحي بأهمية العناية بالدين الإسلامي بالنسبة للقائمين عليها، معتبرة أعياد المسلمين وذكرياتهم محطات روحية لا مناص من الحديث عنها للتزود من عبرها.

-ذكرى المولد النبوي:

تحتفل الأمة الجزائرية المسلمة بذكرى مولد النبي ﷺ احتفالا تعبر فيه عن تمسكها بالإسلام، رغما عما أصابه وأصابها من الأهوال في وطنها، وهي في ذلك تجري على عادتها في الاحتفال بالأعياد الإسلامية منذ أن هداها الله لهذا الدين الإسلامي الحنيف، ومما نوّهت إليه المنار في هذا المجال أن أعلنت حزنها عن الظرف الاستعماري الطارئ على المجتمع الجزائري، مما تسبب في تغير طريقة الاحتفال بذكرى ميلاد رسولنا الكريم، وهو ما تجسد في قولها: "ولكن شتان بين احتفالات العهد الحديث، عهد المحن والمصائب، واحتفالات العهد القديم، عهد الحرية والعزة أيام كان الملوك والأمراء والشعراء والأدباء وسائر طبقات الشعب يكسون الأعياد بهجة لا يستطيع أن يتصور روعتها القارئ للتاريخ في كتابات ابن خلدون وغيره في وصف الاحتفالات بالمولد النبوي في القطر الجزائري."[1]

وعليه، نقلت أجواء حلول مناسبة المولد النبوي الشريف خارج الجزائر، وفي العاصمة الفرنسية باريس؛ إذ احتفل التونسيون والجزائريون والمراكشيون المقيمون بباريس وضواحيها بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في قاعة قصر "دورسي" بباريس، وقد حضر الحفلة[2] عدة شخصيات من عدة أقطار مؤكدة التفافها حول سيرة رسولنا الكريم، ألقيت خلالها عدة خطب عن حياة الرسول الأعظم، وعن رسالة الإسلام وما تمليه من اتحاد وتضامن في الكفاح من أجل الحرية والسلام، هي خطب هزت النفوس وبعثت فيها الآمال في مستقبل العرب والمسلمين.[3]

وفي مقال معنون بـ: "إلى الكمال أيها المسلمون"[4] بقلم محمود بوزوزو نوّه فيه إلى احتفال المسلمين بمولد رسولهم الكريم، فلا يزال الدهر إلى الأبد يشاهد كل عام بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بذكرى مولد نبي الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، وبذلك يقيمون الدليل على تعلقهم بالحقائق الخالدة التي أقرها الدين الإسلامي الحنيف.

---

[1] - المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.

[2] - سعادة عبد الرحمان عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، والشقيري أمين الجامعة، ورمزي بك ممثل مصر، والسيد الشاوي الكاتب الخاص لعزام باشا والدكتور الفار إبراهيم ممثل عن باكستان، كما حضر الزعماء المكي الناصري رئيس حزب الوحدة المغربية، وممثلا للجبهة الوطنية المراكشية، والأستاذ صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الحر الدستوري، والسيد عبد العالي عن حزب الاستقلال المراكشي، والسيد اليعلاوي عن جمعية العلماء، والسيدان أحمد مزغنة وحسين الأحول عن حركة الانتصار.

[3] - المنار، س 1، ع13، 04 جانفي 1952.

[4] - المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.

كما اعتبر هذه المناسبة فرصة لدعوة المسلمين إلى الاتحاد، من خلال الاقتداء بسيرته، والتحلي بأخلاقه العطرة، مشيرا أن الدين الذي جاء به دين الكمال، وبالتالي فإن الاحتفال بذكرى مولده احتفال بهذا الكمال، مبينا أن هذه الاحتفالات ستزداد جمالا لو قُرِنت بالعزم الصادق على إقامة الدين الكامل، فالنبي صلى الله عليه وسلم فإنما يريد العمل بتعاليمه والتحلي بفضائله، والتأسي بجهاده، لا التغني بها دون العمل، يقول في ذلك: "يجب أن لا نقضي وقتنا فيها-يقصد الاحتفالات- مخدرين في جو من دخان البخور والتوسلات، فإننا لا ننتفع شيئا بسرد حياة الرسول للتبرك واستعظام المعجزات الخارقة للعادة، إنما ينفعنا أن نتدبر مواقف الرسول ﷺ، ونعرف كيف كان يحل المشاكل ويتغلب على الصعوبات".[1]

وبمناسبة حلول شهر رمضان الكريم، نشرت المنار مقالا بعنوان: "رمضان شهر اتحاد المسلمين"[2] مشيرة أن الله سبحانه وتعالى كتب على المسلمين صيام شهر رمضان لغاية إنسانية شريفة، وحكمة إلهية سامية تعلو بالبشرية إلى أرقى درجات الكمال، فتتجه الجهود إلى بسط السلام العالمي وتحرير الإنسان من الظلم والطغيان، وإنه لجدير بالأمة الجزائرية المسلمة التي هي من أشد الأمم الإسلامية اعتصاما بحبل الله المتين، وقياما بشعيرة الصوم، أن يزيدها الصيام قوة في إرادة التحرر من الاستعباد، وصلابة في مطالبتها بحقها في الحرية والاستقلال، واستبسالا في الكفاح القومي واتحادا في دفع العدوان الاستعماري.

3-المطالبة بفصل الدين عن الدولة:

أصبحت الجزائر تعاني سيطرة الاستعمار الغربي الذي طعن الإسلام في الصميم بتعطيل أحكامه، وأبعد عن الحكم كل مسلم معتز بشخصيته فلم يبق أمير ولا وزير ولا إمام ولا مظهر من مظاهر السيادة الإسلامية في الجزائر، لذا تعتبر مطالبة الجزائريين بضرورة فصل الدين عن الدولة قضية قديمة العهد؛ فمنذ أكثر من عشرين سنة والهيئات الإسلامية تطالب بتحرير الديانة الإسلامية، ورفع يد السلطة الاستعمارية عنها، وتخويل الأمة الجزائري المسلمة حق التصرف في أمور دينها وذلك حق طبيعي لها لا ينازعها فيه إلا من أعمى العدوان أبصارهم.

وتماشيا مع ما تم ذكره، أبدت المنار اهتمامها بمسألة فصل الدين الإسلامي عن الدولة في الجزائر، باعتبارها قضية تهم المسلمين في كل مكان، ولأن المسلم الحقيقي لا يرضى أن يهان الإسلام في أي مكان، مطالبا بتطبيق المادة 56 من دستور الجزائر-20 سبتمبر 1947م- الناصة على فصل الدين عن الحكومة في القطر الجزائري؛ وفي هذا الإطار أكدت أنه ما أهين الإسلام في أرض مثلما أهين في الجزائر، فلا توجد في العالم أمة

[1] - المنار، س2، ع12، 28 نوفمبر 1952.
[2] - المنار، س2، ع4، 23 ماي 1952.

محرومة من التصرف في شؤون دينها غير الأمة الجزائرية المسلمة، هذا في الوقت الذي تدعي فيه فرنسا إعلان صداقتها للإسلام.[1]

وعليه، فإن الاهتمام بالمسألة الدينية يعد انعكاسا لطبيعة الجهود الوطنية والإصلاحية لمجمل الأحزاب والشخصيات المناضلة، التي ألزمت نفسها بالدفاع عن الإسلام ومعالمه وكل شعائره، فعلى الرغم من أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية قد أعلنت مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا أنها أعلنت حربا ضد الدين الإسلامي، تهينه بشتى الأساليب والطرق، موظفة كل الوسائل المتاحة من أجل إلى الوقوف دون تطبيق هذا المبدأ، وعلى خلاف ذلك تدعي فرنسا أنها دولة ذات مدنية وجاءت لنقل الشعب الجزائري إلى نظام مدني راقي.

علقت المنار عن ذلك بقولها: "وإن من الأصول التمدينية حرية الدين، وما من شعب كان حرا في دينه إلا ويستطيع أن يتلقى المدنية، ولكن السياسة الاستعمارية سارت بخلاف ذلك، بمحاولة إضعاف الإسلام وتزهيد المسلمين في دينهم ولغتهم العربية لغة الإسلام".[2]

وفي هذا الشأن وجدنا المنار أولت القضية اهتماما بالغا، وأشارت إلى ذلك في عدة مناسبات، فنشرت مقالات ضافية تمحورت في مجملها حول الدفاع عن الدين الإسلامي، ومطالبة الإدارة الاستعمارية بعدم التدخل في الشؤون الإسلامية، وترك الدين الإسلامي ومقدساته للمسلمين، ومن ذلك ما ذكرته من معاناة الدين الإسلامي جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية الجائرة قائلة: "وقد وجدنا الحكومة الفرنسية والاستعمار متفقين على ظلم الدين والشعب، فكل الحكومات المختلفة التي تعاقبت في فرنسا سواء منها الاشتراكية والحركة الجمهورية الشعبية أي جميع الأحزاب كان لها موقف واحد في ظلم الدين الإسلامي".[3]

وعندما صدر قانون 1905م القاضي بفصل الدين عن الدولة في فرنسا، بدأ العمل به بموجب مرسوم 1907م بالجزائر، والذي يعني فتح المجال للناس في حرية اعتناق ما يشاؤون من الديانات.[4]

فاعتقد الجزائريون أن هذا القانون إنما يعنيهم بحكم اعتداء الإدارة الفرنسية على المقدسات الإسلامية، وحرمانها للجزائريين المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية، لكن حدث عكس ذلك؛ إذ طبقت الإدارة قانون الفصل على الديانة اليهودية والمسيحية، عكس الدين الإسلامي الذي وجدوا به ما يتعارض مع أحكام النظام الفرنسي، خاصة ما تعلق بالأحوال الشخصية والمواريث، خاصة مع تمسك الجزائريين بها حفاظا على ثوابت الأمة،

[1] - المنار، س1، ع 12، 21 ديسمبر 1951.
[2] - المنار، س2، ع07، 19 جويلية 1952.
[3] - المنار، س1، ع09، 05 أكتوبر 1951.
[4] - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص192.

الأمر الذي أشارت إليه المنار: "ومن عجيب منطق الاستعمار أنه يرى حرية الدين مع الأقلية الفرنسية، فيسمح لها بإنشاء ما تريد ويساعدها، ويرى حرية الدين مع الأقلية اليهودية فيسمح لها بإنشاء ما تريد، ويضايق حرية الدين الإسلامي".[1]

ووفقا لإحدى مواد دستور 20 سبتمبر 1947م،[2] أوعزت الحكومة إلى ما أسمته بالمجلس الجزائري الذي كانت تهيمن عليه الإدارة الفرنسية بدرس مسألة فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية بالجزائر المسلمة العربية، وتنفيذ الاستقلال، غير أن هذا المجلس لم يتمكن من اتخاذ أي قرار يؤمن تحرير الدين الإسلامي، وقد وصفت المنار حيثيات ذلك بقولها: "أوحى هذا المجلس–بعد حركة إقدام وإحجام كادت تستغرق مدة دورته الأولى– إلى أحد أعضائه بوضع مشروع يتضمن كيفية الفصل، وبعد مدة جاء إلى أعضاء المجلس الجزائري بمشروع قال عنه أنه ينص على فصل كل شيء عن الحكومة إلا الدين الإسلامي وأوقافه وموظفيه".[3]

وهو ما اتفق عليه العلماء وجل المناصرين للمسألة الدينية، وفي هذا السياق أشار الشيخ العربي التبسي إلى قضية الفصل في سلسلة من الكتابات بجريدة البصائر، مؤكدا معارضته لتوكيل هذه القضية إلى المجلس الجزائري، فكتب قائلا: "قضية فصل الدين عن الدولة قضية ذات موضوع إسلامي بحت، يعد من مسائله الداخلية التي تولى الإسلام تقنينها، وما على المسلمين إلا تنفيذ ذلك، وهذه قضية لا حق الحكومة ولا المجلس الجزائري أن ينظروا فيها، ولا أن يسنوا لها القوانين، لذا توجب إعطاء المسلمين حق مباشرة إدارة شؤون دينهم، ونقل هذا الحق من يد السلطة الاستعمارية إلى جماعة المسلمين".[4]

كانت آمال الجزائريين في تحقيق هذا الفصل كبيرة، ومطامحهم واسعة جدا في تأسيس معاهد دينية لتخريج رجال الدين، غير أن الحكومة الفرنسية بالجزائر لا ترضى ولن ترضى التخلي عن التصرف في شؤون الدين الإسلامي، وسوف تظل متمسكة تمسكا أعمى –مباشرة أو بوسائط– بما لها من السلطة والنفوذ حتى الرمق الأخير، لهذا كانت المنار صريحة في توجيه الاتهامات المتوالية للإدارة الفرنسية بالتلاعب بالانتخابات وتزويرها، حتى تكون نتائجها لصالحها، وعليه فإن هذا المجلس الجزائري لا يعد إلا وسيلة لتحقيق الأغراض الاستعمارية، لأنه لم يكن أبدا للأمة الجزائرية يد في اختيار أعضائه.

---

[1] – المنار، س2، ع07، 19 جويلية 1952.

[2] – جاء في المادة 56 من هذا الدستور ما يلي:"إن استقلال الديانة الإسلامية مؤمن في نظر الدولة أسوة بالأديان الأخرى، وذلك في إطار ما ورد في قانون 09 ديسمبر ومرسوم 27 سبتمبر 1907"، لكن كما يظهر جليا أن هذا القانون ضمن استقلالية الدين الإسلامي من الوجهة النظرية فقط. ينظر أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص194-195.

[3] – المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.

[4] – أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ج3، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 217.

وكل ما أثار الإدارة الفرنسية حول هذا الفصل، إنما ترمي به إلى ربح الوقت بإشغال الرأي العام الجزائري، وإيهام العالم الإسلامي بأنها تريد إعطاء الدين للمسلمين، وأن الحامل لها على التسويف هو انقسام المسلمين فيما بينهم، وعدم وجود ملك يمثل البلاد أو جماعة المسلمين هيئة كبار علماء الدين، فكأن الإسلام ما دخل الجزائر إلا على أيدي الفرنسيين، وأنهم حماته الأمناء ولا يرضون أن يسلموا زمامه إلا لملكه ولعلهم بصدد بعث الروح في رفات داي الجزائر، وشيخ الإسلام، والأمير عبد القادر ليسلموا بيد أحد هؤلاء معابد الإسلام وأوقافه، أو أنهم سوف يفاجئون العالم بإعلان حرية الأمة الجزائرية في تقرير مصيرها، واختيار نوع الحكم الذي ترضاه لنفسها إجابة لرغبة الضمير العالمي الحر.[1]

الأمر ذاته أكده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مبديا عدم تفاؤله من محاولة الإدارة الاستعمارية تطبيق القرار، فاضحا تلكأ الساسة الفرنسيين في تطبيق قرار الفصل حين قال: "لو كانت الحكومة الفرنسية صادقة في فصل الإسلام عن حكومة الجزائر، مجتهدة فيه، غير مقلدة للإدارة الجزائرية، ولا متأثرة بأفكارها الاستعمارية الضيقة لتولت بنفسها تطبيق قرار الفصل، ونفذته بأصوله وفروعه".[2]

وفي السياق ذاته، اتجهت المنار إلى الحديث عن رجال الدين الذين تم تعيينهم من قبل الإدارة الفرنسية لتولي المناصب الدينية، وتسيير شؤون الجزائريين الدينية من غير كفاءة ولا أهلية، مشيرة إلى انتزاع السلطة من علماء الإسلام، ووضعها بيد رجال إداريين من ذوي التعصب الديني، تلك الفئة التي سخرت نفسها لخدمة الاستعمار، ترضى لرضاه وتغضب لغضبه، الأمر الذي استنكرته المنار الغراء وراحت تفضحه كلما سنحت لها الفرصة، من ذلك ما جاء في أحد أعدادها: "فراح هؤلاء يمعنون في إهانة الدين الإسلامي، ويطلقون العنان لأهوائهم تتصرف في مصالحه تصرفات شاذة، محزنة ما أنزل الله بها من سلطان، فقد ظلوا منذ اعتداء 1830م يسيطرون على شؤون الديانة الإسلامية؛ فأئمة المسلمين، ومفاتيهم، وقضاتهم يقع تعيينهم من طرف أناس لا يدينون بالإسلام".[3]

وبذلك أصبحت فرنسا تتصرف حسب أهوائها في شؤون الدين، وهي التي تعين أئمة المساجد، والمؤذنين، ورجال الإفتاء، وكافة القائمين على الشعائر الدينية، ولا تعين أحدا من هؤلاء إلا إذا لمست فيه الرغبة في خدمة مصالحها الاستعمارية، وأبدى قدرته في التجسس على نشاطات إخوانه الجزائريين.

[1] - المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.

[2] - البصائر، ع 57، 22 نوفمبر 1947م.

[3] - المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.

ولقد وصف مدير فرنسي لمكتب الشؤون الإسلامية في الجزائر ما فعله الاستعمار بالدين الإسلامي، فقال: "لقد أذللنا الدين الإسلامي، وبلغ الأمر إلى أنه لا يعين إمام أو فقيه إلا إذا شارك في أعمال الجاسوسية، ثم عليه كي يرتقي في الدرجة أن يثبت قدرا كبيرا من الحماس والإخلاص للإدارة".[1]

وعلى الرغم من أن الغرض الاستعماري بات واضحا، هدفه الأساسي محو الدين الإسلامي، إلا أن المنار نوّهت إلى ما هو أخطر من ذلك، مؤكدة أن المسألة الدينية تحتل مكانة بارزة ضمن المخططات الفرنسية، والسبب في ذلك يقين الساسة الفرنسيين الجازم أن تحرير الدين الإسلامي عن الحكومة في الجزائر، يعتبر استقلالا للجزائر، نظرا لمكانته في نفوس المسلمين الجزائريين، تقول في هذا الشأن: "قضية فصل الدين عن الحكومة قضية يستهين بها الكثير جهلا، أما الاستعمار فإنه يعلم حق العلم أنها نزع نصف السلطة من يده، وأن استقلال الدين يساوي استقلال نصف الجزائر؛ إذ به يخسر الاستعمار خمس مليارات من الفرنكات الذهبية، وجيشا جرارا من الموظفين كان يستخدمهم لمصلحته".[2]

ولعله من المفيد أن نؤكد أن المنار أعلنت –رغم التعنت الفرنسي– أن الشعب الجزائري متمسك بهذا المبدأ، ولن يتنازل عن حقه في التصرف في شؤونه الإسلامية، وما يشاهده الشعب من اعتداءات على العقيدة، وحروب ضد الإسلام ومعالمه في الجزائر، إلا سياسات فرنسية جائرة حكمت على نفسها بالإعدام، ما زادت الأمة الجزائرية العربية الإسلامية إلى اعتزازا بالانتماء لهذا الدين، وتمسكا بحقوقها المشروعة، تقول في هذا الشأن: "ومازلنا نقاوم حتى يتحرر الدين الإسلامي وتتحرر الجزائر، ومن هذه المقاومة مباغتة المجلس الجزائري بتلك المذكرة المعروفة، وتدبير آخر: السفر إلى فرنسا وبسط القضية على الرأي العام الفرنسي ومقابلة رئيس الوزارة والوزراء واحدا واحدا، فقابلونا بكلمات معسولة".[3]

[1] – محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، موفم للنشر، الجزائر، 1999، ص 88.
[2] – المنار، س1، ع9، 05 أكتوبر 1951.
[3] – المنار، س1، ع9، 05 أكتوبر 1951.

رابعا: السياسة الاستعمارية الفرنسية اتجاه الدين الإسلامي في الجزائر

1-جهود الكنسية الفرنسية لتنصير الجزائريين:[1]

عرف الجزائريون التنصير منذ أن داست جحافل الفرنسيين أرض الجزائر، ليكون وسيلة من وسائل الاستعمار لتثبيت دعائمه وتوطيد ركائزه وتحقيق مطامعه الاستعمارية، فكانت الكنيسة المسيحية من أكبر المؤيدين للحملة الفرنسية على الجزائر، حيث حمل الرهبان الصليب وأصبحوا جنودا في الحملة، لذا فإن رجال الدين المسيحي تقاعسوا في الدفاع عن قضايا الحق، وانصرفوا عن رفع الشقاء عن ملايين من البشر الرازحة تحت نير الاستعمار الغاشم.

ومن هنا يتجلى ما بين الكنيسة والحكومة الفرنسية اللائكية من صلة وثيقة، كلتاهما تخدم الأخرى وتمهد لها الطريق، وإنها لظاهرة تدعو إلى العجب، اللائكية تؤيد الكنيسة والكنيسة تؤيد الحكومة اللائكية، وهما في الظاهر مختلفان، ومن المعلوم أن العلاقة بين الدين والسياسة لا اعتبار لها في اللائكية المبنية على فصل الدين عن الدولة، ولكننا نشاهد بعض رجال الكنيسة يسخرون الدين في خدمة الاستعمار وتدعيم أركانه، ولا تستطيع الكنيسة أن تنكر أنها خدمت الاستعمار؛ "إنها خدمته بسكوتها عن مظالمه ومفاسده، وخدمته بتحريضها إياه على التمادي في الظلم والطغيان، فقد رأينا مثلا في العهد الأخير "مونيسينيور لينو" كبير القساوسة في الجزائر ساكتا عن مجزرة 8 ماي 1945م التي قتل فيها عشرات الآلاف من المسلمين الجزائريين ظلما وعدوانا، كما رأينا في الأيام الأخيرة أحد القساوسة في الجزائر يخطب بخصوص مجزرة الهند الصينية قائلا أن الفرنسيين المسيحيين يحاربون هناك في سبيل مدنية ومجد راية، ولا يخفى ما في سكوت الأول وتحريض الثاني من منافاة للتعاليم المسيحية السمحة."[2]

استنادا على ما سبق، يرى محمود بوزوزو أن الدين إن لم يكن له أثر حسن في الحياة العملية فلا معنى له، داعيا رجال الدين المسيحي إلى بذل الجهود في سبيل تحرير الشعوب المستضعفة وتخفيف الآلام عن الأمم المستعبدة، مستنكرا سكوتهم على الحق، وإهمالهم للمبادئ الإنسانية العليا، يقول في هذا الشأن: "وما أتباع المسيح فلم يصونوا إرث النبوة، آمنوا ببعض ما جاءت به وكفروا ببعض، فمسخوا التعاليم، وسيروها حسب أهوائهم، أنشأوا أناجيل متنوعة ينقض بعضها بعض، وساروا سيرة مناقضة لتعاليم الإسلام".[3]

---

[1] - المنار، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

[2] - المنار، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

[3] - البصائر، مج 15، ع18، 05 جانفي 1948.

وبطبيعة الحال، وفي إطار استمرار الإدارة الاستعمارية في تعسفها، تأسست الجمعية الأدبية الدينية للقديس أوغسطين عام 1844م بعد مرور أقل من 15 سنة من احتلال الجزائر، وكان من أهدافها تنصير المسلمين ومواجهة التأثير الإسلامي على بعض الأوربيين، وبعث الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر عن طريق إحياء كتابات القديس "أوغسطين" والقديس"سبريان".

الأمر الذي دفعهم إلى استغلال أوضاع المجتمع الجزائري، وحاجات الشعب إلى الدعم والمساندة من أجل نشر المسيحية، إذ ساوموا الشعوب على رغيف خبز، كما استغلوا آلام المرضى، فقرهم وعوزهم وغيرها من الظروف المزرية التي عاشها الجزائريون، وهو ما نوّهت إليه المنار واهتمت بحيثياته، تقول في هذا الشأن: "أفسح الاستعمار المجال للتبشير والتنصير، بوسائل مباشرة وغير مباشرة، من ذلك أنه–بفضل سياسة التفقير والتجهيل– مكن الكنيسة من الطمع في تنصير الأطفال المسلمين الأيتام والفقراء، محاولة استغلال الفقر والجهل جاعلة الإحسان وسيلة لبلوغ أهدافها".[1]

وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على تواطؤ الكنيسة والاستعمار على محاربة الإسلام في عقر داره، وعلى إذلال الشعوب واستغلالها في أوطانها، ويا حبذا لو كان هذا التواطؤ مستوحى من خدمة الروح، وتحرير البشر من المادية الحيوانية، وإنقاذ العقول من الإلحاد، وتوجيه الإنسان إلى احترام الكرامة الإنسانية.

وتماشيا ما تمت معالجته، نرى أن الرغبة الشديدة في القضاء على العقيدة الإسلامية تعتبر من أهم الأسباب التي دفعت فرنسا إلى احتلال الجزائر، وتتجلى وجهة النظر الفرنسية في مذكرة أرسلها الكاردينال لافيجري إلى الإدارة الفرنسية جاء فيها ما يلي: "علينا أن نُخَلِّصَ هذا الشعب ونحرره من قرآنه، وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير المبادئ التي شب عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر".[2]

ونتيجة لذلك، استغرب بوزوزو من كون أهل الدين غافلين عن الظلم، بل مستحسنين المظالم الاستعمارية، ناسيين أنهم مسؤولون أمام الضمير الإنساني والضمير الديني وأمام الله، وأنهم أول من يتوجب عليهم حمل الدعوة الإنسانية؛ "ولو أن المسيح عليه السلام بعث اليوم لأنكرهم وحاربهم لسكوتهم عن المنكر، وعيشهم بالمنكر، وانغماس أتباعهم في المنكر، حتى امتزجت دماؤهم بالمنكر".[3]

[1] – المنار، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

[2] – محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، مصدر سابق، ص 85.

[3] – البصائر، مج 15، ع18، 05 جانفي 1948.

وهكذا حطم الاستعمار الحقائق السماوية في نفوس أهله قبل أن يحطمها في نفوس ضحاياه، ومسؤولية الكنيسة في ذلك غير بريئة؛ فإن تقصيرها في تطهير أرواح المستعمرين، وتواطؤها معهم على الإذلال والاستغلال من أسباب تقريبهم إلى الهاوية، وقد انتبه إلى ذلك كبير القساوسة بالجزائر فقام يدعو إلى "تنصير الأرواح" في الجزائر، لكن هيهات أن يستجيب الجزائريون لأي دعوة، ففي دينهم-دين الحق- غنى عن كل دعوة؛ "فالمسلمون الجزائريون يطالبون رجال الدين المسيحي بالاعتراف لهم بحقهم في العيش أحرار في وطنهم، يدبرون شؤونهم بأيديهم، ويتمتعون بكامل الحريات التي يتمتع بها الأحرار".[1]

هذا، وقد عبّر سكرتير الحاكم العام بيجو عن أهداف الحملة الصليبية الفرنسية في الجزائر، وعن الضغائن العنصرية التي يؤججها تدين مفتعل حيث قال: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إن أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكن أن نشك على كل حال أنها ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلم يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا.[2]

ولكن يبقى التساؤل المطروح: هل نجحت فرنسا في سياستها التنصيرية؟

الجواب أكيد لا، فعلى الرغم من اضطهاد الفرنسيين للفقهاء، والأئمة، والعلماء، وحفظة القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، وبالموازاة مع ذلك قوانينها الإدارية القاضية بإغلاق المدارس والجوامع والكتاتيب، وجهود المبشرين التي لا تكاد تنقطع والمنتشرة مختلف ربوع الوطن، فإن الشعب الجزائري ظل مسلما، متمسكا بعقيدته الإسلامية وتعاليمها السمحة، مرتبطا بكل ما له صلة بشخصيته العربية الإسلامية وتاريخه المجيد.

ولا مناص من القول أن الإحصاءات أثبتت أن 40% من الجزائريين كانوا يحفظون القرآن حفظا جيدا، ويتلونه دون الرجوع إلى المصحف، ويرجع الفضل في الإبقاء على الدين الإسلامي بالجزائر إلى حفظة القرآن، أما الفضل في انتشار القرآن في الجزائر فيرجع إلى الزوايا، والمدارس القرآنية والكتاتيب وغيرها من المؤسسات الدينية التي لعبت دورا عظيما في التربية الدينية والعقلية في الجزائر.[3]

2-الاستيلاء على الأوقاف:

تعرضت الأوقاف الجزائرية للنهب والتخريب خلال العهد الاستعماري، مما أدى إلى طمس معالمها، على الرغم من أنها لعبت دورا اقتصاديا واجتماعيا بارزا ساهم في تماسك المجتمع وتآزره، وتنميته وتطويره، فكانت

[1] – المنار، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

[2] – محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي، مصدر سابق، ص 85.

[3] – محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي، مصدر سابق، ص 85.

الأوقاف توفر مناصب شغل هامة، كما ساهمت في إصلاح حال الفقراء والمحتاجين، وترقية التعليم من خلال بناء المدارس، وتعيين المدرسين وتقديم المساعدات لهم وللطلبة، وإصلاح الطرقات والمساجد والزوايا والقباب.

غير أن دور الأوقاف اضمحل مع دخول الفرنسيين أرض الجزائر، فمنذ البداية اعتبرت الإدارة الاستعمارية الأوقاف أهم المشاكل التي تتنافى مع سياستها الاستعمارية، إذ انتبه المستعمر الفرنسي مبكرا للخدمات التي توفرها عائدات الأوقاف للشعب الجزائري، فبادر إلى مواجهتها بالمصادرة والنهب، وعليه صدرت قرارات ومراسيم الاستلاء على الأملاك الوقفية.

يرى أبو القاسم سعد الله أن الدافع الرئيسي للفرنسيين من الاستلاء على الأوقاف يتمثل في الرغبة في الاستحواذ على الأموال لتضخيم ودعم ميزانية الدولة الفرنسية، وهو أمر واضح من مبادئ الاستعمار نفسه، إذ هو الاستثراء على حساب الشعب المستعمر، أما الدافع الثاني للاستيلاء على الأوقاف العامة فهو الخوف من أن يستعمل المسلمون تلك الأموال لاسترداد سيادتهم والتحكم في مصير بلادهم.[1]

من أجل ذلك وغيره، رأت المنار أنه من واجبها البحث عما فعلته فرنسا الاستعمارية بالمعالم الإسلامية في الجزائر، وهي في كل وقت تدعي أن لها رسالة تمدينية نحو الشعب الجزائري، فذهبت إلى طرح ومعالجة جملة من القضايا الدينية التي تعدت عليها فرنسا بالجزائر، وهي عند دخولها تعهدت باحترام حرية الجزائريين في شؤونهم الدينية، فأعلنت غضبها على سياسة كل الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على حكم الجزائر، ذلك الحكم الذي تأباه الكرامة الإنسانية وتحرمه الأنظمة الديمقراطية؛ فتراها تترك لليهود حرية دينهم، تشد أزر رجال الكنيسة المسيحيين وتغدق عليهم العطايا السخية، وتسخر لخدمتهم ومساعدتهم على تنصير المسلمين مالها من مال ورجال، أما الديانة الإسلامية فقد اعتدت عليها اعتداء شنيعا، وارتكبت ضدها أفظع الجرائم، فهناك مساجد حولتها كنائس، وأخرى أضافتها إلى أملاكها، وداست على مرأى من عشرة ملايين من الأمة الجزائرية المسلمة قداسة الدين الإسلامي باعتدائها على حرمة المساجد.[2]

إن الإدارة الفرنسية لم تبق على هذه الأملاك، وتصرفت فيها بالنهب والسلب، والبيع والتأجير، كما تصرفت فيها بالهدم أحيانا والتعطيل والاحتلال العسكري والمدني أحيانا أخرى، الأمر الذي أشارت إليه إحدى مقالات المنار الرصينة في حديثها عن تعدي الاستعمار على الحرية الدينية في الجزائر: "ثم استولى الاستعمار على

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 158-159.

[2] - المنار، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.

المحاكم الشرعية وعلى الأوقاف والمساجد، وأحال بعضها كنائس، واستعمل البعض الآخر في شؤون أخرى، وأخذ بيده الأشراف على تعيين القضاة والأئمة، حتى أنه كان وضع زمام الشؤون الدينية بيد المسيحيين مدة طويلة". [1]

وعليه اعتبرت أن الاستلاء على المساجد وجعلها مراكز للبريد، وكنائس، ومستشفيات وغير ذلك، والاستحواذ على أوقاف المسلمين هي "حرية الدين عند الاستعمار الفرنسي"، لدرجة أن تعداد المساجد في الجزائر يوحي بأن الإسلام جديد في هذه البلاد.

ولفهم الموضوع أكثر، تطرقت الجريدة إلى عبث الاستعمار بالمعالم الدينية عند المسلمين، خاصة الاستيلاء على المساجد التي تكفلت الأمة العناء الكبير في بنائها وتشييدها بأموالها، مؤكدة بذلك على قيمة الأوقاف التي أخذها الاستعمار وجعلها سلاحا لمنع انتشار هذا الدين؛ إذ وقف المسلمون على المسجد الكبير بالجزائر العاصمة 125 دار، و39 حانوت، و3 مخابز، و19حديقة، كما أنهم وقفوا على جامع سيدي أبي مدين بتلمسان 09 حدائق وقطعتي أرض و4 بساتين ومنزلين، ومطحنتين وحمام وقطعة أرض للحراثة تبلغ مساحتها 300 هكتار. [2]

في نفس الإطار، وعن تدخل الإدارة في شؤون الدين الإسلامي، استنكرت المنار اعتداء الإدارة الاستعمارية وتعسفها ضد رجال الدين في المغرب الشقيق، فبعد أن استدعت أئمة في الرباط والدار البيضاء، استنطقتهم بكل عجرفة عن الجريمة التي اقترفوها، بدعائهم الذي باركوا به استقلال ليبيا الشقيقة، فراحت هذه الإدارة الاستعمارية تكيد لهم وتخلق التهم لإدانتهم.

وفعلا فقد تجرأت بالحكم على الإمام الفاضل الشيخ عبد الواحد بن عبد الله بسنة ونصف جسنا، بدعوى أنه تعرض في خطابه الديني إلى السياسة؛ إذ أبى المستعمرون أن يتم الاستشهاد بالتاريخ، معبرين عن رغبتهم في جعل رجال الدين جامدين، مسخرين فقط لخدمة المصالح الاستعمارية، لكن الإدارة الاستعمارية لا ترمي إلا إلى توطيد وجودها ولو أدى إلى ذلك إلى سجن رجال الدين الأحرار، لهذا أبدت المنار دعمها لرجال الدين والأئمة حملة رسالة النبوة بقولها: "وأن هذا الذي أقدم عليه الاستعمار من تدخل في شؤون الدين الإسلامي ليثير نفوس المسلمين أجمعين، ولا يزيدها إلا معرفة بحقيقته التي يحاول أن يخفيها بتصريحات مموهة، ولا يدفع برجال الدين إلا إلى النزول إلى الميدان، ميدان مقاومة الظلم وانتهاك الحريات وحرية الدين خاصة". [3]

---

[1] - المنار، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.

[2] - المنار، س2، ع07، 19 جويلية 1952.

[3] - المنار، س1، ع14، 19 جانفي 1952.

خلاصة:

طرح محمود بوزوزو قضايا ثقافية فكرية ودينية عديدة عبر صفحات جريدة المنار، اتسمت آراؤه خلالها بالصراحة والجرأة في الطرح، فكان لمقالاته بالغ الأثر في تحصين الفرد الجزائري، والحفاظ على مقومات شخصيته الوطنية العربية الإسلامية، محاربا بذلك تيارات الفرنسة والفئات التي كانت تدعوا إلى الانسلاخ عن الشخصية الإسلامية.

وعليه، أولى بوزوزو للجانب الثقافي أهمية معتبرة، وذلك بهدف تشجيع الثقافة الوطنية وخلق المواهب، والأهم من هذا وذاك كشف الغطاء عن آثار الاستعمار في الإنتاج الثقافي وخطورته على الفرد الجزائري، فحرص على نشر مقالات هامة عن واقع التربية والتعليم في الجزائر، مقترحا الحلول اللازمة للنهوض بالجانب التعليمي، وعن الاستعمار وحربه للغة العربية، وعن واقع اللغة العربية ومحنة المدارس العربية الحرة، موضحا ما يلاقيه المعلمون في المدارس، والأئمة في المساجد –داخل الجزائر وخارجها–من اضطهاد وجور.

كما تبين هذه المقالات المنشورة بجريدة المنار في أعداد كثيرة على درجة الوعي التي بلغها الجزائريون، وإحاطتهم الواسعة بتطورات الفن المسرحي في المشرق العربي، وسعة الاطلاع على التطورات الفكرية والأدبية الحاصلة في العالم بأكمله. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبرز لنا مدى اهتمام صاحب الجريدة نفسه المناضل محمود بوزوزو بالخطاب الأدبي، وبالفن المسرحي في الجزائر، وبأهمية وقيمة النصوص والمقاطع المسرحية في معالجة قضايا العصر، وتوعية المجتمع الجزائري وربطه بواقعه في محاولة لإيجاد حلول لما تعيشه من مآسي وآلام.

خـــاتمة

من خلال ما سبق معالجته في ثنايا هذه الدراسة، توصلنا إلى جملة من النتائج نجملها في ما يلي:

- تلقى المناضل محمود بوزوزو تربية دينية وعصرية في آن واحد؛ هذه السمة التي تعد من أهم الميزات التي طبعت مساره التكويني؛ إذ شكلت ظروف نشأته وسط مدينة بجاية ثم انتقاله إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر العاصمة عاملا مساعدا على استفادته من تكوينين: أحدهما تقليدي عربي إسلامي، والآخر فرنسي غربي.
- عُرِفت حياة المفكر المصلح، والمناضل الوطني محمود بوزوزو بثرائها، بما انطوت عليه من جوانب علمية وعملية؛ فقد جمع بين فكرتي الإصلاح والوطنية، أي بين العمل الإصلاحي التربوي، والنضال السياسي الثوري ولم ير تناقضا في ذلك؛ إذ تأثر في أول حياته بفكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فنشط في حقل الإصلاح الديني والاجتماعي من أجل صيانة الهوية الجزائرية بمساهمته في التعليم، والدعوة إلى الإصلاح، والدفاع عن الإسلام الصحيح النقي من الشوائب.
- عمل في المدارس الرسمية الفرنسية، لكن المضايقات الاستعمارية المتتالية، جعلته يقترب أكثر من جمعية العلماء المسلمين، ويسخر جهوده للتعليم العربي الحر، وفي الوقت ذاته أبدى سرا وعلانية مواقفه من السياسة الاستعمارية الفرنسية في البلاد.
- أظهر قدرة فائقة على الاستيعاب مكنته من الانتقال إلى العمل ضمن خط التيار الاستقلالي الوطني ممثلا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بعد أن اقتنع أن الإصلاح وسيلة لحل القضية الجزائرية لكنه غير كاف وحده؛ وهو ما يفسر نزعته الثورية وتوجهه الاستقلالي؛ إذا اقتنع بالفكر الثوري رغم أنه لا انفصال بين الفكر الثوري والإصلاحي بالجزائر، إذ أن كلاهما يهدف إلى تحقيق الاستقلال في النهاية.
- زاوج في نضاله من أجل تحقيق استقلال الجزائر بين الداخل والخارج، فاتجه إلى المجتمع المدني، وأشار في الوقت ذاته إلى أهمية رفع القضية الجزائرية إلى الهيئات الدولية، مبرزا دور هيئة الأمم المتحدة في حل المشاكل بالطرق السلمية، والمبادئ السامية التي قامت عليها، مذكرا بأن السلام العالمي من أبرز دواعي تأسيسها.
- عمل على تفادي الحزبية الضيقة ودعا إلى الوحدة الوطنية التي تعبِّر عن قناعاته الشخصية؛ فكان من رواد الحركة الوطنية الجزائرية الداعين إلى وحدة صفوفها؛ إذ اشتهر بنضاله الفكري من أجل

تكريس مبدأ الوحدة الوطنية وتوحيد جهود الجزائريين بمختلف توجهاتهم ومشاربهم، وهو ما انعكس بالضرورة على توجهات جريدته المنار، إذ أظهر فيها عناية فائقة بالوحدة الوطنية بين الأحزاب الناشطة آنذاك، ولم نجد أي صحيفة جزائرية أخرى أولت قضية الاتحاد الوطني هذه الأهمية التي أولتها لها المنار، متجاوزة بذلك كل الاعتبارات الشخصية، داعية بإخلاص إلى الوحدة الوطنية.

- توحيد المغرب العربي والدعوة إلى ذلك كان من بين الأهداف الأساسية التي سطرها محمود بوزوزو، وعمل من أجل تحقيقها، ودافع عنها لسنوات، باعتبار أن أقطار المغرب الثلاثة كانت تحت نير استعمار واحد، وهذا ليس في الميدان السياسي فقط؛ بل حتى في الميدان الثقافي؛ فقد صرّح أن صفحات جريدة المنار ستُسَخَر من أجل إحياء التراث الفكري وإثراء كنوز ثقافة المغرب العربي.
- شكلت مرحلة التحول من التيار الإصلاحي الديني إلى التيار الاستقلالي الثوري منعطفا هاما في فكر محمود بوزوزو الوطني ومساره السياسي، حيث انفتح -إثر مشاركته في أهم التظاهرات الكشفية الدولية- على عالم أوسع فبدأ يفكر في وحدة الجزائر، ووحدة المغرب العربي، إذ أدرك أن العمل الفردي سواء في تحرير الأقطار أو بنائها لا يمكن أن ينتج، إذا لم يعاضده العمل الجماعي في إطار المغرب العربي، فكان الانتقال إلى الإصلاح السياسي إيذانا بميلاد البعد الوحدوي العربي والإسلامي في الفكر الاستقلالي لدى الشيخ محمود بوزوزو.
- يعد واحدا من أبرز روّاد حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية، تولى بها الإرشاد ثم القيادة العامة؛ اعتنى من خلالها بالتربية الدينية والخلقية والعقلية للأبناء الذين يشرف عليهم، غرس في نفوسهم العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، فساهم بذلك في تربية جيل كامل شارك بعضهم في الثورة التحريرية، والتحق معظمهم بها، واستشهد منهم الكثير؛ فاعتبرته تقارير شرطة الاستعلامات الفرنسية من الآباء الروحيين لثورة التحرير المباركة.
- بعد اطلاعنا وتحليلنا لجملة لا بأس بها من كتاباته، ما لاحظناه هو ذلك التميز في أطروحاته، ونظرته الثاقبة لبعض القضايا، من ذلك معالجته لقضية العلاقة بين المستعمر الفرنسي والشعب الجزائري، مشيرا أن حل الأزمات تكمن في كسب الخصم وليس هزيمته، متأسفا لعدم قدرة

الجزائريين طيلة 132 سنة على تحويل الفرنسيين إلى أصدقاء، متذمرا في الوقت ذاته من الاستعمار الفرنسي الذي لم يكن حساسا ومقدرا للنضال السلمي للحركة الوطنية الجزائرية.

- يرى أن الأساس الذي تقوم عليه الدولة الجزائرية هو نظام إسلامي يتوفر على مبادئ وقيم ومثل عليا تكفل للأمة الجزائرية مكانة لائقة في المجتمع الدولي، فللمجتمع الجزائري من الخصائص ما يمنعه من الاندماج في الأنظمة الأخرى الشرقية الشيوعية والغربية الرأسمالية، وما يلفت الانتباه ثباته على أفكاره، إذ ظل وفيا لها يدافع عنها طيلة نصف قرن في أوربا محاولا إقناع الرأي العام الأوربي بحقيقة الإسلام باعتباره رسالة تكفل السعادة للإنسانية جمعاء.
- نذر نفسه لخدمة أمته طيلة حياته، معلنا رفضه التام للتواجد الفرنسي وسياسته الرامية إلى طمس معالم الهوية الوطنية، متحديا متابعات السلطات الاستعمارية، مؤمنا بأن حرية الجزائر لن تنال بتقديم المطالب والمشاركة في الانتخابات؛ بل بالتضحية والفداء؛ إذ دعا صراحة إلى ضرورة العمل المسلح لتحقيق الاستقلال، وهو ما ينّم عن سعة فهمه لواقع الأمة الجزائرية، ونظرته الاستشرافية لما تتطلبه تطورات العصر، فلعب بذلك أدوارا عديدة تحسب له؛ إصلاحية دينية، سياسية وطنية، وإعلامية صحفية تاقت نفسه من خلالها إلى رؤية الجزائر حرة مستقلة.
- ظل وفيا للمبادئ التي تمسك بها طيلة فترة نضاله، حتى في ظل الظروف التي عاشها مع قيام الثورة؛ إذ عمل على تحاشي إثارة الخلافات بين أبناء الوطن، وسعى إلى جمع الكلمة في سبيل التحرر من الاستعمار، محاولا تقريب وجهات النظر بين جبهة التحرير الوطني وتيار مصالي الحاج، داعيا إلى نبذ الخلافات التي رأى أنها ستؤدي حتما إلى تأجيل حل المشكل الجزائري، مشيرا لأهمية الوحدة وقتئذ محذرا من العواقب الناجمة عن التفرقة والتي سيكون لها حتما آثارا وخيمة بعد الاستقلال.
- بناء على الخط السياسي والفكري لمحمود بوزوزو انطلاقا من ما ورد في جريدته المنار، نرى أن له شرعية التواصل مع الثورة وما بعد الثورة ومؤسسات الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، في إطار توسيع دائرة الشرعية لمن لم ينتسب إلى الثورة بالسلاح، فمحمود بوزوزو نموذج لمثقف ومناضل وطني، ناضل بفكره وعمله ولا يمكن أن يتهم بالخيانة، كل هذه الأسانيد تفند انتماءه للحركة المصالية

على الرغم من أنه ظل وفيا لتيار مصالي الحاج، إذ بقي مناصرا لمبادئ هذا الحزب المستندة أساسا على العروبة والإسلام، فكان تأثره بها واضحا.

- أما جريدة المنار، فقد اتخذت مواقف شريفة إزاء قضايا العروبة والإسلام وكل القضايا العادلة، فكانت بمثابة الشوكة المغروسة في حلق الاستعمار، فضحت مقاصده الخبيثة في مسألة فصل الدين عن الحكومة، ولها مواقف جليلة في القضايا التحررية العربية التونسية منها والمغربية والليبية، إذ بينت وجه الاستعمار الحقيقي، ودعت الشباب الجزائري إلى المحافظة على تراثه الثقافي والتاريخي، ووقفت من الحضارة الغربية موقف الداعي إلى أخذ ما هو رائق صالح مع نبذ غير ذلك.
- بعد الاستقلال الوطني نذر المناضل محمود بوزوزو نفسه لخدمة الإسلام في المهجر كبديل حضاري يحقق السلم والرقي للإنسانية جمعاء، فكان حاضراً وفاعلاً مؤثراً طوال نصف قرن من1957م إلى غاية 2007م، وقضى أكثر من 50 سنة من العمل والجهاد في ميادين الفكر والتوعية والإرشاد والدعوة، ونشر تعاليم الإسلام في الغرب مساعدا لأبناء الجالية هناك.

والله ولي التوفيق

الملاحق

الملحق رقم (01): شهادة ميلاد المناضل محمود بوزوزو

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

شهادة الميلاد

نسخة كاملة

ولاية بجاية

دائرة بجاية

بلدية بجاية

الحالة المدنية

رقم 00062

22 فيفري 1918

في يوم ① الثاني و العشرين فيفري عام ألف ألف وتسعمئة وثمانية عشر على الساعة الحادية عشر و 0 د

وُلِدَ ② ببجاية: محمود بوزوزو

الجنس ذكر ابن علي بوزوزو

و زيلوخة بن عبد المومن

الساكنين ب بجاية

حُرِّرَ في ① الثالث و العشرين فيفري ألف وتسعمئة وثمانية وعشر الساعة التاسعة و 0 د

بإعلان أدلى به السيد ③ علي بوزوزو عامل

توفي (ت) ب: جنيف بتاريخ 27 سبتمبر 2007

لاشـــــيء

الإمضاءات

① بكامل الحروف

② إسم ولقب الولد

③ الأب، الطبيب، أو القابلة، أو غيرهم ممن شهد الولادة.

الكنانة السابقة للإسم واللقب

Mahmoud BOUZOUZOU

ح · م 12 – المطبعة

نسخة مطابقة للأصل

بجاية في 13 جوان 2010

ختم البلدية

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي

و بتفويض منه

ضابط الحالة المدنية

شبيب بوبكر

الملحق رقم (02): صور خارجية للمنزل العائلي الذي ولد نشأ به المناضل محمود [1]







[1] – من تصوير الباحثة.

الملحق رقم (03): صورة للمرحوم علي بوزوزو والد محمود[1]



[1] – صورة تحصلت عليها الباحثة من طرف الأستاذ بوعلام بوزوزو.

الملحق رقم (04): صور لمسجد سيدي الصوفي ومدرسة الهادي الزروقي[1]





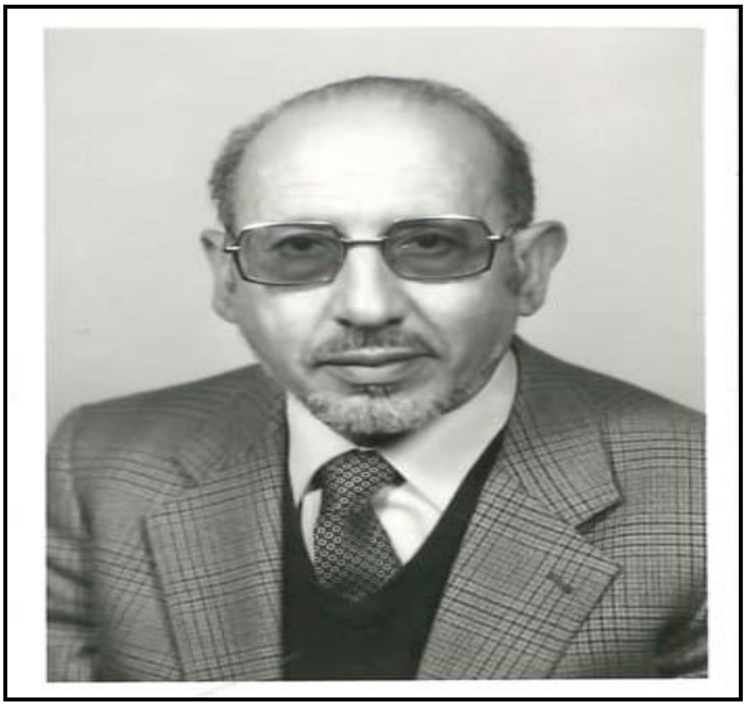




[1] - من تصوير الباحثة.

الملحق رقم (05): صور للمناضل محمود بوزوزو[1]









[1] – صور تحصلت عليها الباحثة من طرف أقاربه.

الملحق رقم (06): صورة للمناضل محمود بوزوزو مع أبنائه الأربعة[1]



[1] - صورة تحصلت عليها الباحثة من طرف الأستاذة كريمة بوزوزو.

الملحق رقم (07): صورة توضح الشكل الداخلي للبيت العائلي للمصلح محمود بوزوزو بعد الترميم[1]



[1] – من تصوير الباحثة.

الملحق رقم (08): صورة لمحمود بوزوزو رفقة صديقيه الشيخ حسن بولحبال والشيخ المهدي البوعبدلي[1]



[1] – عباس عروة، مصدر سابق، ص 267.

الملحق رقم (09): أنشودة أرض الجزائر يا أمنا من تأليف محمود بوزوزو[1]

أرض الجزائر يا أمّنا

تأليف : محمود بوزوزو
تلحين : عبد الرحمن عزيز

أَرْضَ الْجَزَائِرِ يا أُمَّنَا … عُلُوُّكِ لِلْمَجْدِ كُلُّ المُنَى
فَحُبُّكِ يَلْهَجُ فِي دَمِنَا … أَحَقٌّ بِأَرْوَاحِنَا أُمُّنَا
نُعَاهِدُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ بَلاَ … عَنِ الْأَمِّ بِالْمُهَجِ الغَالِيَةْ

حَيَاةُ الشُّعوبِ بِشُبَّانِهَا … وَنَحْنُ إِلَى الشَّعْبِ شُبَّانُهُ
لَنَا هِمَّةٌ سَوْفَ نَعْلُو بِهَا … إِلَى أَنْ يَعُمَّ الْوَرَى شَأْنُهُ
وَيَجْنِي الْعُلاَ مَنْ أَرَادَ الْعُلاَ … كَذَا قَضَتِ الْهِمَّةُ الْعَالِيَة

فَعُقْبَةُ فِي مَجْدِكُمْ ضَارِبٌ … مِثَالَ الْوَفَا، وَالْفِدَا، وَالْإِبَا
وَطَارِقُنا لِلْعُلاَ وَاثِبٌ … بِأَجْدَادِنَا أَسَدًا أَغْلَبَا
وَفِي عِرْقِنا دَمُ أَجْدَادِنَا … يَهِيبُ بِنَا لِلْعُلاَ السَّامِيَةْ

هُمْ زَيَّنُوا الذِّكْرَ بِالشَّرَفِ … وَزَانُوا جَبِينَهُمُ بِالذَّهَبْ
وَنَحْنُ نَشِيدُ وَلاَ نَكْتَفِي … بِكَانَ جُدُودِي، وَكَانَ أَبِي
لَنَا هِمَّةٌ سَوْفَ نَعْلُو بِهَا … كَذَا تَكُنِ الْهِمَّةُ الْعَالِيَةْ

[1] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو، مرجع سابق، ص 165.

الملحق رقم (10): صورة لقبر محمود بوزوزو بالمقبرة العتيقة وسط مدينة بجاية



الملحق رقم (11): جرد لمقالات محمود بوزوزو المنشورة في جريدة المنار[1]

السنة الأولى: مارس 1951– مارس 1952م:

- المنار وأهدافه، س1، ع1، 20 مارس 1951.
- الإنتاج الفكري ونظام الحكم، س1، ع1، 20 مارس 1951.
- جبهة قومية واحدة، س1، ع2، 20 أفريل 1951.
- الإنتاج الفكري ونظام الحكم، س1، ع1، 20 أفريل 1951.
- ذكرى وعبرة، س1، ع3، 4 ماي 1951.
- عيد الثورة على الظلم، س1، ع3، 4 ماي 1951.
- الإنتاج الفكري ونظام الحكم، س1، ع3، 4 ماي 1951.
- هل من جديد أيها الوالي الجديد، س 1، ع4، 21 ماي 1951.
- متى ينتخب البرلمان، س1، ع5، 15 جوان 1951.
- في تحقيق الإتحاد القومي، س1، ع6، 30 جويلية 1951.
- مرحبا بالفجر الصادق، س1، ع7، 15 أوت 1951.
- الاستعمار عدو الديمقراطية، س1، ع8، 31 أوت 1951.
- سلاح مفلول، س1، ع9، 5 أكتوبر 1951.
- بريطانيا، س1، ع10، 22 أكتوبر 1951.
- العرب والاستعمار في هيئة الأمم، س1، ع11، 8 ديسمبر 1951.
- صيحة الكشاني، س1، ع 11، 08 ديسمبر 1951.
- متى يفصل الحكم الاستعماري عن الجزائر، س1، ع13، 4 جانفي 1952.
- من وحي استقلال ليبيا، س1، ع14، 19 جانفي 1952.
- يوم تونس، س1، ع 15، 1 فيفري 1952.
- هل يتحقق توحيد الكفاح المغربي، س1، ع16، 15 فيفري 1952.
- يومان، س1، ع17، 29 فيفري 1952.
- الاعتبارات الإستراتيجية والاعتبارات الإنسانية، س1، ع18، 14 مارس 1952.
- المنار تنهي سنتها الأولى، س1، ع19، 28 مارس 1952.

السنة الثانية: أفريل 1952– مارس1953

- المنار على أعتاب السنة الثانية، س2، ع1، 11 أفريل 1952.
- إن المغالطة لا تحل الأزمات، س2، ع2، 25 أفريل 1952.
- القمع لا يفل إرادة الحديد، س2، ع4، 23 ماي 1952.
- على الباغي تدور الدوائر، س2، ع5، 20 جوان 1952.

[1] – من إعداد الباحثة.

- هل تعرض القضية الجزائرية على الأمم المتحدة، س2، ع6، 4 جويلية 1952.
- الذكرى الأليمة، س2، ع6، جويلية 1952.
- عرس في مأتم، س2،ع7، 19 جويلية 1952.
- حول حوادث كريستل، س2، ع8، 1 أوت 1952.
- حاجتنا إلى جبهة تحريرية، س2، ع9، 15 أوت 1952.
- يوم الأمم المتحدة، س2، ع 10، 24 أكتوبر 1952.
- قمع فضيع وغضبة مقدسة، س2، ع11، 14 نوفمبر 1952.
- إلى الكمال أيها المسلمون، س2، ع12، 26 نوفمبر 1952.
- حوادث تونس ومراكش، س2، ع13، 12 ديسمبر 1952.
- الخسران المبين، س2، ع 14، 26 ديسمبر 1952.
- الانبعاث الإسلامي في الجزائر، س2، ع15، 9 جانفي 1953.
- سيف دامكلس، س2، ع16، 13 جانفي 1953.
- استفتاء هام في قضية الاتحاد، س2، ع17، 6 جانفي1953.
- جبهة الاتحاد والعمل المغربية، س2، ع17، 6 جانفي 1953.
- نريد حلولا ايجابية، س2، ع18، 27 فيفري 1953.
- إنها دعوة للحق، س2، ع19، 14 مارس 1953.
- المنار مستمرة في أداء رسالتها، س2، ع20، 27 مارس 1953.

السنة الثالثة: أفريل 1953– جانفي 1954

- الاستفتاء والانتخابات، س3، ع1، 10 أفريل 1953.
- الصالح العام فوق كل اعتبار، س3، ع2، 24 أفريل 1953.
- بعد الانتخابات، س3، ع3، 8 ماي 1953.
- 8 ماي 1945، س3، ع3، 8 ماي 1953.
- نهاية الاستفتاء، س3، ع4، 5 جوان 1953.
- تجاهل الواقع لا ينفي وجود الواقع، س3، ع5، 26 جوان 1953.
- متى تصحيح هذا الغلط التاريخي، س3، ع6، 10 جويلية 1953.
- مأساة الحرية في بلاد الحرية، س3، ع7، 24 جويلية 1953.
- الحقد العقيم، س3، ع8، 6 أوت 1953.
- لنكن يدا واحدة في رفع الهوان وبناء العزة، س3، ع8، 6 أوت 1953.
- أزمة المنار، س3، ع9، 6 نوفمبر 1953.
- الثورة المتجددة، س3، ع 10، 20 نوفمبر 1953.
- حول زيارة وزير الداخلية الفرنسي إلى الجزائر، س3، ع11، 11 ديسمبر 1953.
- معنى جهاد وعبرة استسلام، س3، ع12، 1 جانفي 1954.

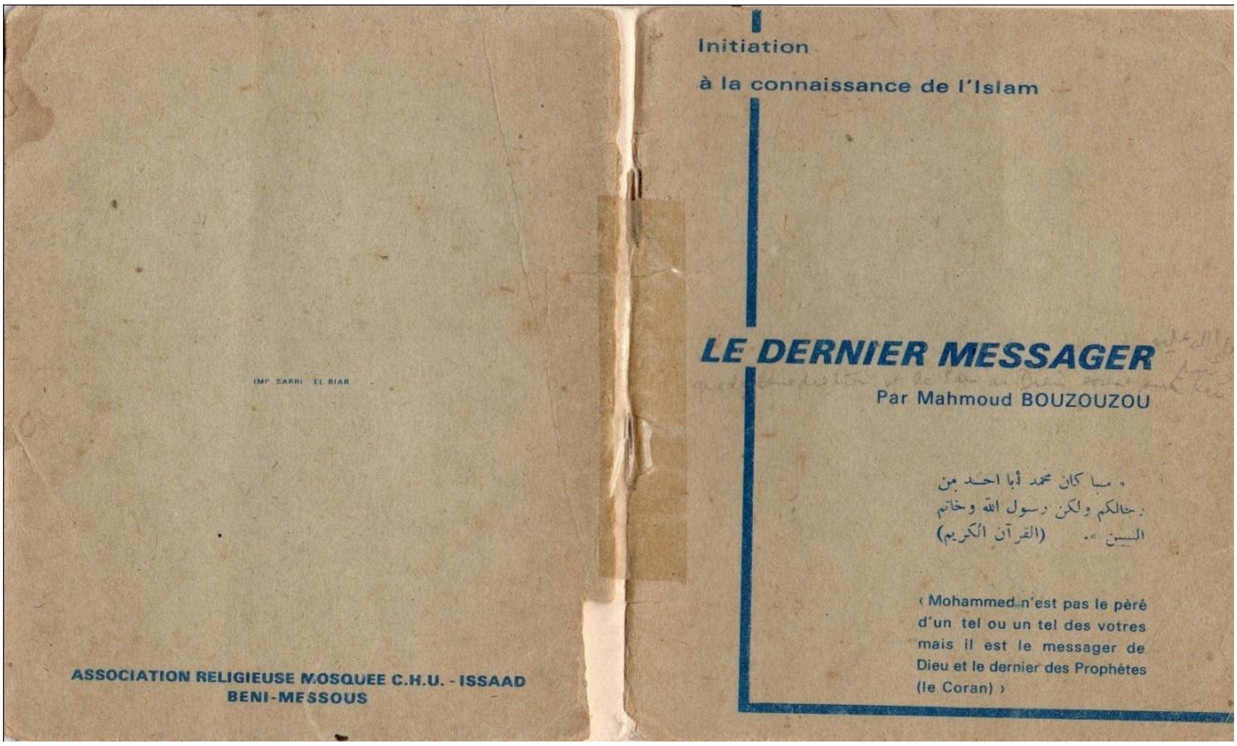
الملحق رقم (12): جرد لمقالات محمود بوزوزو المنشورة في جريدة البصائر[1]

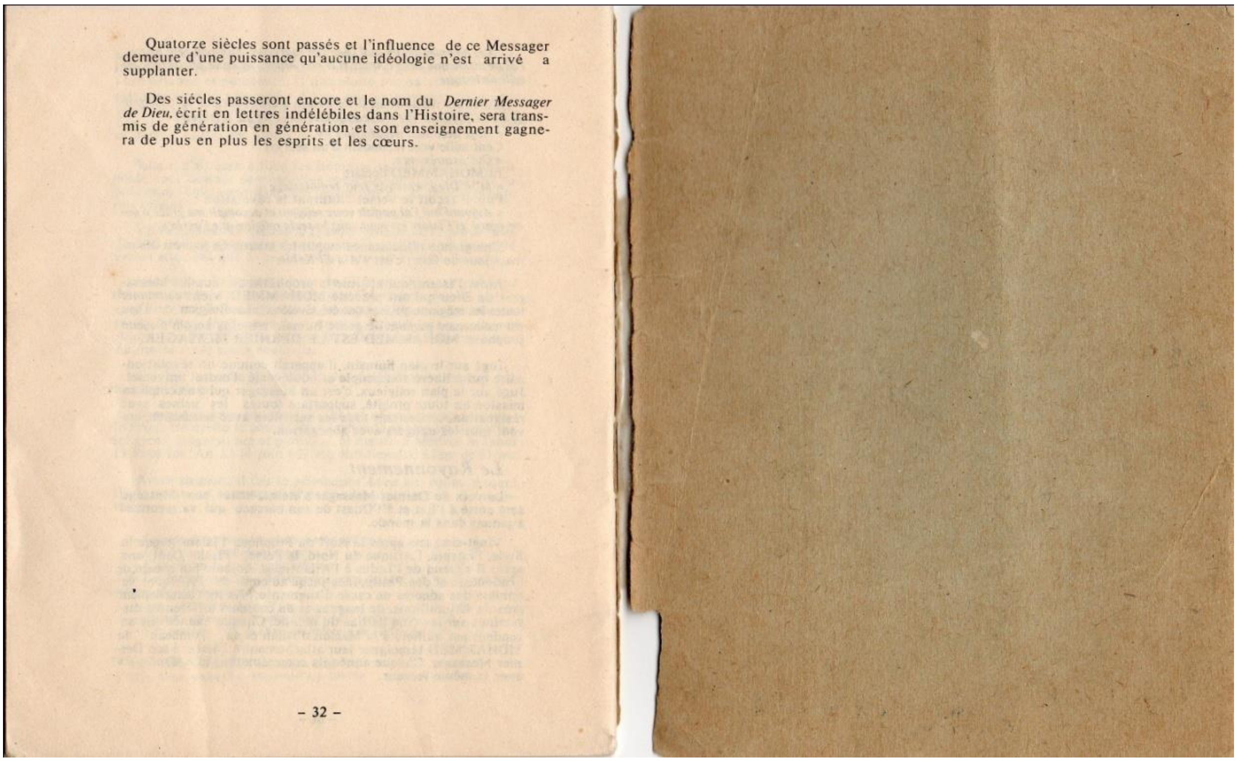
المجلد 5، 1947م– 1948م/ 1366– 1367هـ.

- حول رحلة الكشافة الإسلامية الجزائرية، ع3، 21رمضان 1366هـ/ 8 أوت 1947م، ص 27.
- من وحي البرلمان الفرنسي، ع11، 05 ذي القعدة 1366هـ/ 20 أكتوبر 1947م، ص86.
- من وحي البرلمان الفرنسي 2، ع13، 26 ذي الحجة 1366هـ/ 10 نوفمبر 1947م، ص 103.
- من وحي البرلمان الفرنسي (تتمة)، ع13، 26 ذي الحجة 1366هـ/ 10 نوفمبر 1947م، ص 106.
- من وحي الهجرة: معجزة الإيمان، ع14، 3 محرم 1367هـ/ 17 نوفمبر 1947م، ص111.
- من وحي البرلمان الفرنسي 3، ع15، 17 محرم 1367هـ/ 1 ديسمبر 1947م.
- الدم في أرض النبوة، ع 16، 8 صفر 1367هـ/ 22 ديسمبر 1947م، ص129.
- أين الوفاء للمسيح يا أمة المسيح، ع18، 22 صفر 1367هـ/ 5 جانفي 1948م، ص 147.
- على هامش استقلال، ع20، 7 ربيع الأول 1367هـ/ 19 جانفي 1948م، ص 157.
- غاندي في ذمة التاريخ، ع 23، 5 ربيع الأول 1367هـ/ 19 جانفي 1948م، ص183.
- من حسن الجزاء، ع27، 4 جمادى الأولى 1367هـ/ 15 مارس 1948م، ص 213.
- نظرة في رسالة الشرك ومظاهره، البصائر، ع 27، 15 ماي 1948، ص 215.
- أهكذا يخدم الحق ويقدر التاريخ، ع28، 11 جمادى الأولى 1367هـ/ 22 مارس 1948م، ص 221.
- عيد العروبة، ع30، 25 جمادى الأولى 1367هـ/ 5 أفريل 1948م، ص 235.

[1] – من إعداد الباحثة.

الملحق رقم (13): صور لغلاف كتاب بعنوان آخر الأنبياء من تأليف المصلح محمود بوزوزو[1]

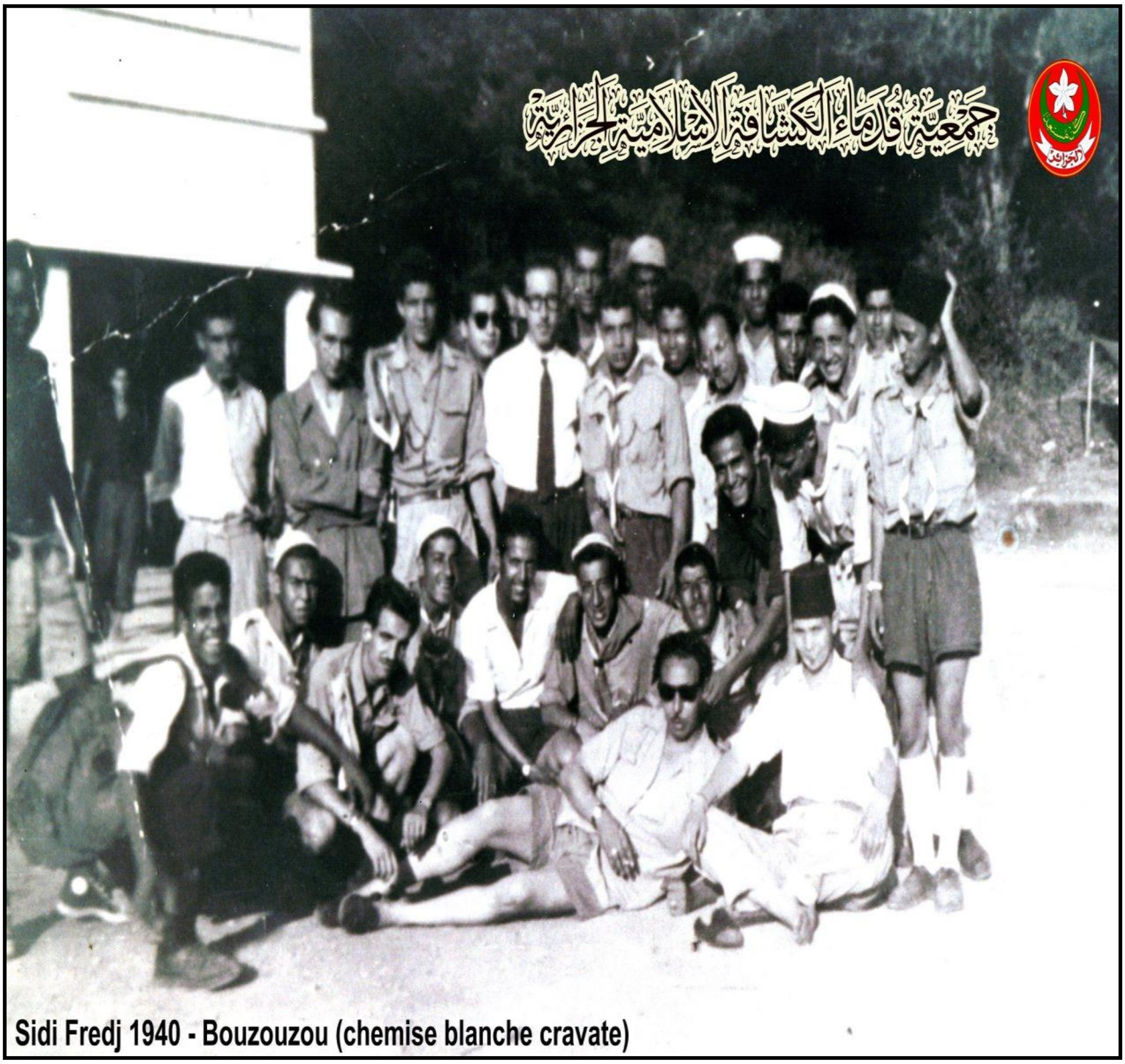




---

[1] – محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر، مرجع سابق، ص-ص 172-188.

الملحق رقم (14): صورة لفوج كشفي يتوسطه المناضل محمود بوزوزو[1]



Sidi Fredj 1940 - Bouzouzou (chemise blanche cravate)

[1] – صورة تحصلت عليها الباحثة بمساعدة الأستاذ منير عربية مسؤول الإعلام والاتصال بجمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية.

الملحق رقم (15): صورة لأعضاء الوفد الكشفي الجزائري المشارك في المؤتمر الدولي للكشافة المنعقد بباريس 1947 [1]

الواقفون في الوسط بالزي الكشفي المناضل الطاهر التيجيني (الرئيس) محمود بوزوزو (المرشد).



[1] - *Mohamed Derouiche, 0o.cit, p 132.*

الملحق رقم (16): صورة لواجهة جريدة المنار طبعة 1983



جبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها تقف أمام الأمة

سلسلة التراث 1

الاستاذ دوزون

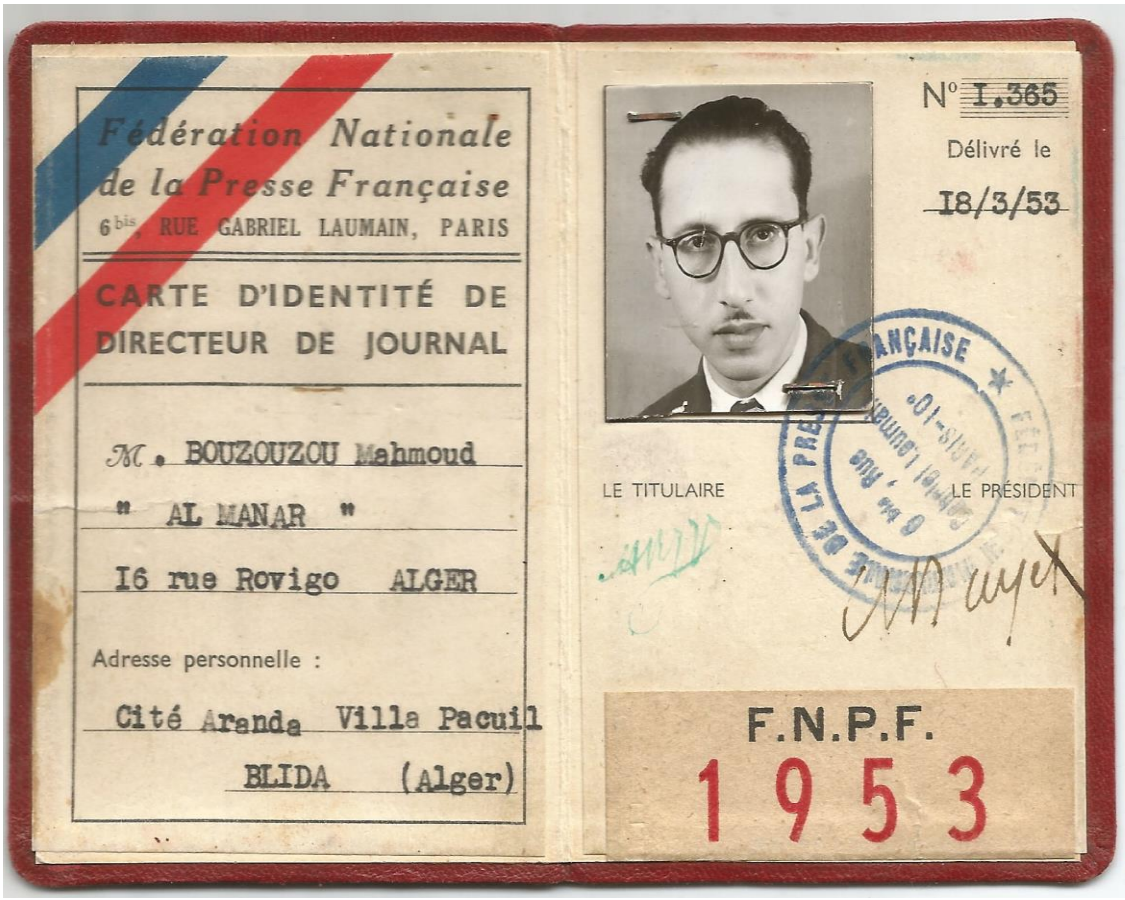
قرار

المنار

جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة

الاستاذ أحمد توفيق

الملحق رقم (17): بطاقة تعريفية لمدير جريدة المنار المنجزة سنة 1953[1]



[1] – صورة تحصلت عليها الباحثة من طرف ابنه عبد الحميد بوزوزو.

الملحق رقم (18): خبر اعتداء الشرطة على محمود بوزوزو منشور بجريدة المنار[1]



اعتداء الشرطة على صاحب الجريدة

الى مركز إدارة الشرطة بدار عامل العمالة بالجزائر وذلك في يوم جمعة من رمضان المعظم في الصباح الباكر.(تقديراً لشعائر الاسلام .) وهناك استنطقه الكوميسار توران ثم «فورسيولي» وسبب

(البقية في ص ٤)

في المجلس

اثيرت يوم الجمعة ٦ جوان فى المجلس الجزائرى قضية الحوادث الدامية التى

[1] – المنار، س2، ع5، 20 جوان 1952.

الملحق رقم (19): صورة لأعضاء اللجنة الإنشائية لتأسيس الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها[1]



من يمين الصورة الى يسارها السادة : أحمد مزغنة ـ مصطفى فروخي ـ الشيخ محمد خير الدين ـ الشيخ العربي التبسي ـ أحمد محمودي ـ پول كاباليرو ـ الدكتور أحمد فرنسيس ـ الاستاذ قدور ساطور

[1] – المنار، س1، ع 7، 30جوان 1951.

الملحق رقم (20): وثيقة توضح صور لبعض أعضاء الجبهة الجزائرية وهم يلقون خطاباتهم.[1]

يوم مشهود في تاريخ النضال التحريري

ان الخطب البليغة التي ألقيت في هذا الاجتماع العظيم تستحق ان تنشر بتمامها ولكن نطاق الجريدة لا يتسع لها. وهذا يضطرنا إلى اختصارها من غير إخلال بالفائدة. وفيما يلي صور الخطباء مع عرض موجز لخطبهم :



الشيخ العربي التبسي

تقدم الشيخ العربي التبسي بصفته رئيساً للجنة الانشائية لتأسيس الجبهة الجزائرية فرحب بالحاضرين أحسن ترحيب ثم قال :

« فهذه جبهة لا تسأل احدا ان كان مسلما او مسيحيا او يهوديا ، إنما تسأله هل هو مناضل في سبيل الحق مكافح في سبيل الحرية ، فغايتنا هي ان نشيد جزائر حرة يتمتع بخيراتها سائر ابنائها سواسية لا فرق بين جنسهم ومعتقدهم ولو كانت لنا حكومة اسلامية بقطر الجزائر لما وجدت بيننا فروق في الاديان ولا تفاوت في الاجناس ، ولما وقع التباين بين احمد وموريس ، ولا بين فاطمة وماري . ان الاضطهاد قد شملنا جميعا فوقفنا جميعا ضد الاضطهاد وانشأنا هذه الجبهة التي جاءها الجميع بقلب سليم لكي تناضل نضال الرجل الواحد حتى تشمل الحرية جميعنا وحتى يسود التساوى الحق بيننا ، وحتى يصبح جميع من تقلهم ارض الجزائر اخوانا متضامنين في السراء والضراء .

« واذا ما رأيتم الدين الاسلامي يقف متقمصا شخصية جماعة من علمائه في طليعة هذه الواجهة المكافحة فذلك لان الدين الاسلامى قد كان أول ضحايا القمع والزجر والارهاق ولأنه قد امتهن وتصرف فيه غير اهله اوتحكم فيه الغرض والهوى ، حتى صار الامام (مثلا) يستمد اخلاقه من

حق ، إنما هو من خصائص الحكومة العليا بباريس . فلما خاطبنا هذه وكدنا نقنعها ، اعترفت بالمبدأ ، ثم احالت التنفيذ الى المجلس الجزائرى ، فلما نشأ هذا المخلوق الابتر عاجزاً واهياً ، مدلساً ، نامت عنه القضية ، ووضعت على الرف ، إلى ان توعز إليه الحكومة بما يجب ان يعمل .

« فالدين المظلوم ، ينضم إلى سائر المظلومين ، ويكون واجهة الكفاح معهم ، لينتصر الحق ، وليعلو منار الحرية ، فيكون الدين من اول الفائزين ، ونحقق به سعادة اهله » .



الاستاذ أحمد بومنجل

ثم ناول الكلمة الاستاذ أحمد بومنجل المحامي نائب الامين العام للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائرى فألقى خطاباً طويلا باللغة الفرنسية تعرض فيه لشرح الاسباب التى دعت الى انشاء الجبهة الجزائرية ، واعلن استنكاره للتزوير الذى وقع في انتخابات ١٧ يونيو . وذكر ان العنصر الاروبى فى الجزائر يتحمل مسئولية عظيمة فى هذا النوع من العمليات الاجرامية . واكد ان الجبهة لم تؤسس ضد اي عنصر من العناصر في الجزائر ولا تحمل اية نزعة عنصرية . وقال : « لا اظن انه يوجد انسان سليم الطوية يمكن ان



السيد العربى بوهالي

وعلى اثره قام السيد العربى بوهالي الكاتب العام للحزب الشيوعي الجزائرى فتحدث بالعربية ثم بالفرنسية .

شرح سياسة الاستعمار في محاولته تجريد الجزائر من شخصيتها واعلن استنكاره لتزوير انتخابات ١٧ يونيو . وشرح الآلام التى يعانيها الشعب والتي ليس لها الا مصدر واحد ، الا وهو الاستعمار . ثم أعلن عن عهد الحزب الشيوعي على أن يكافح بصدق واخلاص في حضن الجبهة . وتعرض للجواب عن جريدة «صدى الجزائر» وجريدة « كارفور » . ثم حذر الجزائريين من الوقوع فى فخاخ الاستعماريين قائلاً : « يجب أن ندعو جميع أحبابنا الى الحذر فى الايام المقبلة . يجب ان نتحفظ من الوقوع فى فخاخ الخصم . وأحسن وسيلة لاحباط جميع هذه المحاولات هي العمل فى دائرة قرارات المجلس الادارى » .



السيد أحمد مزغنة

وبعد ما ذكر أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية كانت دائمة مهتمة بالاتحاد وجاعلة منه شغلها الشاغل، أعلن عن سروره بولادة الجبهة التي هي خطوة كبيرة في طريق اتحاد اوسع . ثم شرح الاسباب المباشرة التي دعت الى انشاء الجبهة . وهي سياسة القمع التي يعانيها الشعب الجزائرى منذ سنة ١٩٤٨ خاصة والتي يجريها الاستعمار في جو من «الارهاب والبؤس والكتمان» . وشرح الاحوال التعيسة التى يعيش فيها المعتقلون السياسيون وتعرض للزجر الذى يصيب كل جزائرى يحمل الروح القومية سواء كان فلاحا في قرية أو تاجراً فى مدينة أو عاملا في معمل . وتحدث عن القمع الاقتصادى الذى جعل البنوك تمتنع من القرض لكل من يحمل الروح القومية من التجار والفلاحين . ثم تعرض لانتخابات ١٧ يونيو وأعلن استنكاره لها ، ووجوب المطالبة بإلغائها ثم قال : « ولكن يجب فوق هذه الاهداف ان لا نغفل عن هدفنا النهائي ألا وهو ان نرى الجزائر تسترجع سيادتها . »

برنامج العمل



السيد مصطفى فروخي مقرر اللجنة يعرض برنامج العمل :

١) إن اللجنة الانشائية المركبة من الثمانية الذين امضوا الاتفاق المشترك تقرر عقد اجتماع عام بالجزائر في ٥ أوت ١٩٥٢ م.

وسيشتمل هذا الاجتماع على ممثلى الحركات الموقعة وحركات ديمقراطية اخرى وشخصيات.

٢) اثناء هذا الاجتماع تتكون اللجنة الادارية المركبة من ممثلى الحركات والشخصيات من العمالات الثلاث.

[1] – المنار، س1، ع 07، 15أوت 1951.

الملحق رقم (21): وثيقة توضح أول ظهور لمشروع الاستفتاء حول الاتحاد على صفحات جريدة المنار[1]

المنار

جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة

السنة الثانية عدد ١٧ الجمعة ٢٣ جمادى ١ ١٣٧٢ ٦ ففري ١٩٥٣ الثمن ٢٥ ف

طوينا لهطالب كل بحر * طمى، وبدت معالمها الكبار
لحيتنا الشواطىء من بعيد * وأوما بالشعاع لنا "المنار"

هذا الاستفتاء

حمود بونونو

وان راى غيره خطأ ينبذ . ولو كان كل راى مصيبا لتعدد الحق ، وهو محال وباجتهاد جميع المخلصين يمكن تجلى الحق.

وانا لنرجو من المفكرين المخلصين ان يشاركوا بآرائهم في هذا الموضوع الحيوى ولئن لم تنجح المحاولات الماضية فلا داعى الى اليأس «انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون» ، ولا مانع من محاولة جديدة بطريقة جديدة . فان نجحت هذه المحاولة فذاك المبتغى والافكما قال الشاعر :

وعلي ان اسعى وليس علي ادراك النجاح

«والمنار» تشكر جميع الجزائريين الذين تفضلوا ويتفضلون بالاجابة عن اسئلتها مبرهنين بذلك على ما لديهم من مزيد العناية بمصير هذه الامة ، وترجو ان تخرج من هذا الاستفتاء نتيجة ايجابية تدفع بالامة الى الامام وتعدها لاستقبال الاحداث اعدادا تخرج به ظافرة سالمة .

... هذا الاستفتاء هو الاول من نوعه ... لصحافة العربية الجزائرية . وهذه ... يقة لفهم المشاكل وبسطها والبحث ... حلولها جديرة بالاعتبار لما فيها من ... ة اللبس والغموض وتلقيح الافكار ... يم السؤال . وقد وعدت «المنار» ... ها في اول عدد برز منها بانها ... ك الطريقة الموضوعية « بعرض ... سائل عرضا مجردا من كل غرض ... ى وفتح ابحاث ودراسات وبسط ... كلات المتعلقة بكل ميدان بسطا ... حا والبحث عن الحلول المعقولة ... واسعا » .

والموضوع الذى تطرقه اليوم من ... المسائل الحيوية للجزائر . وهو ... حاد ، الاتحاد الذى كل يدعو له ... ى لم يتحقق رغم الاتفاق العام على ... ورته ووجوبه . فظهر من هذا ان ... يق الشيء الذى ثبتت ضرورته ... كد وجوبه منوط بالامكان . فاذا ... الاتحاد ضروريا واجبا فلماذا لا ... نق ؟ اليس ذلك في الامكان ؟ ام ... في الامكان لكن دونه موانع ؟ ما ... هذه الموانع ؟ لاشك انها في ... لاف الآراء على اساس الاتحاد اى ... نامج الذى يبنى عليه . فعلى اى ... س يبنى الاتحاد ؟ فان وقع الاتفاق ... اساس معين فماهي الوسائل لجمع ... مة حوله للتنفيذ ؟ هذا موضوع ... ستفتاء الذى تقوم به «المنار» لاول ... ة في تاريخ الصحافة العربية ... ائرية . وهو موضوع — كما يعلم ... راء — من صميم برنامج «المنار» التى ... ت الامة بالسعي في توحيد الكلمة ... ت الى ذلك مرارا بعبارات متنوعة ... ى لايكاد يخلو عدد منها من الدعوة ... توحيد الصفوف وتنظيم الكفاح وقد ... ت في فاتحة سنتها الاولى ... جوب توحيد سياستنا حتى نكون ... ة واحدة ترمي الى غاية واحدة ... سائل متحدة» وفي فاتحة السنة الثانية ... ت بانها « ستعنى عناية خاصة ... حاد القومي وبالمساهمة في الدعوة ... الوحدة الاسلامية . وستكون هذه ... ية مسخرة في خدمة المصلحة العامة ... ة الجزائرية والعالم الاسلامي دون ... ء لأى جنس اودين » .

وبذلك تعهدت «المنار» بشيء هام ... ر . غير انها لاتراه مستحيلا لأن ... طلبه قد حصل بالفعل في الماضي : ... حاولات التي وقعت قد نجحت ولكن ... طل نجاحها . ولا تزال عالقة ... ذهان منظمة «احباب البيان والحرية» ... ن بعدها «الجبهة الجزائرية للدفاع ... الحرية واحترامها» وكل هذا يدل ... ان الاتحاد ليس من المستحيل وانه ... ن الحصول غير انه عسير الدوام. فمن ... جاء العسر ؟ تلك هي النقطة ... ضة التي نرجو بهذا الاستفتاء ... ول الى توضيحها . والجزائر في ... جة الى جميع ابنائها لحل المشكل .

أمر النبى

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

(قرآن كريم)

استفتاء هام فى قضية الاتحاد

١) هل تعتقدون ان الاتحاد في الجزائر ممكن ؟

٢) على اي اساس ؟

٣) ما هى وسائل تحقيقه ؟

تلك اسئلة تلقيها المنار على الرأى العام الجزائرى



راى فضيله الشيخ العربى التبسى

١) الاتحاد فى الجزائر ضرورى لان المنقذ فى وقت الخطر هو تكتل الشعب بأكمله . فقد شاهدنا ان كل امة من الامم فى ظروف خنق ذاتيتها وتهديد الخطر لها تزول الحزبية منها لانها مضرة بها. فالحالة بالجزائر لا تبرر تعدد الاحزاب . فبقاء الاحزاب فيها اطالة لعمر الاستعمار وقد ناديت بهذا فى سنة ١٩٤٥ .

فلابد من اتحاد «شعبى» لا «حزبى» اى تحاد بمعنى «وحدة الشعب» لا اتفاق الاحزاب . فان الذى شاهدناه من الاحزاب هو انها تمثل ضدية بعضها لبعض. ونشاط هذه الضدية ابرز من نشاطها ضد الاستعمار . وهذا ما يظهر جليا في الانتخابات . فالاتحاد الشعبى هو الذى يستطيع ان يغير الحال فى الجزائر .

٢) ويكون هذا الاتحاد على اساس ان الاجناس والالوان واللغات و «الاروبية» و«الافريقية» يجب الغاؤها وجعل جميع السكان مواطنين لهم فى وطنهم من الماديات والادبيات ما لجميع المواطنين فى الاوطان الاخرى . وقضية التفاضل الجنسى فى الجزائر وجعل الديمقرطية على صنفين وفى معاملتين كل ذلك امور تجعل هذا الوطن الجزائرى شبيها بجنوب افريقيا . فلفظ «مسلم» فى الجزائر معناه الحرمان من كل حق، ولفظ «فرنسى» معناه استحقاق كل شىء. ولهذا نعتقد ان النظام القائم على هذه الأوضاع لا يصلح للعيش فيه ولا يعين على اخوة انسانية فى المستقبل .



رى الاستاذ احمد توفيق المدنى

انى لاشكر «للمنار» الزاهر اثارته لهذا الموضوع القومي الحيوى فى الساعة التى تجابهنا فيها احداث عظيمة والتى حمي فيها وطيس المعركة بيننا وبين الاستعمار واصبح من الواجب المحتم علينا ان نوحد الصفوف وان نجمع الشمل وان نواجه المواقف الجديدة المقبلة كتلة واحدة متينة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

١) اما ان الاتحاد الوطني واجب محتم ولا مفر منه فهذه حقيقة محسوسة ملموسة ارى انه من العبث البحث فيها او الجدال حولها ، فانت تجد كلمة الاتحاد فى جميع الاوساط وعند كل الطبقات فقد اصبح الاندفاع الشعبى و «التوحيد» تيارا جارفا لا يستطيع ان يعاكسه احد.

٢) لكن على اى قاعدة يمكن انجاز هذا الاتحاد وما هي الطريقة التي تبرزه للوجود وتجعله حقيقة واقعة ؟ هذا هو محل البحث .

في الامة احزاب عملت عملها في الحقل الوطني حسب اجتهادها وطاقتها . وفي الامة شخصيات مستقلة ذات وطنية وايمان وعمل ، وان لم تتقيد . زبية . فهل يمكن ان يقع اتحاد بين الاحزاب في شكلها الحاضر وبين الشخصيات الوطنية المستقلة ؟ وهل يكون الاتحاد على هذه الصفة مفيدا صالحا ؟ وهل هو يحقق رغبة الامة ويجعل منها كتلة صعبة التفكك ؟ اقول بكل صراحة انني لا اعتقد ذلك . بل اعتقد خلاف ذلك ، فان تجاريب السنوات الماضية وآخرها تجربة « الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية » قد اثبتت ان مثل هذا الاتحاد الذى يقع على اسس



راى الاستاذ عبد القادر وقواق

١ — انى موقن ان الاتحاد ممكن في الجزائر . وما يدفعني الى هذا الراي هو ان الاتحاد صار غاية كل فرد من افراد امتنا وارادة الامة ارادة من الله تعالى كما يقول المثل المعروف .

قد تحققت الامة ان الاتحاد واجب لان فيه حياتها وانه سلاح في يدها لا نظير له وادركت ان الخلاف وتشتت الشمل من جملة المكاره التي سلطها عليها النظام الاستعمارى . والآن وقد عرفت الداء فلابد من السعي في ايجاد الدواء مهما كانت المصاعب .

٢ — الاتحاد لا يكون متينا الا اذا بنى على المبادىء اولا . وقد علمتنا التجارب انه اذا كان على مطالب كلها جزئيات لا يجدى نفعا وسرعان مايصير اثرا بعد عين.

لاشك انه اجتمعت لنا والحمد لله كل المميزات التي يجعلها الفلاسفة والمؤرخون مميزات الامة : التاريخ المشترك واللغة والمبتغيات والقطر .. والنزاع كله انحصر الآن في القطر . فمن المخالفة للحقائق الواقعية ان يجعل قطرنا قسمة من اراض ليست منه في شىء .

وقد اعترف لنا ببعض هذه الحقيقة برلمان فرنسا حين وافق على قانون ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ المدعو بقانون نظام الجزائر.

الجزائر شعب له الحق في تقرير مصيره هذه حقيقة يجب ان تتفق عليها جميع الهيئات والشخصيات الجزائرية .

يجب ان نبنيه على ايمان قوى شديد بمستقبل وطننا وتكون قوة هذا الايمان بقدر المصائب العظيمة التى اصابتنا حتى نقتل ذلك الفشل الذى



راى فضيله الشيخ الطيب العقبى

١ — اعتقد ان الاتحاد ممكن اذا كان الاخلاص . لان القلوب المخلصة تتحد بطبيعة الحال . والاتحاد واجب علينا بحكم ديننا الحنيف الذى امر بالاتحاد ونهى عن الخلاف والنزاع . ولو لم يكن ممكنا لما أمر به الله ورسوله لان الاسلام لايكلف الانسان بما لا يطيقه . والاتحاد واجب علينا — من جهة اخرى — بحكم وضعيتنا الشاذة اذ هذه الحالة تستدعى جمع الكلمة وتوحيد الجهود فى سبيل تحرير امتنا من الاستعباد .

اما امكان هذا الاتحاد فهو متوقف على الاخلاص .

٢ — انني بلوت هذه الامة في خدمتى لها اكثر من ثلاثين سنة وقاسيت فى سبيل الاصلاح ما قاسيت وكانت التجربة قاسية كادت تؤدى الى اليأس من نجاة هذه الامة المغبونة . ولكن اعتقادى في اصلاح حالها لا يزال اليوم على ما كان عليه امس . وهو ان نجاة هذه الامة لا يحصل الا فى التمسك بالكتاب والسنة والسير على ضوء تعاليمهما قولا وعملا . فالاسلام هو الذى وحدها فى الماضى وهو الذي يوحدها اليوم وغدا . ولا اساس للوحدة اشد قوة من القرآن الكريم والدين الاسلامي الحنيف . لان الاسلام اقر العدل والاخوة والمساواة والتسامح ومحا العنصرية والظلم والعدوان،

واذا وقع الاتحاد على هذا الاساس لم يحصل الا الخير .

٣ — والوسيلة لتحقيق هذا الاتحاد هي جمع العاملين المخلصين من ابناء هذه الامة وان كان ثبوت الاخلاص عسيرا لانه لايطلع عليه الا عالم الغيب ولكن فى الاعمال والمواقف شهادة

[1] – المنار، س2، ع 17، 06 فيفري 1953

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: الوثائق الأرشيفية

1-وثائق أرشيف ما وراء البحار: (Aix-en Provence)

C.A.O.M, dossier n° 93/4257 :

- *Soirée théâtrale à tendance politique donnée à Bougie par l'équipe de scoute musulman Algérienne de Laghouat, Polices des Renseignements Généraux, Rapport à Le Commissaire Principal, distriet de Constantine N°469, le 10 juin 1947.*
- *Mahmoud Bouzouzou, Qu'est-ce que le Scoutisme ? Scouts Musulmans Algérien, 3 Rampe de La Pêcherie, Alger.*
- *Service des Liaisons Nord-Africaines, 831 NA/3, Notice Individuelle, Confidentiel, Le 09 avril 1953.*
- *A Monsieur Le Préfet, Dossier concernant Mahmoud Bouzouzou, Mouderrès intérimaire à bougie.*
- *S.L.N.A, Mahmoud Bouzouzou, AL-Manar Au Seuil de sa 2éme Année.*
- *Gouvernement général de l'Algérie, Cabinet S.L.N.A, Bull de la presse D'Alger, Questions Musulmanes, N°: 1256 NA/5, Période du 1° au 15 Mai 1952.*

2-وثائق مركز الأرشيف الوطني الجزائري:

- *Bulletin S.M.A, Message de commissaire général: volonté et esprit de continuité, n°:07,1945, N°:3X, 003/01/004.*
- *Bulletin de S.M.A N°:02, 1948-1949, scoutisme et politique, 3X, N°: 003/01/004.*
- *M. FARES, 6 ème Jamboree, Jamboree de la paix, le 09 novembre 1946, sous série 3X, N°: 001/04/077.*
- *Le Scoutisme Algérienne- prisse au point, 3X, N°: 002/05/002.*

- *Télégramme du cheikh "Ibrahimi adressé a taharTédjini"1947, N°: 3X/001/04/098.*
- محمد الصالح رمضان، تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر، مخطوط بمركز الأرشيف، رصيد الكشافة الإسلامية الجزائرية، رقم: 3X/004/01/ 005.
- محمد الصالح رمضان، كشافتنا في حرب التحرير، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، تحت رقم: 3X/004/01/005.
- رسالة قداش إلى التجيني حول جمبوري السلم مؤرخة في التاسع أكتوبر سنة 1946، رقم: X3 /4/1/073.

3-وثائق أرشيف ولاية قسنطينة:

- *Service des réformes, Boite N°: 479, Administration des Mouderrès, 25 Avril 1946.*
- *Service des réformes, Boite N°: 479, Administration des Mouderrès, le 10 avril 1948.*

4-وثائق الأرشيف الوطني المغربي:

- *Historique de L'armée de L'Armistice du 08 novembre 1942 à janvier 1943, dossier Protectorat, Boite n°: S 99.*

ثانيا: الجرائد

- البصائر.
- السنة النبوية.
- الشهاب.
- المغرب العربي.
- المنار.

- *L'écho d'Alger, 11.7.1933.*
- *Qu'est d'Oranais, 11 et 18 Aout 1944.*

ثالثا: المصادر

1-باللغة العربية:

1. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج9، درا الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
5. أبو عمران الشيخ، محمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية(1935-1955)، الجزائر، دار الأمة، 1999.
6. إحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، أفريل 1961.
7. أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح(1925-1954م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
8. ايسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، ط2، دار الأمل، الجزائر، 2012.
9. سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من أخبار، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، الجزائر، 1994.
10. عباس عروة، آثار الشيخ المناضل محمود بوزوزو، معهد قرطبة للسلام، جنيف، سويسرا، أوت2020.
11. عباس محمد، مرافعة في سبيل الاستقلال، دار المعرفة، الجزائر، 2015.
12. عبد الرحمان ابن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1947 - 1954)، ج3، ط2، منشورات السائحي، الجزائر 2007.
13. عبد الرحمان ابن إبراهيم العقون، مذكراتي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

14. عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، ج2، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1987.

15. علال الفاسي، دفاعا عن وحدة البلاد، سلسلة الجهاد الأكبر رقم 7، مطبعة الرسالة، المغرب، 1959.

16. مبروك بلحسين، المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر-القاهرة) 1954-1956، مؤتمر الصومام في مسار الثورة، تر: الصادق، دار القصبة، الجزائر، 2004.

17. محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، 1939-1951، دار الأمة، الجزائر، 2008.

18. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة، الجزائر، 2007.

19. محمد الصالح الصديق، أعلام من منطقة القبائل، ج2، دار هومة، الجزائر، 2013.

20. محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، موفم للنشر، الجزائر، 1999.

21. محمد الطيب إلول، علي عروة، الفوج الكشفي الأمير خالد ببلكور من رواد الكشافة الإسلامية الجزائرية من 1946-1962، مطبعة، بابا حسان الجزائر، دون تاريخ.Spa-Sepu

22. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1971.

23. محمود بوزوزو، ما يقال عن الإسلام وموقف المسلمين من الناقدين، محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي، 24 جويلية إلى 10 أوت 1972، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

24. مولود طياب، أخبار بجاية في المائة السابعة الثانية، القرن 14هـ و20م، منشورات نسيب، .2014

2-باللغة الأجنبية:

1. *Abbas AROUA, **Décès de cheikh Mahmoud Bouzouzou**, Intervention de directeur de la fondation Cordoue, vendredi 28 septembre 2007.*
2. *Achour CHEURFI, **La classe politique algérienne de 1900 à nos jours**, dictionnaire biographique, 2 ème édition, édition CASBAH, Alger, 2006.*
3. *Charles Robert AGERON, **Histoire de l'Algérie contemporaine 1871- 1954**, P.U.F, Paris, 1979.*

4. ***En Mémoires de cheikh Mahmoud Bouzouzou****, Ouvrage édité par les enfants du défunt, Achevé d'imprimer sur les presses de l'imprimerie Talantikit, Bejaia, Alger, 2017.*

5. *Mahfoud Kaddache,* ***Histoire du nationalisme Algérien****, question nationale et politique Algérienne (1919-1951), T2 ,2éme édition, ENAL, Alger, 1993.*

6. *Mahmoud BOUZOUZOU,* ***De deux prisons à la liberté****, Un Changement d'éspérance, A la rencontre du Réarmement moral, des témoignages, des faits, réunis sous la direction de Gabriel Marcel, Paris, tribune libre, 1959.*

7. *Mohamed DEROUICHE,* ***Scoutisme école de Patriotisme****, ENAL,OPU, Alger, 1985.*

رابعا: المراجع

1-باللغة العربية:

1. إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2013.

2. أبو بكر الصديق حميدي، دراسات وأعلام في الحركة الإصلاحية الجزائرية، دار المتعلم، الجزائر، 2015.

3. أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري والثورة التحريرية، دراسة تطبيقية في صور إسهام المسرح الجزائري في ثورة أول نوفمبر1954، دار الساحل، الجزائر، 2013.

4. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

5. أحمد الرفاعي شرفي، مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي، ج3، دار الهدى، الجزائر، 2011.

6. أحمد منغور، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954 -1962، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2008.

7. إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

8. أسيم القرقري، علال الفاسي استراتيجية مقاومة الاستعمار، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010.

9. بشير كاشة الفرحي، صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2010.

10. بنيامين سطورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898م–1974م، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 1998.

11. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931–1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

12. جان وولف، ملحمة عبد الخالق الطريس حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب، ترجمة محمد الشريف، ط1، منشورات جمعية تطوان، المغرب، 2003.

13. جمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة مدرسة الجودة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2010.

14. حسينة حماميد، المستوطنون الأوربيون والثورة الجزائرية 1954–1962، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2007.

15. حفظ الله بوبكر، التموين والتسليح إبان ثورة التحرير الجزائرية (1954– 1962) طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

16. حمد الله مصطفى حسن، أصداء المقاومة المسلحة التونسية ضد الاحتلال الفرنسي في الصحافة المصرية 1945–1957، أعمال الندوة الدولية السابعة حول: المقاومة المسلحة في تونس في القرنيين 19 و20 المنعقدة في نوفمبر 1993، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس، 1995.

17. خيري الرزقي، المشرق العربي من خلال جريدة الأمة لأبي اليقظان، دار شطيبي، الجزائر، 2015.

18. رولان كايرون، الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

19. سطيفان برنار، تاريخ الصراع الفرنسي المغربي 1943-1956م، ترجمة حسان المعروفي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.

20. سعيد بورنان، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي 1900–1954، ط3، دار الأمل، الجزائر، 2015.

21. سفيان لوصيف، عبد الحميد المودن، الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية–الجزائرية، ج2، ط1، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، المغرب، 2017.

22. صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

23. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط1، 1976.

24. عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، محطات مضيئة من تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، الكشافة الإسلامية الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

25. عبد الحميد زوزو، الثقافة والتعليمان الحر والرسمي في العهد الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2017.

26. عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية على ضوء وثائق جديدة، دار هومة، الجزائر، 2004.

27. عبد الحميد ساحل، عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، 1906-1927 دراسة تحليلية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار 2013.

28. عبد الرحمان بن ناصر السَّعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2003.

29. عبد الرحمّن دويب، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، المراسلات، ط1، عالم المعرفة، 2013.

30. عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945 دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

31. عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية الجزائرية 1830-1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

32. عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954 النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

33. عبد المجيد بلهادي، فرحات حشاد نضال ومواقف نضالية 1945-1952 من خلال مجموعة نادرة من الوثائق، منشورات المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، جامعة منوبة، تونس، 2013.

34. عبده حمزة خياط، الحركة الكشفية من منظور إسلامي، ط1، مطابع المجموعة الإعلامية، المملكة العربية السعودية، 1992.

35. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي ،1997.

36. عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

37. عمر عيساني، العلم الجزائري والكشافة الإسلامية الجزائرية مرة أخرى، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، سلسلة ندوات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954.

38. عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

39. فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، دار قرطبة، الجزائر، 2016.

40. فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، دار قرطبة، الجزائر، 2011.

41. محمد أرزقي فراد، أفكار محمود بوزوزو في التحرر الوطني، دار الأمل، الجزائر، 2019.

42. محمد الصالح رمضان، إسهاماتي في الكشافة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للمنشورات الإسلامية، الجزائر، 2003.

43. محمد المصافي ، الحركات التحررية المغاربية أشكال الكفاح السياسي والمسلح (1942-1956)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2017.

44. محمد تقية، الثورة الجزائرية، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة، الجزائر، 2010.

45. محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

46. محمد ناصر، الصحف العربية في الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر،2007.

47. محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها وأعلامها من 1903-1930، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

48. محمد يوسفي، الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، تر: محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002.

49. مراد مزعاش، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر 1931-1954م، دار الهدى، الجزائر، 2018.

50. المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830-1962 الملتقى المغاربي الأول، يومان دراسيان: 28-29 ديسمبر 1992، وحدة بحث عمار هلال، قاعة المحاضرات، النفق الجامعي معهد التاريخ، جامعة الجزائر.

51. مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني، دار الطليعة، الجزائر، 2003.

2-باللغة الأجنبية:

1. *Benjamin STORA,* ***Dictionnaire Biographique de Militants Nationalistes Algériens 1954-1962*** *(E.N.A, P.P.A, M.T.L.D), préface Mohamed Harbi, L'Harmattan.*
2. *Bromberger SERGE (1912-1986),* ***Les rebelles Algériens****, Librairie PLON, Paris, 1958.*
3. *Fatima Zohra GUECHI,* ***la presse Algérienne de langue arabe 1946-1954 Enjeux politiques et Jeux de plumes****, Bahaeddine Edition, Algérie, 2009.*
4. *Jacques JURQUET,* ***la Révolution Nationale Algérienne et la parti Communiste Français****, Dés élections a la lutte armée, Tome 4, édité par le monde en Marche, Marseille, 1979.*
5. ***La Pensée politique Algérienne****, Les actes Du Colloque 1830-1962, 25 -26 Septembre 2005,2010.*
6. *Laszlo NAGY,* ***Le mouvement national tunisien et l'environnement international 1950-1951****, Actes du 4éme Colloque International sur la Tunisie, tenu les 13,14, et 15 décembre 1991, textes réunis et publie par L'U.E.R, Tunis, 1993.*

خامسا: الدوريات

1-باللغة العربية:

1. أبو بكر الصديق حميدي، محمود بوزوزو أحد الأقلام في النضال الوطني والكشفي، **المجلة التاريخية المغاربية**، س40، ع152، جويلية 2013.
2. أمال علوان، علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية بحزب الشعب الجزائري-حركة انتصار الحريات الديمقراطية 1935-1954م، **المرآة للدراسات المغاربية**، ع 3، مخبر الدراسات المغاربية النخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، جوان 2015.
3. حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني والاستقلال، س5، ع5، **مجلة كلية الآداب بتطوان**، المغرب، 1991.
4. رامي سيدي محمد، الكشافة الإسلامية الجزائري في الغرب الجزائري بين الاستعداد، الانطلاقة والمشاركة في الثورة التحريرية، **المعيار**، المجلد التاسع، ع1، 2018.
5. شاوش حباسي، فرض الحماية على تونس، ورد الفعل التونسي 1881-1883م، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع8، س 1994.
6. عادل بن يوسف، حول اغتيال الزعيم فرحات حشاد وكتاب اليد الحمراء لأنطون مليرو، **مجلة روافد**، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية، ع15، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 2010.
7. عبد القادر خليفي، حسن بولحبال مفتي وهران، **إنسانيات**، عدد مزدوج 23-24، جانفي-جوان 2004.
8. عبد القادر قوبع، استفتاء جريدة المنار الجزائرية 1953 حول إمكانية الوحدة السياسية، **مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة**، جامعة زيان عاشور الجلفة، ع8، سبتمبر 2020.
9. عبد المالك مرتاض ، أسلوب الصحافة العربية في الجزائر، **الثقافة**، س6، ع34، سبتمبر 1976.
10. عدنان الربيع، حوار مع الشيخ بوزوزو، **مجلة الوفاق**، العدد الثالث، محرم-صفر 1418هـ، ماي - جوان 1998م.
11. عمر رياض، علاقة مجلة المنار الإصلاحية بمفكري الجزائر 1898-1935، **مجلة المواقف**، ع 7، ديسمبر 2012، الرشاد للطباعة والنشر، منشورات جامعة معسكر.

12. مجلة **الكشاف**، العدد 59، 2008.

13. محمد أرزقي فراد، محمود بوزوزو مثقف عاش للجزائر، **الشروق**، العدد 2175، 16 ديسمبر 2007.

14. محمد إسطنبولي محبوب، أضواء على تاريخ المسرح في الجزائر، **مجلة آمال**، س8، ع35، 1976.

15. محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، **مجلة الثقافة**، العدد 70، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، جويلية-أوت 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

16. محمود بوزوزو، مشكلات المسلمين في مجتمع الاغتراب، **مجلة الأمة**، العدد السابع والثلاثون، محرم 1404هـ/ أكتوبر 1983م.

17. مصطفى حابس، الأب الروحي للثورة الجزائرية، العلامة الشيخ محمود بوزوزو خدم العربية وتفرغ للإسلام في الغرب خلال نصف قرن من عمره، **السلام**، س9، ع2589، 13 نوفمبر 2019.

18. مصطفى حابس، الجالية المسلمة تتذكر أحد رجالات جمعية العلماء المسلمين العلامة محمود بوزوزو، **أسبوعية البصائر الجزائرية**، ع597، الاثنين 01-07 جمادى الثانية 1433هـ/23-29 أفريل 2012م.

19. مولود عويمر، مسألة التاريخ عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، **مجلة الوعي**، مجلة ثقافية فكرية تصدر عن دار الوعي، جويلية 2010.

2-باللغة الأجنبية:

1. *Abbas AROUA, cheikh M. Bouzouzou n'est plus,* ***la tribune de Genève****, 01/10/2007.*
2. ***Bulletin de L'Arzillier****, le dialogue interreligieux : l'école de Mahmoud Bouzouzou, n°23, décembre 2009.*
3. *Claude COLLOT, le régime Juridique de la presse musulmane Algérienne,* ***la revue Algérienne des sciences juridique****, n2, 1969.*
4. *Farid GHILI, L'ouvre de Cheikh Boualem Bouzouzou, dit Si Boualem El-Kadi "Ya Belaredj",* ***le quotidien indépendant Le soir d'Algérie****, 15 et 16 décembre 2012.*

5. *Hamid TAHRI, Cheikh Mahmoud Bouzouzou: Théologien, ancien imam de la mosquée de Genève, L'imam qui avait séduit les suisses, **Le quotidien algérien El Watan**,18 Septembre 2008.*
6. *Mahmoud BOUZOUZOU, Ayons la sagesse de concilier les valeurs sacrées! Point de vue sur l'affaire des caricatures, **la tribune de Genève**, 11 février 2006.*
7. *Mahmoud BOUZOUZOU, Où va le monde musulman? **Gazette du Lausanne**, 06 Novembre 1959.*
8. *Mustafa HABES, Le savant Algérien Cheikh Mahmoud Bouzouzou: le chef spirituel de la guerre de libération, à servi l'arabe et s'est consacré l'islam en occident durant un demi-siècle, **Hoggar**, 10 décembre 2019.*
9. *V.H, L'Imam Bouzouzou conseillé et instructeur, **Journal de Genève**, 1991.*
10. *Watanabe SHOKO, Organizational Changes in the Algerian National Movement as Seen through the Muslim Boy Scouts in the 1930s and 1940s: The Struggle For Influence between The Association of The Ulama and The PPA-MTLD, **The Journal of Sophia Asian Studies**, N 30, 2012, The University of Tokyo.*
11. *Watanabe SHOKO, To be Religious and to be Political in Colonial Algeria: The Ulama and The Nationalists, Two Approaches, **The Journal of Sophia Asian Studies**.*

سادسا: الرسائل الجامعية:

1. أمال علوان، أثر الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية على الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1935-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2012/2013.
2. جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة انتصار الحريات الديمقراطية في عمالة وهران الخروج من النفق-من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية (1950-1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2007-2008.

سابعا: الموسوعات والمعاجم:

1. خير الدين الزركلي، معجم الأعلام، ج4، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986.
2. رابح خدوسي، موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003.
3. شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1995.
4. محمد حمدان وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1995.

ثامنا: المواقع الإلكترونية:

- عبد الحفيظ العبدلي، محمود بوزوزو داعية الانفتاح والتسامح، موقع: https://www.swissinfo.ch، تاريخ المقال 07 /2008/04، تاريخ التصفح: 2016/07/13 على الساعة 19:06 مساءا. و2021 /01/11، 11:43 صباحا.
- الهادي الزروقي ومدرسة الإصلاح، https://ar.wikipedia.org/wiki/، 10 أفريل 2020، الساعة: 16:18د.

الفهارس:

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الأحزاب والهيئات والجمعيات
- فهرس الجرائد والمجلات
- فهرس المحتويات

فهرس الأعلام:

فهرس الأماكن والبلدان:

فهرس الأحزاب والهيئات والجمعيات:

-أ-

-ج-

-ح-

-ل-

-هـ-

فهرس الجرائد والمجلات:

-أ-

-ر-

فهرس المحتويات:

الفصل الثالث

نضاله الوطني في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية 1943-1954م

الفصل الرابع

جريدة المنار دراسة تحليلية1951–1954م

الفصل الخامس

قضايا سياسية في جريدة المنار 1951-1954م

الفصل السادس

قضايا ثقافية فكرية ودينية في جريدة المنار 1951-1954م

ملخص:

تندرج هذه الأطروحة ضمن البحوث المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ونضال قادتها، وتسلط الضوء على حياة محمود بوزوزو، نضاله الفكري والسياسي، مواقفه الإصلاحية والوطنية.

ركز الجزء الثاني من هذا البحث على الدراسة البيبليوغرافية لجريدة المنار انطلاقا من مختلف الموضوعات التي كانت تعالجها الجريدة، مع دراسة وصفية وتحليلية لأهم ما ورد فيها بتقديم بيانات ورسومات، نسب وأرقام ومعطيات حول الجريدة.

وأخيرا، تمت دراسة وتحليل أهم القضايا التي أثارتها الجريدة ومعالجتها في سياقها التاريخي فضلا عن الوقوف على القيمة السياسية والفكرية التي أضافتها إلى التجربة الوطنية بصورة عامة.

كلمات مفتاحية: بوزوزو، الاستعمار، الحركة الوطنية، الحركة الإصلاحية، كشافة إسلامية، جريدة المنار.

Abstract:

This thesis relates to the history of the Algerian national movement and the patriotic struggle led by its leaders. It highlights the life of Mahmoud Bouzouzou, his intellectual and political strife, his reformist and national positions.

The second part of this research focuses on the bibliographical study of the Al-Manar newspaper based on the different subjects dealt with in this periodical as well as a descriptive and analytical study of the newspaper's contents such as the drawings, the ratios, figures and data in this publication.

Finally, the most important issues raised by the journal newspaper are studied, analyzed and addressed in their historical context, as well as determining the political and intellectual value it brings to national experience in general.

Keywords: *Bouzouzou, colonialism, National Movement, Reform Movement, Muslim Scouts, Al Manar newspaper.*

Résumé :

Cette thèse a trait avec l'histoire du mouvement national algérien et la lutte patriotique de ses dirigeants. Elle met en lumière la vie de Mahmoud Bouzouzou, sa lutte intellectuelle et politique, ses positions réformistes et nationales.

La deuxième partie de cette recherche porte sur l' étude bibliographique du journal Al-Manar basée sur les différents sujets traités dans ce périodique ainsi qu'une étude descriptif et analytique du contenu du journal comme les dessins, les ratios, des chiffres et des données de cette publication.

Enfin, les questions les plus importantes soulevées par le journal sont étudiées, analysées et abordées dans leur contexte historique en plus de déterminer la valeur politique et intellectuelle qu'elle apporte à l'expérience nationale en général.

Mots-clés : *Bouzouzou, colonialisme, Mouvement national, mouvement réformiste, Scouts Musulmans, le journal Al Manar.*

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abd Elkader University of
Islamic Sciences- Constantine
Faculty of Arts and Islamic Civilization
Department of History

Serial Number………………………….....

Registration Number…………………......

Mahmoud Bouzouzou,
The Pathway of Al-Manar Newspaper and its Themes

A Thesis Submitted for LMD Doctorate in Human Sciences- History

Specialty: Modern and Contemporary History of Algeria

Presented by: | *Supervised by Dr:*

Radhia Gouffi | *Noureddine Teniou*

Members of the Discussion Committee

First and Family Name	Rank	Original University	Character
Ahmed Abdeli	Professor	Emir Abd Elkader university – Constantine	President
Noureddine Teniou	Professor	Emir Abd Elkader university – Constantine	Supervisor and Reporter
Bachir Faid	Professor	Mohamed Lamine Debaghine university – Setif	Examiner
Mohamed Oujratni	Lecturer	Emir Abd Elkader university – Constantine	Examiner
Toufik Benzarda	Lecturer	Larbi Ben M 'hidi university – Oum El Bouaghi	Examiner
Khemissa Meddour	Lecturer	08 Mai 1945 university – Guelma	Examiner

University year: 1442-1443H/ 2021-2022AD